
King Saud University
1957

إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، تأليف
علي بن ابراهيم الحلبي - ١٠٤٤هـ. بخط
عطا الله المنشاوي سنة ١١٠١هـ.
١٦٣ق ٢٢س ٢٠×١٥سم
نسخة جيدة، خطها نسخ حسن

١٦٠٩ الأعلام ٥ : ٥٤ دار الكتب المصرية ٨ : ٢٨

١- السيرة النبوية أ- نور الدين الحلبي، علي
ابن ابراهيم سنة ١٠٤٤هـ ب- الناسخ
ج- تاريخ النسخ د- السيرة الحلبية

الجزء الاول من سيرة الحلبي

وقف على طلبة العلم بالازهر

فقال لي كل فقلت لا اقدر واسه ايها الملك فامر باحضار قضيب فاخذه الملك وامر به على صدري فكان لم اكل شي قط ثم اكلت اكلا كثيرا حتي انتهيت فقال لي كل فقلت واسه لا اقدر ايها الملك فامر بالقضيب على صدري فكان لم اكل شيا قط فاكلت حتي انتهيت فقال لي كل فقلت ما اقدر على ذلك فاراد ان يمر بالقضيب على صدري فقلت ايها الملك ان الذي دخل يحتاج الي ان يخرج فقال صدقت وامسك عني فسالته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك ومما يحفظ عن يحيي ابن خالد هذا زيادة على ما تقدم عنه اذا احببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا من غير سبب فتوق شره ومما يحفظ عنه ايضا وقد قال له ولده واظنه الفضل وقد كان معه مقيدا في حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهب اموال البرامكة ومن يلوذ بهم يا ابت بعد الامر والنهي والعز والقوة الكلمة صرنا الى هذا الحال فقال يا ولدي دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها وما غفل اسه عنها اي فقد قال ابو الدرداء اياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام اي ولان اسه تعالي يقول انا اظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال صلي اسه عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما يسال اسه حقه وان اسه تعالي لن يمنع ذا حق حقه وجا اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين اسه حجاب وجا اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول اسه وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام الابيض الذي فوق السما السابعة المعني بقوله تعالى يوم تشقق السما بالغمام اي لا تقوي على حمله اذا سقط وتصير دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد زمن طويل فهو سبحانه وتعالي وان امهل الظالم لا يهمله وجا اتقوا دعوة المظلوم

فانها تصعد الى السما كانها شرارة اي تصعد الى السما لبعد
ما فوقها وجا اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب
وقد قال القايل ، تنام عينك والمظلوم منتبه ، يدعو عليك وعين الله لم تنم
ومما قيل في يحيى بن خالد هذا من المدح البليغ ،
، سالت الندا هل انت حر فقال لا ، ولكنني عبد ليحيى بن خالد
، فقلت شرا قال لا بل وراثة ، توارثني من والد بعد والد
ومما يحفظ عن والد جعفر خالد التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة
ومما يحفظ عن جعفر ولد يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في
كسبه وحرمت الاجر في انفاقه وقوله المسيي لا يظن في الناس الا
سوا لانه يراهم بعين طبعه ومما قيل في جعفر من المدح قول الشاعر
، تزور الملوك ندي جعفر ، ولا يصنعون كما يصنع ، وليس باوسعهم في الغنا ،
، ولكن معروفه اوسع ، وخمدت نار فارس ، اي مع ايقاد خادمها ،
لها اي كتب لصاحب فارس ان بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد
قبل ذلك بالف عام وغاضت اي غارت بحيرة ساوة اي بحيرة صارت
يابسة كان لم يكن بها شي من الماء مع اتساعها اي كتب له بذلك عامله باليمن
والى هذا اشار صاحب الاصل بقوله ، لمولده ايوان كسرى تشققت
، مبانيه وانحطت عليه شؤونه ، لمولده خرت علا شرفاته ،
، فلا شرف للفرس يتقي حسبه ، لمولده نيران فارس اخمدت ،
، ونورهم اخماده كان خضته ، لمولده غاضت بحيرة ساوة ،
، واعقب ذاك الدحور شيبته ، كان لم يكن بالامس [illegible] اهل ،
، وورد الغيض الظمآن معينه ، والى ذلك ايضا اشار صاحب الهمزية رحمه الله
بقوله ، وتداعى ايوان كسرى ولولا آية ، منك ما تداعى البناء ،
، وغدا كل بيت نار وفيه ، كربة من خمودها وبلاء ،

وعون



، وعيون للفرس غارت ، فهل كان لنيرانهم بها اطفاء ،
اي ومن العجايب التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تهدم
ايوان كسرى انوشروان الذي كان يجلس به مع ارباب مملكته
وكان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجود علامة
صادقة عنك الي الوجود ما تهدم هذا البنا العجيب الاحكام ومن ذلك ايضا
انه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها
خامدة نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلا عظيما من اجل سكون
لهب تلك النيران التي يعبدونها في وقت واحد ومن ذلك ايضا غور ما
عيون الفرس في الارض حتى لم يبق منها قطرة وحتى يستقيهم ويحيا
وتقربها لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفا لتلك
النيران وقيل في جوابه لا بل اطفاوها انما هو لوجود هذا النبي
العظيم وظهوره ورأى ابو بذان القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث
هو خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه ياخذون مسايل شرايعهم
ورأى في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا اي وهي خلاف البراذين
قد قطعت اي دجلة نهر بغداد وانتشرت في بلادها اي والابل كناية
عن الناس ورأى كسرى ما هاله وافزعه اي الذي هو ارتجاس
الايوان وسقوط شرفاته فلما اصبح تصبر اي لم يظهر الانزعاج
لهذا الامر الذي راه تشجعا ثم رأى انه لا يدخره ذلك اي هذا الامر
الذي هاله وافزعه عن من ازبته بضم الزاي اي فرسانه وشجعانه
فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده
قال اتدرون فيما بعثت اليكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك
اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران اي ورد عليه كتاب من صاحب ايليب
بحيرة اي بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب من صاحب
الشام يخبره ان وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب

طبريه بجيره ان الما لم يجري في بحيرة طبريه فازداد غما الى غمه ثم اخبرهم
بما راى وما هاله اي وهو لو ارتجاس الايوان وسقوط شرفاته فقال
الموبذان فانا اصلح الله الملك قد رايت في هذه الليلة رويا ثم قص
عليه رويا في الابل فقال اي شي هذا يا موبذان قال حدث يكون
في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من
علمايهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى
ملك الملوك الى النعمان ابن المنذر اما بعد فوجه الي برجل عالم بما اريد
ان اساله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني اي وهو معدود من
المعمرين عاش مائة وخمسين سنه فلما ورد عليه قال الك علم بما اريد
ان اسالك عنه قال ليسالني الملك عما احب فان كان عندي علم منه
والا اخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند
خالي يسكن مشارق الشام بالجابية اي اعاليها اي وهي الجابية المدينة
المعروفه يقال له سطيح قال فاته فاساله عما سالتك عنه ثم ايتني
بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد اشفى اي اشرف
على الضريح اي الموت اي احتضر وعمره اذ ذاك ثلاثمايه سنه وقيل
سبعمائة سنه اي ولم يذكره ابن الجوزي في العمرين وكان جسدا ملقى
لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس
وكان وجهه في صدره ولم يكن له راس ولا عنق وفي كلام غير واحد
لم يكن عظم سوى راسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمه
والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان قيل لكونه مخلوقا من ما امراة
لان ما الرجل يكون منه العظم والعصب اي كما سياتي عنه صلى الله عليه وسلم
من قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المراه
يخلق منها اللحم والدم قاله صلى الله عليه وسلم ذلك لما ساله اليهود

فقالوا

فقالوا له ثم تخلق الولد فلما قال لهم ما ذكر قالوا له هكذا كان يقول من
قبلك اي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وفيه ان عيسى عليه السلام
على تسليم انه خلق من نطفة وهي نطفة امه كان فيه العظم والعصب
فقد قيل لها تمثل لها الملك في صفة شاب امرد حتى انحدرت شهوتها
الى افضى رحمها وقيل لم يخلق من نطفة اصلا وقد صرح بالاول
الشيخ محيي الدين ابن العربي رحمه الله حيث قال انكر الطبيعيون
وجود ذلك من ما الصدر الزوجين وما الاخر ولكن مردود عليهم بعيسى
عليه السلام فانه خلق من ما امه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا
سويا لشوق اللذه بالنظر اليه فنزل الماء منها الى الرحم فتكون عيسى
عليه السلام من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ما
امه فقط هذا كلامه اي وكون سطيح كان وجهه في صدره لم يختص
سطيح بهذا الوصف فقد رايت ان عمرا الاذعار انما قيل له ذلك
لانه سبا امة وجوهها في صدورها فذعرت الناس منهم وعمرو هذا
كان في زمن سليمان ابن داود عليهما السلام وقيل قبله بقليل
وملكت بعده بلقيس بعد قتلها له وكان لسطيح سرير من الجريد
والخوص اذا اريد نقله الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته وفي لفظ
الى جمجمته كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب به حيث
يشا واذا اريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك وطب
المخيض اي سقا اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلى
ويعلوه النفس فيخبر عما يسال عنه وكانت جمجمته اذا لمست اثر
اللمس فيها للينها قيل وهو اول كاهن في العرب وهذا يدل على
انه سابق على شق وقد تقدم في حفر زمزم ان الكاهنة التي
ذهب اليها عبد المطلب وقريش ليتحاكموا عندها تفلت في فم
سطيح وفم شق وذكرت ان سطيحا يجعلها وصيه ثم قال بعضهم

لم يكن احد اشرف في الكهانة ولا اعلم بها ولا ابعد فيها صيتا من
سطيح وكان في غسان وذكر بعضهم ان سطيحا كان في زمن نزار
ابي معد ابن عدنان وهو الذي قسم الميراث بين بني نزار وهم مضر
واخوته وهو بعيد ما تقدم من انه عمر سبعمائة سنة ثم شق وعبد المسيح
وهو لا كانوا رؤس الكهنة واهل العلم الغامض منهم بالكهانة اي والا
فمنهم اي من اهل العلم الغامض مسيلمة الكذاب في بني حنيفة وسجاح
كانت في بني تميم وسجاح اخرى كانت في بني سعد والكهانة من الاخبار
عن الغيب والكهانة من خواص النفس الانسانية لان لها استعداد
للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها فسلم عبد المسيح على سطيح
وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشا عبد المسيح يقول
اصم ام يسمع غطريف اليمن اي سيدهم الى اخر ابيات ذكرها فلما
سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع راسه اقول قد يقال لا منافاة بين
اثبات الراس هنا ونفيه في قوله ولم يكن له راس لانه يجوز ان يكون
المراد بالراس المثبت الوجه لكن قد تقدم انه لم يكن له عظم سوى في
راسه او الا بجمجمة ففي ذلك اثبات الراس وقد يقال لما كانت
راسه تلك الجمجمة يوثر فيها اللمس لشبهها مخالفتها الراس غيره
ساغ اثبات الراس له ونفيه عنه والله اعلم وعند رفع راسه
قال عبد المسيح على جمل مسيح اي سريع الى سطيح وقد اوفى على الضريح
اي القبر والمراد به الموت كما تقدم بعثك ملك ساسان
لارتجاس الايوان وخمود النيران ورويا الموبذان راى ابلا
صعابا تقود خيلا عرابا وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة اي تلاوة القران وظهر صاحب
الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست
بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك

وملكات

وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو ات ات ثم قضى سطيح مكانه اي مات
من ساعته والهراوة بكسر الهاء وهي العصا الضخمة اي وهو النبي صلعم
لانه كان يمسك العصى كثيرا عند مشيه وكان يمشي بالعصا بين يديه
وتغرز له فيصلي اليها التي هي العنزة وفي الحديث حمل العصى
علامة المومن وسنة الانبيا وفي الحديث من بلغ اربعين سنة ولم ياخذ
العصى عد له اي علامة اخذ العصى من الكبر والعجب وقد يقال مراد
سطيح بالعصى العنزة التي تغرز ويصلي اليها في غير المسجد لانه لم
يحفظ ان ذلك كان لمن قبله من الانبيا وذكر الطبري ان ابرويز بن
هرمز جاءه في المنام فقيل له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم
يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه وعند موت سطيح نهض عبد المسيح
الى راحلته وهو يقول شعرا منه شمر فانك ماضي العزم شمير
لا يفزعنك تفريق وتغيير والناس اولاد علات فمن علموا
ان قد اقل فمحقور ومهجور وهم بنو الام اما ان راوا نشبا
فذاك بالغيب محفوظ ومنصور والخير والشر مقرونان في قرن
فالخير متبع والشر محذور فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره
بما قال له سطيح قال كسرى الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا تكون
امور وامور فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك الباقون الى خلافة
عثمان رضي الله عنه اي فقد ذكر ان اخر من هلك منهم كان في اول خلافة
عثمان رضي الله عنه اي وكانت مدة ملكهم ثلاثة الاف سنة ومائة سنة
واربعا وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف
قيل له ذلك لانه كان يخلع كتاف من ظفر به من العرب ولما جاء الى
بني تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه ووجد بها عمير ابن تميم وهو

ثلاث مائة سنة وكان معلقا في قفة لعدم قدرته على الجلوس فاخذ
وجي به اليه فاستنطقه فوجد عنده ادبا ومعرفة فقال للملك ايها الملك
لم تفضل فعلك هذا العرب فقال انهم يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد
نبي يبعث في اخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن
هذا الامر باطلا فانه لا يضرك وان يكن حقا الفوك ولم تتخذ عندهم يدا
يكافونك عليها ويحفظونك لها في دولتك فانصرف سابور وترك
التعرض للعرب واحسن اليهم بعد ذلك وقول سطيح ملك منهم ملوك
وملكات لم اقف على انه ملك منهم من النسا الا واحدة وهي بوران ولما
بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لا يفلح قوم ملكتهم امراة فملكت سنة
ثم هلكت وذكر ابن اسحاق رحمه الله ان امه صلى الله عليه وسلم ارسلت
خلف جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه فاتاه ونظر
اليه وحدثته بما راته فاخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة اي
وقام يدعوا الله اي واهله يومئذ ويشكر له ما اعطاه ثم خرج به
الى امه فدفعه اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه قال
وتكلم صلى الله عليه وسلم في المهد في اوايل ولادته واول كلام تكلم به
ان قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا انتهى اقول وتقدم انه قال حين
ولد جلال ربي الرفيع كما اورده السهيلي عن الواقدي وانه روي
انه تكلم حين خروجه من بطن امه فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا ولا مانع من تكرر ذلك حين خروجه وحين
وضعه في المهد وانه زاد في المرة الثانية وسبحان الله بكرة واصيلا
وقد يكون تكلمه حين خروجه من بطن امه لم يذكر فيه غيره من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام الا الخليل والا نوحا كما سياتي بخلاف تكلمه
في المهد على انه سياتي انه يجوز ان يكون المراد بالتكلم في المهد

التكلم

التكلم في غير اوان الكلام وقيل انه قال ذلك عند فطامه وتقدم انه
قال الحمد لله لما عطس على الاحتمال الذي ابداه بعضهم كما تقدم بما فيه
ولا مانع من وجود هذه الامور الثلاثة التي هي جلال ربي الرفيع
والله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا حين ولادته وعلم ترتيبها يتوقف على
نقل وقد يكون الاولية في قوله جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله
الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا اضافية قال وقد تكلم جماعة في المهد
نظمهم الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في قوله • تكلم في المهد النبي محمد •
ويحيى وعيسى والخليل ومريم • ومبري جريج ثم شاهد يوسف •
• وطفل لذي الاخدود يرويه مسلم • وطفل عليه مر بالامة التي •
• يقال لها تزني ولا تتكلم • وماشطة في عهد فرعون طفلها •
• وفي زمن الهادي المبارك يختم • انتهى قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم
حصر من تكلم في المهد في ثلاثة ولم يذكر نفسه اي فقد روي عن ابي
هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى وصاحب جريج وابن
المراة التي مر عليها بامراة يقال لها تزني وقد يقال هذا الحصر اضافي
اي ثلاثة من بني اسرايل او ان ذلك كان قبل ان يعلم بما زاد وذكر
ان عيسى عليه السلام تكلم في المهد وهو ابن ليلة وقيل وهو ابن
اربعين يوما اشار بسبابته وقال بصوت رفيع اني عبد الله لما
مر بنو اسرايل على مريم عليها السلام وهي حاملة له صلى الله عليه وسلم
وانكروا عليها ذلك واشارت اليهم ان كلموه وضربوا ايديهم على وجوههم
تعجبا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال لهم ما قصه الله
سبحانه وتعالى ثم رايتني في الكلام على قصة الاسرا والمعراج
ذكرت ذلك وان عيسى تكلم يوم ولادته قال لابن خال امه يوسف
النجار وقد خرج في طلب امه وقد خرجت لما اخذها ما ياخذ النسا

من الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة يابسة
فاخضرت النخلة من ساعتها ودنت عراجينها وجرت من تحتها عين ما
ووضعته تحتها ابشر يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد اخرجني ربي من
ظلمة الارحام الى ضوء الدنيا وسآتي بني اسرائيل وادعوهم الى طاعة الله
فانصرف يوسف الى زكريا عليه السلام واخبره بولادة مريم وقول ولدها
له ما ذكر صلى الله عليه وسلم وفي المنطق المفهوم ان عيسى عليه السلام
كلم يوسف المذكور وهو في بطن امه فقد قيل انه اول من علم بحمل مريم
عليها السلام فقال لها متوجعا لها يا مريم هل تنبت الارض زرعا من
غير بذر وهل يكون ولد من غير فحل فقال له عيسى عليه السلام قم فانطلق
الى صلاتك واستغفر الله مما وقع في قلبك وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان عيسى عليه السلام تكلم في المهد ثلاث مرات ثم لم يتكلم حتى بلغ المدة
التي يتكلم فيها الصبيان عادة اي ولعل المدة الثالثة هي التي حمد الله
فيها بحمد لم تسمع الاذان مثله فقال اللهم انت القريب في علوك المتعالي
في دنوك الرفيع على كل شي من خلقك خارق الابصار دون النظر اليك
وصبي جريج تكلم كذلك اي في بطن امه فقيل له من ابوك فقال الراعي عبد
بني فلان وتكلم بعد خروجه من بطن امه فقد تكلم مرتين مرة في
بطن امه ومرة وهو طفل كذا في المنطق المفهوم ولم اقف على وقت
كلامه ولا على ما تكلم به حينئذ واما يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث
سنين وكونه من تكلم وقت ولادته يكون في المهد نظرا لا ان يكون المراد
بالتكلم في المهد التكلم في غير اوان الكلام ولم اقف على سن من تكلم في
المهد حين تكلم غير من ذكر وغير الطفل الذي لذي الاخدود فانه
لما جي به وبامه ليلقي في نار الاخدود لتكفر وهو معها من ضع فتقاعست

قال لها

قال لها يا اماه اصبري فانك على الحق قال ابن قتيبة كان سنه سبعة
اشهر وفي المنطق المفهوم ان شاهد يوسف الصديق عليه السلام كان عمره
شهرين وكان ابن داية زليخا وفي الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم
بكلام الصبيان في المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكره فك البدر الدماميني
رحمه الله هذا كلامه وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة من هولاء الاثناركه
الجماعة حسبما وقفت عليه ورايت في الاجوبة المسكتة لابن عون رحمه الله ان
اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست لم تزل نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق
في المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق عيسى من غير فحل فلولا انه نطق في المهد
لما كان لمريم عذر واخذت بما يوخذ مثلها وانا ولدت ولادة بين ابوين هذا كلامه
وهو يخالف ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد الا ان يقال مراده
لم ينطق في المهد بمثل الذي نطق به عيسى او ان ذلك منه صلى الله عليه وسلم
ارخا للعنان فليتامل ثم رايت ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما سقط
على الارض استوى قايما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد الحمد لله الذي هدانا لهذا قال في المنطق المفهوم وله
بالغار الذي ولد به نوح وادريس عليهما السلام ويقال لهذا الغار غار النور
ويضم لهولاء ما ذكره الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله قال قلت لبنتي زينب
مرة وهي في سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقولين في الرجل يجامع
حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم
اني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت اذنت لوالدتها في
الحج فجاءت مع الحج الشامي فلما خرجت لملاقاتها راتني من فوق الجمل وهي
ترضع فقالت بصوت فصيح قبل ان تراني امها هذا ابي وضحكت وارمت
نفسها الي وقد رايت اي علمت من اجابه امه بالتشميت وهو في بطنها
حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها تشهد عندي
الثقات بذلك قال وهذا واحد يخصه الله بعلمه وهو في بطن امه

ولا يحجبك قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا لانه لا يلزم
من العالم حضوره مع علمه دايما وفي المنطق المفهوم ان يوسف صلوات الله
وسلامه عليه تكلم في بطن امه فقال انا المفقود والمغيب عن وجه ابي زمانا
طويلا فاخبرت امه والده بذلك فقال لها اكتمي امرك وفيه ان نوحا عليه السلام
تكلم عقب ولادته فان امه ولدته في غار خوفا على نفسها وعليه فلما وضعته
وارادت الانصراف قالت وا نوحاه فقال لها لا تخافي احدا علي يا اماه فان
الذي خلقني يحفظني وفيه ان ام موسى عليه السلام لما وضعت موسى
استوى قاعدا وقال يا اماه لا تخافي اي من فرعون ان الله معنا وبارك
الجملة قال بعض الصحابة دخلت دار ابمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسمعت منه عجبا جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال الغلام بلسان طلق انت رسول الله قال له
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بشي فكنا نسميه مبارك اليمامة
وكانت هذه القصة في حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر
وهو في مهده اي يحدثه يقال ناغت المراة الصبي اذا كلمته بما يسره ويعجبه
وعد ذلك من خصايصه ففي حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن
والاسناد عن عم العباس رضي الله عنه انه قال يا رسول الله دعاني الى
الدخول في دينك اشارة الى علامة نبوتك رايتك في المهد تناغي القمر
اي تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما اشرت اليه مال قال كنت احدثه
ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع وجبته اي سقطته حين يسجد
تحت العرش ولم اقف على سنة صلى الله عليه وسلم حين ذلك وكان مهده
صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملايكة وعده ابن سبع رحمه الله تعالى في
خصايصه باب تسميته صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد لا يخفى
ان جميع اسمايه صلى الله عليه وسلم مشتقة من صفات قامت به توجب له المدح
والكمال فله من كل وصف اسم قال وكان لله الف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم

الف اسم

الف اسم عن ابي جعفر محمد ابن علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
ومعنى النبا قوم يفقر العلم اي تعلمه قال امرت امنه اي في المنام وهي حامل برسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد وعن ابن اسحاق رحمه الله ان تسميه محمدا
وقد تقدم قال والثاني هو المشهور في الروايات اي وعلي الاول فتقتصر
الحافظ الدمياطي رحمه الله والمسمي له محمدا جده عبد المطلب فعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عنه اي يوم سابع
سابع ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان تسميه
محمدا ولم تسمه باسم ابايه وفي لفظ وليس من اسما ابايك ولا قومك قال اردت
ان يحمده الله في السما ويحمده الناس في الارض اقول وهذا هو الموافق لما
اشتهر ان جده صلى الله عليه وسلم سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاولا بان
يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة التي يحمد عليها ولذلك كان ابلغ
من محمود ولذلك يشير حسان رضي الله عنه بقوله ، وشق له من اسمه ليجله
، فذو العرش محمود وهذا محمد ، وهذا الالهام لا ينافي ان تكون امه
قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق الله رجاه بانه صلى الله عليه وسلم
تكاملت فيه الخصال المحمودة والخصال المحبوبة فتكاملت له صلى الله عليه وسلم
المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة وفي الخصايص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وكان
صلى الله عليه وسلم سمي احمد ولم يسم به احد قبله ولافادته الكثرة في معناه
لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد فيه من المحاسن والمناقب
ادعى بعضهم انه من صيغ المبالغة بالمعنى المذكور استعمالا لا وضعا لان
الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة في الصيغ الخمسة وليس هذا منها
وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم بذلك كانت في يوم العقيقة
وان العقيقة كانت في يوم السابع من ولادته صلى الله عليه وسلم وتقدم وانه اليه

لعبد الله ابن عبد المطلب غلام سموه محمدا وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم
بذلك كانت في ليلة ولادته او يومها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون //
قوله هنا وسماه محمدا معناه اظهر تسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل
للتسمية بهذا الاسم يرشد الى ما قيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمى
تناسب في الحسن والقبح واللطافة والكثافة ومن ثم غير صلى الله عليه وسلم
الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى المذكور
كتسميته لابي الحكم بابي جهل وتسميته لابي عامر الراهب بالفاسق وجاء انه
صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه ادع لي انسانا يحلب ناقتنا فجاءه انسان
فقال له ما اسمك فقال حرب فقال اذهب فجاءه اخر فقال له ما اسمك فقال
يعيش فقال احلبها ويروى انه صلى الله عليه وسلم طلب شخصا يحفر له بيرا
فجاءه رجل فقال له ما اسمك قال مرة فقال اذهب وليس هذا من الطيرة
التي كرهها ونهى عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح ومن ثم كان صلى
الله عليه وسلم يكتب لامرائه اذا ابردتم لي بريدا فابردوه اي اذا ارسلتم
لي رسولا فارسلوه حسن الاسم حسن الوجه ومن ثم لما قال له سيدنا عمر
رضي الله عنه لما قال لمن اراد ان يحلب له ناقته او يحفر له البير ما تقدم //
لا ادري اقول ام اسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال كنت
نهيتنا عن التطير فقال له صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكن اثرت الاسم
الحسن وللجلال السيوطي كتاب فيمن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه ولم
اقف عليه ورايت في كلام بعضهم ان حزن ابن ابي وهب اسلم يوم الفتح وهو
جد سعيد ابن المسيب اراد النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع
وقال لا اغير اسما سمانيه ابواي وقال سعيد فلم تزل الحزونة فينا والله اعلم اي وفي
حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد ما جاءته النبوة قال الامام احمد هذا منكر
اي حديث منكر والحديث المنكر من اقسام الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم //

والحافظ

والحافظ السيوطي رحمه الله لم يتعرض لذلك وجعله اصلا لعمل المولد
قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان هذا الذي
فعله النبي صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على ايجاد الله تعالى اياه
رحمة للعالمين وتشريفا لامته كما كان يصلي على نفسه كذلك قال
فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى
ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرويا راها اي في منامه اي كان سلسلة
خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق
وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل
المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من
صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك
سماه محمدا اي مع ما حدثته به امه بما راته على ما تقدم وعن ابي نعيم
عن عبد المطلب قال بينا انا نايم في الحجر اذ رايت رويا هالتني ففزعت
منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي عرفت في وجهي
التغير فقالت ما بال سيدنا قد اتى متغير اللون هل رابه من حدثان
الدهر شيء فقلت لها بلى فقلت اني رايت الليلة وانا نايم في الحجر كان شجرة
نبتت قد نال راسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب
وما رايت نورا ازهر منها ورايت العرب والعجم ساجدين لها وهي
تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ورايت رهطا من قريش قد تعلقوا
باغصانها ورايت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم شاب
لم ار قط احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر اظهرهم ويقلع اعينهم
فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم انله فانتبهت مذعورا فزعا فرايت
وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لين صدقت روياك ليخرجن من صلبك رجل
يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس وعند ذلك قال عبد المطلب لابنه
ابي طالب لعلك ان تكون هذا المولود فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث

بعد ما ولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت الشجعة [?] محمد صلى الله عليه وسلم وفي الاتباع
لما مات قثم ابن عبد المطلب قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين
وهو ابن تسع سنين وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
سماه قثم حتى اخبرته امه امنة انها راءت في منامها ان تسميه محمدا فسماه
محمدا اي ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها كما لا يخفى لانه يجوز
ان يكون بني تلك الرؤية ثم تذكرها ويكون معنى سؤال ما حملك على ان تسميه
محمدا وليس من اسما قومك اي لم استحضر امرك على ان تسميه محمدا وذكر بعضهم انه
لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم محمدا قبله الا ثلاثة طمع اباوهم حين
وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول واخبرهم بمبعث
النبي صلى الله عليه وسلم اي بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذي هو محمد
وهو يدل على ان اسمه في بعض الكتب القديمة محمد وكان كل واحد منهم قد خلف
زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ذكر ان يسميه محمدا ففعلوا ذلك
وفي الشفاء في هذين الاسمين محمد واحمد من بدايع اياته اي المصطفى وعجايب
خصايصه ان الله تعالى حماهما عن ان يسمى بهما احد قبل زمانه اي قبل
شيوع وجوده اما احمد الذي اتى في الكتب القديمة وبشرت به الانبيا عليهم
السلام فمنع الله بحكمته ان يتسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله
منذ خلقت الدنيا وفي حياته زاد الزين العراقي ولا في زمن اصحابه
رضي الله عنهم حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك اي فالتسميه
به من خصايصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن تقدم خلافا
لما يوهمه كلام الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى انه من خصايصه
على الانبيا فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى افضليته على محمد وقال
الصلاح الصفدي رحمه الله ان احمد ابلغ من محمد كما ان احمر واصفر ابلغ
من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن افعل التفضيل لانه صلى الله عليه وسلم
احمد الحامدين لرب العالمين لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد

لم يصح

لم تفتح على احد قبله فهو اعرف الحمدين لو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان
الاولى ان يسمى الحامد كما سميت بذلك امته فهو الذي بحمده امتلا السما
والارض وامتلا الدنيا والاخرى لكثرة خصاله المحموده التي تزيد على عد
العادين واحصا المحصين اي احق الناس واولاهم بان يحمد فهو كمحمد
في المعنى فهو ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول لا الواقع من الفاعل
وح فالفرق بين محمد واحمد ان محمدا من كثر حمد الناس له واحمد من يكون حمد
الناس له افضل من حمد غيره وحاصله انه عن الشفا انه احمد المحمودين واحمد
الحامدين فيجوز ان يكون احمد ماخوذا من الفعل الواقع على المفعول كما يجوز
ان يكون ماخوذا من الفعل الواقع من الفاعل وفي كلام السهيلي ثم انه لم يكن
محمدا حتى كان احمد فاحمد ذكر قبل ان يذكر محمد لان حمده لربه كان قبل
حمد الناس له واطال في بيان ذلك وفي كلام بعض فقهائنا معاشر الشافعيه
انه ليس في احد من المعظم ما في محمد لانه اشهر اسمايه الشريفه وافضلها فلذلك
لا يكفي الاتيان به في التشهد بدل محمد وقد جا احب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن
قال بعضهم وعبد الله احب من عبد الرحمن لاضافة العبد الى الله المختص به تعالى
اتفاقا والرحمن يختص به على الاصح ومن ثم سمى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
في القران بعبد الله في قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعلى ما ذكر
هنا يكون بعد عبد الرحمن المذكور في قوله تعالى في القران في قوله تعالى
وعباد الرحمن احمد ومحمد اي وبعدهما ابراهيم خلافا لمن جعله بعد
عبد الرحمن وذكر بعضهم ان اول من تسمى باحمد بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
ولد لجعفر ابن ابي طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقي وقيل
والد الخليل اي ولعل المراد به الخليل ابن احمد صاحب العروض ثم رايت
الزين العراقي صرح بذلك حيث قال واول من سمي في الاسلام احمد والد
الخليل بن احمد العروضي ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يسم به احد في زمن
اصحابه تسميه ولد جعفر ابن ابي طالب بذلك الا ان يقال لم يصح ذلك عنده

العراقي وهو خامس خمسة كلهم يسمى الخليل بن احمد وزاد بعضهم سادسا
وكذلك محمد ايضا لم يتسم به احد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد
ان شاع ان نبيا يبعث اسمه محمد اي بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم قليل
من العرب ابناءهم بذلك وحمى الله تعالى هولاء ان يدعي منهم النبوة او يدعيها
احد له او يظهر عليه شيء من سماتها اي علاماتها حتى تحققت له صلى الله عليه وسلم
وفي دعوى ان الذي في الكتب القديمة اناه ولعله مخالفة لما سبق وما ياتي
عن التوراة والانجيل اي فالمراد بالكتب القديمة غالبها فلا ينافي ان في بعضها
اسمه محمد وفي بعضها اسمه احمد وفي بعضها الجمع بين محمد واحمد قال بعضهم
سمعت محمد بن عدي وقد قيل له كيف سماك ابوك في الجاهلية محمدا قال سالت
ابي عما سالتني عنه قال خرجت رابع اربعة من تميم نريد الشام فنزلنا
عند غدير عند دير فاشرف علينا الديراني وقال ان هذه للغة قوم ما
ماهي لغة اهل هذه البلد فقلنا له نحن قوم من مضر فقال من اي المضاير
فقلنا من خندف فقال لنا ان الله سيبعث فيكم نبيا وشيكا اي سريعا
فسارعوا اليه وخذوا حظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين فقلنا له ما اسمه
قال محمد ثم دخل ديره فوالله ما بقي احد منا الا زرع قوله في قلبه فاضمر
كل واحد منا ان رزق غلاما سماه محمدا رغبة فيما قاله الراهب فنذر كل واحد
منا ذلك فلا نجا لقد ما سبق قال فلما انصرفنا ولد لكل منا غلام فسماه
محمدا رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته اقول يجوز ان
يكون هولاء الاربعة منهم الثلاثة الذين وفدوا على بعض الملوك ومر
تكرر لهم هذا القول من الملك ومن صاحب الدير واضمار ذلك لا ينافي
نذرهم المتقدم فالمراد باضمار نذره كما قدمناه ويجوز ان يكونوا غيرهم فيكونوا
سبعة وذكر ابن ظفر رحمه الله ان سفيان بن مجاشع نزل على حي من بني تميم
فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهي تقول العزيز من والاه والذليل
من خالاه فقال لها سفيان من تذكرين لله ابوك فقالت صاحب

هدى

١١

هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان من هو لله ابوك فقالت نبي مويد
قد آن حين يولد يبعث للاحمر والاسود اسمه محمد فقال سفيان اعربي
ام عجمي فقالت اما والسماء ذات العنان والشجر ذوات الافنان انه لمن معد بن
عدنان حسبك فقد اكثرت يا سفيان فامسك عن سوالها ومضى الى اهله
وكانت امراته حاملا فولدت له ولدا فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي
الموصوف والله اعلم وقد عد بعضهم ممن سمي محمدا ستة عشر ونظمهم في قوله
ان الذين سموا باسم محمد من قبل خير الخلق ضعف ثمان ابن البراء مجاشع بن ربيعة
ثم ابن مسلم يحمدي حرماني لسيء لسليمي وابن اسامة سعدي وابن سواءة همداني
وابن الجلاح مع الاسيدي يا فتى ثم الفقيمي هكذا الحمراني قال بعضهم وفاته
اخران لم يذكرهما وهما محمد ابن الحارث ومحمد بن عمر ابن مغفل بضم اوله وسكون
المعجمة وكسر الفاء ثم لام ووقع النزاع الكثير والخلاف الشهير في اول من سمي
بذلك الاسم منهم اقول وفي شرح الكفاية لابن الهايم ويمكن ان يكون من زاد على
اولئك الاربعة او السبعة سمع ذلك من بعضهم فاقتدى به في ذلك طمعا فيما
طمع فيه وقد يشكل ذلك وقع لبني اسرائيل فان يوسف صلوات الله وسلامه عليه
لما حضرته الوفاة اعلم بني اسرائيل بحضور اجله وكان اول انبيائهم فقالوا يا نبي الله
انا نحب ان تعلمنا بما يوول اليه امرنا بعد خروجك من بين اظهرنا في امر دينا فقال
لهم ان اموركم لم تزل مستقيمة حتى يظهر فيكم رجل جبار من القبط يدعي الربوبية
يذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ثم يخرج من بني اسرائيل رجل اسمه موسى ابن عمران فيخلصكم
الله به من ايدي القبط فجعل كل واحد من بني اسرائيل اذا جاء له ولد يسميه عمران
رجاء ان يكون ذلك النبي منه ولا يخفى ان بين عمران ابي موسى وعمران ابي مريم
ام عيسى وهو اخر انبياء بني اسرائيل الف وثمانمائة سنة والله اعلم والذي
ادرك الاسلام ممن تسمى باسمه عليه الصلاة والسلام محمد بن ربيعة
ومحمد بن الحارث ومحمد بن مسلمة وادعى بعضهم ان محمد بن مسلمة ولد بعد
موت النبي صلى الله عليه وسلم باكثر من خمسة عشر سنة اي وقد ذكر ابن الجوزي

رحمه الله ان اول من تسمى في الاسلام محمدا محمد ابن حاطب وعن ابن عباس
رضي الله عنه اسمي في القرآن اي كالتوراة محمد وفي الانجيل احمد واما فضل
التسمية بهذا الاسم اعني محمدا فقد جاء في احاديث كثيرة واخبار شهيرة اي
منها انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذب احدا تسمى
باسمك في النار اي باسمك المشهور وهو محمدا او احمد ومنها ما من مائدة وضعت
فحضر عليها من اسمه احمد او محمد اي وفي رواية فيها اسمي الا قدس الله ذلك
المنزل كل يوم مرتين ومنها قال يوقف عبدان اي اسم احدهما احمد والاخر محمد
بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة
ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني اليت
على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد لكن قال بعضهم ولم يصح
في فضل التسمية بمحمد حديث وكل ما ورد فيه فهو موضوع قال بعض الحفاظ
واصحها اي اقربها للصحة من ولد له مولود فسماه محمد حبا لي وتبركا باسمي
كان هو ومولوده في الجنة وعن ابي رافع عن ابيه رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سميتموه محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه
وفي رواية طعن فيها بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه
ولا تقبحوه وشرفوه وعظموه واكرموه وبروا قسمه واوسعوا له في المجلس
ولا تقبحوا الوجه بورك في محمد وفي بيت فيه محمد ومجلس فيه محمد وفي رواية
تسمونه محمدا ثم تسبونه وفي رواية طعن فيها اما يستحي احدكم ان يقول
يا محمد ثم يضربه وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ولد له ثلاثة اولاد
فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل اي وفي رواية فهو من الجفا وفي اخرى
فقد جفاني وذكر بعضهم انه لم يرد في المرفوع من اراد ان يكون حمل زوجته
ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد سميته
محمدا فانه يكون ذكرا وجاء عن عطا قال ما سمي مولود في بطن امه محمدا الا كان
ذكرا قال ابن الجوزي في الموضوعات وقد رفع هذا بعضهم اي وروي

ما اصح



وقف على طلبة العلم بالازهر

ما اجتمع قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم
الا لم يبارك فيه اي في الامر الذي اجتمعوا له وفي رواية فيهم رجل
اسمه محمد او احمد فشاوروه الا خير لهم اي يحصل لهم الخير فيما تشاوروا
فيه وما كان اسم محمد في بيت الا جعل الله في ذلك البيت بركة وانهم راوي
ذلك بانه مجروح وروي ما قعد قوم قط على طعام حلال فيهم
رجل اسمه اسمي الا تضاعفت فيهم البركة اي اسمه المشهور وهو
احمد او محمد كما تقدم وفي الشفا ان لله ملائكة سياحين في الارض
عبادتهم اي بالي الموحد كل دار فيها اسم محمدا اي حراسة اهل كل
دار فيها اسم محمد وقد ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث غير ثابت
وعن الحسين ابن علي ابن ابي طالب رضي الله عنهما قال من كان له
حمل فنوى ان يسميه محمدا حوله الله تعالى ذكرا وان كان انثى قال
بعض رواة الحديث جربت سبعة كلهم سميتهم محمدا وعنه صلى الله عليه وسلم
من كان له ذو بطن فاجمع ان يسميه محمدا رزقه الله تعالى غلاما وشكت
اليه صلى الله عليه وسلم امراة بانها لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله
عليك ان تسميه اي الولد الذي ترزقينه محمدا ففعلت فعاش ولدها
وعن علي كرم الله وجهه مرفوعا ليس احد من اهل الجنة الا يدعى
باسمه اي ولا يكنى الا آدم صلى الله عليه وسلم فانه يدعى ابا محمد تعظيما
له وتوقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم اي لان العرب اذا عظمت انسانا
كنته ويكنى الانسان باجل ولده قال الحافظ الدمياطي وفي رواية
ليس احد اي من اهل الجنة يكنى الا آدم فانه يكنى ابا محمد وفي
حديث معضل اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل الجنة
بغير حساب فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد صلى
الله عليه وسلم لا يمنعون وفي الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه

قال فان رجلا عصى الله مائة سنة في بني اسرائيل ثم مات فاخذوه
فالقوه في مزبلة فاوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام ان اخرجه فصل
عليه قال يا رب ان بني اسرائيل شهدوا انه عصاك مائة سنة فاوحى الله
اليه هكذا الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم
قبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين
حورا ومن الفوايد انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وصفه
صلى الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام
بدعة لا اصل لها اي لكن هي بدعة حسنة لانه ليس كل بدعة مذمومة
وقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت
البدعة وقد قال العز ابن عبد السلام رحمه الله ان البدعة تعتريها
الاحكام الخمسة وذكروا من امثلة كلها يطول ذكرها ولا ينافي ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة
وقوله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا اي شرعنا ما ليس منه فهو
رد عليه لان هذا عام اريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي
قدس الله سره ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا
فهو البدعة الضالة وما احدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك
فهو البدعة المحمودة وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم
من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقي الدين
السبكي وتابعه على ذلك مشايخ الاسلام في عصره فقد حكى بعضهم
ان الامام السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فانشد منشد
قول الصرصري رحمه الله في مدحه صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط احسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا او جثيا على الركب

فعند ذلك

12

فعند ذلك قام الامام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس
فحصل انس كبير بذلك المجلس ويكفي ذلك في الاقتداء وقد قال
ابن حجر الهيتمي رحمه الله والحاصل ان البدعة الحسنة متفق على
ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك اي بدعة حسنة ومن
ثم قال الامام ابو شامة شيخ الامام النووي رحمهما الله تعالى ومن
احسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم
مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة
والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله على ما
من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي ارسله رحمة للعالمين
هذا كلامه قال السخاوي لم يفعله احد من السلف في القرون
الثلاثة وانما حدث بعدهم لا زال اهل الاسلام من سائر الاقطار
والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بانواع
الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته
كل فضل عظيم قال ابن الجوزي من خواصه انه امان في ذلك العام
وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام واول من احدثه من الملوك
صاحب اربل وصنف له ابن دحية رحمه الله كتابا في المولد سماه
التنوير بمولد البشير النذير فاجازه بالف دينار وقد استخرج له الحافظ
ابن حجر اصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطي ورد على الفاكهاني
المالكي في قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة

باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما يتصل به

يقال انه صلى الله
عليه وسلم ارتضع من ثمانية من النسا وقيل من عشرة بزيادة خولة بنت
المنذر وام ايمن عن برة قالت اول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثويبة اي بعدا رضاع امه له كما سياتي قال وثويبة هي جارية
عمه ابي لهب وقد اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم اي
فانها قالت له اشعرت ان امنة ولدت ولدا وفي لفظ غلاما لاخيك
عبد الله فقال لها انت حرة فجوزي بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين
بان يسقى ماء في جهنم في تلك الليلة اي ليلة الاثنين في مثل النقرة
التي بين السبابة والابهام انتهى اي ان سبب تخفيف العذاب عنه
يوم الاثنين هو سقياه تلك الليلة في تلك النقرة ويذكر ان بعض
اهل ابي لهب اي وهو اخوه العباس رضي الله عنه راه في المنام في حالة
سيئة فقال له العباس رضي الله عنه ما لقيت قال لم القى بعد موتي اي لهب لا اراه
في نوم ثم رايته في شر حال فقلت له ماذا لقيت فقال له ابو لهب لم اذق بعدكم
رخاء وفي لفظ فقال لم القى بعدكم خيرا بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسر الخاء وهي سوء
الحال غير اني سقيت في هذه واشار الى النقرة المذكورة لعتاقتي ثويبة
ذكره الحافظ الدمياطي والذي في المواهب وقد روي ابو لهب بعد موته
في النوم فقيل له ما حالك قال في النار الا انه يخفف عني كل ليلة اثنين
وامص من بين اصبعي هاتين ماء واشار براس اصبعيه وان ذلك
باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها
له فليتامل وقيل انه انما اعتقها لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة
اي فان خديجة رضي الله عنها كانت تكرمها وطلبت من ابي لهب ان تبتاعها
منه لتعتقها فابى ابو لهب فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
اعتقها ابو لهب اقول قد يقال لا منافاة لجواز ان يكون لما اعتقها لم يظهر
عتقها وابا وه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة والله
اعلم وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان اياما قلائل قبل ان تقدم حليمة
وكان

وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح وهو بضم الميم وسين مهملة ساكنة
ثم را مضمومة ثم حاء مهملة كذا في النور وفي السيرة الشامية بفتح الميم
وكانت قد ارضعت قبله ابا سفيان ابن عمه الحارث وفي كلام بعضهم
كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان يالفه الفا شديدا
قبل النبوة فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا اصحابه
فانه كان شاعرا مجيدا وسياتي اسلامه رضي الله عنه عند توجهه
صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وارضعت ثويبة قبلهما عمه حمزة ابن عبد المطلب
وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل باربع سنين
اقول هذا يخالف ما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بني زهرة
هالة والتي منها بحمزة وان عبد الله تزوج من بني زهرة امنة وذلك
في مجلس واحد وان امنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم عند
دخول عبد الله لها وانه دخل بها حين املك عليها فكيف يكون
حمزة اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين الا ان يقال ليس فيما
تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما في
وقت واحد وعبارة السهيلي رحمه الله هالة بنت وهب بنت
عبد مناف ابن زهرة عم امنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم
تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله امنة في ساعة واحدة
فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت امنة لعبد الله رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس
فيه كقول اسد الغابة المتقدم ان عبد المطلب خطب هالة
في مجلس خطبة عبد الله لامنة والله اعلم ثم رايت في الاستيعاب
قال كان ابي حمزة اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع
سنين وهو لا يصح عندي لان الحديث الثابت ان حمزة رضي الله عنه

بتزوج عبد المطلب وعبد الله بانه
في مجلس واحد نص عليه
[illegible]

ارضعته ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان تكون ارضعتهما
في زمانين وفيه ما علمت وفيه ايضا على تسليم انها ارضعتهما في
زمانين لكن بلبن ابنها مسروح كما سياتي وبعيد بقاء لبن ابنها
مسروح اربع سنين ثم ارضعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسياتي الجواب عنه وارضعت ثويبة بعده صلى الله عليه وسلم
ابا سلمة ابن عبد الاسد اي ابن عمته صلى الله عليه وسلم الذي كان
زوجا لام حبيبة بنت ابي سفيان ام المومنين رضي الله عنهما
فقد ارضعت ثويبة حمزة ثم ابا سفيان ابن عمه الحارث ثم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم ابا سلمة وهو يخالف بظاهره لقول المحب
الطبري وارضعته ثويبة جارية ابي لهب وارضعت معه حمزة
ابن عبد المطلب وابا سلمة عبد الله ابن عبد الاسد بلبن ابنها
مسروح هذا كلامه وفيه ما علمت وقد يجاب بانه يمكن بان يكون
لم تحمل على ولدها مسروح في المدة المذكورة واستمر لبنها وايضا
هي ارضعت بين حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه الحارث
كما علمت وذكر بعضهم ان ابا سلمة اول من يدعى للحساب اليسير
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا فعن ام سلمة رضي الله
عنها قالت اتاني ابو سلمة يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به
قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته
ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل
به قال الترمذي حسن غريب ويدل لكون ابي سلمة رضي الله عنه
اخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ما جاء عن ام حبيبة رضي الله عنها
قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له هل لك في اختي
بنت

بنت ابي سفيان اي وهي عزة بفتح المهملة ثم زاي ه اي وفي رواية
هل لك في اختي حمنة بنت ابي سفيان والذي في مسلم انكح اختي عزة
اي وفي البخاري انكح اختي بنت ابي سفيان قال وتحبين ذلك قالت
نعم لست لك بمخلية بضم الميم وسكون الخا وكسر اللام وبا التحتية
اي لست لك بتاركة عدم اخذها واحب من شاركني في خير اختي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يحل لي قالت فوالله انبئت
اي وفي لفظ انا لنتحدث انك تخطب درة اي وفي لفظ تريد ان تنكح
درة بنت ابي سلمة اي بضم الدال المهملة واما ضبطه بفتح الذال المعجمة
فقال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه تعني بدرة بنتها من ابي سلمة
قال ابنة ابي سلمة قلت نعم قال والله لو لم تكن ربيبتي في حجري ما
حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واياه ثويبة اي وفي
رواية لو اني لم انكح ام سلمة يعني ام حبيبة التي هي امها لم تحل لي ان اباها
اخي من الرضاعة اي واختك على فرض ان لا تكون بنت اخي من الرضاعة
لا يحل لي ان اجمعها معك فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن قيل
وفي هذا اي في قوله لو لم تكن ربيبتي في حجري وفي قوله تعالى وربائبكم
اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري ان الربيبة لا تحرم الا اذا كانت في
حجر زوج امها فان لم يكن في حجره فهي حلال له اي وقيل لها ربيبة لانها
ماخوذة من الرب وهو الاصلاح لان زوج امها يقوم باصلاح احوالها
قال ولكان تقول كان الظاهر الاقتصار على الاخوات لان ام حبيبة
هي التي عرضت اختها ولم تعرض بنتها التي هي درة وقد يجاب
بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطاب ام حبيبة خطابا لجميع زوجاته لان
هذا الحكم لا يختص بواحدة دون اخرى انتهى اقول فيه ان هذا واضح
لو كان في زوجاته من عرضت عليه بنتها الا ان يقال المراد فلا تعرضن

لا ينبغي لكن ان تعرضن وذلك يستلزم وقوع العرض بالفعل
ثم رايت الامام النووي رحمه الله ذكر ان هذا من ام حبيبة اي من عرض
اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين الاختين عليه صلى الله
عليه وسلم قال وكذا لم يعلم من عرض بنت ام سلمة تحريم الربيبة وهو
يقتضي ان بعض الناس عرض عليه بنت ام سلمة واذا كان من عرضها
عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا تعرضن علي بناتكن فليتامل ولهذا
الحديث استدل من قال انه لا يجوز له ان يجمع بين المراة وعمتها وهو الراجح
من وجهين ومقابله يقول خص بجواز ذلك له ولا يجمع بين المراة وبنتها
خلافا لوجه حكاه الرافعي وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لعلم انكح ام سلمة لم تحل لي يرد هذا الوجه وعبارة الخصايص الصغرى
وله صلى الله عليه وسلم الجمع بين المراة واختها وعمتها وخالتها في احد
الوجهين وبين المراة وابنتها في وجه حكاه الرافعي وتبعه في الروضة
وجزموا بانه غلط والله اعلم ومما يدل ايضا على ان عم حمزة رضي الله عنه
اخوه من الرضاعة ما جاء عن علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله
ما لك لا تنوق في قريش اي تميل نفسك اليهن بفتح التاء والنون ومشدده
ثم قاف اي لا تشتوق اليهم ماخوذ من التوق الذي هو الشوق وفي رواية
بالتاء والنون اي لا تختار ولا تتزوج منهم قال وعندك شي قلت نعم ابنة
حمزة اي عمه رضي الله عنه وهي امامة وهي احسن فتاة في قريش قال
تلك ابنة اخي من الرضاعة اي وهذا من علي كرم الله وجهه محمول على
انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم
او انه لم يكن يعلم ان عمه حمزة اخ له صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وفيه
انه جا فقد علمت انه اخي من الرضاعة وان الله قد حرم من الرضاعة
ما حرم من النسب الا ان يراد بقوله قد علمت اي اعلم قال والعله

لم يقل

لم يقل ارضعتني واياه ثويبة كما قال ذلك في ابي سلمة لان ثويبة
ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهي عند
حليمة اي فهو رضيعه صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن
جهة تلك المراة السعدية ولم اقف على اسم تلك المراة انتهى اي
ولو اقتصر على ثويبة لاوهم انه لم يرتضع معه على غيرها وذكر
في الاصل ان بعضهم ذكر من مراضعه صلى الله عليه وسلم خولة بنت
المنذر الخولية وتقدم ذلك ونسب هذا البعض في ذلك للوهم وان خولة
بنت المنذر التي هي ام بردة انما كانت مرضعة لولده ابراهيم عليه السلام
وقد يجاب عنه بانه يجوز ان تكون خولة بنت المنذر اثنان واحدة
ارضعته صلى الله عليه وسلم وواحدة ارضعت ولده ابراهيم وان خولة
التي ارضعته صلى الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت ترضع حمزة
التي قال فيها السهيلي لم اقف على اسم تلك المراة والله اعلم
ولم يذكر اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ ابن حجر في طبقات
ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن منده
بروي في الخصايص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم مرضعة
الا اسلمت ولم اقف على اسلام ابنها مسروح قال وهما يدل على
عدم اسلامه ما جاء بسند ضعيف اذ كان يوم الفتح استشفع لاخ لي
في الجاهلية قال الحافظ السيوطي يعني اخاه من الرضاعة لانه لم يدرك
الاسلام لا ابن ابي انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو
عبد الله الذي كان يرضع معه بنا على انه لم يدرك الاسلام لانا
نقول يابى عنه شرح الهمزية لابن حجر رحمه الله ان عبد الله ولد حليمة
اسلم والله اعلم اي وقد يدل على عدم اسلام ثويبة وابنها المذكور
الذي هو مسروح ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بصلة

وكسوة وهي بمكة حتى جاءه خبر وفاتها مرجعه من جند سنة سبع فقال
ما فعل ابنها مسروح فقيل مات قبلها اي ولو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة
اقول وهذا بظاهره يدل على ان مسروحا ادرك الاسلام وقد ينافي علم وفاتها
مرجعه من خيبر ما ذكره السهيلي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلها من المدينة
فلما افتتح مكة سال عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وقد يقال
لا منافاة لانه يجوز ان يكون سواله الثاني للتثبت لوصوله لمحل اقامتهما
والقول بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه يجوز ان يكون
الهجرة تعذرت عليهما لعارض عرض لهما والله اعلم قال وجاء ان امه
ارضعته صلى الله عليه وسلم تسعة ايام اقول وعن عيون المعارف للقضاعي
سبعة ايام وفي الامتاع انها ارضعته صلى الله عليه وسلم سبعة
اشهر ثم ارضعته ثويبة اياما قلائل هذا كلامه وقوله ثم ارضعته ثويبة
يخالف ما تقدم من ان اول من ارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة الا ان يقال
المراد اول من ارضعته غير امه ثويبة فلا مخالفة وهذا يرد نقل ابن المحدث
عن الاصل ان اول لبن نزل جوفه بعد لبن امه والله اعلم قال
وارضعه صلى الله عليه وسلم ثلاث نسوة اي ابكار من بني سليم اخرجن
ثديهن فوضعنها في فمه فدرت في فيه فرضع منهن وارضعته ام فروة
انتهى اي وهولاء النسوة الابكار كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهن
اللتي عناهن صلى الله عليه وسلم بقوله انا ابن العواتك من سليم على
ما تقدم من ان ام ايمن ارضعته صلى الله عليه وسلم وذكره في الخصايص
الصغرى وربما نها حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته منظر بلبن
اي ولد هو لها كان فانه لا يعرف لها ولد الا ايمن واسامة الا ان
يقال جاز ان لبنها در له صلى الله عليه وسلم من غير وجود ولد كما تقدم
في النسوة الابكار وارضعته صلى الله عليه وسلم حليمة بنت ابي ذويب
وتكنى ام كبشة اي باسم بنت لها اسمها كبشة ويكنى لها ابيها والدها

الذي

١٦

الذي هو زوج حليمة اي وكانت من هوازن اي من بني سعد بن بكر من
هوازن وسيأتي اصطلاحهم على اسلامها وعنها انها كانت تحدث انها خرجت
من بلدها معها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها زوجها قال وهو
الحارث ابن عبد العزى ويكنى ابا ذويب اي كما يكنى ابا كبشة ادرك الاسلام
واسلم فقد روى ابو داود بسند صحيح عن عمرو بن السايب انه بلغه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلسه بين يديه وعن ابن اسحاق رحمه
الله تعالى بلغني ان الحارث انما اسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يويد قول بعضهم لم يذكر الحارث كثير ممن الف في الصحابة انتهى
اقول يدل للاول ظاهر ما روي ان الحارث هذا قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القران عليه فقالت له قريش الا
تسمع يا حارث ما يقول ابنك فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله
يبعث من في القبور وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم
فيهما من اطاعه اي يعذب في احدهما من عصاه وهي النار
ويكرم في الاخرى من اطاعه وهي الجنة فقد شتت امرنا وفرق
جماعتنا فاتاه فقال اي بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون
انك تقول كذا اي ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى
جنة ونار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا اقول ذلك
وفي لفظ انا ازعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا ابت فلاخذن
بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم الحارث بعد ذلك وحسن
اسلامه اي وقد كان يقول حين اسلم لو اخذ ابني بيدي فعرفني
ما قال لم يرسلني حتى يدخلني الجنة وانما قلنا ظاهر لانه قد يقال
قوله بعد ذلك يصدق بما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا دلالة

في ذلك على انه اسلم في حياته وفي شرح الهمزية لابن حجر رحمه الله
ومن سعادتها يعني حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها
وهم عبد الله والشيما وانيسة هذا كلامه وفي الاصابة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يجالس اي على ثوب فاقبل ابوه من
الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع
لها شق ثوبه من الجانب الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من
الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ورجاله
ثقات ولعل المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابلا للوجه نشا على
جلس النبي صلى الله عليه وسلم وضمير يديه راجع لاخيه اي قام صلى
الله عليه وسلم عن محل جلوسه على الثوب واجلس اخيه على الثوب وكانه
وجلس صلى الله عليه وسلم قبالة اخيه فعل صلى الله عليه وسلم ذلك
ليكون اخوه هو وابواه جميعا على الثوب والله اعلم قالت وخرجت
في نسوة من بني سعد اي بن بكر بن هوازن عشرة يطلبن الرضعا
في سنة شهبا اي ذات جدب وقحط لم تبق شيا على اتان قمراء
بفتح القاف والمد اي شديدة البياض ومعنى شارف اي ناقة
مسنة ما تبض بالضاد المعجمة وربما روي بالمهملة اي ما ترشح
بقطرة لبن قالت وما كنا ننام ليلنا اجمع من صبينا الذي معنا
من بكائه من الجوع ما في ثديي وفي رواية ثدياي ما يغنيه وما
في شارفنا ما يغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل
باسكان العين المهملة وكسر الذال المعجمة وضم الباء الموحدة اي ما
يكفيه حتى يرفع راسه وينقطع عن الرضاع قالت حليمة ولكنا
نرجو الغيث والفرج فخرجت على اتاني تلك فلقد ادمت بالدال
المهملة وتشديد الميم بالركب اي حبستهم بتاخرها عنه لشدة

عنايها

١٧

عنايها وضعفها وهذا الصاحبي شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة
نلتمس اي نطلب الرضعا جمع رضيع وادم ماخوذ من الماء الدايم يقال
ادم بالركب اذا ابطا حتى حبسهم ويروى بالمعجمة اي جاء بما يذم عليه
وهو هنا الابطا قال لانه كان من شيم العرب واخلاقهم اذا ولد
لهم ولد يلتمسون له مرضعة في غير قبيلتهم ليكون انجب للولد وافصح
له وقيل لانهم كانوا يرونه انه عار على المراة ان ترضع ولدها انتهى
اي تستقل برضاعه ويدل للاول ملحا انه صلى الله عليه وسلم
كان يقول لاصحابه انا اعربكم اي افصحكم عربية انا قرشي
واسترضعت في بني سعد وجاء ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
لما قال له صلى الله عليه وسلم ما رايت افصح منك يا رسول الله فقال وما
يمنعني وانا من قريش وارضعت في بني سعد فهذا الذي يحملهم على دفع
الرضعا الى المراضع الاعرابيات ومن ثم نقل عن عبد الملك ابن مروان
انه كان يقول اضر بنا حب الوليد يعني لولده لانه لم يجعله لما ابقاه مع
امه في المصر ولم يسترضعه في البادية مع الاعراب فصار لحانا
لا عربية له واخوه سليمان استرضع في البادية مع الاعراب فصار
عربيا غير لحان قالت حليمة فما منا امراة الا وقد عرض عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها يتيم وذلك انا انما نرجو
المعروف من ابي الصبي فكنا نقول يتيما عسى ان تصنع امه وجده
فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امراة معي الا اخذت رضيعا غيري
فلما اجمعنا الانطلاق اي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره
ان ارجع من بين صواحبي ولم اخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك
الرضيع فلاخذنه قال لا عليك اي لا باس عليك ان تفعلي عسى الله
ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته اقول وهذا السياق

قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له المراضع
فالتمس لحليمة ابنة ابي ذويب الا ان يقال جاز ان يكون التماسه
للمراضع غير حليمة كان عند قدومهن وابين ان يقبلنه ثم طلب
من حليمة ذلك بعد ان لم تجد رضيعا ويدل لذلك قول صاحب شفا
الصدور ان حليمة قالت استقبلني عبد المطلب فقال من انت
فقلت انا امراة من بني سعد قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم //
عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر
وعز الابد يا حليمة ان عندي غلاما يتيما وقد عرضته على نسا بني
سعد فابين ان يقبلنه ثم طلب من حليمة وقلن ما عند اليتيم
من الخير انما نلتمس الكرامة من الاباء فهل لك ان ترضعيه فعسى
ان تسعدي به فقلت الا تذرني حتى اشاور صاحبي فانصرفت
الى صاحبي فاخبرته فكان الله قذف في قلبه فرحا وسرورا فقال لي
يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني //
فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فاخذني وادخلني بيت
امنة فقالت لي اهلا وسهلا وادخلتني في البيت الذي فيه محمد صلى
الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن
وتحته حريرة خضرا راقد على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك
فاشفقت اي خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت
يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الي فخرج من عينيه
نور حتى دخل خلال السما وانا انظر فقبلته بين عينيه واخذته
وما حملني على اخذه اي اكد اخذه الا اني لم اجد غيره والا فاذكره
من اوصافه صلى الله عليه وسلم مقتضي لاخذه اي وهذه الرواية
ربما تدل على انها لم تره قبل ذلك وان اباها كان قبل رواها له

قالت

قالت فلما اخذته ورجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجري اقبل
ثدياي بما شا الله من لبن فشرب حتى روي اي من الثدي الايمن وعرضت
عليه الايسر فاباه قالت حليمة وكانت تلك حالته بعد اي بعد ذلك
لا يقبل الا ثديا واحدا وهو الايمن وفي السبعيات ان احدى ثديي
حليمة كان لا يدر اللبن منه قالت وشرب معه اخوه حتى روي ثم نام وما
كنا نام معه قبل ذلك اي فقد نومه من الجوع فقام زوجي الى شارفنا
تلك فاذا هي لحافل اي ممتلية الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب
وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا
تعلمي والله يا حليمة لقد اخذت نسمة مباركة قلت والله اني لارجو ذلك
ثم خرجنا وركبت اتاني وحملته صلى الله عليه وسلم معي عليها فوالله لقطعت
بالركب اي صيرته خلفها ما يقدر عليها اي على مراعقتها ومصاحبتها شي
من حمرهم حتى ان صواحبي يقلن لي يا ابنة ابي ذويب ويحك اربعي اي اعطفي
علينا بالرفق وعدم الشدة في السير اليس هذه اتانك التي كنت خرجت عليها
اي تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول لهن بلى والله انها لهي فيقلن والله
ان لها لشانا اي وقالت حليمة فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي
لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزلي ويحكن يا نسا
بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خير النبيين
وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين ذكره في المنطق
المفهوم وذكرت انها لما ارادت فراق مكة رات تلك الاتان سجدت اي خفضت
راسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السما ثم مشت قالت ثم قدمنا
منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي
حين قدمنا به شباعا لبنا اي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي لفظ تحلب
ما شئنا وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر اي

المغنم في المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعي
بنت ابي ذويب يعنوني فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح
غنمي شباعا لبن فلم نزل نعرف البركة من الله الزيادة والخير حتى مضت
سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم تنقطع سنتيه
حتى كان غلاما جفرا اي غليظا شديدا وعن حليمة انه صلى الله عليه وسلم
لما بلغ شهرين كان يحبو الى كل جانب اي وهذا يضعف ما تقدم عن الامتاع
من ان امه ارضعته سبعة اشهر قالت حليمة فلما بلغ ثمانية اشهر كان يتكلم
بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ
عشرة اشهر كان يرمي السهام مع الصبيان وعنها انها قالت انه لفي حجري
اذ مرت بي غنيمات فاقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت راسه
ثم ذهبت الى صواحبها قال وقد سجدت له الغنم وكذا الجمل بعد بعثته
والبحر فعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل حايطا اي بستانا للانصار ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ورجال
من الانصار وفي الحايط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله عنه يا
رسول الله كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في امتي
ان يسجد احد لاحد ولو كان ينبغي لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان
تسجد لزوجها زاد في رواية ولو ان رجلا امر زوجته ان تنقل من جبل الى
جبل لكان لونها اي حقها ان تفعلها وحرب جمل بكسر الراء اي اشتد
غضبه فصار لا يقدر احد يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لاصحابه انتحوا عنه فتنحوا عنه فلما راه الجمل خر ساجدا اي فاخذ
بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال استعمله واحسن علفه فقال القوم يا
رسول الله كنت احق ان نسجد لك من هذه البهيمة فقال كلا الحديث وفي
هذا دلالة على عظم حق الزوج على زوجته ومما يدل على ذلك ايضا ما روي
ان اسماء بنت يزيد الانصارية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله

ان الله

19

ان الله بعثك الى الرجال والنساء فامنا بك واتبعناك ونحن معاشر النساء
مقصورات مخدرات قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات
اولادهم وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنايز والجهاد واذا خرجوا
للجهاد حفظنا لهم اموالهم وربينا لهم اولادهم افنشاركهم في الاجر يا
رسول الله فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى اصحابه
وقال هل سمعتم مقالة امراة احسن سوالا عن دينها من هذه قالوا
بلى يا رسول الله فقال انصرفي يا اسماء واعلمي انك من النساء ان حسن
تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كلما ذكرت
للرجال اي من حضور الجماعات وشهود الجنايز والجهاد فانصرفت اسماء
رضي الله عنها وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتبعل ملاعبة المراة لزوجها والله اعلم قالت حليمة
وكان ينزل عليه صلى الله عليه وسلم كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي
عنه والى قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية بقوله

وبدت في رضاعه معجزات … ليس فيها عن العيون خفاء
اذ ابته ليتمه مرضعات … قلن ما في اليتيم عنا غناء
فاتته من ال سعد فتاة … قد ابتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها … وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا واضحت … ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل … اذ غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة قد ضوعف الاجر … عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا … لسعيد فانهم سعداء

اي وظهرت في رضاعه وفي زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم امور
خارقة للعادة لوضوحها لا تخفى على العيون فمن ذلك ان المراضعات

ان تاخذه صلى الله عليه وسلم لاجل يتمه فبعد ان تركته امتنه فتاة
من ال سعد فرابتها الرضعا لفقرها فسقته لبنها فسقتها وبنيها
الثلاث ابنها وكانت تلك الشياه لا لبن لها بل هن هزيلات فصارت ذات اللبن
وسمن ومن ذلك ان العيش كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول
غذا النبي صلى الله عليه وسلم بالها اي تلك الخصلة الصادرة
من حليمة ومع سقيها له صلى الله عليه وسلم لبنها نعمة منها عليه المذكور
الثواب بسوا الجزا على تلك النعمة من جنس تلك النعمة لان الجزا من جنس
العمل فلما سقيت اللبن سقته ولا بدع فان الله تعالى اذا سخر
اناسا لمحبة شخص والقيام بخدمته فانهم بسبب ذلك سعدا اقول
لم اقف على رواية فيها ان حليمة ابتها الرضعا لفقرها ولعل الناظم
اخذ ذلك من قولها فما بقيت امراة قدمت معي الا اخذت رضيعا
غيري وما حملني على اخذه الا اني لم اجد غيره ولا دلالة في ذلك
واستفتى الحافظ ابن حجر رحمه الله عن بعض الوعاظ يذكر عند
اجتماع الناس للمولد حادثات الى وقايع تتعلق به صلى الله عليه وسلم
جاءت بها الاخبار ربما يخلله بالتعظيم حتى يظهر من الـ معنى لها حزن
فيبقى صلى الله عليه وسلم في حيز من يرحم لا في حيز من يعظم من ذلك
انهم يقولون ان المراضع حضرته ولم ياخذنه لعدم ماله ونحو ذلك
فما قولكم في ذلك فاجاب بانه ينبغي لمن يكون فطنا ان يحذف
من الخبر اي الحديث ما يوهم في المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل
يجب كما وقع لامامنا الشافعي رضي الله عنه حيث قال في بعض نصوصه
وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة لها شرف فكلم فيه فقال
لو سرقت فلانة لامراة شريفة لقطعتها يعني فاطمة بنت النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يصرح رضي الله عنه باسمها تادبا معها ان يذكرها

في

في هذا المعرض حيث كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم حسن
دال على ان الحالة عنده في الشرع سوا فهذا من كمال ادب الامام رضي الله عنه وارضاه
ونفعنا ببركاته اي فاذا اجاز حذف بعض الحديث الموهم نقصا في اهل بيته صلى الله عليه وسلم
فما بالك بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه وسلم وهذا من الحافظ رحمه الله يدل
على ان ابا المراضع له صلى الله عليه وسلم وارد حيث اقره ولم يذكره والله اعلم
قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اول كلام تكلم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين فطمته حليمة الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
انتهى تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا عند خروجه من بطن امه وفي رواية
اول كلام تكلم به في بعض الليالي اي وهو عند حليمة السعدية لا اله الا الله
قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تاخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس
شيا الا قال بسم الله وعن حليمة لما دخلت به الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني
سعد الا شممنا منه ريح المسك والقي محبته اي واعتقاد بركته في قلوب
الناس حتى ان احدهم كان اذا نزل به اذى في جسده اخذ كفه صلى الله عليه وسلم
فيضعها على موضع الاذى فيبرا باذن الله تعالى سريعا وكذلك اذا اعتل لهم
بعير او شاه انتهى قالت حليمة فنزل بنا بمكة على امه اي بعد ان بلغ سنتين
ونحن احرص شي على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلت لها لو تركتيه
بني عندي حتى يغلظ وفي كلام ابن الاثير فقلنا لها دعينا نرجع به هذه
السنة الاخرى فاني اخشى عليه وبا مكة اي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى
ردته معنا وقيل ان امه امنة قالت لحليمة ارجعي بابني فاني اخاف عليه
وبا مكة فوالله ليكونن له شان اي ولعل المخالفة بينهما لجواز ان حليمة
لما قالت لها ما تقدم قالت لحليمة ارجعي بابني على الفور فاني اخاف عليه
وبا مكة اي ما تخافين عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد
مقدمنا به باشهر وعبارة ابن الاثير بعد مقدمنا بشهرين او ثلاثة

مع اخيه يعني من الرضاعة لنبي بهم ان ولعل هذا الانبا فيه قول المحب الطبري
رحمه الله فلما شب وبلغ سنتين لانه الغي ذلك لكسوة فبينما هو واخوه في بهم
لنا خلف بيوتنا اي ابهم او لاد الضان اذا اتى اخوه يشتد اي يعدو فقال
لي ولابيه ذاك اخي القرشي قد اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه/
وشقا بطنه فهما يسوطانه اي يحركان يديهما في بطنه قالت فخرجت
انا وابوه نحوه فوجدناه قايما منتقعا وجهه وفي لفظ لونه اي متغيرا
اي صار لونه بلون النقع الذي هو الغبار وهو صفرة الوان الموتى وذلك
لما ناله من الفزع اي من روية الملايكة لا من مشقة نشات عن ذلك الشق
لما ياتي في بعض الروايات فلم اجد لذلك حسا ولا الما ومن ثم قال ابن
الجوزي رحمه الله فشقه وما شق عليه والطلاقة شامل لهذه المرة التي
هي الاولى وقد قال بعضهم انه لم ينتقع لونه الا وهو صغير في بني سعد
قالت فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا له مالك يا بني فقال جاني رجلان
عليهما ثياب بيض اي وهما جبريل وميكايل اي وهما المراد بقوله في رواية
فاقبل الي طيران ابيضان كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه اهو هو
قال نعم فاقبلا يبتدراني فاخذاني فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه
شيا اي طلباه فوجداه واخذاه وطرحاه ولا ادري ما هو اي وسياتي ان
هذا الذي قال فيه ولا ادري ما هو انه علقة سودا استخرجاها من قلبي
بعد شقه اي بعد شق بطنه ففي هذه الرواية طي ذكر القلب وشقه
وسياتي ذكر ذلك في بعض الروايات وفي رواية غريبة نزل عليه كركيان
فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج الاخر فيه بمنقاره ثلجا او بردا وقد
يقال ان الطيرين تارة شبها بالنسرين وتارة شبها بالكركيين وفي كون
مجي جبريل وميكايل على صورة النسر لطيفة لان النسر سيد الطيور
فقد جا في الحديث فقال يا محمد ان لكل نبي سيدا فسيد البشر ادم وسيد
ولد ادم انت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش

بلال

بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وفي بحر العلوم وسيد
الملايكة اسرافيل وسيد الشهدا هابيل وسيد الجبال الجبل موسى
وسيد الانعام الثور وسيد الوحوش الفيل وسيد السباع الاسد
زاد بعضهم وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام
العربية وسيد العربية القران وسيد القران سورة البقرة قالت
حليمة فرجعنا به صلى الله عليه وسلم الى خبايا اي محل الاقامة وقال
لي ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد اصيب فالحقيه
باهله قبل ان يظهر ذلك به وفي رواية قال الناس يا حليمة رديه
على جده واخرجيه من امانتك وفي رواية وقال زوجي اري ان نرديه
الى امه لتعالجه والله ان اصابه ما اصابه الا حسد من ال فلان لما يرون
من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على امه قال قال الواقدي
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول رجع الى امه وهو ابن خمس سنين
اي وزاد في الاستيعاب ويومين من مولده وكان غيره اي غير ابن
عباس رضي الله عنهما يقول رجع الى امه وهو ابن اربع سنين وذكر
الاموي انه رجع وهو ابن ست سنين اقول سياق ما قبله يدل على ان
قدوم حليمة به على امه كان عقب الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه
حينيذ كان سنتين واشهر وسياتي ما فيه والله اعلم قال وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان حليمة رضي الله عنها كانت تحدث انه صلى الله عليه وسلم
لما ترعرع كان يخرج ينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يوما
يا اماه مالي لا ارى اخوتي بالنهار يعني اخوته من الرضاعة وهم اخوه
عبد الله واختاه انيسة والشيما بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية
اولاد الحارث قلت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل
الى ليل قال ابعثيني معهم فكان صلى الله عليه وسلم يخرج مسرورا ويعود

مسرورا اي وهذا لا ينافي قولها السابق فان مع اخيه في بهم لنا
خلف بيوتنا ولا قوله صلى الله عليه وسلم الاتي فبينا انا ذات يوم منتبذا
من اهلي في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان كما لا يخفى قالت حليمة فلما
كان يوما من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار اتاني اخوه اي وفي رواية
اذ اتى ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابه ويا
امه الحقا اخي محمدا فما تلحقانه الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن
قيام اذ اتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا به ذروة الجبل ونحن
ننظر اليه حتى شق بطنه صدره الى عانته ولا ادري ما فعل به اقول
ولعل ضمرة هذا هو اخوه عبد الله المتقدم ذكره لعله لقب له لكن لحقه جسمه
ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الاتي ان اترابه الذي كانوا معه
انطلقوا هربا مسرعين الى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم لانه يجوز
ان يكون ضمرة سبقهم والله اعلم قالت حليمة فانطلقت انا وابوه نسعى
سعيا شديدا فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى
السماء يتبسم ويضحك فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت
فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خيرا كذا بالنصب يا اماه بينا انا
الساعة قايم اذ اتاني رهط ثلاثة بيد احدهم ابريق فضة وفي يد
الاخر طست من زمردة خضرا الزمردة بالضم والذال المعجمة الزبرجد
وهو معرب فاخذوني وانطلقوا الى ذروة الجبل فاضجعوني على الجبل
اضجاعا لطيفا وفيه ان هذا قد يخالف قوله صلى الله عليه وسلم الاتي فاخذوني
حتى اتوا شفير الوادي فعمد احدهم فاضجعني الى الارض ثم شق من صدري
الى عانتي وسياتي الجمع بينهما وقوله ثم شق من صدري الى عانتي هو المراد
ببطني فيما تقدم وما بالي وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما
الحديث وفي هذه الرواية فاذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل لجواز ان يكون

ارادت

ارادت بكونه قايما لكونه جاثيا وبكونه قاعدا كونه ماكثا ثم الان فانه
بين قولها في تلك الرواية منتقعا وجهه وبين قولها في هذه الرواية
يتبسم ويضحك لان ذلك لا ينافي الفزع او الجواز ان يكون تبسمه
وضحكه تعجبا لما راى من الحالة التي عليها احد من التعب والبادرة
والله اعلم قال وذكر ابن اسحاق رحمه الله ان حليمة لما قدمت به صلى الله
عليه وسلم مكة لترده على امه اي بعد شق صدره صلى الله عليه وسلم وقد
بلغ اربع سنين او خمس او ست على ما تقدم اضلته في اعالي مكة فاتت
جده عبد المطلب فقالت اني قدمت بمحمد في هذه الليلة فلما كنت باعالي
مكة اضلني فوالله ما ادري اين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان
يرده عليه وفي مراة الزمان انه انشد يا رب اردد ابني محمدا اردده ربي واصطنع عندي يدا
وسياتي ان هذا البيت انشده عبد المطلب حين بعث النبي صلى الله عليه
وسلم ليرد ابلا له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرر ذلك منه فسمع هاتفا
من السماء يقول ايها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه
فقال عبد المطلب من لنا به فقال انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى
فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل وسياتي بعض ترجمة
ورقة فوجداه صلى الله عليه وسلم قايما تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها
فقال له جده من انت يا غلام فقال انا محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب قال
وانا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو
قدامه على قربوس فرسه ونحر الشياه والبقر واطعم اهل مكة اقول وقول
جده له من انت يا غلام لعله وجده على حالة لا توجد لمن يكون في سنه عادة
كما تقدم عن حليمة من قولها كان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان
وفي السيرة الهشامية ان الذي وجده هو ورقة ابن نوفل ورجل اخر
من قريش فاتيا به عبد المطلب اي ويقال ان عمرو بن نفيل راه وهو لا يعرفه

فقال له من انت يا غلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى اتى به عبد المطلب وفي كلام
بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى روي انه
صلى الله عليه وسلم قال ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي وصار
يبكي وهو متعلق باستار الكعبة يا رب رد ولدي محمدا اردده ربي واصطنع عندي يدا
فجاء ابو جهل بين يديه على ناقة وقال لعبد المطلب لا تدري ما وقع من ابنك
فقال له فقال اني انخت الناقة واركبته من خلفي فابت ان تقوم فاركبته امامي
فقامت ويحتاج الى الجمع على تقدير صحة كل ما ذكر وقد يقال لا مانع من
تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض المفسرين قال في تفسير قوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى قيل ضل عن مرضعته حليمة وقيل ضل عن جده عبد المطلب
وهو صغير قالت حليمة فقالت امه ما اقدمك به يا ظئر اي يا مرضعة
ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ والله وقضيت الذي
علي وتخوفت الاحداث فاديته عليك كما تحبين قالت ما هذا شانك فاصدقيني
خبرك قالت فلم تدعني حتى اخبرتها قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت
نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني شانا افلا اخبرك
خبره قلت بلى قالت رايت حين حملت به انه خرج مني نور اضاء له قصور
بصرى من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رايت اي علمت من حمل قط
كان اخف علي ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض
رافع راسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة قال وعن حليمة انه مر
علينا جماعة من اليهود فقالت الا تحدثوني عن ابني هذا حملته كذا ووضعته
كذا ورايت كذا كما وصفت لها امه اي فانها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعه
لها وعند اخذه منها انتهى اقول ولا ينافي ذلك قول امه لحليمة افلا اخبرك
خبره وقول حليمة لها بلى لجواز ان تكون امه لم تكن متذكرة انها اخبرتها

بذلك

بذلك قبل ذلك وان حليمة كذلك او جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة
عما اخبرتها به اولا وثانيا والله اعلم قال ولما اخبرت اولئك اليهود بذلك
قال بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا ايتيم هو فقالت لا هذا ابوه وانا امه
فقالوا لو كان يتيما قتلناه اقول وهذا يدل على ان ما ذكرته امه لحليمة
من انها حين حملت به خرج منها نور الى آخر ما تقدم وان يكون لا اب له مذكور
في بعض الكتب القديمة انه من علامة نبوة النبي المنتظر والله اعلم قال وعنها
انها نزلت به سوق عكاظ اي وكان سوق الجاهلية بين الطائف ونخلة
المحل المعروف كانت العرب اذا حجت اقامت بهذا السوق شهر شوال وكانوا
يتفاخرون والمفاخرة فيه سمي عكاظا يقال عكظ الرجل صاحبه اذا
فاخره وغلبه في المفاخرة وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس
غيلان فراه كاهن من الكهان فقال يا اهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام
فان له ملكا فراغت اي مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله تعالى اي
وفي الوفا لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر
هذيل يا معشر العرب فاجتمع اليه الناس من اهل الموسم فقال اقتلوا
هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون اي صبي فيقول هذا
الصبي فلا يرون شيئا فيقال له ما هو فيقول رايت غلاما والالهة ليقتلن
اهل دينكم وليكسرن الهتكم وليظهرن امره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها
رضي الله عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ
من عرفة اي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد
انقضائهم من سوق عكاظ فيقيمون فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى
هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فيقيمون به الى ايام الحج وكان بهذا السوق
عراف اي منجم يؤتى اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي نظر الى الخاتم اي النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي

فليقتلن اهل بيتكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره عليكم ان هذا لينظر امرا من
السما وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات
اي وفي السيرة الشامية ان نصارى من الحبشة راوه صلى الله عليه وسلم مع امه
السعدية حين رجعت به الى امه بعد فطامه فنظروا اليه وقلبوه اي راوا
خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل تشتكي عينه قالت لا
ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا ان نأخذ هذا الغلام فلنذهب به الى
ملكنا وبلدنا فان هذا غلام كاين له شان نحن نعرف امره فلم تكد تنفلت به
صلى الله عليه وسلم واتت به الى امه وعنه صلى الله عليه وسلم واسترضعت
في بني سعد فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اتاني رجلان
عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوة ثلجا فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا
قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها اي وقيل هذا حظ الشيطان
منك يا حبيب الله اي وفي رواية فاستخرجا منه علقتين سوداوين اي ولا مخالفة
لجواز ان تكون تلك العلقة انفلقت نصفين وفي رواية فاستخرجا منه مغمز
الشيطان اي وهو المعبر عنه في الرواية قبلها بحظ الشيطان ولا ينافي ذلك
قوله في الرواية السابقة ولا ادري ما هو لجواز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم
بهذا بعد ان علمه والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه اي محل ما يلقيه من الامور التي
لا تنبغي لان تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه
الشيطان فيها فازيلت من قلبه فلم يبق فيه مكان لانه يلقي الشيطان فيه شي
فلم يكن للشيطان فيه حظ وليست هي محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم
كما يوهمه كلام غير واحد وفيه ان هذا يقتضي ان يكون قبل ازالة ذلك كان
للشيطان عليه سبيل واجاب السبكي بانه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه
الشيطان حصول الالقاء اي بالفعل قلت فقد سئل السبكي رحمه الله
فلم خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلقه
الله تعالى فيها واجاب بانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق

الانساني

الانساني ثم نزعت تكرمة له صلى الله عليه وسلم اي ليظهر للخلق بذلك
التكرمة ليتحققوا الكمال باطنه كما تحققوا الكمال ظاهره اي لانه لو خلق خاليا
عنها لم تظهر تلك التكرمة وفيه انه يرد على ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم
من غير قلفة واجيب بالفرق بينهما لان القلفة لما كانت تزاله
ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص
الخلقة الانسانية عنها عين الكمال وقد تقدم كل ذلك وذكر السهيلي
رحمه الله ما يفيد ان هذه العلقة هي محل مغمز الشيطان عند الولادة حيث
قال ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما لم يخلق من مني الرجل وانما
خلق من نفخة روح القدس اعيذ من مغمز الشيطان قال ولا يدل هذا
على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم قد
نزع منه ذلك المغمز هذا كلامه وقد علمت انه انما هو محل ما يلقيه الشيطان
من الامور التي لا تنبغي وان ذلك مخلوق في كل احد من الانبيا عيسى عليه
السلام وغيره ولم ينزع الا من نبينا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم
ثم غسلا قلبي بذلك الثلج اي الذي في الطست حتى انقياه اي
وملاه حكمة وايمانا كما في بعض الروايات اي وفي رواية ثم قال
احدهما لصاحبه ايتني بالسكينة فاتي بها فذراها في قلبي وهذه
السكينة يحتمل ان تكون هي الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون غيرهما وهذه
الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا في الرواية الاتية وفي
الرواية قبل هذه كان من زمردة خضرا ويحتاج الى الجمع وسكت
في هذه الرواية وفي الرواية الاتية ان الثلج كان في الطست وفي
الرواية قبل هذه كان بيد احدهم ابريق فضة ويحتاج الى الجمع لان
الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة وفي غسله بالثلج اشعار بثلج اليقين
وبرده على الفؤاد ذكره السهيلي رحمه الله وذكر في حكمة كون الطست من
ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل الخاتم بين كتفي كما هو

يعني

الان وفي الروايات السابقة طي ذكر الخاتم وتتمة الجواب الذي اجاب به صلى
الله عليه وسلم اخا بني عامر الذي وعدنا بذكرها هنا هو قوله صلى الله عليه وسلم
وكنت مسترضعا في بني سعد فبينا انا ذات يوم منتبذا اي منفردا من
اهلي في بطن واد مع اتراب لي اي المقاربين بالموحدة او النون لي في السن
من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملآن ثلجا فاخذوني
من بين اصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى انتهوا الى شفير الوادي ثم اقبلوا على
الرهط فقالوا ما اربكم اي حاجتكم الى هذا الغلام فانه ليس منا هذا ابن سيد
قريش وهو مسترضع فينا يتيم ليس له اب فماذا يرد عليكم اي يفيدكم قتله وماذا
تصيبون من ذلك فان كنتم لا بد قاتلوه اي ان كان لا بد لكم من قتل واحد
فاختاروا منا من شئتم فليأتكم مكانه فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فانه
يتيم فلما راى الصبيان ان القوم لا يحيرون جوابا انطلقوا هرابا مسرعين
الى الحي يؤذنونهم اي يعلمونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد احدهم الي فاضجعني
الى الارض اضجاعا لطيفا ثم شق بطني ما بين مفرق صدري الى منتهى
عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا اي ادنى مشقة واستخرج احشا
قلبي ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها اي بالغ في غسلها ثم اعادها مكانها
اي وقد طوي ذكر استخراج الاحشا وغسلها في الروايات السابقة ولا يخفى بطني
ان من جملة الاحشا ظاهر القلب ثم قال الثاني منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه
عني ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه
مضغة سودا فقدم التعبير عنها بالعلقة السودا ثم رمى بها ثم قال بيده
يمنة منه كانه يتناول شيا واذا الخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به
قلبي اي بعد انشقاق شقه فامتلا نورا وذلك نور النبوة والحكمة فقد تقدم
ملآن حكمة وايمانا وان السكينة ذرت فيه ثم اعاده مكانه فوجدت برد
الخاتم في عروقي ومفاصلي قول نقل شيخ بعض مشايخنا الشيخ نجم الدين
الغيطي عن مغازي ابن عابد في حديثه صلى الله عليه وسلم لاخي بني عامر
وانتبذ اي الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه
فليتامل

فليتامل وقوله فصدعه يدل ظاهرا على ان صدعه كان بيد الملك فلم
يشقه بالته وح يكون المراد بالشق الصدع بلا الة وقد طوي في هذه
الرواية ذكر ملي قلبه حكمة وايمانا وانه ذر فيه السكينة وذكر في هذه
الرواية ان الختم كان لقلبه وفي الرواية قبلها انه كان بين كتفيه وفي
رواية ابن عابد وبين ثدييه ويحتاج للجمع والظاهر ان متعاطي الختم
جبريل ويدل له قول صاحب الهمزية ختمته يمنى الامين وبالتصريح
بذلك لكن في غير هذه القصة والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم قال
الثالث لصاحبه تنح عنه فنحاه عني فامر يده ما بين مفرق صدري
الى منتهى عانتي فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى وختم عليه وفي رواية
قال احدهما للاخر خطه فخاطه وختم عليه اقول وقد يقال معنى خطه
الجمه لخاطه اي الجمه اي مر بيدك عليه فالتحم فلا يخالف ما سبق ولا ينافيه
ما في الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم
لجواز ان يكون المراد برؤية اثر الخياط في صدره صلى الله عليه وسلم
وهو اثر مرور يد جبريل عليه السلام وهذا طوي ذكره في الروايات
السابقة وقوله وختم عليه يقتضي ان الختم كان في صدره وهو الموافق
لما تقدم عن ابي عابد انه بين ثدييه لكنه زاد وبين كتفيه وقد تقدم
ان الختم كان لقلبه وقد يقال في الجمع لا مانع من تعدد الختم في الحال
المذكورة اي في قلبه وصدره وبين كتفيه فختم القلب لحفظ ما فيه
وختم الصدر وبين الكتفين مبالغة في حفظ ذلك لان الصدر
وعاء القريب وجسده وعاء البعيد وخص بين الكتفين لانه
اقرب اليه من القلب من بقية الجسد ولعله اولى من جواب القاضي عياض
رحمه الله بان الذي بين كتفيه هو اثر ذلك الختم الذي كان في صدره
اذ هو خلاف الظاهر من قوله وجعل الخاتم بين كتفي وفيه السكوت

عن ختم قلبه ولا يحسن ان يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم
محله لانه يصير ساكتا عن ختم الصدر اولى من جواب الحافظ ابن حجر رحمه
الله ايضا بانه يجوز ان يكون الختم لقلبه ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر
لان القلب في ذلك الجانب لما علمت وفيهما ان الذي عند الايسر خاتم النبوة اي
الذي هو علامة على النبوة الذي ولد صلى الله عليه وسلم به على ما هو الصحيح وفي
الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بازا قلبه
حيث يدخل الشيطان لغيره وسائر الانبيا كان الختم في يمينهم اي فقد
اخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد
كان عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم
فان شامة النبوة كانت بين كتفيه هذا كلامه ولم اقف على بيان تلك
الشامات التي كانت لكل نبي وكتب الشهاب القسطلاني على هامش الخصائص
قوله وجعل خاتم النبوة بظهره الى اخره مشكل اذ مفهومه ان موضع
الدخول للقلوب من الانبيا غير نبينا لم يختم ولا يخفى ما فيه من المحظور فما
اتبعها من عبارة واحطاها من اشارة هذه الكلمة ويمكن ان نقول المراد
بغيره في قوله حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الانبيا لما علم وتقرر
في النفوس من عصمة الانبيا من الشيطان واختص نبينا صلى الله عليه وسلم
من بين سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالختم في المحل المذكور
مبالغة في حفظه من الشيطان وقطع اطماعه قلبا ما لا يقال
كل من جواب القاضي والحافظ ابن حجر يجوز ان يكون مبنيا على ان
خاتم النبوة هو اثر هذا الختم وهو موافق لما تمسك به القائل بان خاتم
النبوة لم يولد به وانما حدث بعد الولادة لانا نقول على تسليم انه
حدث بعد الولادة فقد وجد عقبها فعند ابي نعيم في الدلائل انه
صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الما الذي

اتبعه

اتبعه ثلاث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب
على كتفه كالبيضة المكنونة وبذلك يعلم ان خاتم النبوة ليس اثرا لهذا الخاتم
وكلام السهيلي يقتضي انه هو حيث قال ان هذا الحديث الذي في شق صدره
في الرضاعة فيه غاية من بيان العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر انه
خلق به او وضع فيه بعدما ولد او حين نبي فبين في هذا الحديث متى
وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله علما واوزعنا شكرا ما علم هذا كلامه
ثم رايت عن الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث قال ومقتضى الاحاديث التي فيها
شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان اول
وضعه لما شق صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به او حين وضع هذا
كلامه ولا يخفى ان ما قلناه من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة اولى لان به
يجمع القولان ويندفع المخالفة والجمع اولى من التضعيف لما صح من انه
ولد به وعلى انه هو يحتاج ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه
وفي صدره وفي قلبه لا يقال قد اشير الى الجواب عن ذلك بان الموجود
بين كتفيه وثوبه وايضا يلزم عليه ان يكون خاتم النبوة تكرر الاتيان
به ثانيا في قصة البعث وثالثا في قصة الاسرا ففي قصة البعث فاكفاني
كما يكفا الانا ثم ختم في ظهري وفي قصة الاسرا ثم ختم بين كتفيه بخاتم
النبوة وكل منهما يبطل كون ما في ظهره او بين كتفيه اثرا لذلك الختم الذي
وجد في صدره او قلبه الا ان يقال ما في قصة البعث وقصة الاسرا ثم
ختم بين كتفيه ~~بخاتم النبوة~~ غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر
الحاصل من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاع وانه تكرر الختم على ذلك
الاثر في البعث وفي قصة الاسرا وفيه ان لا معنى لتكرار الختم في محل واحد
ولا يقال الغرض منه المبالغة في الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد محل
الختم لا عند اعادته ثانيا وثالثا في محل واحد وايضا هو خلاف ظاهر كلامهم

من انه في الجمال لسلالة خاتم النبوة ويويده ان المتبادر من القول
في قصة الاسراء ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل خاتم النبوة بين كتفيه
والا فما معنى كون الخاتم بمعنى الطابع بخاتم النبوة فان قلت على دعوى
المصير به يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة قلت قد يقال
هذا ليس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة من بعضهم //
ويجوز ان يكون الباء في كلامه بمعنى مع اي مع خاتم النبوة فتامل والله اعلم
قال صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم
قال الاول الذي شق صدري زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال
زنه بالف من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنته بامته كلهم رجحهم
ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع
انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك اقول في بعض الروايات
زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففي هذه الرواية طي ذكر وزنه بمائة
وفي تلك الرواية طي ذكر وزنه بعشرة والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم
وبالحق تركتك اذا باخي قد اقبل لحدا فبرجم اي باجمعهم واذا بظئري
اي مرضعتي امام الحي تهتف اي تصيح باعلا صوتها وتقول واضعيفاه
فاكبوا علي يعني الملائكة الذين هم اولئك الارهط الثلاثة وضموني الى
صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من ضعيف
ثم قالت ظئري يا وحيداه فاكبوا علي فضموني الى صدورهم فقبلوا راسي
وما بين عيني وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت من وحيد ان الله معك
وملائكته والمومنين من اهل الارض ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت
من بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا
راسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم
ما اريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما
ابصرتني امي وهي ظئري قالت لا اراك الا حيا بعد فجاءت حتى اكبت

علي

علي ثم ضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني
اليها ويدي في يدها اذا بهم يعني الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم
فاقبل بعض القوم يقولون ان هذا الغلام قد اصابه لمم اي طرف من الجنون
او طائف من الجن اي مس من الالمه فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه
فقلت يا هذا ما بي مما تذكرون اني اري اعضاي سليمة وفؤادي صحيح ليس بي
قلبة اي علة يتقلب لها الذي ينظر فيها فقال ابي وهو زوج ظئري الا ترون
كلامه صحيحا اني لارجو ان لا يكون بابني باس واتفقوا على ان يذهبوا بي اليه
اي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه قصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى اسمع
من الغلام فانه اعلم بامره منكم فسالني فقصصت عليه امري من اوله الى اخره
فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى يا للعرب يا للعرب يا للعرب من
شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى
لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول
ابائكم وليخالفن امركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله وفي رواية ليسفهن //
احلامكم اي عقولكم وليكذبن اديانكم وليدعونكم الى رب لا تعرفونه ودين
تنكرونه فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره وقالت لانت اعته واجن ولو علمت
ان هذا يكون من قولك ما اتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فانا لا نقتل هذا الغلام
ثم احتملوني الى اهلي واصبحت مفزعا مما فعلوا بي يعني الملائكة اي من اجل
من بيتي اثر القائي الى الارض لا من خصوص الشق لما تقدم واصبح
اثر الشق ما بين صدري الى منتهى عانتي اي اثر التيام الشق الناشي
عن امرار يد الملك عليه انه الشراك اي مثل الشراك احد سيور النعل الذي
هو المداس الذي يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجود الشق
واعلم انه جاء ان شق صدره الشريف في زمن الرضاع عند حليمة
واحدة تكون هذه الروايات المراد منها واحد وان بعضها وقع فيه اختصار

عما وقعت به الاطالة في بعضها وان اخباره صلي الله عليه وسلم بان الملايكه
ثلاثة لا ينافي اخباره بانهم كانوا اثنين ونسبة الاخذ والاضجاع والشق
للبطن او الصدر الي الثلاثة او الي الاثنين لا ينافي ان متعاطي ذلك
واحد منهم كما اخبر به اخوه وجا التصريح في بعض الروايات وان التعبير
بعضها بشق البطن هو المراد بشق الصدر الي منتهي العانة في بعضها وانه
ليس المراد بشق البطن او شق الصدر شق القلب لما تقدم في الرواية
واستخرج احشا بطني ثم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قال لصاحبه تنح عنه
فنحاه عني ثم ادخل يده في جوفي فاخرج قلبي فصدعه الحديث وانه يجوز
ان يكون الطشت كان متعددا او الحد من زمردة خضرا والاخر من ذهب
وان الاول كان فارغا بعد الان يلقي ما يغسل به باطنه اي مع احشاه
ومنها اي من جملة الاحشا طاهر قلبه من الابريق الخضر وان الثاني كان
مملوا ثلجا مع الان يغسل به قلبه اي داخل قلبه وحج بكون في بعض
الروايات اقتصر علي القلب وفي بعضها جمع بينه وبين الاحشا في ذلك //
ويحتاج الي الجمع بين كون الشق في ذروة الجبل وكونه في شفير الوادي وكون
المخرج علقة وكونه مضغة وقد يقال لحا زان يكون ذروة الجبل قريبة
من شفير الوادي وانه عبر عن الذي اخرجه والقاه تارة بالعلقة وتارة
بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت قريبة من العلقة ولا يخفي ان هذه
العلقة يحتمل انها غير حبة القلب الذي اخرجت منها الحجم وهي علقة
سودا في جمعة القلب فيسويدا القلب ويحتمل انها هي والله اعلم وقد
اشار الي هذه القصة صاحب الهمزية رحمه الله تعالي بقوله

وانت جاء وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء
اذ احاطت به ملايكة الله * فظنت بانهم قرناء
ورأي وجدها به من الوجد * لهيب تصلي بها الاحشاء

فارقته

فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه واخرج منه * مضغة عند غسله سودا
ختمته يمني الامين وقد * اودع ما لم يودع لدا انبا
صان اسراره الختام فلا * الفض ملم به ولا الافضا

اي وانت حليمة به جاءت والحال انها فطنت والحال انه لحق بها من اجل
نطامه ورده الشام الزايد ورودها له لاجل انه احدقت به ملايكة الله
فظنتهم شياطين ورأي شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من
الوجد الذي هو لهيب تحترق به الاحشا وهي ما تحويه الضلوع ففارقته
بعد رده كارهة لفراقه والحال انه كان مقيما عندها لا تمل ذلك منه
وقد شق عن قلبه واخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سودا وختمت
علي ذلك القلب يمين الامين جبريل بخاتم والحال ان ذلك القلب الشريف
قد اودع من الاسرار الالهية ما لم تنشرح لحمله لان تلك الاسرار لا يعلمها
الا الله تعالي وحفظ ذلك الختام اسراره التي اودعت فيه فلا الكسر واقع
بذلك الختم ولا الاشاعة واقعة لتلك الاسرار اقول قد علمت ان صدره
الشريف شق مرتين غير هذه المرة مرة عند مجي الوحي ومرة عند المعراج
وزاد بعضهم انه شق عند بلوغه عشر سنين كما في مسلم ولما بلغ عمره صلي الله
عليه وسلم عشرين سنة اي ولعلها هي المعنية بقول صاحب المواهب //
وروي خامسة ولا تثبت وستاتي تلك الخامسة عن الدر المنثور وما في
مانها والله اعلم قال وفي المرة التي كان بن عشر سنين اي واشهر قال صلي
الله عليه وسلم جاني رجلان فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعوني بلا قفوة
القفا ثم شقا بطني فكان احدهما يختلف بالما في طشت من ذهب والاخر
يغسل جوفي ثم شق قلبي فقال اخرج الغل والحسد وفيه انه تقدم البعض
ان تلك العلقة اخرجت والقيت قبل هذه المدة وتكرر نبذها مستبعد
الا ان يحمل العلقة علي جزء بقي من اجزايها بنا علي جواز انها تجزات

[illegible]

اكثر من جزئين المعبر عنهما فيما تقدم عن بعض الروايات علقتين سوداوين
الا ان يقال المراد بقوله فاخرج منه العلقة اي اخرج ما هو كالعلقة اي شيئا
يشبه العلقة كما يأتي التصريح بذلك في بعض الروايات فادخل شيئا
كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذره عليه اي على شق القلب
ليلتحم به ثم نقر ابهامي ثم قال اغد واسلم افول ولم يذكر في هذه
المرة الختم وظاهر هذه الرواية ان الصدر التحم بمجرد ذر الذرور
وتقدم في قصة الرضاع ان ذلك كان من امرار يد الملك واستمر اثر
الشق يشاهد كذلك وفي الدر المنثور عن زوائد الامام احمد عن ابي
ابن كعب عن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما رأيت من امر النبوة فاستوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت ابا هريرة اني لفي صحرا
ابن عشرين سنة واشهر اذا بكلام فوق راسي واذا رجل يقول لرجل اهو هو
فاستقبلاني بوجوه لم ارها لخلق قط وثياب لم ارها على احد قط فاقبلا
الي يمشيان حتى اخذ كل واحد منهما بعضدي لا اجد لاخذهما مسا
فقال احدهما لصاحبه اضجعه فاضجعاني بلا قصر ولا هصر من غير انقلاب
فقال احدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما ارى بلا دم ولا وجع
فقال له اخرج الغل والحسد فاخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها
فقال له ادخل الرافة والرحمة فاذا مثل الذي اخرج اي يدخله شبه
الفضة ثم نقر ابهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت اغدو بها
رافة على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر في هذه المرة الغسل
فضلا عما يغسل به ولم يذكر الختم لكن قول الرجل للاخر اهو هو يدل
على ان الرجلين ليسا جبريل وميكائيل لانهما يعرفانه وقد فعلا به
ذلك في قصة الرضاع وقد يدعى ان هذه الرواية لم يصح الرواية به
قبلها وذكر عشرين سنة غلط من الراوي ثم رايت ما يصرح بذلك
وهو وكان سنة عشر حج وقد يحمل هذه المدة اي كونه ابن عشرين
سنه

سنة على ان ذلك كان في المنام وان كان خلاف ظاهر السياق وقال في
المرة التي هي عند ابتداء الوحي جاءني جبريل وميكائيل فاخذني جبريل والقاني
لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله ان
يستخرج ولم يبين ذلك ما هو ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم اعاده مكانه
ثم لامه اي بذلك الذرور او بما مر او بهما جميعا ثم اكفاني كما يكفي الاناء
ثم ختم في ظهري يحتمل ان يكون المراد في غير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع
وهو بين كتفيه ويحتمل ان المراد بظهره الذي ختمه في قصة الرضاع وفيه انه لا
معنى لوضع الختم على الختم كما تقدم ويمكن ان يكون الحكمة في الجمع بين جبريل
وميكائيل ان ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد والاشباح وجبريل
ملك الوحي الذي به حياة القلوب والارواح والمرة التي في المعراج سيأتي
الكلام عليها وفيها ان الختم وقع بين كتفيه وفيه ما علمت وقد علمت ان شق
الصدر والبطن غير شق القلب وان شق القلب واخراج العلقة السودا
التي هي حظ الشيطان ومغمزه مما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وما في بعض الاثار ان التابوت اي
تابوت بني اسرايل كان فيه الطست الذي غسلت به قلوب الانبيا المراد
ظاهر قلوبهم لان القلب من جملة الاحشا التي غسلت بغسل الصدر
او البطن كما تقدم على ان ابن دحية ذكر انه اثر باطل وقد يطلق الصدر
على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع في قصة المعراج
ثم اتي بطست ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري ومنه قول الجلال
السيوطي في الخصايص الصغرى ان شق صدره الشريف من خصايصه
صلى الله عليه وسلم على الصحيح من القولين اي شق قلبه وسياتي الكلام
على ذلك في الكلام على المعراج بما هو ابسط مما هنا وعن حليمة
رضي الله عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة:

لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا اي عنها فغفلت عنه يوما في الظهيرة •
فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته اي من الرضاعة وهي الشيماء وكانت تحضنه •
مع امها اي ولذلك تدعى ام النبي ايضا اي وكانت رضي الله عنها ترقصه •
بقولها • هذا اخ لي لم تلده امي • وليس من نسل ابي وعمي • فانمه اللهم فيما تنمي •
فقالت في هذا الحر اي ما ينبغي ان يكون في هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد
اخي حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى انتهى
الى هذا الموضع فجعلت تقول احقا يا بنية قالت اي والله فجعلت تقول
اعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني وفي كلام بعضهم ورات عيني
حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت وقد يقال الرؤية
تحق حليمة عليه وفي الخبر اخته بصرته فلا مخالفة او انها ابصرتها
بعد الاخبار لها كما يدل على ذلك القول بانه افزعها ذلك من امره
اي وفي كونها افزعها من ذلك بعد اخبار اخته لها بذلك شيء فقدمت به
على امه اقول عن الواقدي ان حليمة رضي الله عنها لما قدمت به صلى الله عليه وسلم
الى مكة لترده لامه رات غمامة تظله في الطريق ان سار سارت وان
وقف وقفت وسياقه هذا يقتضي انها ردته الى امه عقب مجيئها به
من مكة وان ذلك كان قبل شق صدره عندها و ح يكون هذه قدمة
ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره ففي المقدمة الاولى كان
سنه سنتين وفي هذه المقدمة كان سنه سنتين واشهرا وتكون •
هذه المرة الثانية يحمل قول حليمة فوالله انه بعد مقدمنا باشهر وقول •
ابن الاثير بشهرين او ثلاثة واما في المقدمة الثالثة وهي التي بعد •
شق صدره وتركها له عند امه كان سنه اربع سنين وفيها كانت
وفاتها على ما يأتي وقيل خمس سنين قال ابن عباس رضي الله عنهما
وقيل ست سنين ويكون بعض الرواة اشتبه عليه الامر وظن ان هذه

المقدمة

٣١

المقدمة الثانية التي قبل شق صدره هي الثالثة التي بعد شق //
صدره فلزم الاشكال فتامل ذلك تاملا حميدا ولا تكن ممن يقلد //
تقليدا والله اعلم ووفدت عليه صلى الله عليه وسلم حليمة رضي الله عنها
بعد تزويجه خديجة رضي الله عنها تشكوا اليه ضيق العيش فكلم لها
خديجة فاعطتها عشرين راسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهي الشابة
من الابل اي وفي رواية اربعين شاة وبعيرا ووفدت عليه يوم حنين
فبسط لها رداءه فجلست عليه اي فقال بعضهم لم تره بعد ان ردته
الا مرتين احديهما بعد تزوجه خديجة اي وعليه تكون هذه المرة
هي التي قدمت فيها مع زوجها وولدها واجلسهم صلى الله عليه وسلم
على ردائه اي ثوبه الذي كان صلى الله عليه وسلم جالسا عليه لما تقدم
والمرة الثانية يوم حنين وفي كلام القاضي عياض رحمه الله ثم جاءت
ابا بكر رضي الله عنه ففعل ذلك اي بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل كذلك
اه وفي كلام ابن كثير رحمه الله ان حديث مجي امه صلى الله عليه وسلم اليه في
حنين غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لان من وقت
ارضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة اي بعد رجوعه من
حنين ازيد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته عليه الصلاة والسلام
ثلاثين سنة وكونها وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما تزيد المدة على المائة
وعن ابي الطفيل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة
اي بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وانا غلام شاب فاقبلت امراة
فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه قيل
امه التي ارضعته وفي رواية استاذنت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم
قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال امي امي وعمد صلى الله عليه وسلم
الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه اه وتقدم عن شرح الهمزية لابن حجر
ان من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وفي الاصل

ومن الناس من ينكر اسلامها واشار لذلك الي شيخه الحافظ الدمياطي فانه
من جملة المنكرين حيث قال في سيرته حليمة لا يعرف لها صحبة ولا اسلام
وقد وهم غير واحد فذكروها في الصحابة وليس بشي وكان الانسب ان
يقول ذكروا اسلامها وليس بشي ويوافقه قول الحافظ ابن كثير الظاهر
ان حليمة لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لا شك فيه
عند جماهير العلماء ولا يعول على قول بعض المتاخرين انه لم يثبت فقد
روى ابن حبان رحمه الله حديثا صحيحا دال على اسلامها وانكر الحافظ
الدمياطي وفودها عليه في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك الشيماء اخته
من الرضاعة وهي الشيما اقول وعلى صحة ما قاله الحافظ الدمياطي
لا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم امي امي لانه كان يقال لاخته الشيما
ام النبي صلى الله عليه وسلم لانها كانت تحضنه مع امه كما تقدم ولا قول
بعض الصحابة امه التي ارضعته لانه يجوز انه لما قيل امه حمله على المرضعة
له صلى الله عليه وسلم يتبعون امه من النسب وعلى كون الوافدة عليه
في حنين اخته اقتصر في الهدي والله اعلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله
بعد ان اورد عدة اثار في مجي امه من الرضاعة اليه في حنين وفي
تعدد هذه الطرق ما يقتضي ان لها اصلا اصلا وفي اتفاق الطرق
على انها امه رد على من زعم ان التي قدمت عليه اخته انتهى اقول
لا رد في ذلك لانه علم ان اخته المذكورة كان يقال لها ام النبي صلى الله عليه وسلم
ووصف بعض الصحابة لها بانها امه من الرضاعة تقدم انه يجوز ان يكون
بحسب ما فهم ومما يعين انها اخته ما سياتي انها لما اخذت في حنين من
جملة سبي هوازن قالت للمسلمين انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله انا اختك قال وما علامة
ذلك قالت عضة عضضتنيها في ظهري وانا متوركتك فعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قايما وبسط لها رداه واجلسها
عليه

عليه وقد صحت عبارته الي اخر ما ياتي وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان
واحدة كان فيها اخته والاخرى كانت فيها امه من الرضاعة حيث قال وقد روي
ان خيلا له صلى الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها يعني اخته من الرضاعة
التي هي ابنة حليمة فقالت انا اخت صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداه واجلسها
عليه فاسلمت ثم قال وجاته يعني امه من الرضاعة التي هي حليمة يوم حنين
فقام اليها وبسط لها رداه وجلست عليه وهذا كالتركيب يوهم ان الخيل التي
اغارت على هوازن التي كانت فيها اخته لم تكن في حنين وان امه لم تكن
يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة واحدة وان سبي هوازن كان يوم
حنين فيلزم ان يكون جا اليه يوم حنين كل من امه واخته من الرضاعة الاولى
في غير السبي والثانية في السبي وانه فرش لكل رداه وهو تابع في ذلك لابن
عبد البر رحمه الله حيث قال في الاستيعاب حليمة السعدية ام النبي صلى الله عليه وسلم
من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداه فجلست عليه وروت
عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ثم قال حذافة اخت النبي صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة يقال لها الشيما اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على هوازن فاخذوها فيما اخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله بن جعفر
روى عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا يتهيا له السماع منها الا بعد البعثة بسبع
سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع ابيه الذي هو جعفر ابن ابي طالب في خيبر
سنة سبع اي ويبعد حياتها وبقاوها الى ذلك الزمن وفيه ان حنين
بعد خيبر وابعد من ذلك وفودها على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتقدم
ما يشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير والذي يتجه ان الوافدة عليه في حنين
اخته لا امه كما يقول الحافظ الدمياطي والله اعلم قال قال ابو الفرج ابن
الجوزي ثم قدمت اي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت اي فلا يقال
سلمنا ان حليمة هي القادمة عليه اي بعد النبوة فالدليل على اسلامها

انتهى اقول كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها وانما قال يعني
ابن الجوزي فاسلمت بعد قوله قدمت عليه لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة
اسلامها وفي كون قول ابن الجوزي فاسلمت دليلا على اسلامها نظر بل هي دعوى
تحتاج الى دليل الا ان يقال قول ابن الجوزي فاسلمت دليل لنا على اسلامها
والله اعلم وذكر الذهبي ان النبي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم في الجعرانة
يجوز ان تكون ثويبة وننظر فيه بان ثويبة توفيت سنة سبع اي من الهجرة
اي مرجعه من خيبر على ما تقدم اقول ذكر في النوران الحافظ مغلطاي له
مولف في اسلام حليمة سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة وذكر بعضهم انه
لم ترضعه مرضعة الا واسلمت لكن هذا البعض قال ومرضعاته صلى الله
عليه وسلم اربع امه وحليمة السعدية وثويبة وام ايمن انتهى وهو يرد
ما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة واما اسلام امه امنة فسنذكره
وكون ام ايمن ارضعته تقدم ما فيه والله اعلم **باب وفاة امه صلى**
الله عليه وسلم وحضانة ام ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه اي
احتضانه وتربيته وذكر ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماتت امه لما بلغ ست سنين وقيل كان سنه اربع وبه صدر في المواهب
اي وهو يرد القول بان حليمة لما ردته الى امه كان عمره خمس او ست سنين
قال وقيل كان سنه عليه الصلاة والسلام سبع سنين وقيل ثمان وقيل
تسع وقيل اثنتي عشرة وشهرا وعشرة ايام انتهى ووفاتها كانت بالابواء وهو محل
بين مكة والمدينة اي وهو الى المدينة اقرب وسمي بذلك لان السيول تتبواه
اي تحل فيه ودفنت به فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء في عمرة الحديبية
قال ان الله اذن لمحمد صلى الله عليه وسلم في زيارة قبر امه فاتاه واصلحه
وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم وقيل له في ذلك
فقال ادركتني رحمتها فبكيت وكان موتها وهي راجعة به من المدينة

من

من زيارة اخواله صلى الله عليه وسلم اي اخوال جده عبد المطلب لان ام
عبد المطلب من بني عدي ابن النجار كما تقدم لعلها مكثت عندهم شهرا
ومرضت في الطريق ومعها ام ايمن بركة الحبشية التي ورثها صلى الله عليه وسلم
من ابيه عبد الله على ما تقدم فحضنته وجاءت به الى جده عبد المطلب اي بعد
خمسة ايام من موت امه فضمه اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده هذا
وفي كلام بعضهم وبقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت امه بالابواء حتى
انتهى الخبر الى مكة وجاءت ام ايمن مولاة ابيه عبد الله فاحتملته وذلك لخامسة
من موت امه فليتامل وكون موت امه صلى الله عليه وسلم كان في حياة عبد المطلب
هو المشهور الذي لا يكاد يعرف غيره وبه يرد قول من قال ان موت عبد المطلب
كان قبل موت امه صلى الله عليه وسلم بسنتين اي وكان صلى الله عليه وسلم
يقول لام ايمن رضي الله عنها انت امي بعد امي ويقول ام ايمن امي بعد امي
وفي القاموس دار رابغة بالغين المعجمة بمكة فيها مدفن امه صلى الله عليه وسلم
ولم اقف على محل تلك الدار من مكة قال وقيل توفيت اي دفنت بالحجون بشعب
ابي ذيب وغلط قائله وعن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه
ثم انه طفق اي شرع يقول يا حميرا استمسكي فاستندت الى جنب البعير
فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي انت وامي
يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك
عدت الي وانت فرح متبسم فمم ذاك قال ذهبت لقبر امي فسالت الله ان يحييها
فاحياها فامنت وردها الله تعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة
منهم الحافظ ابو الفضل ابن ناصر الدين والجوزقاني وابن الجوزي
والذهبي في الميزان واقره على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان
وجعله ابن شاهين ومن تبعه ناسخا للاحاديث الناهية عن الاستغفار
اي لها منها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اي واهل في عمرة القضاء

لانه لم يقدم مكة بها راجع اصحابه قبل حجة الوداع الا في ذلك اي رسم قبر امه
فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى قال ابن مسعود رضي الله عنه فبكينا لبكائه
صلى الله عليه وسلم ثم قام ثم دعانا فقال وما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال
ان القبر الذي جلست عنده قبر امنة الحديث وفي رواية الى قبر امه فجلس اليه
فجعل يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله قد راينا
ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته
في الاستغفار لها فلم ياذن لي وفي رواية ان جبريل عليه السلام ضرب في صدره ٢
صلى الله عليه وسلم وقال لا تستغفر لمن مات مشركا فما روي باكيا اكثر منه
يومئذ وفي رواية استاذنته في الدعا لها اي بالاستغفار فلم ياذن لي وانزل
علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
فاخذني ما ياخذ الولد للوالد قال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم
على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به اي الشافع اجماعا وكونه ناسخا لذلك
غير جيد لان احاديث النهي عن الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن
حبان في صحيحيهما ونص مسلم استاذنت ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي
واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر
الاخرة وفي لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث اي حديث عائشة على تسليم ضعفه
اي دون وضعه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة اقول ذكر الواحدي
في اسباب النزول ان ايتي ما كان للنبي والذين امنوا وما كان استغفار
ابراهيم لابيه نزلتا لما استغفر صلى الله عليه وسلم لعمه ابا طالب بعد موته
فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قراباتنا هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه
اي فنزلتا عقب موت ابي طالب لا تنافي لجواز ان تكون ايته ما كان للنبي
تكرر نزولها لما استغفر لامه ولما استغفر لعمه لانا نقول كونه صلى الله عليه وسلم
يعود للاستغفار بعدما نهي عنه فيه ما فيه والمراد بالنسخ المعارضة
يعني

٣٤

يعني قول ابن شاهين انه ناسخ لاحاديث النهي عن الاستغفار اي
معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا على انه لا معارضة لان النهي عن
الاستغفار لها كان قبل ان توفي واذا ثبت ما تقدم عن عائشة رضي الله
عنها وما بعده كان ذلك لمن يقول قبر امه صلى الله عليه وسلم بمكة
وعلى كونها دفنت بالابواء اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام
في سيرته وفي الوفا عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابوا
وقد يقال على تقدير صحة الحديثين اي انها دفنت بالابواء وانها دفنت
بمكة يجوز ان تكون دفنت اولا بالابوا ثم نقلت من ذلك المحل الى مكة فعلم
ان بكاه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يحييها الله وتؤمن به ومن ثم قال
الحافظ السيوطي رحمه الله ان هذا الحديث اي حديث عائشة رضي الله عنها
قيل انه موضوع لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون
قوله لشخصي اي وامهاتي ان ر على تقدير صحته التي ادعاها الحاكم في
المستدرك كان قبل احيائها وايمانها بها كما تقدم نظير ذلك في ابيه ويقول
على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر في علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم
بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله فيه في التصحيح وقد تعقب
الذهبي ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب
عما يقال كيف ينفع الايمان بعد الموت وتقدم ما فيه على ان هذا اي منع
الاستغفار لها انما ياتي على القول بان من بدل او غير او عبد الاصنام
من اهل الفترة معذب وهو قول ضعيف مبني على وجوب الايمان والتوحيد
بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال
الرسل ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسماعيل وان
اسماعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة بعد
الموت من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم فعليه اهل الفترة من العرب

لا تعذيب عليهم وان غيروا او بدلوا او عبدوا الاصنام والاحاديث الواردة
بتعذيب من ذكر اي من غير او بدل او عبد الاصنام مؤولة او خرجت مخرج الزجر
للحمل على الاسلام ثم رايت بعضهم رجح ان التكليف بوجوب الايمان بالله
تعالى وتوحيده اي بعدم عبادة الاصنام يكفي فيه وجود رسول دعي الى ذلك
وان لم يكن الرسول مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه
دعي الى ذلك او امكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه
من ان يكون ذلك الرسول معذبين على الاشراك بالله لعبادتهم الاصنام لانه
على فرض انه لا تبلغه دعوة احد من الرسل التي تدعو الى الايمان بالله
وتوحيده فلكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد بعث الرسل
لا قبله وحينئذ لا يشكل ما اخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بعث الله نبيا
الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة يملأ من تلك الفترة جهنم ولعل المراد
المبالغة في الكثرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع
رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط اي حسبي بعزتك
وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب
على تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم فاهل الفترة وان كانوا مقرين
بالله الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله عنهم ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى وقد جا النهي عن ذلك على السنة الرسل السابقين
ووجه التفرقة بين الايمان والتوحيد وغيره ذلك ان الشرايع بالنسبة
للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع الشرايع عليه
قبل وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فقد قال
بعضهم المراد من الاية استوا الشرايع كلها في اصل التوحيد اي وهي ثم
قال في تمام الاية ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى لقد ارسلنا نوحا الى

قومه

قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال الى ثمود اخاهم
صالحا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ونحو ذلك ثم قاتل بعض الانبيا
عليهم الصلاة والسلام غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولوم ترك
الايمان والتوحيد لا زمانهم لم يقاتلهم لمخالفة غيره من الفروع فان الشرايع
فيها مختلفة قال بعضهم سبب اختلاف الشرايع اختلاف الامم في الاستعداد
والمقابلة والدليل على ان الانبيا متفقون على الايمان والتوحيد ما جا
انه صلى الله عليه وسلم قال الانبيا اولاد علات اي اصل دينهم واحد
وهو التوحيد وان اختلفت فروع شرايعهم فان العلات الضراير
فاولادهم اخوة من الاب وامهاتهم مختلفة وعلى هذا التفسير
في نفس الحديث ففي بعض الروايات الانبيا اخوة من علات امهاتهم
شتى ودينهم واحد وبه يعلم ما في كلام العلامة ابن حجر الهيتمي حيث
ذكر ان الحق الواضح الذي لا غبار عليه ان اهل الفترة جميعهم ناجون
وهم من لم يرسل اليهم رسول يكلفهم بالايمان بالله كالعرب حتى في زمن بني
اسرائيل اهل فترة لان تلك الرسل لم يومروا بدعايتهم الى الله تعالى
وتعليمهم الايمان قال نعم ما ورد فيه حديث صحيح من اهل الفترة
بانه من اهل النار فان امكن تاويله فذاك والا لزمنا ان نؤمن بهذا
الفرد بخصوصه قال واما قول الفخر الرازي لم تزل دعوة الرسل الى التوحيد
معلومة فجوابه ان كل رسول انما ارسل الى قوم مخصوصين فمن لم يرسل
اليه لا يجب وجواب ما صح من تعذيب اهل الفترة انها اخبار احاد
فلا تعارض القطع او يقتصر التعذيب على ذلك الفرد بخصوصه
اي حيث لا يقبل التاويل كما تقدم هذا كلامه وهذا وقد جا انهم اي
اهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فقد اخرج البزار عن ثوبان ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جا اهل الجاهلية يحملون اوثانهم

على ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم ياتنا لك امر
ولو ارسلت الينا رسولا لكنا اطوع عبادك فيقول لهم ارايتم ان امرتكم
بان تطيعوني فياخذ على ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار
فينطلقون حتى اذا راوها فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا
نستطيع ان ندخلها فيقول ادخلوها داخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لو دخلوها اول مرة كانت عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن
بال[illegible] صلى الله عليه وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون
عند الامتحان اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم لتقر عينه ويرجوا ان يدخل
عبد المطلب الجنة في جماعة من يدخلها طايعا الا ابا طالب فانه ادرك
البعثة ولم يومن به اي بعد ان طلب منه الايمان ومما استدل به الحافظ
السيوطي على ان ابويه صلى الله عليه وسلم لينبغي ان يقال لانهما لو كانا
اهون عذابا من ابي طالب لانهما اقرب منه وابسط عذرا لانهما لم يدركا
البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلاف ابي طالب وقد اخبر
الهادي صلى الله عليه وسلم انه اهون اهل النار عذابا فليس ابواه صلى
الله عليه وسلم من اهلها قال وهذا يسمى عند اهل الاصول دلالة الاشارة
وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه احد من اهل
بيته اي ولا احد من اشراف قريش اجلالا له فكان بنوه وسادات قريش
يحدقون به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي وهو غلام جفر اي
شديد قوي حتى يجلس عليه فياخذه اعمامه ليوخروه عنه فيقول عبد المطلب
اذا راى اي علم ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشانا ثم يجلسه عليه معه
ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما دعوا
ابني يجلس فانه يحس من نفسه شيا اي بشرف وارجوا ان يبلغ من الشرف
ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليونس ملكا اي
يعلم من نفسه ان له ملكا وفي لفظ ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه
نفسه

٣٦

نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
سمعت ابي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره
وكان حرب بن امية فمن دونه من عظما قريش يجلسون حوله دون
المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس
على المفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب
وذلك بعد ما كف بصره ما لابني يبكي قالوا له اراد ان يجلس على المفرش
فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه
بشرف اي يتيقن في نفسه شرفا وارجوا ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه
عربي قبله ولا بعده اي فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حتى هلك عبد المطلب
او غاب اي ولعل هذا كان في اخر الامر فلا ينافي ما تقدم الدال ظاهرا على تكرر
ذلك منه صلى الله عليه وسلم من اختلاف قول عبد المطلب والا فيحتمل ان
الاختلاف في قول المطلب جا من اختلاف الرواة وقال لعبد المطلب قوم من
بني مدلج اي وهم القافة العارفون بالاثار والعلامات احتفظ به فانا
لم نر قدما اشبه بالقدم الذي في المقام منه اي وهي قدم ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اخوك اي فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اثرت قدماه
في المقام وهو الحجر الذي كان يقوم عليه عند بنا البيت اساسا وهو الذي
يزار الان بالمكان الذي يقال له مقام ابراهيم عليه السلام اي وقد اشار
الى ذلك عمه ابو طالب في قصيدته بقوله منها، وبالحجر المسود اذ يلثمونه
اذا اكتنفوه في الضحى والاصايل، وموطي ابراهيم في الصخر رطبة
على قدميه حافيا غير ناعل. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله يعني ان رجله
الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدمه حافية لا منتعلة وعن
انس رضي الله عنه رايت في المقام اثر اصابع ابراهيم وعقبه
واخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم ذلك اي ومشابهة

قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام يدل
عليه ان تلك الاقدام بعضها من بعض كما تقدم في قول مجزز المدلجي في زيد
واسامة رضي الله عنهما وقد ناما وغطيا رؤوسهما وبدت اقدامهما ان هذه
الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لان في ذلك
ردا على من كان يطعن في نسب اسامة بن زيد كما تقدم وذكر بعضهم ان
نبينا صلى الله عليه وسلم اثر قدمه في الحجر ايضا فقد اثر في صخرة بيت المقدس
ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الان وذكر الجلال السيوطي رحمه الله
انه لم يقف لذلك اي لتاثير قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر على اصل ولا سند
قال ولا رايت من خرجه في شيء من كتب الحديث قال وكذلك فيما اشتهر
على الالسنة ان مرفقه الشريف لما الصقه بالحائط غاص في الحجر واثر فيه
وبه يسمى ذلك المحل بزقاق المرفق ومن العجب ان الجلال السيوطي مع قوله
المذكور قال في الخصائص الصغرى ولا وطي على صخر الا واثر فيه هذا كلامه
ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله عليه وسلم ما وطي
على صخر الا واثر فيه قد يتوقف فيها ثم رايت الامام السبكي ذكر تاثير
قدمه الشريف في الاحجار حيث قال في تائيته واثر في الاحجار مشيك ثم لم
يؤثر برمل او ببطحاء رطبة قال شارحها ولعل عدم تاثير قدمه الشريف
في الرمل كان ليلة ذهابه الى الغار اي فليس كان هذا شانه في كل
رمل يمشي عليه وكان اذا رفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر ضع
قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم اراد به اخفا اثر سيره ليتحير
المشركون في طلبه وفيه ان هذا التعليل مقتض لتاثير اثره الشريف
في الرمل لا لعدم تاثيره في ذلك ويؤيد ذلك انه سياتي انهم قصوا
اثره الى ان انقطع الاثر عند الغار اي وقال لهم القائف هذا الاثر
قدم ابن ابي قحافة واما القدم الاخر فلا اعرفه الا انه يشبه القدم

التي

التي في المقام يعني مقام ابراهيم عليه السلام فقالت قريش ما وراء هذا
شيء اي بمحل كما سياتي وفيه ان هذا اي تميز قدمه الشريف من قدم
سيدنا ابي بكر رضي الله عنه ربما ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم لابي بكر
ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم وقد يقال لا يخالفه منافاة
لانه يجوز ان يكون قدم ابي بكر رضي الله عنه لم يكن مساويا لقدمه صلى
الله عليه وسلم ولا نص في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز
ان يكون المراد لا يظهر فيه قدمي ظهورا بينا فصح قول القائف هذا اثر قدم
ابن ابي قحافة واما القدم الاخر الى اخره ولم يتعرض هذا الشيخ على تاثير قدمه
في الحجارة بل ابدا لذلك حكما لا باس به فليراجع وقوله في الاحجار يدل على انه
تكرر تاثير قدمه الشريف في الاحجار ولكن لم يكن ذلك شانه في كل حجر مشى
عليه كما دلت عليه عبارة الجلال السيوطي رحمه الله والله اعلم قال وبينا
عبد المطلب يوما في الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف رئيس النصارى
في دينهم اشتق من السقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه يتخاشع
اي يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي
من ولد اسماعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا واتى برسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره والى قدميه
فقال هو هذا ما هذا منك قال هذا ابني قال ما نجد اباه حيا قال هو
ابن ابني وقد مات ابوه وامه حبلى به قال صدقت فقال عبد المطلب
لبنيه تحفظوا بابن اخيكم الا تسمعون ما يقال فيه انتهى وعن ام ايمن
رضي الله تعالى عنها كنت احضن النبي صلى الله عليه وسلم اي اقوم بتربيته
وحفظه فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على راسي يقول يا بركة
قلت لبيك قال اتدرين اين وجدت ابني قلت لا ادري قال وجدته مع غلمان
قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فان اهل الكتاب اي ومنهم سيف بن ذي

يزن كما سيأتي يزعمون انه نبي هذه الامة وانا الآمن عليه منهم وكان لا يأكل
يعني عبد المطلب اذا اتي بطعام لمجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه
وربما اقعده على فخذه تبركا به بالطيب طعامه انتهى وعن بعضهم اي وهو
حيدة ابن معاوية العامري كان رضي الله عنه من المعمرين وفد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلم قال لبعضهم مات وهو ابن الف رجل وامرأة قال
حججت في الجاهلية فبينا اطوف بالبيت اذا رجل وفي رواية شيخ
طويل يطوف بالبيت وهو يقول رد الي راكبي محمدا وفي رواية يا رب
رد راكبي محمدا اردده ربي واصطنع عندي يدا فقلت من هذا قالوا
عبد المطلب ابن هاشم بعث ابن ابنه في ابل له ضلت وما بعثه في شيء
الا جاء به قال وفي رواية هذا سيد قريش عبد المطلب له ابل كثيرة
فاذا ضل منها شيء بعث فيه بنيه يطلبونه فاذا اغابوا بعث ابن
ابنه ولم يبعثه في حاجة الا انجح فيها وقد بعثه في حاجة اعيا عنها
بنوه وقد ابطا عليه انتهى فما برحت اي ما زلت عن مكاني حتى جاء
الابل معه فقال له يا بني حزنت عليك حزنا لا يفارقني ابدا بل
وتقدم بعض المفسرين ما الاختلاج اي اعادته هنا وعن رقيقة
بنت ابي صيفي اي اباها ابن هاشم بن عبد مناف زوجة عبد المطلب
ذكرها ابن سعد في المسلمات المهاجرات اقول وقال ابو نعيم
لا اراها ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال ان لها صحبة والله اعلم
قالت تتابعت على قريش سنون اي ازمنة قحط وجدب ذهبت
بالاموال واشفين اي اشرفن على الانفس قالت فسمعت قائلا يقول
في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان وقت خروجه
وبه يأتيكم الحيا اي بالخصب المطر العام والخصب فانظروا رجلا من
اوسطكم اي اشرافكم نسبا طوالا عظاما اي طويلا عظيما ابيض
مقرون الحاجبين اهدب الاشفار اي طويل شعر الاجفان اسيل
الخدين

٣٨

الخدين اي لا نتوء بهما رقيق العرنين اي الانف وقيل اوله فليخرج هو وجميع
ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن
ثم ارقوا الى راس ابي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فليستسق وتؤمنون
فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه
الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه واخرجوا من كل بطن رجلا ففعلوا
ما امرتهم به ثم علوا على ابي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم
عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد
نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهب بالظلف والخف
والحافر اي الابل والبقر والخيل والبغال والحمير فاشفقت على الانفس
اي اشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا
حتى سالت الاودية قال وفي رواية اخرى عن رقيقة قالت تتابعت
على قريش سنو ونجدبه اقحلت اي ايبست الجلد وارقت العظم فبينا
انا نائمة او مهومة اي بين النائم واليقظان اذ هاتف هو الذي يسمع
صوته ولا يرى شخصه كما تقدم يصرخ بصوت صحل اي فيه بحوحة وهي
خشونة الصوت وغلظه يقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم
قد اظلتكم ايامه اي قربت منكم وهذا اوان نجومه فحيهلا بالحيا والخصب
الا فانظروا رجلا منكم وسطا عظاما ابيض بضا اي شديد البياض اوطف
الاهداب اي كثير شعر الجفن اسيل الخدين اشم العرنين اي مرتفع
الانف له فخر يكظم عليه اي يسكت عليه ولا يظهره وسنة تهدي اليه
اي يرشد اليها فليخلص هو وولده وولد ولده وليدلف اي يتقدم اليه من
كل بطن رجل فليشنوا من الماء اي يفرغوه على اجسادهم اي فيغتسلوا منه
وليمسوا من الطيب ثم ليلتمسوا الركن وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ثم ليرقوا
ابا قبيس فليستسق الرجل وليؤمن القوم الا وفيهم الطيب الطاهر فغثتم

اذا ما شبتم اي جاءكم الغيث على ما تريدون قالت فاصبحت مذعورة قد
اقشعر جلدي ووله اي ذهب عقلي واقتصصت رؤياي اي ذكرتها على
وجهها فنمت اي فشت وكثرت في شعاب مكة فما بقي بطحي الا قال هذا
شيبة الحمد يعني عبد المطلب وقامت عنده قريش وانقض اليه من كل
بطن رجل فشنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا وطافوا ثم ارتقوا ابا
قبيس فطفق القوم يدنون حوله ما ان يدرك بعضهم مهله وهي التؤدة
والقاني ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايفع اي ارتفع او ركب
اي قرب من ذلك فقام عبد المطلب فقال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة
انت عالم غير معلم ورسول غير مبخل وهذه عبيدك واماؤك بعذرات حرمك
اي افنيته يشكون اليك سنتهم التي اجحفت اي اذهبت الظلف والخف
اي الابل والبقر فامطرن اللهم غيثا مريعا مغدقا فما برحوا حتى انفجرت
السماء بمائها وكظ الوادي اي ضاق بثجيجه اي بسيله فاسمعت شيخان
من قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا ابا البطحاء بك عاش اهل
البطحاء انتهى اي والظاهر ان القصة واحدة فليتأمل الجمع وقد يدعي ان
الاختلاف من الرواة منهم من عبر بالمعنى وفي استسقاء الناس بعبد المطلب
وان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة ، بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا
وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر اي امتد من تاخره فجاد بالماء جوني له سبل
دان اي مطرها طل كثير الهطل قريب فعاشت به الانعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره اي المبارك حظه وخير من بشرت به مضر مبارك
الاسم يستسقى الغمام به ، ما في الانام له عدل ولا خطر ، اي لا معادل له ولا
مماثل له ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم
وقالوا قد اصبحنا في جهد وجدب وقد سقى الله الناس بعبد المطلب
فاقصدوه لعله يسأل الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب

فحيوه

فحيوه بالسلام فقال لهم افلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد اصابتنا سنون
مجدبات وقد بان لنا اثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك
واجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات
ثم اصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه واخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم
رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه
قيس ومضر من خير البشر قد شعثت رؤوسها وحدبت ظهورها يشكوا اليك
شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فاتح لهم سحابا خوارة وسما
خرارة لتضحك ارضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشات سحابة
دكنا لها دوي وقصدت نحو عبد المطلب ثم قصدت نحو بلادهم ثم قال
عبد المطلب يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا
وقد سقوا وذكر بعضهم انهم كانوا في الجاهلية يستسقون اذا اجدبوا
فاذا ارادوا ذلك اخذوا من ثلاثة اشجار وهي سلع وعشر وشبرقة
من كل شجرة شيا من عيدانها وجعلوا ذلك حزمة وربطوها على ظهر ثور
صعب واضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فاذا احس بالنار
عدا حتى يحرق ما على ظهره ويتساقط وقد يهلك ذلك الثور فيسقون
وفي حياة الحيوان كانت العرب اذا ارادت الاستسقاء جعلت النيران
في اذناب البقر واطلقوها فتمطر السماء فانكان الله يرحمها بسبب ذلك
قال وذكر ابن الجوزي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده
اصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب ان في ناحية
عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف ان يسقط عليه

فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولو لم اخرج
اليك لخر علي ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض اهل الكتاب
ثم عالجه واعطى بعض ما يعالجه به هذا ورايت في كتاب سماه مولفه كريم
الندماء وبديم الكرما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رمد وهو صغير
فمكث اياما يشكوا فقال قائل لجده عبد المطلب ان بين مكة والمدينة
راهبا يبري من الرمد وقد شفي على يديه خلق كثير فاخذه جده وذهب
به الى ذلك الراهب فلما راه الراهب دخل الى صومعته فاغتسل ولبس
ثيابه ثم اخرج صحيفة فجعل ينظر الى الصحيفة والى النبي صلى الله عليه وسلم
ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرا في وقته ثم قال الراهب يا
عبد المطلب وتالله هذا هو الذي اقسم على الله به فابرك المرضى
واشفى الاعين من الرمد فليتامل فان تعدد الواقعة لا يخلوا عن
بعد والله اعلم

باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه ابي طالب له صلى الله عليه وسلم

ثم لما كان سنه صلى
الله عليه وسلم ثمان سنين اي على الراجح من الاقوال المتكثرة وبرجحه
ما ياتي توفي عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون وقيل مائة وعشرون
وقيل واربعون اي ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزي
لعبد المطلب في المعمرين قال وقيل اثنان وثمانون اي وعليه اقتصر
الحافظ الدمياطي قال وقيل مائة واربعة واربعون انتهى وقد قيل له
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اتذكر موت عبد المطلب قال نعم وانا يومئذ
ابن ثمان سنين وعن ام ايمن رضي الله عنها انها كانت تحدث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو
ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصي وجاء عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب
في زي الملوك وابهة الاشراف ولما حضرته الوفاة اوصى به صلى الله

عليه

٤١

عليه وسلم الى عمه شقيق ابيه ابي طالب اي وكان ابو طالب ممن حرم الخمر
على نفسه في الجاهلية كابيه عبد المطلب كما تقدم واسمه على الصحيح
عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان
الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير
وقد اخطاوا في ذلك خطا كبيرا ولم يتاملوا القران قبل ان يقولوا هذا
البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امراة عمران رب اني
نذرت لك ما في بطني محررا واوصى به لابي طالب لانه احبه حبا
شديدا لا يحبه احد من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه ولا يخصه بالحسن
الطعام اي وقيل اقترع ابو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله
عليه وسلم منهما فخرجت القرعة لابي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم
اختار ابا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وهو الانبه قبل موت
عبد المطلب فسياتي انه كان مشاركا له في كفالته وقيل كفله الزبير
حتى مات عبد المطلب ثم كفله ابو طالب اي بعد موت الزبير وغلط
قائله بان الزبير شهد حلف الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم
من العمر نيف وعشرون سنة كذا في اسد الغابة مقدما للاقتراع على ما
قبله وفي كون عمره صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول كان نيفا وعشرين
سنة نظر لما سياتي ان عمره اذ ذاك كان اربعة عشر سنة وفي كلام بعضهم
فلما مات عبد المطلب كفله عماه شقيقا ابيه الزبير وابو طالب ثم مات
عمه الزبير وله من العمر اربع عشرة سنة فانفرد به ابو طالب وكفالة
جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه وامه مذكورة في الكتب
القديمة من علامات نبوته ففي خبر سيف ابن ذي يزن بموت ابوه وامه ويكفله
جده وعمه اي وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان عبد المطلب لما حضرته
الوفاة عرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وهي ام الزبير ابن
العوام وبرة وعاتكة وام حكيم البيضا وهي جدة عثمان بن عفان لامه

وامية واروى فقال لهن ابكينني حتى اسمع ما تقلن في قبل ان اموت
فقالت كل واحدة منهن شعرا في وصفه مذكور في تلك القصيدة ولما سمع جميع
ذلك اشار براسه ان هكذا فابكينني وقال الا انه انما اشار بذلك لما سمع
قول امية وقد امسك لسانه وكان من قولها

اعيني جودا بدمع درر • على ماجد الخيم والمعتصر •
على ماجد الجد واري الزناد • وجميل المحيا عظيم الخطر •
على شيبة الحمد ذي المكرمات • وذي المجد والعز والمفتخر •
وذي الحلم والفضل في النائبات • كثير المفاخر جم الفخر •
له فضل مجد على قومه • منير يلوح كضوء القمر •

قال ابن هشام رحمه الله لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا
الشعر الا انه اي ابن اسحاق لما راه عن ابن المسيب كتبه قال بعضهم
ولم يبك احد بعد موته ما بكي عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة
سوق اياما كثيرة وروى ابو نعيم والبيهقي ان سيف بن ذي يزن الحميري
لما ولي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين
اتاه وفود العرب واشرافها وشعراوها لتهنيه اي بهلاك ملوك
الحبشة وبولايته عليهم اي لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعه الحبشة منهم واستمر
في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف ابن ذي يزن استنقذ ملك اليمن من الحبشة
واستقر فيه على عادة ابايه وجاءت العرب لتهنيه من كل جانب وكان من
جملتهم وفد قريش وفيه عبد المطلب وامية بن عبد شمس وغالب وجماعة
اي كعبد الله ابن جدعان بضم الجيم واسكان الدال المهملة والعين المهملة
التيمي وهو ابن عم عايشة رضي الله عنها وكاسد ابن عبد العزى ووهب
ابن عبد مناف وقصي ابن عبد الدار فلحضر بمكانهم اي وكان في قصره
بصنعا وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على راسه وسيفه
بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه
عبد المطلب

عبد المطلب وفي الوفا وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله
اشراف اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا
عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه في الكلام فقال ان
كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد اذنا لك فقال ان الله عز وجل احلك
ايها الملك محلا رفيعا شامخا اي مرتفعا باذخا اي عاليا منيعا وانبتك
نباتا طالت اورمته وعظمت جرثومته اي والارومة والجرثومة هما الاصل
وثبت اصله وبسق اي طال فرعه في اطيب موضع واكرم معدن وانت
ابيت اللعن اي ابيت ان تاتي من الامور ما يلعن عليه ملك العرب الذي
له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد وكهفها الذي تلجا اليه العباد
سلفك خير سلف وانت لنا فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من انت خلفه
ولن يخمل ذكر من انت سلفه نحن اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا
اي احضرنا اليك الذي ابهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا اي اثقلنا
فنحن وفد التهنية لا وفد الرزية اي المصيبة فعند ذلك قال له الملك
من انت ايها المتكلم قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا بالتاء المثناة
فوق لان ام عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادنه ثم اقبل
عليه وعلى القوم فقال مرحبا واهلا • وناقة ورحلا • ومستناخا سهلا •
وملكا ربحلا • اي كثير العطا يعطي عطا جزلا • قد سمع الملك مقالتكم •
وعرف قرابتكم • وقبل وسيلتكم • فانكم اهل الليل والنهار ولكم
الكرامة ما اقمتم • والحبا اي العطا اذا ظعنتم ثم انهضوا الى دار
الضيافة والوفود واجري عليهم الانزال فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون
اليه ولا يوذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب
فادناه ثم قال له يا عبد المطلب اني مفض اليك من سر علمي امرا لو غيرك
يكون لم ابح به ولكني رايتك معدنه فاطلعتك طلعه اي عليه فليكن

عند كم حتي باذن الله عز وجل فاني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون
الذي ادخرناه لانفسنا واحتجناه اي كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا
جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة
ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك ايها الملك سر وبر فما هو فداك
اهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة
كانت له الامامة ولكم به الزعامة اي السيادة الي يوم القيمة فقال عبد المطلب
ايها الملك ابت اي رجعت بخير ما اب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله
واعظامه لسالته من سارته اياي بما ازداد به سرورا فقال
له الملك هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه
ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له
منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن
عرض اي جميعا ويستفتح بهم كرايم الارض يعبد الرحمن ويدحض
اي يزجر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه
عدل ويامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله قال له عبد المطلب
جرجدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك ساري بافصاح
فقد وضح لي بعض ايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات على
النقب اي الطرق انك لجده يا عبد المطلب غير كذب قال فخر عبد المطلب
ساجدا فقال له ارفع راسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل احسست بشي
مما ذكرت لك قال نعم ايها الملك انه كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه
رفيقا واني زوجته كريمة من كرايم قومي امنة بنت وهب بن عبد مناف
اي من زهرة فجات بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه يعني
ابا طالب وهذا يدل على ان وفود عبد المطلب على سيف بن ذي يزن كان
بعد موت ابيه صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله
عليه وسلم كان سنتين لان ذلك كان سنة خمس ولي سيف بن ذي يزن
على

على الحبشة وتاخر وفود عبد المطلب عليه بعد موت امه صلى الله عليه وسلم
ويدل على ان ابا طالب كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته في حياته
ثم اختص هو بذلك بعد موته اي وعبارة سيف ابن ذي يزن صارفة
بالحال فقال له ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك
واحذر عليه من اليهود فانهم له اعدا ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا
اي تحفظه والخوف عليه منهم من باب الاحتياط والاعلام بقدره قال
واطو ما ذكرته لك عن هولا الرهط الذين معك فاني لست امن ان تداخلهم
النفاسة من ان يكون لك الرياسة فيبغون لك الحبايل ويبغون لك الغوايل
وهم فاعلون ذلك او ابناوهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي اي
مهلكي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اصير بيثرب دار مملكته فاني
اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب دار ملكه واستحكام
امره وموضع قبره ولولا اني لا اقيه الافات واحذر عليه العاهات لاعلنت
على حداثة سنه امره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن سأصرف
ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وامر لكل واحد منهم
بعشرة اعبد سود وعشر اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة
ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل وكرش مملو عنبرا
وامر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا جا الحول فاتني بخبره
وما يكون من امره فمات الملك قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب
كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطا الملك ولكن
يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم
ما اقول ولو بعد حين انتهى وهذا القصد الذي كان فيه الملك سيف
ابن ذي يزن يقال له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة تعبد فيه
للزهرة وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول لا افلحت العرب ما دام فيه

عمه انها فلما ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة هدم وكان ابو طالب مقلا من
المال فكان عياله اذا اكلوا جميعا او فرادى لم يشبعوا واذا اكل معهم النبي
صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان ابو طالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم
يقول لهم كما انتم حتى ياتي ابني فياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فياكل
معهم فيفضلون من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولهم ثم يتناول العيال القعب اي القدح الذي من خشب فيشربون منه
فيروون من عند اخرهم اي جميعهم من القعب الواحد وان كان احدهم
ليشرب قعبا واحدا فيقول ابو طالب انك لمبارك اقول وفي الامتاع وكان
اي ابو طالب يقرب الى الصبيان بصحتهم اول البكرة فيجلسون وينتهبون
فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم فلما راى ذلك
ابو طالب عزل له طعامه على حدة هذا كلامه ولا ينافي ما قبله لانه يجوز
ان يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون
الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله اعلم وكان الصبيان
يصبحون شعثا رمصا بضم الراء واسكان الميم ثم صاد مهملة ويصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا وقالت ام ايمن رضي الله عنها ما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعا قط ولا عطشا لا في صغره
ولا في كبره وكان يغدو واذا اصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا
عليه الغداء فيقول انا شبعان اي في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق
وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس
عليها فقال ان ابن اخي ليحس بنعيم اي بشرف عظيم قال واستسقى
ابو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلهمة بن عرفطة قدمت مكة
وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا اللات والعزى وقائل منهم

يقول

يقول اعتمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن
الوجه جيد الراي انى تؤفكون اي كيف تصرفون عن الحق وفيكم
باقية ابراهيم وسلالة اسماعيل عليهما السلام اي فكيف تعدلون
عنه الى ما لا يجدي قالوا كانك عنيت ابا طالب قال ايها فقاموا
باجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه فخرج الينا رجل حسن الوجه
عليه ازار قد اتشح به فثاروا اي قاموا اليه فقالوا يا ابا طالب
اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج ابو طالب
ومعه غلام كانه شمس دجن بدال مهملة فجيم مضمومتين اي ظلمة وفي
رواية كانه شمس دجن اي ظلام تجلت عنه سحابة قتما اي من القتام
بالفتح وهو الغبار وحوله اغيلمة جمع غلام فاخذه ابو طالب
فالصق ظهره بالكعبة ولاذ اي طاف باصبعه الغلام زاد في بعض
الروايات وبصبصت الاغيلمة حوله اي فتحوا اعينهم وما في السما
قزعة اي قطعة من سحاب فاقبل السحاب من هنا ومن ههنا
واغدودق اي كثر مطره وانفجر له الوادي واخصب النادي
والبادي في ذلك يقول ابو طالب من قصيدة يمدح فيها النبي صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم وعظم اكثر من ثمانين بيتا
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
اي ملجا وغياثا لليتامى ومانع الارامل من الضياع والارامل المساكين
من النساء والرجال وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا اقول
ولحذف الشيعة من هذه القصة القول باسلام ابي طالب اي لانه
صنعها بعد البعثة وسياتي الكلام في اسلامه واما نقله
الدميري في شرح المنهاج عن الطبراني وابن سعد ان هذه القصيدة
التي منها هذا البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لا درج عليه

ابيه السيرتين المشي لعلهما هو ابو طالب واحتمال توارد كل من ابي
طالب وعبد المطلب على هذه القصة بعيد جدا ومما يصرح بانهم
ما بالحجر عن النبي صلى الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابي طالب
والله اعلم قال وعن ابي طالب قال كنت بذي المجاز اي وهو موضع
على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن اخي
يعني النبي صلى الله عليه وسلم فادركني العطش فشكوت اليه فقلت
يا ابن اخي قد عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده شيئا الا الجزع
اي لم يحملني على ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال فثنى وركه اي
نزل عن دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فاهوى بعقبه الى
الارض وفي رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيئا فاذا انا بالماء
لم ار مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال ارويت قلت نعم
فركضها ثانية فعادت كما كانت وسافر اي وقد اتت عليه صلى الله
عليه وسلم بضع عشرة سنة مع عمه الزبير ابن عبد المطلب شقيق ابيه
كما تقدم الى اليمن فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما
راه البعير برك وحك الارض بكلكله اي صدره فنزل صلى الله
عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل وسار حتى جاوز الوادي
ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله
الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام
شانا انتهى اي وفي السيرة الشامية ان رجلا من لهب كان قائفا
وكان اذا قدم مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف
لهم فيهم فاتى ابو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه
فنظر اليه صلى الله عليه وسلم ثم شغل عنه بشيء فلما فرغ قال علي بالغلام
وجعل يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رايت انفا فوالله ليكونن

لشان

لشان فلما راى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به

باب ذكر سفره صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب الى الشام

عن ابن اسحاق لما تهيأ ابو طالب للرحيل صب به رسول الله
صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد الموحدة والصبابة
رقة الشوق قاله في الاصل قال وعند بعض الرواة فضبث به اي
بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة كضرب لزمه وقبض
عليه يقال ضبثت على الشيء اذا قبضت عليه فقد جاء اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام قل للملا من بني اسرائيل لا يدعوني والخطايا
بين اضبابهم اي قبضاتهم اي وهم يحملون الاوزار غير مقلعين عنها
اي وعلى ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطي رحمه الله
فلفظه لما تهيأ عمه ابو طالب للرحيل ضبث به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرق له ابو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني
ولا افارقه ابدا اقول رايت بعضهم نقل عن سيرة الدمياطي وضبث
به ابو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط وانه ضبط ضبث
بالضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة قال وهو المقبض
على الشيء وهذا لا يناسب قوله صبابة لم يصب مثلها بشيء قط
لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة اي الذي هو الرقة
كما لا يخفى على ان مصدر ضبث انما هو الضبث ومن ثم لم اجد ذلك
في السيرة المذكورة والذي رايته فيها ما قدمته عنها وفي رواية
انه صلى الله عليه وسلم مسك بزمام ناقة ابي طالب وقال يا عم الى
من تكلني لا اب لي ولا ام وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين
على الراجح وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام اي وهذا
القيل صدر به في الامتاع وقال انه اثبت اي واصح ثم اقتصر عليه

للمحب الطبري وذكر انه لما سار به اردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير
فقال صاحب الدير ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما
ينبغي ان يكون له اب حي هذا ابوك لان من كانت هذه الصفة
صفته فهو نبي اي النبي المنتظر ومن علامته ذلك النعت في الكتب
القديمة ان يموت ابوه وامه حامل به كما تقدم وسيأتي او بعد
وضعه بقليل من الزمن اي ومن علامته ايضا في تلك الكتب
موت امه وهو صغير كما تقدم في خبر سيف ابن ذي يزن ولا ينافي
ذلك الاقتصار من بعض اهل الكتب القديمة على الاول الذي
هو موت ابيه وهو حمل فقال ابو طالب لصاحب الدير وما النبي
قال الذي يأتي اليه الخبر من السما فينبئ اهل الارض قال ابو
طالب الله اجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل
براهب ايضا صاحب دير فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال
ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه وجه
نبي وعينه عين نبي اي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما
ذكر علامته في الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله الله اجل
مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي الا تسمع
ما يقول قال اي عم لا تنكر لله قدرة والله اعلم فلما نزل الركب بصرى
وبها راهب يقال له بحيرا بفتح البا الموحدة وكسر الحا المهملة
وسكون المثناة التحتية اخره را مقصور واسمه جرجيس وقيل
سرجيس وصح يكون بحيرا الغيبة في صومعته وكان انتهى اليه علم
النصرانية اي لان تلك الصومعة كانت تكون لمن ينتهي اليه علم
النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن احد اوصيا عيسى عليه السلام
وفي تلك المدة انتهى علم النصرانية الى بحيرا وقيل كان بحيرا
من احبار اليهود يهوديا. اقول لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر

بعد

45

بعد ان كان يهوديا كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتي هذا وقال
ابن عساكر رحمه الله ان بحيرا كان يسكن قرية يقال لها الكفر
بينها وبين بصرى ستة اميال وقيل كان يسكن البلقا من ارض
الشام بقرية يقال لها ميفعة ويجاج الى بجع وقد يقال يجوز
انه كان يسكن في كل من القريتين كل واحدة يسكن بها زمانا وكان
في بعض الاحايين يأتي تلك الصومعة فليتأمل وقد سمع مناد
قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير اهل الارض
ثلاثة رباب ابن البرا وبحيرا الراهب واخر لم يأت بعد وفي لفظ
والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال
ابن قتيبة وكان قبر رباب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى
عنده مما طش وهو المطر الخفيف والله اعلم وكانت قريش كثيرا
ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا
وقد كان راى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب
حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الى
الغمامة قد اظلت الشجرة وتهصرت اي مالت ٥ اغصان الشجرة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية واخضلت اي كثرت اغصان
الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها اي وقد
كان وجدهم قد سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس
صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة عليه ثم ارسل اليهم اني قد صنعت
لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم
وحركم فقال له رجل منهم لم اقف على اسم هذا الرجل يا بحيرا ان لك
اليوم لشانا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شانك اليوم
فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم

واصنع لكم طعاما فاتاكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم اي تحت الشجرة
فلما نظر بحيرا في القوم ولم يرا الصفة اي لم ير في واحد منهم الصفة
التي هي علامة النبي المبعوث اخر الزمان التي يجدها عنده اي ولم ير
الغمامة على احد على احد وراها تتخلف على راس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف احد منكم عن طعامي فقالوا
يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد ينبغي له ان ياتيك الا غلام وهو
احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم اي وقال
فما اقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد اني اراه من انفسكم فقال القوم
هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا طالب
وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان
للوما بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا
ثم قام اليه فاحتضنه وجاء به واجلسه مع القوم اي وذلك ٥
الرجل هو عمه الحارث بن عبد المطلب ولعله لم يقل هو ابن اخي
مع كونه اسن من ابي طالب لان ابا طالب كان شقيقا لابيه
عبد الله كما تقدم دون الحارث مع كون ابي طالب هو المقدم في الركب
وقيل الذي جاء به ابو بكر رضي الله عنه وقدمه ابن المحدث على ما فيه
فتامل ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على راسه
فلما راه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا او ينظر الى اشياء من جسده
قد كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم
من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له اسالك بحق اللات
والعزى الا ما اخبرتني عما اسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه
سمع قومه يحلفون بهما اي وفي الشفا انه اختبره بذلك فقال له
رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالني باللات والعزى شيئا فوالله
ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما
اسالك عنه فقال له صلى الله عليه وسلم سلني عما بدا لك فجعل يساله
عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته اي صفة النبي المبعوث
اخر الزمان التي عنده اي ثم كشف عن ظهره فراى خاتم النبوة على
الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند
هذا الراهب لقدرا فلما فرغ اقبل على ابي طالب فقال له ما هذا
الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام
ان يكون اباه حيا قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال
مات وامه حبلى به قال صدقت اي ثم قال ما فعلت امه
قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك الى بلاده
واحذر عليه يهود فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت
ليبغنه شرا فانه كائن لابن اخيك هذا شان عظيم اي نجده في
كتبنا ورويناه عن اباينا واعلم اني قد اديت اليك النصيحة
فاسرع به الى بلده وفي لفظ قال له ابن اخي قال له بحيرا
اشفيق عليه انت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الى الشام
اي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذي هو محل
اليهود لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة ويقال انه قال له ذلك الراهب
ان كان الامر كما وصفت فهو في حصن من الله وقد يقال لا تخالف
لان ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من طلب التوقي
فخرج به عمه ابو طالب حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام
وفي الهدي فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتامل وذكر

ان لقوام من اهل الكتاب قد كانوا ارادوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما راى بحيرا وارادوا به سوءا فردهم بحيرا عنه وذكرهم الله وما يجدون
في الكتاب من ذكره وصفاته وانهم ان اجمعوا لما ارادوا لم يخلصوا اليه
فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه وفي رواية اخرى خرج ابو طالب
الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما
اشرفوا على الراهب بحيرا وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج
اليهم ولا يلتفت اليهم فجعل وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جا فاخذ
بيد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هذا سيد العالمين فقال الاشياخ
من قريش ما اعلمك فقال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا
شجر الا خر ساجدا ولا يسجدا الا لنبي اي وان الغمامة صارت تظله
دونهم واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل
التفاحة اي والغضروف تقدم انه راس لوح الكتف ثم رجع وصنع
لهم طعاما فلما اتاهم به كان النبي صلى الله عليه وسلم في رعية الابل
فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظلله فلما دنى من القوم وجدهم
قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء الشجرة
عليه فقال الراهب انظروا الى فيء هذه الشجرة مال عليه فبينما هو
قايم عليهم وهو يناشدهم ان لا يذهبوا به الى ارض الروم اي داخل
الشام فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة من الروم قد
اقبلوا فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا جينا الى هذا النبي الذي هو
خارج في هذا الشهر اي يسافر فيه فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس
وانا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال افرايتم امرا اراد الله ان يقضيه
هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه اي بايعوا بحيرا

على مسالة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم اخذه واذيته على حسب ما
ارسلوا فيه واقاموا عند ذلك الراهب خوفا على انفسهم ممن ارسلهم اذا
رجعوا بدونه قال بحيرا القرشي انشدكم الله اي اسالكم بالله ايكم
وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده ابو طالب وبعث معه
بلال رضي الله عنه وفي لفظ بعث معه ابو بكر بلالا وزوده بحيرا
من الكعك والزيت اي فاذا كانت القصة واحدة فالاختلاف في
افرادها من الرواة كما تقدم نظيره [illegible] فبعض الرواة قدم في هذه
الرواية واخر على انه في الهدي قال وقع في كتاب الترمذي وغيره
ان عمر او ابا بكر رضي الله عنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح
فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر
وذكر في الاصل ان في هذه الرواية امورا منكرة حيث قال قلت ليس في
اسناد هذا الحديث الا من خرج له في الصحيح ومع ذلك اي مع صحة سنده
ففي متنه نكارة اي امور منكرة وهي ارسال ابي بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم
بلالا فان بلالا لم ينتقل لابي بكر الا بعد هذه السفرة باكثر من ثلاثين
عاما ولان ابا بكر رضي الله عنه لم يبلغ العشر سنين حينئذ لانه صلى الله
عليه وسلم اسن منه بازيد من عامين بقليل اي بشهر وليال فما بالي وتقدم
ان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح اي فيكون سن ابي بكر
رضي الله عنه نحو سبع سنين وكان بلال اصغر من ابي بكر فلا يتهيا هذا
بحال اي لان ابا بكر لم يكن اهلا للارسال عادة وكذا بلال لم يكن
اهلا لان يرسل وكون النبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر هو ما عليه
جمهور من اهل العلم بالاخبار والسير والاثار وما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم سال ابا بكر فقال له من الاكبر انا او انت فقال له ابو بكر
رضي الله عنه انا اكرم واكبر منك وانا اسن قيل فيه انه وهم وان ذلك

انما يعرف عن عمه العباس رضي الله عنه وكون بلال اصغر من ابي بكر
بينا زعمه قول ابن حبان رحمه الله بلال كان تربا لابي بكر اي قرينه في السن
ويرده قول الذهبي رحمه الله بلال لم يكن يخلق قال ذكر الحافظ ابن حجر
ان ارسال ابي بكر رضي الله عنه معه بلالا وهم من بعض الرواة وهو
منقطع من حديث اخرجه رجب ذلك الراوي في ذلك الحديث انتهى قوله
ولاجل هذا الوهم قال الذهبي في الحديث اظنه موضوعا بعضه باطل اي لم
يوافق الواقع اي لمع كون الحديث موضوعا موافق للواقع وبعضه لم يوافق
الواقع وحينئذ فمراد الامام بان كان في قوله في متنه نكارة البطلان كما اشير
اليه وليس هذا من قبيل قولهم هذا حديث منكر الذي هو من اقسام الضعيف
وهو يرجع الى الفرديه ولا يلزم من الفرديه ضعف متن الحديث
فضلا عن بطلانه وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله في هذا الحديث
وهمان احدهما قوله فبايعوه واقاموا معه والوهم الثاني قوله وبعث
معه ابو بكر رضي الله عنه بلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال اسلم
ولا ملكه ابو بكر وفيه ان الحافظ الدمياطي فهم ان الضمير للنبي صلى الله
عليه وسلم وقد علمت انه لبحيرا فلا وهم فيه وتوجيه الوهم الثاني بعدم
وجود ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم واضح ان ثبت ذلك
والا فمجرد النفي لا يرد به الاثبات وحينئذ لا حاجة معه الى ذكر ما بعده
من ان بلالا لم يكن اسلم ولا ملكه ابو بكر الا ان يقال هو على تسليم وجود
ابي بكر وبلال مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد يقال على تسليم ذلك
ارسال ابي بكر لبلال لا يتوقف على اسلام بلال ولا على ملك ابي بكر
له جاز ان يكون سيد بلال وهو امية بن خلف ارسله في ذلك البعير
لامر فاذن ابو بكر لبلال في العود مع النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خادما
ويستانس لهو بالنبي بدا عنا ما اعليه رضي سيك بذلك اذ ليس من لازم

ارساله

٤٨

ارساله ان يكون مملوكا له وكون ابي بكر لم يكن في سن من يرسل عادة تقدم
ما فيه والله اعلم قال وروى ابن منده بسند ضعيف عن ابي بكر رضي الله
عنه انه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنه
والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنه فالنبي صلى الله عليه وسلم
اسن من ابي بكر بعامين اي وشهر كما تقدم والعلة هذه الزيادة على
العامين التي هي الشهر الواردة مبهمة في الرواية السابقة لم يذكرها
ابن منده وهم يريدون الشام في تجارة حتى اذا نزل منزلا وبه سوق
بصرى من ارض الشام وفي ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله عليه وسلم في
ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال من الرجل
الذي في ظل السدرة قال له محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب فقال له والله
هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى ابن مريم عليه السلام الا
محمد صلى الله عليه وسلم اي وقد قال لعيسى عليه السلام لا يستظل
تحتها بعدي الا النبي الهاشمي كما سيأتي في بعض الروايات قال
الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون اي سفر ابي بكر رضي الله عنه معه صلى الله
عليه وسلم في سفرة اخرى بعد سفرة ابي طالب انتهى قول وهي
سفرته مع ميسرة غلام خديجة فانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم
سافر الى الشام اكثر من مرتين ويؤيده ما تقدم من قول الراوي وهم
يريدون الشام في تجارة ثم لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج تاجرا الا
في تلك السفرة وسيأتي ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا
قاله لميسرة لا لابي بكر الا ان يقال لا مانع ان يكون قال ذلك لميسرة ولابي بكر
لكن ربما يبعده ما سيأتي ان سنه صلى الله عليه وسلم حين سافر مع ميسرة
كان خمسا وعشرين سنه على التزاوج لا عشرين وعلى هذا فالشجرة لم تكن
الا عند صومعة الراهب نسطورا الا عند صومعة الراهب بحيرا وذكر

بحيرا هو صنع نسطورا وهو ما وقع في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم
النيسابوري وسلم من بعض الرواة سوى البيه من اتخاذ محلها وهو سوق
بصرى الان فيقال يجوز ان يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا في تلك
الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من دعوى تعدد الشجرة فتكون
واحدة عند صومعة بحيرا واخرى عند صومعة نسطورا وكلا منهما قال
فيها عيسى ما ذكر او من دعوى اتحادها وانها بين صومعة بحيرا وصومعة
نسطورا وان الغير الذي كان فيه ابو طالب نزل بجهة صومعة
بحيرا والغير الذي كان فيه ابو بكر وميسرة نزل بجهة صومعة نسطورا
وسيأتي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه نبي هذه الامة
من اهل الفترة لا من اهل الاسلام لانهما لم يدركا البعثة اي الرسالة
بناء على اقترانها بالنبوة او ان المراد بها النبوة اي لم يدركا النبوة
فضلا عن الرسالة بناء على تأخرها عن النبوة ثم رأيت الحافظ ابن حجر
قال في بحيرا ما ادري ادرك البعثة ام لا هذا كلامه في الاصابة
وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو احد الثمانية الذين قدموا
مع جعفر ابن ابي طالب من الحبشة فعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كاسا من خمر الحديث ومن قال
ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذي لقي
النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والله اعلم

باب ما حفظه الله في صغره

صلى الله عليه وسلم من امر الجاهلية اي من اقذارهم
ومفاسدهم اي بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار
احسنهم خلقا واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واعظمهم حلما وامانة
واصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الحميدة
والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد

والتواضع

والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة فمن ذلك ما ذكره
ابن اسحاق رحمه الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد
رأيتني اي رأيت نفسي في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض
ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى واخذ ازاره وجعله على رقبته
يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني لاكم اي من
الملائكة ما اراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة وقد
يقال لا منافاة لانها مع شدتها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم
ثم قال شد عليك ازارك فاخذته فشددته علي ثم جعلت احمل الحجارة
على رقبتي وازاري علي من بين اصحابي اي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك اي نقل الحجارة عاريا عند اصلاح ابي طالب لزمزم فعن
ابن اسحاق رحمه الله وصححه ابو نعيم قال كان ابو طالب يعالج زمزم
وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره
واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما افاق سأله ابو طالب فقال اتاني آت
عليه ثياب بيض فقال لي استتر فما رؤيت عورته من يومئذ وفي
الخصائص الصغرى ونهي عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث
بخمس سنين وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اي نهيه عن التعري
عند بناء الكعبة كما سيأتي وسيأتي ما فيه ومن ذلك ما جاء عن علي كرم
الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت
بقبيح مما هم به اهل الجاهلية اي ويفعلونه الا مرتين من الدهر
كلتيهما عصمني الله عز وجل منهما اي من فعلهما قلت لفتى كان معي
من قريش باعلى مكة في غنم لاهله يرعاها اي وفي لفظ قلت ليلة لبعض
فتيان مكة ونحن في رعاية غنم اهلنا لم اتفق على اسم هذا الفتى
ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم

واصل السمر الحديث ليلا فخرجت فلما جئت ادنى دار من دور
مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا قالوا فلان
قد تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امراة من قريش فلهوت
بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
اي وهج لفظ فجلست انظر اي اسمع وضرب الله على اذني فوالله
ما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال ما فعلت
فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك اقول المناسب
لقوله عصمني الله ما في الرواية الثانية لا ما ذكر في الرواية
الاولى الا ان يحمل قوله في الرواية الاولى فلهوت على اردت ان الهو
والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بعدهما بسوء مما تعمله
اهل الجاهلية اي ما هممت بسوء مما تعمله اهل الجاهلية غيرهما وفي لفظ
فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشي من ذلك اي مما تفعله اهل
الجاهلية ولا هممت به حتى اكرمني الله تعالى بنبوته ومن ذلك ما جا
عن ام ايمن رضي الله عنها انها قالت كان بوانة بضم الموحدة وبفتح
الموحدة الواو مخففة بعدها الف ونون صنما تحضره قريش
وتعظمه وتنسك اي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما
الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيابى ذلك
حتى قالت رايت ابا طالب غضب عليه صلى الله عليه وسلم
ورايت عماته غضبن عليه يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن انا
نخاف عليك مما تصنع من اجتناب الهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان تحضر
لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى ذهب
فغاب عنهم ما شا الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن ما دهاك فقال

اني

اني اخشى ان بي لمم اي لمة وهو المس من الشيطان فقلن ما كان الله
عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي
رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها اي من تلك الاصنام التي عند
ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل ابيض طويل اي
وذلك من الملائكة يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد
لهم حتى تنبا صلى الله عليه وسلم اقول ظاهر هذا السياق ان اللمم
يكون من الشيطان فوجه يكون بمعنى اللمة وهي المس من الشيطان
كما هنا فقد اطلق اللمم على اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم
في قصة الرضاع قد اصابه لمم او طائف من الجن اذ هو يدل على ان اللمم
يكون من غير الشيطان كمرض وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون
واصاب فلانا من الجن لمة وهي المس اي فقد غاير بينهما والله اعلم
قال ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح
لغير الله اي فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها من السما
الما وانبت لها من الارض الكلا ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذقت
شيا ذبح على النصب اي الاصنام حتى اكرمني الله تعالى برسالته
اي وزيد ابن عمرو كان قبل البعثة زمن الفترة على دين ابراهيم عليه
السلام فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح
التي تذبح للاوثان ونهى عن الوأد اي وتقدم انه كان يحييها اذا
اراد احد ذلك اخذ الموؤدة من ابيها ويكفلها وكان اذا دخل الكعبة
يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد قال
صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده اي يقوم مقام جماعة انتهى
اي فان ولده سعيد قال يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رايت

ويلعنك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيمة
امة واحدة وفي البخاري عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم لقي زيد ابن عمرو بن نفيل قبل ان ينزل على النبي
صلى الله عليه وسلم الوحي وقد قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم
سفرة اي فيها شاة ذبحت لغير الله وقدمها النبي صلى الله عليه وسلم
اليه فابى ان ياكل منها وقال اني لست اكل ما تذبحون على انصابكم ولا
اكل الا ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم
وان ذلك كان هو السبب في ذلك قال الامام السهيلي وفيه سوال كيف
وفق الله تعالى زيدا الى ترك ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله تعالى
عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان اولى بهذه الفضيلة في الجاهلية
لما ثبت من عصمة الله تعالى له اي فكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك من عند
نفسه لا تبعا لزيد ابن عمرو وقد لا يحسن الجواب الذي اشرنا اليه بقوله
واجاب اي السهيلي رحمه الله بانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم اكل من
تلك السفرة اي ولا من غيرها سلمنا انه اكل قبل ذلك مما ذبح على النصب
فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم عليه السلام وانما كان تحريم ذلك
في الاسلام والاصل في الاشيا قبل ورود الشرع على الاباحة هذا كلامه
وفيه ان هذا التسليم يبطل عند السهيلي الشامي ذلك من امر الجاهلية
التي حفظه الله تعالى منه في صغره ويخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد
ابن عمرو وهذا هو رابع اربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الاوثان
والميتة وما يذبح للاوثان كانوا يوما في عيد لصنم من اصنامهم يجزرون
عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض
تعلمون والله ما قومكم على شي لقد اخطاوا دين ابيهم ابراهيم عليه السلام
فاحجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد
يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وظاهر هذا السياق

ان تركهم

٥١

ان تركهم للاوثان كان بعد عبادتهم لها وسياتي عن ابن الجوزي انهم
لم يعبدوها وهولا الثلاثة الذين زيد ابن عمرو رابعهم ورقة بن نوفل
وعبيد الله ابن جحش ابن عمة صلى الله عليه وسلم اميمة وعثمان بن الحويرث
وزاد ابن الجوزي على هولا الاربعة جماعة اخرين سياتي الكلام عليهم
عند الكلام على اول من اسلم وزيد ابن عمرو بن نفيل هذا كان ابن اخي
الخطاب والد سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اخاه لامه فاما ورقة
فلم يدرك البعثة على ما سياتي وكان ممن دخل في النصرانية اي بعد دخوله
في اليهودية كما سياتي واما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة واسلم وهاجر
الى الحبشة مع من هاجر ثم تنصر هناك كما سياتي وكان يمر على المسلمين ويقول
لهم فقحنا وصاصاتم اي ابصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم تبصروا ومات
على نصرانيته واما عثمان ابن الحويرث فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك
الروم وتنصر عنده واما زيد ابن عمرو بن نفيل هذا فصار [illegible]
ويقول لهم والذي نفس زيد ابن عمرو بيده ما اصبح احد منكم على دين
ابراهيم غيري حتى ان عمه الخطاب اخرجه من مكة واسكنه حرا ووكل به من يمنعه
من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم
عليه السلام ويسال الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم اقبل الى
الشام فجا الى راهب به كان انتهى اليه علم اهل النصرانية فساله عن ذلك
فقال له انك لتطلب دينا ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد
اظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم
الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الان هذا زمانه فخرج سريعا يريد
مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له
بيفعة وقيل دفن باصل جبل حرا هذا وفي كلام الواقدي عن زيد ابن
عمرو انه قال لعامر ابن ربيعة انا انتظر نبيا من بني اسمعيل ولا اراني

اني ادركه وانا ادين بدينه واصدقه واشهد انه نبي فان طالت
بك مدة فاقرئه مني السلام قال عامر فلما اسلمت بلغته صلى الله
عليه وسلم عن زيد السلام فرد عليه السلام وترحم عليه وتقدم
ان ولده سعيد رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يستغفر
لابيه زيد فقال نعم استغفر له الحديث قال وعن عايشة رضي
الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة
فوجدت لزيد ابن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين قال الحافظ
ابن كثير اسناده جيد قوي اي وقال الا انه ليس في شيء من الكتب
وفي رواية رايته في الجنة يسحب ذيولا وعن الزهري نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اكل ما يذبح للجن وعلى اسمهم واما ما قيل عند ذبحه
بسم الله واسم محمد فحلال والحلو ان كان القول المذكور حراما لانها معه
التشريك وهذا من جملة الحال المستثناه من قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم
لا اذكر الا وتذكر معي فقد جاء اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي
وربك يقول لك اتدري كيف رفعت ذكرك اي على اي حال جعلت
ذكرك مرفوعا مشرفا المذكور ذلك في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت الله اعلم قال لا اذكر الا وتذكر معي
اي في غالب المواطن وجوبا او ندبا ومن ذلك ما روي عن علي كرم الله وجهه
قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل
شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر
وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان انتهى فتحريم شرب الخمر
في الجاهلية ليس مختصا به صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه
في الجاهلية جماعة كثيرون سياتي ذكر بعضهم وتقدم ذكر بعض منهم
وكون شرب الخمر من الكفر على ما هو ظاهر السياق بمعنى ينبغي ان يجتنب
كما يجتنب الكفر ولعل صدور هذا منه صلى الله عليه وسلم كان بعد تحريم

الخمر

الخمر ويكون الاتيان بذلك للمبالغة في الزجر عنها والتباعد منها
لانها ام الخبايث وقد كانت نفوس غالبهم الفتها وهذا يحمل ما جاء اتاني
جبريل عليه السلام فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله تعالى شيئا
اي مصدقا بما جئت به دخل الجنة اي لا بد ان يدخل الجنة وان دخل النار
قلت يا جبريل وان زنى وان سرق قال نعم قلت وان زنى وان سرق
قال نعم قلت وان زنى وان سرق قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها
تحريمها على الناس والا ففي الخصايص الصغرى وحرمت عليه صلى
الله عليه وسلم الخمر من قبل ما بعث قبل ان تحرم على الناس بعشرين
سنة والله اعلم قال واما ما رواه جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين
خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام
قبل فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ
ابن حجر انكره الناس اي نقد قال الامام احمد كاد ان يقال انه
موضوع او يشبه الموضوع وقال الدارقطني ان ابن ابي شيبة
وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه والمنكر
منه قول الملك عهده باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه
باشر الاستلام وليس ذلك مرادا ابدا بل المراد انه شاهد مباشرة
المشركين استلام اصنامهم اي شهوده صلى الله عليه وسلم بعض
مشاهدهم التي يكون عند الاصنام وقال غيره والمراد بالمشاهد
التي شهدها اي انه كان يشهدها الحلف ونحوها كالصبا فانها
لا في ما منها لا لمشاهدة استلام الاصنام فانه بريء مما تقدم
عن ام ايمن رضي الله عنها انتهى اي من قولها ان بوانة كان صنما

لقريش تعظمه وتعتكف عليه يوما الى الليل في كل سنة الى اخره اي ورده
ايضا ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم لبحيرا لما حلفه باللات والعزى
لا تسالني بهما فالله ما ابغضت شيا قط بغضهما لان مثل اللات والعزى
غيرهما من اصنام نجد لك وما سياتي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله
عنها والله ما ابغضت بغض هذه الاصنام شيا قط وما جا انه صلى الله عليه وسلم
قال لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر

باب رعيه صلى الله عليه وسلم الغنم

قال رعيه بكسر الرا المراد الاسم انتهى
اقول المبين في هذا الكتاب انما هو فعله صلى الله عليه وسلم الذي هو رعية
للغنم لا بيان هيئة رعيه للغنم فرعية بفتح الرا لا بكسرها والله اعلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث
الله نبيا الا رعى الغنم فقال له اصحابه وانت يا رسول الله قال وانا رعيتها
لاهل مكة بالقراريط اي وهي اجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج
الحقيرة قال سويد ابن سعيد يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط موضع
بمكة فقد قال ابراهيم الحربي رحمه الله قراريط موضع ولم يرد بذلك القراريط
من الفضة اي والذهب قال وايد هذا الثاني بان العرب لم تكن تعرف
القراريط التي هي قطع الذهب والفضة بدليل انه جا في الصحيح
ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط ولانه جا في بعض الروايات
لاهلي ولا ارعى لاهله باجرة اي كما جرت بذلك العادة وايضا جا
في بعض الروايات بدل بالقراريط باجياد فدل ذلك على ان
القراريط اسم محل عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد ورد
بان اهل مكة لا يعرفون بها محلا يقال له القراريط ورجح بكون
المراد باهله اهل مكة لا اقاربه التي تقتضي العادة بانه لا يرعى
لهم باجرة والاضافة تاتي لادنى ملابسة ويدل لذلك ما جا في رواية
البخاري

البخاري كنت ارعاها اي الغنم على قراريط لاهل مكة وذكر
البخاري لذلك في باب الاجارة وذلك يبعد ان المراد بالقراريط
المحل وحمل على بعضه البا ورد القول بان العرب لم تكن
تعرف القراريط التي هي قطع الدراهم والدنانير اي ويمنع
دلالة قوله صلى الله عليه وسلم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط
على ذلك لجواز ان يكون المراد بذكر فيها القيراط كثيرا لكثرة التعامل به
فيها واما المراد بالقيراط ما يذكر في المساحة وجمع الحافظ ابن حجر رحمه الله
بانه رعى لاهله اي اقاربه بغير اجرة والمراد بقوله اهلي اهل مكة
اي الشامل لاقاربه ولغيرهم قال فيتحد الخبران ويكون في احد
الحديثين بين الاجرة اي التي هي القراريط وفي الاخر بين المكان
الذي هو اجياد فلا تنافي في ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضي
وقوع الامرين منه صلى الله عليه وسلم وهو مما يتوقف على النقل في ذلك
قال ابن الجوزي رحمه الله كان موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
رعاة غنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحاق رعايته
صلى الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها في بني سعد مع اخيه
من الرضاع اي وقد يتوقف في كون قول ابن الجوزي هذا بمجرده
يرد قول هذا البعض نعم يرده ما تقدم وما ياتي وفي الهدي انه
صلى الله عليه وسلم اجر نفسه قبل النبوة في رعية الغنم ومن حكمة
الله في ذلك ان الرجل اذا استرعى الغنم التي هي اضعف البهائم
سكن قلبه الرافة والرحمة واللطف تعطفا فاذا انتقل من ذلك
الى رعاية الخلق كان قد هذب اولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي
فيكون في اعدل الاحوال ووقع الافتخار بين اصحاب الابل واصحاب
الغنم اي عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال اصحاب الابل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى عليه السلام وهو راعي
غنم وبعث داود عليه السلام وهو راعي غنم وبعثت انا وانا راعي
غنم اهلي باجياد اي وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له
جياد بغير ميم ولعل المراد بقوله صلى الله عليه وسلم راعي غنم وكذا قوله
وانا راعي غنم اي وقد رعى الغنم وقد رعيت الغنم اذ الاخذ بظاهر
الحال بعيد وانظر حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبيا مع قوله
السابق ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم وما يأتي من قوله وما من نبي
الا وقد رعاها وقد قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها
وقال في الغنم سمنها معاشا وصوفها رياشا ودفوها كساسا
وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش اي وفي الحديث
الفخر والخيلا في اصحاب الابل والسكينة والوقار في اهل الغنم
وفي لفظ والكبريا في اهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم في الباب
ولعل هذا لا ينافي ما جاء في الامثال قالوا احمق وفي لفظ اجهل من راعي ضان لما
بي لان الضان تنفر من كل شي فيحتاج راعيها الى جمعها اي وذلك
سبب حمقه وجهله فليتامل وفي رواية الفخر والخيلا وفي لفظ والريا
في اهل الخيل والوبر قال وفيما تقدم في الباب قبل هذا من امر
السمر دليل على ذلك اي على رعايته للغنم ايضا وما رواه جابر
رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث بكاف
مفتوحة فموحدة فمثلثة اي وهو النضيج من ثمر الاراك وفي
الحديث عليكم بالاسود منه فانه اطيب فاني كنت اجتنيه
اذ كنت ارعى الغنم قلنا وكيف ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما
من نبي الا وقد رعاها انتهى اقول وحيث لا ينبغي لاحد عيبه برعاية
الغنم اذ لو قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال
ذلك ادب لان ذلك كان عملا كما في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام

دون

دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالا
في حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية ممن قيل له انت
امي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا يؤدب والله اعلم

باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

اي بكسر الفا بمعنى المفاجرة كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار
البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وخفة الضاد المعجمة عن ابن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعني الحرب المذكورة
مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما احب اني لم اكن فعلت وكان له
صلى الله عليه وسلم من العمر اربع عشرة سنة اي وهذا الفجار
الرابع واما الفجار الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم عشر
سنين وسببه اي هذا الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفاري
كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط
يوما رجله وقال انا اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها
بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فاندرها
اي اسقطها وازالها وقيل جرحه جرحا يسيرا قال بعضهم صح
وهو الاصح فاقتتلوا وسبب الفجار الثاني ان امراة من بني عامر
كانت جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من بني كنانة
فسالها ان تكشف وجهها فابت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد
ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس منها
فنادت المراة يا ال عامر فثاروا بالسلاح ونادى الشاب يا بني
كنانة فاقتتلوا وقوله فسالها ان تكشف وجهها فابت يدل
على ان النسا في الجاهلية كن ما بين كشف وجهها وجوههن
وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل

من بني كنانة فلواه به اي مطله فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان
وقد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله وكان ذلك سببا
لانقضاء الحرب وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم في فجار البراض
وعليه اقتصر في الوفا اي لم يرم فيه باسهم بل قال كنت انبل
على اعمامي اي ارد عليهم نبل عدوهم اذا رموه وقد يقال
لا منافاة لانه ليس في هذه الرواية انه لم يرم بل فيها انه كان
ينبل ويجوز ان يكون اغلب احواله ذلك اي انه كان ينبل اي يرد
النبل فلا ينافي انه رمى في بعض الاوقات باسهم اي وفي
كلام بعضهم كان ابو طالب يحضر ايام الفجار اي فجار البراض وكانت
اربعة ايام وكان معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام واذا جا
هزمت قيس ولعل المراد قيس هوازن فلا ينافي ما ياتي من الاقتصار
على هوازن واذا لم يجي هو اي في يوم من تلك الايام هزمت كنانة
فقالوا لا ابا لك لا تغب عنا ففعل ذكره في الامتاع وذكر فيه انه
صلى الله عليه وسلم طعن ابا براء ملاعب الاسنة في تلك الحروب
اي في بعض تلك الايام وابو براء هذا كان رئيس بني قيس وحامل
رايتهم في تلك الحرب والطعن ظاهر في الرمح محتمل للنبل وظاهر
كلامهم انه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل فيه بغير الرمي بالاسهم على
تقدير صحة تلك الرواية بذلك ولا يبعد ان يكون رمى ولم يصب
احدا اذ لو اصاب احدا لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله
الا ان يقال يجوز ان يكون اصاب مرة لم تذكر فليتامل قال
وسمي الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام انتهى
اقول ظاهر هذا ان حروب الفجار الاربعة اي التي هي فجار البراض وغيره
وظاهر كلامهم انه صلى الله عليه وسلم لم يحضر الا في الفجار الرابع

الذي

الذي هو فجار البراض ثم رايت التصريح بذلك في الوفا وسياذكره
وسياتي في الباب الذي يلي هذا ان حرب الفجار لم يكن في شهر حرام
وسياتي في هذا الباب ما يدل على ذلك اي ان القتال في ذلك
لم يكن في الشهر الحرام وانما كان سببه في الشهر الحرام وهو قتل البراض
لعروة الرحال فقد قيل سبب القتال ان عروة الرحال بتشديد
الحاء المهملة وكان من اهل هوازن اجار لطيمة للنعمان بن المنذر
ملك الحيرة واللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة اي فان
المنذر كان يرسل تلك اللطيمة فتباع في سوق عكاظ ويشترى له
بثمن ذلك ادم من ادم الطائف ويرسل تلك اللطيمة في جوار
رجل من اشراف العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب
كان منهم البراض وهو من بني كنانة وعروة الرحال وهو من بني
هوازن فقال له البراض انا اجيرها على بني كنانة يعني قومه فقال
له النعمان ما اريد الا من يجيرها على اهل نجد وتهامة فقال له
الرحال انا اجيرها لك فقال له البراض اتجيرها على كنانة
فقال نعم وعلى اهل الشيح والقيصوم ونال من البراض فخرج عروة
الرحال مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما استغفله
وثب عليه فقتله اي فانه شرب الخمر وغنته القيان فسكر ونام
فجاءه البراض وايقظه فقال له الرحال ناشدتك الله لا تقتلني
فانها كانت مني زلة وهفوة فلم يلتفت اليه وقتله وذلك
في الشهر الحرام فاتى آت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فقال
لكنانة ان البراض قد قتل عروة الرحال وهو في الشهر الحرام
فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم
قبل دخولهم الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا

اليوم وعاونت قريش كنانه ولا يخفى ان في هذا تصحيح بان
القتال لم يكن في الشهر الحرام لانهم اذا كانوا في الشهر الحرام لا يقاتلون
مطلقا اي وان لم يدخلوا الحرم فكفهم عن قتالهم لتفارينهم دخول
الحرم وقتالهم لهم في اليوم الثاني دليل على ان قتالهم لم يكن في
الشهر الحرام ومكث القتال بينهم اربعة ايام اي كما تقدم اقول
قال السهيلي الصواب ستة ايام والله اعلم قال وشهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعض تلك الايام اخرجه اعمامه معهم اي ويدل
لما تقدم من انه كان اذا حضر غلب كنانه واذا لم يحضر هزمت
وفي بعض تلك الايام وهو اشدها اي وهو اليوم الثالث قيد
امية وحرب ابنا امية ابن عبد شمس وابو سفيان ابن حرب انفسهم
كيلا يفروا فسموا العنابس اي الاسود انتهى اي وحرب والد
ابي سفيان وامية اخوه ماتا على الكفر وابو سفيان اسلم كما سياتي
ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاءوا
للوعد اي وكان امر قريش وكنانه الى عبد الله بن جدعان وقيل
كان الى حرب ابن امية والد ابي سفيان لانه كان رئيس قريش
وكنانه يومئذ وكان عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس يتيما في حجر
حرب فضن اي بخل به حرب واشفق اي خاف من خروجه معه فخرج عتبة
بغير اذنه فلم يشعروا اي يعلم به الا وهو على بعيره بين الصفين
ينادي يا معشر مضر علام تقاتلون فقالت له هوازن ما تدعوا
اليه قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن
دمائنا اي فان قريشا وكنانه كان لهم الظفر على هوازن بقتلهم
قتلا ذريعا اي وذلك لانه في انهزامهم في بعض الايام قالوا
وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى ان نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا
بهذا قال انا قالوا ومن انت قال انا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس

فرضيت به

فرضيت به هوازن وكنانه وقريش ودفعوا الى هوازن
اربعين رجلا فيهم حكيم ابن حزام وهو ابن اخي خديجة بنت
خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها كما تقدم
فلما رأت هوازن الرهن في ايديهم عفوا عن الدماء واطلقوهم
وانقضت حرب الفجار وفي رواية وودت قريش قتلى هوازن
ووضعت الحرب اوزارها وقد يقال لعل تقدير صحة هذه الرواية
يراد بودت التزمت ان تديها فكان انقضاؤها على يد عتبة
ابن ربيعة وهو ممن قتل كافرا ببدر وهو ابو هند زوج ابي
سفيان ام معاوية رضي الله عنها وعن زوجها وولدها المذكور
وكان يقال لم يسد مملق اي فقير الا عتبة بن ربيعة وابو طالب
فانهما سادا بغير مال وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة
وابو طالب وكانا افلس من ابي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس
لم يكن يجد مونة ليلته وكذا ابوه وجده وابو جده وجد
جده كلهم يعرفون بالافلاس هذا والذي في الوفا الاقتصار
على ان حرب الفجار كان مرتين المرة الاولى كانت المحاربة فيه
ثلاث مرات المرة الاولى سببها قضية بدر بن معشر الغفاري
والمرة الثانية كان سببها قضية المراة والثالثة سببها قضية
الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرات واما
المرة الثانية فكانت بين هوازن وكنانه وقد حضرها صلى الله
عليه وسلم وقد يقال لا خلاف في المعنى **باب شهوده صلى
الله عليه وسلم حلف الفضول** وهو اشرف حلف في العرب
والحلف في الاصل اليمين والعهد وسمي العهد حلفا لانهم
يحلفون عند عقده وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار

لان حرب الفجار كان في شوال اي وقيل في شعبان لا في الشهر الحرام اي وان
كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال كان في الشهر الحرام كما تقدم وكون
هذا الحلف كان منصرف قريش من حرب الفجار ظاهر في انه كان بعد
انقضا الحرب وقيل لمجي لعدم مجيئهم للموعد من قابل لان عند مجيئهم من قابل
للموعد لم يقع حرب الا ان يقال اطلق عليه حرب باعتبار انهم كانوا عازمين
علي المحاربه وهذا الحلف كان في ذي القعده واول من دعي اليه الزبير
ابن عبد المطلب اي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيق ابيه كما تقدم
٥ فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنوا اسد ابن عبد العزى
وذلك في دار عبد الله ابن جدعان التيمي كانوا بنوا تيم في جاية
كاهل بيت واحد لقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي
مناديه من اراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده
الفالوذج يطعمه قريشا اي وسبب ذلك انه كان اولا يطعم التمر
والسويق ويسقي اللبن فاتفق ان امية بن ابي الصلت مر على بني عبد
المدان فراى طعامهم لباب البر والشهد فقال امية ، ولقد رايت
، الفاعلين وفعلهم ، فرايت اكرمهم بني الديان ، البر يلبك بالشهاد
، لا يعللنا بنو جدعان ، فبلغ شعره عبد الله ابن جدعان وكان
يطبخ عنده الفالوذج فارسل الى بصرى الشام تحمل اليه
البر والشهد والسمن وجعل ينادي منادي الا هلموا الى جفنة
عبد الله ابن جدعان ومن مدح امية ابن الصلت في ابن جدعان
قوله ، اذكر حاجتي ام قد كفاني ، حياؤك ان شيمتك الحياء ،
، اذا اثنى عليك المرء يوما ، كفاه من تعرضك الثناء ،
، كريم لا يغيره صباح ، عن الخلق الجميل ولا مساء ،
، يباري الريح مكرمة وجودا ، اذا ما الضب احجره الشتاء ،

وكان

وكان عبد الله ذا شرف وكان وانه من جملة من حرم الخمر على نفسه في
الجاهليه ٥ اي بعد ان كان بها مغرما وسبب ذلك انه سكر
ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه
جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحى فحلف ان لا يشربها ابدا
وممن حرمها على نفسه في الجاهليه عثمان بن مظعون رضي الله عنه
وقال لا اشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك بي من هو ادنى مني ويحملني
على ان انكح كريمتي من لا اريد فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما
وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه
ما بل بحر صوفة اي الابد وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام
ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال
لا لانه لم يقل يوما وفي رواية انه لم يقل ساعة من ليل او نهار
رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين اي لم يكن مسلما لان القول المذكور
لا يصدر الا عن مسلم فلا يقال مقتضى الحديث انه لو قال ذلك لنفعه
ما ذكر يوم القيامة مع كونه كان كافرا لانه ممن ادرك البعثة ولم يؤمن
وحينئذ باز عن الحكمة في عدوله صلى الله عليه وسلم الى ذلك عن قوله
لانه لم يؤمن بي او لم يكن مسلما اي وكان يكنى ابا زهير وقد قال صلى الله
عليه وسلم في اسرى بدر لو كان ابو زهير او مطعم ابن عدي حيا
فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة ابن جدعان كان يأكل منها
الراكب على البعير اي وسيأتي في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم
ذكر انه ازدحم هو وابو جهل وهما غلامان على مادبة لابن جدعان
وانه صلى الله عليه وسلم دفع ابا جهل لعنه الله فوقع على ركبته
فجرحه جرحا اثر فيها اي وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت

استظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي اي في الهاجرة وسميت
الهاجرة بذلك لان عمي تصغير اعمى على الترخيم رجل من العماليق
اوقع بالعدو القتل في مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل من عدوان
كان فقيه العرب في الجاهلية فقدم في قومه معتمرا فلما كان على
مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في نحر الظهيرة من اتى مكة غدا
في مثل هذا الوقت كان له اجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة
حتى اتوا مكة من الغد في وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالفه قول
ابن عباس رضي الله عنهما عجلنا الرواح للمسجد صكة الاعمى فقيل
ما صكة الاعمى قال انه لا يبالي اية ساعة خرج وكان عبد الله بن
جدعان في ابتداء امره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال
يجني الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه حتى ابغضه عشيرته وطرده
ابوه وحلف لا يأويه ابدا فخرج هائما في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى
شقا في جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج
فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب اي رجع عنه
فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسك
بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل
الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد
في ذلك المحل اموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من
الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فاخذ منه ما اخذ ثم علم ذلك الشق
بعلامة وصار ينقل منه ذلك شيئا فشيئا ووجد في ذلك الكنز
لوحا من رخام فيه انا نفيلة بن جرهم بن قحطان اي هود نبي الله
عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها وباطنها
في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت

ثم بعث

ثم بعث عبد الله بن جدعان الى ابيه بالمال الذي دفعه في جناياته
ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم
الناس ويفعل المعروف قال وفي رواية تحالفوا على ان يردوا
الفضول على اهلها ولا يغز ظالم على مظلوم اي وجه فالمراد بالفضول
ما يؤخذ ظلما وقيل ان هذا اي رد الفضول مدرج من بعض الرواة زاده
بعضهم على ما بل بحر صوفة وما رسا حراء وثبير بمكانيهما انتهى اي
فالمراد الابد كما تقدم وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي بحلف حضرته في دار
ابن جدعان حمر النعم اي الابل واني اغدر به بالغين المعجمة
والدال المهملة اي لا احب الغدر به وان اعطيت حمر الابل في
ذلك قال وفي رواية لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا
ما احب ان لي به حمر النعم اي بفواته ولو دعي به في الاسلام لاجبت
اي لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان
الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم وفيه ان الاسلام
قد رفع ما كان من دعوى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند الحرب
والتعصب واجيب بان هذا مستثنى فالدعوة به جائزة وفي
اخرى ما شهدت حلفا لقريش الا حلف المطيبين شهدته مع عمومتي
ما احب ان لي بحمر النعم واني كنت نقضته اي لا احب نقضه وان
دفع لي حمر النعم الابل في مقابلة نقضه والمطيبون هم هاشم وزهرة
اي بنو زهرة ابن كلاب وامية ومخزوم قال البيهقي كذا روي هذا
التفسير اي ان المطيبين هاشم وزهرة وامية ومخزوم مدرجا ولا
ادري من قاله وعبارته في السنن الكبرى لا ادري هذا التفسير
من قول ابي هريرة او من دونه هذا كلامه فان النبي صلى الله عليه وسلم

لم يدرك حلف المطيبين اي لانه لما تقدم وقع بين بني عبد مناف
ابن قصي وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبنو زهرة
وبنوا اسد ابن عبد العزى وبنوا تميم وبنوا الحارث ابن فهر وهم
المطيبون وبين بني عمهم عبد الدار بن قصي واحلافهم بنو مخزوم
وغيرهم ويقال لهم الاحلاف فيما تقدم وذلك قبل ان يولد النبي صلى الله
عليه وسلم وحيث لم يدرك صلى الله عليه وسلم حلف المطيبين يصير
المدرج لفظ المطيبين مع تفسيره بمن ذكر لان المدرج تفسيره
بمن ذكر فقط كما يقتضيه كلام البيهقي وقد تكون الرواية ما شهدته
حلفا لقريش الا حلفا عمومتي الحديث فذكر الراوي ان حلف الفضول
هو حلف المطيبين فذكر لفظ المطيبين وبينهم وقد يقال ذكر ابن
اسحاق انه لما قام عبد الله بن جدعان هو والزبير ابن عبد المطلب
في الدعوى للتحالف اجابهما بنو هاشم وبنوا المطلب وبنوا اسد
وبنوا زهرة وبنوا تميم هذا كلامه ولا يخفى ان هولاء المطيبين
اطلق على هذا الحلف الذي هو حلف الفضول حلف المطيبين
لانهم العاقدون له فليتأمل وسمي بالفضول قيل لما تقدم
من انهم تحالفوا على ان يردوا الفضول على اهلها وقيل لانه
يشبه حلفا وقع لثلاثة من جرهم كل واحد يقال له الفضل
وعبارة بعضهم لان الداعي اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم
كل واحد منهم فضل وهم الفضل ابن فضالة والفضل ابن وداعة
والفضل ابن الحارث والفضيل في اشرافهم ببادر رجوعه الى قريش
وهولاء الثلاثة تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول
جمع فضل وقيل لانهم اي هولاء الذين تحالفوا فيه ثم اخرجوا فضول
اموالهم للاضياف وقيل لان قريشا قالوا عن هولاء الذين تحالفوا

لقد دخل

٥٩

لقد دخل هولا في فضول الامر والسبب في هذا الحلف والحامل عليه
ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص ابن وائل
وكان من اهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه
الزبيدي الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدي بن كعب
فابوا ان يعينوا على العاص وانتهروه اي الزبيدي فلما رأى
الزبيدي الشر رقي على ابي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في
انديتهم حول الكعبة فنادى باعلى صوته يا ال فهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الدار والنفر ومحرم اشعث لم يقض عمرته
يا للرجال وبين الحجر والحجر ان الحرام لمن تمت مكارمه
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر والحرام بمعنى الاحترام فقام في ذلك
الزبير ابن عبد المطلب اي مع عبد الله بن جدعان كما تقدم واجتمع
اليه من تقدم وقيل قام فيه العباس وابو سفيان رضي الله عنهما
وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم
حتى يودى اليه حقه شريفا او وضيعا ثم مشوا الى العاص بن وائل
فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه انتهى اقول ذكر
السهيلي ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا ومعه بنت
له من اوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه ابن الحجاج فقيل له
عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول
فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسيافهم اي
جردوها يقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمني في
بنتي فانتزعها مني قسرا فساروا اليه حتى وقفوا على باب داره
فخرج اليهم فقالوا له اخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما
تعاقدنا اليه فقال افعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله

ولا شحب لنجية اي مقدار زمن ذلك فاخرجها اليهم وفي سيرة
الحافظ الدمياطي رحمه الله انه كان بين الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن ابي سفيان منازعة
في مال متعلق بالحسين رضي الله عنه فقال الحسين للوليد احلف
بالله لتنصفني من حقي او لآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون لحلف الفضول اي لحلف
كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على ظالمه ووافقه على ذلك
جماعة منهم عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما لانه كان اذ ذاك
في المدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه
حتى رضي والله اعلم **باب سفره صلى الله عليه وسلم الى
الشام ثانيا** وذلك مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد
رضي الله تعالى عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين
سنة اي على الراجح من اقوال ستة وعليه جمهور العلما وتلك اقوال
ضعيفة لم تقم لها حجة على ساق وليس له صلى الله عليه وسلم اسم
الا الامين لما تكامل فيه من خصال الخير لما تقدم وسبب ذلك ان
عمه ابا طالب قال له يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد
الزمان اي القحط وألحت علينا اي اقبلت ودامت سنون
منكرة اي شديدة الجدب وليس لنا مادة اي ما يمدنا وما يقوتنا
ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم ابانها الابل التي تحمل الميرة
وفي رواية عيرات جمع عير وقد حضر خروجها الى الشام وخديجة
بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فيتجرون لها في مالها
ويصيبون منافع فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت
اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت
لاكره

لاكره ان تاتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ترسل الي في ذلك فقال ابو طالب
اني اخاف ان تولي غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة
رضي الله عنها ما كان من محاورة عمه ابي طالب له فقالت ما علمت انه يريد
هذا ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم فقالت انه دعاني الى البعثة
اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم اخلاقك
وانا اعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقي عمه ابا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك
فخرج مع غلامها ميسرة اي جهة الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعصي له
امرا ولا تخالف له رايا وجعل عمومته يوصون به اهل العير اي ومن
حين سيره صلى الله عليه وسلم اظلته الغمامة فلما قدم صلى الله عليه وسلم
الشام نزل في سوق بصرى في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال
له نسطورا اي بالقصر فاطلع الراهب الى ميسرة وكان يعرفه
فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت الشجرة فقال ميسرة رجل
من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة
قط الا نبي اي صانها الله تعالى عن ان ينزل تحتها غير نبي ثم قال
له افي عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه قال الراهب هو هو وهو اخر
الانبيا ويا ليت اني ادركه حين يؤمر بالخروج اي يبعث فوعى ذلك
ميسرة اي والحمرة كانت في بياض عينيه وهي الشكلة ومن ثم قيل
في وصفه صلى الله عليه وسلم اشكل العين فهذه الشكلة من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة اي وقد تقدم ذلك قال
وفي الشرف للنيسابوري فلما راى الراهب الغمامة تظله صلى الله عليه وسلم
فزع وقال ما انتم اي اي شي انتم قال ميسرة غلام خديجة فدنا الى

إلى النبي صلى الله عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدمه
وقال آمنت بك وأشهد أنك الذي ذكره الله في التوراة ثم قال
يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها أي العلامات الدالة على نبوتك
المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لي عن كتفك
فأوضح له فإذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله ويقول
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر
بك عيسى ابن مريم فإنه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا
النبي الأمي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة
وصاحب لواء الحمد أقول قال في النور ولم أجد أحدا عد هذا الراهب
الذي هو نسطورا في الصحابة كما عد بعضهم فيها بحيرا الراهب
وينبغي أن يكون هذا مثله هذا كلامه وقد قدمنا أنه ينبغي أن
بحيرا أو نسطورا ونحوهما ممن صدق بأنه نبي هذه الأمة من أهل الفترة
لا من أهل الإسلام فضلا عن كونه صحابيا لأن المسلم المقر برسالته
صلى الله عليه وسلم بعد وجودها إلى آخر ما بك ومن ثم ذكر
الحافظ ابن حجر في الإصابة أن بحيرا ممن ذكر في كتب الصحابة غلطا
قال لأن تعريف الصحابي لا ينطبق عليه وهو مسلم لقي النبي صلى الله
عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك قال فقوله مسلم يخرج من لقيه
مؤمنا قبل أن يبعث كهذا الرجل يعني بحيرا هذا كلامه ومراده
ما ذكرناه ولعل نسطورا هذا هو الذي تنتسب إليه النسطورية
من النصارى فإن النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية قالوا
عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله هبط إلى الأرض ثم
صعد إلى السماء وملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه وزاد بعضهم
فرقة رابعة وهم إسرائيلية قالوا إنه إله وأمه إله والله إله وهذا
وفي

61

وفي القاموس النسطورية بالضم وتفتح أمة من النصارى تخالف
بقيتهم وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في أيام المأمون وتصرف
في الإنجيل برأيه وقال إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة وهو بالرومية
نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فإنها افترقت إلى قرائية
وربانية وسامرية ولا يخفى أن بقاء تلك الشجرة هذا الزمن الطويل
قبل عيسى وبعده إلى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على خلاف العادة
وصرفه غير الأنبياء عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا صرف الأنبياء الذين
وجدوا بعد عيسى على ما تقدم عن النزول تحت تلك الشجرة بعد
عيسى الذي دلت عليه الرواية الأولى والرواية الثانية ممكن وإن
كانت الشجرة لا تبقى في العادة هذا الزمن الطويل ويبعد في العادة
أن يكون شجرة تخلو عن أن ينزل تحتها أحد غير الأنبياء لأن هذا الأمر
مع كونه ممكنا خارق للعادة والأنبياء لهم خرق العوائد سيما نبينا صلى الله
عليه وسلم وبهذا يرد قول السهيلي يريد ما نزل تحت هذه الشجرة
الساعة إلا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعد العهد
بالأنبياء قبل ذلك وإن كان في لفظ الخبر قط أي كما تقدم فقد تكلم
بها على جهة التأكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل
حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أو غيره من الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام ويبعد في العادة أيضا أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها
أحد حتى يجيء نبي هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون هذه الشجرة
شجرة زيتون فقد ذكر أن شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة
على أن في بعض الروايات ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
يابسة بجر عودها فلما اطمأن تحتها اخضرت وأورقت واعشوشب ما
حولها وأينع ثمرها وتدلت أغصانها ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المختار عند جمهور المحققين من اهل السنة ان كل ما جاز وقوعه
للانبيا من المعجزات جاز للاوليا مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي
لان المعجزة يعتبر فيها التحدي وان يكون بعد النبوة وما قبل النبوة
كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يتبعه ما ذكر عن الشيخ رسلان
رحمه الله ونفعنا به انه كان اذا استند الى شجرة يابسة قد
ماتت تورق ويخرج ثمرها في الحال على انه سياتي في الكلام على
غزاة الخندق ان كرامات الاوليا معجزات الانبيا لهم ولما راي الراهب
ما ذكر لم يتمالك الراهب ان انحدر من صومعته وقال له باللات والعزى
ما اسمك فقال له اليك عني ثكلتك امك ومع ذلك الراهب رق
مكتوب فجعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل التوراة فظن
بعض القوم ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى
سيفه وصاح يا ال غالب يا ال غالب فاقبل الناس يهرعون اليه
من كل ناحية يقولون ما الذي راعك فلما نظر الراهب الى ذلك اقبل
يسعى الى صومعته فدخلها واغلق عليه بابها ثم اشرف عليهم
فقال يا قوم ما الذي راعكم مني فوالذي رفع السموات بغير
عمد اني لاجد في هذه الصحيفة ان النازل تحت هذه الشجرة هو
رسول رب العالمين يبعثه الله بالسيف المسلول وبالذبح الاكبر
وهو خاتم النبيين فمن اطاعه نجى ومن عصاه غوى ثم حضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى
قال ولم اقف على تعيين ما باعه وما اشتراه صلى الله عليه وسلم
انتهى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال رجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول
قولك ثم قال الرجل لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا نبي

والذي

والذي نفسي بيده انه لهو الذي تجده احبارنا منعوتا اي في
الكتب فوعى ميسرة ذلك اي وقبل ان يصلوا الى بصرى عيي بعيران
لخديجة وتخلف معهما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول
الركب فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى البعيرين فوضع يده على اخفافهما وعوذهما
فانطلقا في اول الركب ولهما رغا قال وفي الشرف انهم باعوا متاعهم
وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة اربعين
سنة ما رأينا ربحا قط اكثر من هذا الربح على وجهك انتهى واقول
لا يخفى ما في قول ميسرة اتجرنا لخديجة اربعين سنة ولعله مصحف
عن سفرة او هو على المبالغة والله اعلم ثم انصرف اهل العير جميعا
راجعين وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه صلى الله عليه وسلم
من الشمس وهو على بعيره اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا
هو المصنف بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم
باظلال الملائكة له في سفره ويحتمل ان المراد في كل سفر
سافره لكن لم اقف على اظلال الملائكة له في غير هذه
السفرة وقد القى الله تعالى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قلب ميسرة فكان كانه عبده فلما كانوا بمر الظهران اي وهو
واد بين مكة وعسفان وهو الذي تسميه العامة بطن مرو وهو
المعروف الآن بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وسلم
هل لك ان تسبقني الى خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك
بكرة الى بكرتيك اي وفي رواية تخبرها بما صنع الله تعالى لها على
وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم حتى دخل مكة في الظهيرة

الظهيرة وخديجة رضي الله عنها في علية اي في غرفة مع نساء فرات
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره
وملكان يظلان عليه فارته نساها فعجبن لذلك ودخل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت
تربح فسرت بذلك وقالت اين ميسرة قال خلفته في البادية
قالت عجل اليه ليعجل بالاقبال وانما ارادت ان تعلم اهو الذي
رات ام غيره فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعدت خديجة
تنظر فرات انه صلى الله عليه وسلم على الحالة الاولى فاستيقنت
انه هو فلما دخل عليها ميسرة اخبرته بما رات فقال لها ميسرة
قد رايت هذا منذ خرجنا من الشام والى ذلك اشار الامام السبكي
في تائيته بقوله ومبسرة قد عاين الملكين اذ اظلاك لما سرت ثاني سفرة
واخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا وقول الاخر الذي خالفه
اي استحلفه في البيع اي وقصة العير اي وح اعطت خديجة
رضي الله عنها له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمته له اي وما سمت
له ضعف ما كانت تعطيه لرجل من قومه كما تقدم وقول ميسرة له
فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتيك يدل على انها سمت له
صلى الله عليه وسلم بكرتين وكانت تسمي لغيره صلى الله عليه وسلم
بكرة وفي كلام بعضهم وفي الروض الباسم استاجرته صلى الله عليه وسلم
على اربع بكرات وفي الجامع الصغير ما نصه اجرت نفسي من خديجة
سفرتين بقلوصين ثم رايت في الامتاع ما يوافق ذلك ونصه
واجر صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة مرتين بقلوصين وفي
السفرة الاولى ارسلته صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة
الى سوق حباشة اي وهو مكان بارض اليمن بينه وبين مكة

ست ليال

ست ليال كانوا يقيمون فيه ثلاثة ايام من اول رجب في
كل عام فابتاعا منه بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا وفي
السفرة الثانية ارسلت مع عبدها ميسرة الى الشام وفيه
ان سفره مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة ففي مستدرك الحاكم
وصححه واقره الذهبي رحمه الله عن جابر ان خديجة ارسلت
صلى الله عليه وسلم سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع
باليمن كل سفرة بقلوص وهي الشابة من الابل وهو يفيد انه صلى
الله عليه وسلم سافر لها سفرات كما تقدم ولعل سوق حباشة هو
جرش والا لزم ان يكون سافر لها خمس سفرات اربعة الى اليمن
وواحدة الى الشام وما تقدم عن الروض الباسم من انها استاجرته
صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام باربع بكرات لا يناسب
ما تقدم عن ميسرة وقد جاء في بعض الروايات ان ابا طالب جا
لخديجة وقال لها هل لك ان تستاجري محمدا فقد بلغنا انك
استاجرت فلانا ببكرتين ولسنا نرضى لمحمد دون اربع بكرات
فقالت خديجة لو سالت ذلك لبعيد بغيض فكيف وقد سالت
لحبيب قريب ثم لا يخفى ان كون سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة
بسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام مخالف لظاهر ما تقدم
من قول عمه ابي طالب وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى
الشام فلو جئتها فوضعت نفسك عليها وقول خديجة ما علمت
انه يريد هذا وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون بعد قول
ابي طالب وقولها المذكور ارسلته صلى الله عليه وسلم مع ميسرة
الى سوق حباشة لقرب مسافته وقصر زمنه ثم ارسلته مع ميسرة
الى الشام او كانت خديجة لا تجوز ان ابا طالب يرضى بسفره الى

الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتأمل وتقدم
انه صلى الله عليه وسلم حين رجع من سفره اي من مكة صارت الغمامة
تظله فان كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب
والملكان يظلانه في العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة
رضي الله عنها لتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم في ذهابه
انه لم يتفطن لها مثلا ولكن سيأتي في كلام صاحب الهمزية
ما يدل على ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع رؤية البشر
غيره صلى الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وفي المنقذ
من الضلال للغزالي رحمه الله ان الصوفية يشاهدون الملائكة
في يقظتهم اي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم
العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم
على الله بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله اعلم قال ولم اقف على اسم
الرجل الذي حالفه اي استحلفه وقال الحافظ ابن حجر لم اقف على
رواية صحيحة صريحة فيه بانه اي ميسرة بقي الى البعثة انتهى ثم ان
خديجة رضي الله عنها ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به غلامها
ميسرة لابن عمها ورقة اي ابن نوفل وكان نصرانيا اي بعد ان كان يهوديا
على ما ياتي قد تتبع الكتب فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة ان
محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي منتظر
هذا زمانه اي وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة قبل
ان يتجر لخديجة وكان صلى الله عليه وسلم شريكا للسايب بن ابي السايب
صيفي ولما قدم عليه السايب يوم فتح مكة قال صلى الله عليه وسلم
مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري اي لا يرائي ولا يماري اي يخاصم
صاحبه وهذا يدل على ان قوله كان لا يداري الخ من قوله صلى الله
عليه وسلم وقد قال فقهاؤنا رحمهم الله والاصل في الشركة

خبر السايب

خبر السايب بن يزيد انه كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم
قبل البعث اي قال كان صلى الله عليه وسلم شريكي نعم الشريك
لا يداري ولا يماري ولا يشاري والمشاراة الملاحة في الامر
واللجاج فيه وهو يدل على ان ذلك كان من قول السايب ولا مانع
ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسايب قال في حق الآخر
لا يداري ولا يماري وبهذا يندفع قول بعضهم اختلفت الروايات في
هذا الكلام الذي هو كان خير شريك كان لا يشاري ولا يماري فمنهم
من يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم في السايب ومنهم من يجعله
من قول السايب في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان لا يكون مخالفة
بين السايب ابن ابي السايب صيفي وبين السايب بن يزيد لانه يجوز ان
يكون صيفي لقبا لوالده واسمه يزيد وفي الاستيعاب وقع اضطراب
هل الشريك كان ابا السايب او ولده السايب بن ابي السايب او ولده
السايب وهو قيس ابن السايب بن ابي السايب او لاخي السايب وهو
عبد الله بن ابي السايب قال وهذا اضطراب لا يثبت به شيء ولا يقوم به
حجة والسايب ابن ابي السايب من المؤلفة اعطاه صلى الله عليه وسلم
يوم الجعرانة من غنايم حنين وبه يرد قول بعضهم ان السايب بن ابي
السايب قتل يوم بدر كافرا ومما يدل على ان الشريك كان قيس بن
السايب رضي الله عنه قوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الجاهلية شريكي فكان خير شريك كان لا يشاري ولا يماري
ووجه الدلالة انه صلى الله عليه وسلم سمع قوله كان شريكي واقره
عليه وذكر في الامتاع ان حكيم بن حزام اشترى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم بزا من بز تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان
ذلك سببا لارسال خديجة له صلى الله عليه وسلم مع عبدها ميسرة
الى سوق حباشة ليشتري لها بزا وفي سفر السعادة انه صلى الله

عليه وسلم وقع منه انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة
كان شراؤه اكثر من البيع وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات واما
شراؤه فكثير واجر واستاجر والاستيجار اغلب ووكل وتوكل
وكان توكله اكثر **باب تزوجه صلى الله عليه وسلم خديجة** بنت خويلد
رضي الله عنها ابن اسد ابن عبد العزى بن قصي فهي رضي الله عنها
تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر رحمه الله
وهي من اقرب نسائه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من
ذرية قصي غيرها الا ام حبيبة رضي الله عنها هذا الكلام وعن نفيسة
بنت منية رضي الله عنها اي وهي اخت يعلى ابن منية ففي الامتاع ،
منية اخت يعلى بن منية وعليه يكون ضمير وهي راجع لمنية لا لنفيسة
قالت كانت خديجة بنت خويلد امراة حازمة اي ضابطة جلدة اي قوية
شريفة اي مع ما اراد الله تعالى لها من الكرامة والخير وهي يومئذ
اوسط نساء قريش نسبا واعظمهم شرفا واكثرهم مالا اي واحسنهم
جمالا وكانت رضي الله عنها تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي لفظ
كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط في ذكر النسب من اوصاف
المدح والتفضيل يقال فلان اوسط القبيلة اعرقها في نسبها وكل
قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وذكروا لها
الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسة اي خفية الى محمد بعد ان رجع
في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك ان تتزوج فقال
ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال
والجمال والشرف والكفاية الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال
وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت علي وانا
افعل فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه صلى الله عليه وسلم ان ائت
ساعة

ساعة كذا وكذا فارسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوجها فحضر ودخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه احدهم اي وهو
ابو طالب على ما ياتي وقال في خطبته وابن اخي له في خديجة
بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن اسد هذا الفحل
لا يقدع انفه اي بالقاف والدال المهملة اي لا يضرب انفه لكونه
كريما لان غير الكريم اذا اراد ركوب الناقة الكريمة يضرب انفه
ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها ابوها خويلد بن اسد
وكان سكرانا من الخمر فالقت عليه خديجة حلة وهي ثوب فوق ثوب
لان الاعلا يحل فوق الاسفل وضمخته بخلوق اي لطخته بطيب
٥ مخلوط بزعفران ٥ فلما صحي من سكره قال ما هذه الحلة والطيب
فقيل له لانك انكحت محمدا خديجة او وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه
وامضاه اي لان خديجة استشعرت من ابيها انه يرغب عن ان يزوجها
له فصنعت له طعاما وشرابا ودعت اباها ونفرا من قريش فطعموا
وشربوا فلما سكر ابوها قالت له ان محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني
اياه فزوجها فخلقته والبسته لان ذلك اي الباس الحلة وجعل
الخلوف به كان عادتهم ان الاب يفعل به ذلك اذا زوج ابنته فلما
صحي من سكره قال ما هذا قالت له خديجة زوجتني من محمد بن
عبد الله قال انا ازوج يتيم ابا طالب لا لعمري فقالت له خديجة
رضي الله عنها الا تستحي تريد ان تسفه نفسك عند قريش تخبرهم
انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضي ٥ وهذا مما يدل على ان
شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة حرموها
على انفسهم في الجاهلية منهم من تقدم ومنهم من يأتي وفي رواية
انها عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابن عم اني قد

رغبت فيك لقرابتك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر
ذلك صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فزوجها اقول
قال في النور ولعل الثلاثة اي اباها واخاها وعمها حضروا ذلك
فنسب الفعل الى كل واحد منهم هذا كلامه وكون الزوج لها ابوها
خويلد او كونه حضر تزويجها نظرا لان المحفوظ عند اهل العلم ان خويلد
ابن اسد مات قبل حرب الفجار المتقدم ذكرها قال بعضهم وهو الذي
نازع تبعا حين اراد اخذ الحجر الاسود الى اليمن فقام في ذلك خويلد
وقام معه جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه ما ردعه عن ذلك
فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون الزوج له عمه حمزة رضي الله عنه
اقتصر ابن هشام رحمه الله في سيرته وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصدقها عشرين بكرة وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج
معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها
اليه ففعل وحضره ابو طالب ورؤسا مضر فخطب ابو طالب
وقال الحمد لله لغضه والله اعلم قال وعن ابن اسحاق انها قالت
له يا محمد الا تتزوج قال ومن قالت انا قال ومن لي بك انت ايم
قريش وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث اي وفيه اطلاق اليتيم
على البالغ وذلك بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالعرف اي
الشرعي واللغوي خصه بغير البالغ ممن مات ابوه لحقيقي وعن
بعضهم قال مررت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على اخت خديجة
فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ما لصاحبك هذا من حاجة في تزويج خديجة فاخبرته فقال بلى لعمري
فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم

فوجدناهم

فوجدناهم قد ذبحوا بقرة والبسوا ابا خديجة حلة الحديث وفي الامتاع
بعد ان ذكر ان السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه قيل
كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة وقد يقال لا منافاة
لجواز ان يكون كل ممن ذكر كان سفيرا وفي الشرف ان خديجة رضي الله
عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له تعجل الينا
بالغداة فلما جاءها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له
يا ابا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن اخيك محمد بن عبد الله قال
ابو طالب يا خديجة لا تستهزئي فقالت هذا صنع الله فقام فذهب وجاء
مع عشرة من قومه الى عمها الحديث اي وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤسا
مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد ببني هاشم اولئك العشرة وانهم كانوا
هم المراد برؤسا مضر في ذلك الوقت وذكر ابو الحسين بن فارس وغيره
ان ابا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم
وزرع اسماعيل وضئضئ معد اي معدنه وعنصر مضر اي اصله
وجعلنا حضنة بيته اي المتكفلين بشأنه وسواس حرمه
اي القائمين بخدمته وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا
حكام الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل
الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان في المال قل
فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة وهو والله
بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم
خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله واجله اثنتي عشرة اوقية
ونشا اي وهو عشرون درهما والاوقية اربعون درهما اي فكانت
الاواق والنش من ذهب كما قال المحب الطبري اي فيكون جملة الصداق
خمسمائة درهم شرعي وقيل اصدقها عشرين بكرة اي كما تقدم اقول

لامنافاة لجواز ان يكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور وقال
بعضهم يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم
من عنده تلك البكرات في صداقها فكان الكل صداقا والله اعلم
قال وما قيل ان علي كرم الله وجهه ضمن المهر فهو غلط لان علي لم
يكن ولد على جميع الاقوال في مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون
علي ضمن المهر غلط لان عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين اي لانه
ولد في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون فاكثر وسنه حين
تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ما تقدم وزيادة شهرين
وعشرة ايام وقيل خمسة عشر يوما على ما ياتي وقيل الذي ولد في الكعبة
حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة لكن في النور
حكيم ابن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره واما ما روي
ان عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء قال النووي وعند ذلك قال
عمها عمرو بن اسد هو الفحل لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل قائل
ذلك ورقة بن نوفل اي فانه بعد ان خطب ابو طالب بما تقدم خطب
ورقة فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت
فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك لا تنكر العرب
فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم ورغبنا في الاتصال
بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش اني قد زوجت خديجة
بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال ابو طالب قد احببت
ان يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي معاشر قريش اني قد انكحت
محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد واولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر
جزورا وقيل جزورين واطعم الناس وامرت خديجة جواريها ان
يرقصن ويضربن الدفوف وفرح ابو طالب فرحا شديدا وقال
الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وهي اول وليمة

اولمها

اولمها صلى الله عليه وسلم اقول ولا ينافي هذا ما تقدم من قوله فوجدناهم
قد ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة لجواز ان يكون ذلك عند العقد وهذا
عند ارادة الدخول ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله وقد ابتنى بها
لان تلك الرواية غير صحيحة ولا ينافي كون المزوج له عمه ابو طالب ما
تقدم ان المزوج له عمه حمزة لجواز ان يكون حضر مع ابي طالب فنسب
التزويج اليه ايضا والله اعلم والسبب في ذلك اي في عرض خديجة
رضي الله عنها نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ايضا مع ما اراد الله تعالى
بها من الخير ما ذكره ابن اسحاق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن
فيه في المسجد فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي وقال يا معشر نساء
قريش انه يوشك فيكن نبي قرب وجوده فايكن استطاعت ان
تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه النساء اي رمينه بالحصباء وقبحنه
واغلظن له واغضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها
فلما اخبرها ميسرة بما راه من الايات وما راته هي اي وما قاله
لها ورقة لما حدثته بما حدثها به ميسرة مما تقدم قالت ان كان
ما قاله اليهودي حقا ما ذاك الا هذا وذكر الفاكهي عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب فاستاذن ابا طالب
ان يتوجه الى خديجة فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها
نبعة فقال انظري ما تقول له خديجة اي ولعله بعد ان
طلب منه الحضور اليها وذلك قبل ان يتزوجها فخرجت خلفه
فلما جاء صلى الله عليه وسلم الى خديجة اخذت بيده فضمتها الى صدرها
ونحرها ثم قالت بابي وامي والله ما افعل هذا لشيء ولكني ارجو
ان يكون انت النبي الذي ستبعث فان تكن هو فاعرف
حقي ومنزلتي وادع الاله الذي سيبعثك لي فقال لها والله

لئن كنت انا مولعا واصطنعت عندي ما لا اضيعه ابدا فان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك ابدا فرجعت نفيسة واخبرت ابا طالب بذلك وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم لخديجة بعد مجيئه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما وعمره اذ ذاك خمس وعشرون سنة على ما هو الصحيح الذي عليه الجمهور وما تقدم زاد بعضهم على الخمسة والعشرين سنة شهرين وعشرة ايام وقد اشار الى ما تقدم صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء

واتاها ان الغمامة والسرح اظلته منهما افياء واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء فدعته الى الزواج وما احسن ما يبلغ المنى الاذكياء اي وعلمته خديجة ذات الشرف الطاهر والمال الوافر الظاهر والحسب الفاخر والحال التقي والزهد والحياء فيه صلى الله عليه وسلم سجية وطبيعة واتاها الخبر بان الغمامة والشجر اظلته افيا اي ظلالا وجاءتها كون تلك الافيا من الغمامة والشجر وفيه انه هذا يدل على ان المكرر هما الغمامة قال بعضهم وتظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة واتى خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالبعث اي الارسال الى الخلق قرب الوفا به منه تعالى فبسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما احسن بلوغ الاذكيا ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بنت اربعين سنة قيل وقيل خمس واربعين وقيل ثلاثين وقيل ثمان

وعشرين

وعشرين انتهى اي وقيل خمس وثلاثين وقيل خمس وعشرين وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم رجلين اولهما عتيق بن عابد اي بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة فولدت له ٥ بنتا اسمها هند وهي ام محمد ابن صيفي المخزومي وثانيهما ابو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة وولدا اسمه هند ايضا فهو هند ابن هند اي وكان يقول انا اكرم الناس ابا واما واخا واختا ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه زوج امه وامي خديجة واخي القاسم واختي فاطمة قتل هند هذا مع علي كرم الله وجهه يوم الجمل وفي كلام السهيلي انه مات بالطاعون بالبصرة وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس عنه بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه واربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي المواهب انها كانت تحت عتيق ثانيا وستاتي بقية ترجمتها في ازواجه صلى الله عليه وسلم

باب بنيان قريش للكعبة

شرفها الله تعالى لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل اتى الى من فوق الردم الذي صنعوه لمنعه السيل فاخربه اي ودخلها وصدع جدرانها بعد توهينها من الحريق الذي اصابها وذلك ان امراة جمرتها فطارت شرارة في ثياب الكعبة فاحرقت جدرانها فخافوا ان تنقضها السيول اي تهدمها بالمرة وقيل تجمير المراة لها كان في زمن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما ولا مانع من التعدد وكان ارتفاعها تسعة اذرع من عهد ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولم يكن لها سقف اي وكان الناس يلقون الحلي والمتاع

كالطيب اي الذي يهدى اليها في بير داخلها عند بابها على يمين
الداخل منه اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة حماسيا لى ذلك
فاراد شخص في ايام جدهم ان يسرق من ذلك شيا فوقع على راسه
وانهار البير عليه فهلك وفي كلام بعضهم فسقط عليه حجر
فحبسه في تلك البير حتى اخرج منها وانتزع المال منه فلما مل
يجمع وقد يقال على بعد جاز ان يكون هذا الرجل تكررت منه
السرقة وهلاكه في المرة الثانية فعند ذلك بعث الله
حية بيضا سودا الراس والذنب راسها كراس الجدي فاسكنها
تلك البير تحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر
البيت فتشرق بالقاف اي تبرز للشمس على جدار الكعبة فيبرق
لونها وربما التفت عليه فيصير راسها عند بابها لا يدنوا منها
احد الا كشت اي صوتت وفتحت فاها معطوف على كشت
نفخاه الحيوان قال الجوهري كشيش الافعى صوتها من جلدها
لا من فيها فحرست بيره وابيت خمسماية عام لا يقربه احد
اي لا يقرب بيره وخزانته الا اهلكته اي ولعل المراد لو قرب
منه اهلكته احدا اهلكته اذ لو اهلكت احدا اقرب من تلك البير
لنقل فلم تزل كذلك حتى في زمن قريش ووجد هذا السيل والحريق
ارادوا هدمها واعادة بنايها وان يشروا بابها اي يرفعوه
ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤا واجتمعت القبايل
من قريش تجمع الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة واعدوا لذلك نفقة
اي طيبة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس
اي بعدان قام ابو وهب عمرو بن عايد فتناول منها حجرا فوثب ٥
من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش

لا تدخلوا

لا تدخلوا في بنايها من كسبكم الا طيبا الحديث اي وفي لفظ انه
قال لهم لا تدخلوا في نفقة هذا البيت مهر بغي ولا زانيه ولا بيع ربا
وفي لفظ لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيا اصبتموه غصبا ولا
قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه ذمة احد بينكم وبين احد من
الناس وابو وهب هذا خال عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم
وكان شريفا في قومه وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة
روى الشيخان عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال لما بنيت الكعبة
ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضي الله عنه ينقلان
الحجارة فقال العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل
ازارك على رقبتك يقيك الحجارة اي كبقية القوم فانهم كانوا
يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم
ذلك فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السما اي ونودي عورتك
فقال ازاري ازاري اي شدوا على ازاري فشدوا عليه وفي رواية
سقط فغشي عليه فضمه العباس رضي الله عنه الى نفسه وسأله
عن شانه فاخبره انه نودي من السما ان شد عليك ازارك وهذا
يبعد ما جاء في رواية قال له العباس اي بعد ان امر بستر عورته
وسترها يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني ما اصابني
الا من التعري وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة
من اجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب ليضعها على عاتقه
فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك اي غطها فلم ير عريانا
اي مكشوف العورة بعد ذلك اي وقد يقال هذا لا يخالف ما تقدم
عن العباس لانه يجوز ان يكون ذلك صدر من العباس حج وغايته
انه سمى النمرة ازارا وقال واستبعد بعض الحفاظ ذلك اي وقوع

هذا مع ما تقدم من نهيهم عن ذلك اي الذي تضمنه الامر بالستر عنه
اصلاح عمه ابي طالب لئن مر قبل هذا فانه لانه صلى الله عليه وسلم
اذا نهي عن شيء مرة لا يعود اليه ثانيا بوجه من الوجوه انتهى اي
وقد عاد الي ذلك اقول يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان
امره بستر عورته اولا عزيمة بل جوز الترك وفي الثانية علم انه
عزيمة لا يقال تقدم من كرامته على ربه ان احدا لم ير عورته وتقدم
ان ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم ففي الخصايص الصغرى
انه لم تر عورته قط ولو راها احد طمست عيناه لانا نقول لا
يلزم من كشف عورته صلى الله عليه وسلم رويتها كما لا يلزم من
حضانته وتربيته ومجامعته زوجاته ذلك فعن عايشة
رضي الله عنها ما رايته منه والظاهر ان بقية زوجاته كذلك
والله اعلم ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر اي خوف
من ان يمنعهم الله تعالى مما ارادوا اي بان يوقع بهم البلاء قبل
ذلك سيما وقد شاهدوا ما وقع لعمرو بن عايذ قال ابن
اسحاق ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه اي خافوا منه
ان يحصل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم اتريدون
بهدمها الاصلاح ام الاساءة قالوا بل نريد الاصلاح قال فان
الله لا يهلك المصلحين قالوا من الذي يعلوها فيهدمها قال
انا اعلوها وانا ابديكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها
وهو يقول اللهم لم ترع اي بالراء والعين المهملتين والضمير في
ترع للكعبة اي لا تفزع الكعبة ما نريد الا الخير اي وفي رواية
لم نزغ بالنون والزاي المعجمة اي لم نمل عن دينك ثم هدم من ناحية
الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب

لم نهدم

لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء هدمنا فقد
رضي الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى الهدم فهدم
وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس
ابراهيم صلى الله عليه وسلم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة اي اسنمة
الابل وفي لفظ كالاسنة قال السهيلي رحمه الله وهو وهم من
بعض النقلة عن ابن اسحاق هذا كلامه اي وقد يقال هي كالاسنة
في الخضرة وكالاسنمة في العظم لا يقال الاسنة زرق لانا نقول
شديد الزرقة يرى اخضر اخذ بعضها ببعض فادخل رجل ممن
كان يهدم عتلة بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك
الحجر انتفضت مكة اي تحركت باسرها وابصر القوم برقة خرجت
من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس
ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قراه
لهم رجل من يهود فاذا هو انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات
والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا تزول
اخشباها اي جبلاها ومنها ابو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان
وهو جبل مشرف على مكة وجهه الى ابي قبيس بارك لاهلها في الماء واللبن
ووجدوا في المقام اي محله كتابا اخر مكتوب فيه مكة الله الحرام ياتيها
رزقها من ثلاث سبل ووجدوا كتابا اخر مكتوب فيه من يزرع
خيرا يحصد غبطة اي ما يغبط اي يحسد ويحمد عليه ومن يزرع
شرا يحصد ندامة اي ما يندم عليه تعملون السيئات وتجزون الحسنات
اجل اي نعم كما يجنى من الشوك العنب اي الثمر وفي السيرة الشامية
ان ذلك وجد مكتوبا في حجر في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا حجرا
فيه ثلاثة اسطر الاول انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر

الي اخره وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت
لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي
الثالث اني انا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبي لمن كان الخير
علي يديه قال اي المحدث ورايت في مجموع انها وجد بها حجر مكتوب
عليه انا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعري تارك الصلاة ارخصها
والاقوات فارغة واغليها والاقوات ملاي اي فارغ محلها وملان محلها
هذا كلامه وقد يقال لا مانع من ان يكون ذلك حجرا اخر ويكون ذلك
الحجر وما ذكر مكتوب في محل الحجر اي وفي الاصابة عن الاسود ابن
عبد يغوث عن ابيه انهم وجدوا كتابا اسفل المقام فدعت قريش
رجلا من حمير فقال ان فيه لحرفا لو اخبرتكموه لقتلتموني قالوا وظننت
ان فيه ذكر اسم محمد صلي الله عليه وسلم فكتمناه وكان البحر قد رمي
بسفينة الي ساحل جدة اي الذي به جدة الان وكان ساحل مكة
قبل ذلك الذي ترسي به السفن يقال له الشعيبة بضم الشين
فلما جاء العثمان غير واحد فيما كانت السفينة بالشعيبة ساحل مكة
انكسرت وفي لفظ حبستها الريح وكانت تلك السفينة لرجل من تجار
الروم اسمه باقوم وكان بانيا وقيل كانت تلك السفينة لقيصر
ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع
باقوم الي الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها
من جدة وقيل من الشعيبة بعث الله تعالي عليها ريحا فحطمتها
اي كسرها فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الي
السفينة فابتاعوا خشبها فاعدوه لسقف الكعبة وقيل
هابوا هدمها من اجل تلك الحية العظيمة فكلما تقدموا اليها
ارادوا الهدم منه اي اليه ليهدموه بدت لهم تلك الحية

فاخ

فاخذ فاها فبينما هي ذات يوم تشرف علي جدار الكعبة كما كانت
تصنع بعث الله طايرا اعظم من النسر فاختطفها والقاها
في الحجون فالتقمتها الارض قيل وهي الدابة التي تكلم الناس
يوم القيامة وجاء ان الدابة تخرج من شعب اجياد وفي حديث
ان موسي عليه السلام سال ربه ان يريه الدابة التي تكلم الناس
فاخرجها له من الارض فراي منظرا هاله وافزعه فقال اي
رب ردها فردها فقالت قريش عند ذلك انا لنرجو ان يكون
الله تعالي قد رضي ما اردنا اي بعد ان اجتمعوا عند المقام
وعجوا الي الله تعالي ربنا لن تراع اردنا تشريف بيتك وتزيينه
فان كنت ترضي بذلك فاتممه واشغل عنا هذا الثعبان ....
يعنون الحية والا فما بدا لك فافعل فسمعوا في السما صوتا
ووجبة واذا الطاير المذكور اخذها فقالوا لما ذكر قالوا
عندنا عامل رفيق وعندنا الاخشاب وقد كفانا الله الحية وذلك
العامل هو باقوم الرومي الذي كان بالسفينة وكان بانيا
كما تقدم فانهم جاوا به معهم الي مكة او هو باقوم مولي سعيد
ابن العاص وكان نجارا وتلك الاخشاب هي التي اشتروها
من تلك السفينة التي كسرت اقوال ومع اخذ الطاير لتلك الحية
يجوز ان تكون هابوا هدمها حتي قدم عليهم الوليد ابن المغيرة
فلا مخالفة بين ما تقدم عن ابن اسحاق وبين هذا الظاهر في
انهم هدموها عند اخذ الطاير لتلك الحية ولم يهابوا هدمها
حتي فعله الوليد لما تقدم والله اعلم اي ثم لما ارادوا بناها
تجزاتها قريش اي بعد ان اشار عليهم بذلك ابو وهب عمرو بن
عايذ فقال لهم اني اري ان تقسموا الاربعة ارباعا فكان شق

الباب لعبد مناف وزهره وكان ما بين الركنين الاسود واليماني
لبني مخزوم وقبايل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبه
لبني جمح وبني سهم ابني عمرو وكان شق الحجر اي الجانب الذي
فيه الحجر الان لبني عبد الدار ولبني عدي والذي في كلام المقريزي
كان لبني عبد مناف ما بين الحجر الاسود الي ركن الحجر اي ومن شق
الباب وصار لاسد وعبد الدار وزهره الحجر كله اي الجانب الذي
فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لساير قريش ما بين الركن
اليماني الي الركن الاسود هذا كلامه فليتامل وفي كلام بعضهم ا
وسمي الركن اليماني باليماني لان رجلا من اليمن بناه وكان
الباني لها باقوم النجار الذي هو مولي سعيد ابن العاص اقول
وكان المناسب ان يكون الذي بناها باقوم الرومي الذي
كان صاحب السفينه التي كسرت لانه كما تقدم كان بانيا وسياتي
التصريح بذلك واما باقوم مولي سعيد ابن العاص فتقدم انه
كان نجارا الا ان يقال باقوم مولي سعيد كان نجارا بانيا واشتهر
بالوصف الاول فكان الباني لها وفيه انه يحتمل ان يكون
باقوم الرومي ايضا كان نجارا ايضا واشتهر بالوصف الاول
ثم رايت في كلام بعضهم التصريح بذلك فقال وكان اي باقوم
الرومي نجارا بانيا فقول القايل وكان الباني لها باقوم النجار
مراده باقوم الرومي لا مولي سعيد ثم رايت في بعض الروايات
ما يويد ذلك وهو وصف باقوم الرومي بانه كان نجارا وانما
خرجت قريش لتاخذ خشبها اي السفينه التي كسرت فوجدوا
الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب فقد دلت
الروايه علي انه كان موصوفا بالوصفين ويحتمل ان يكون

احدهما

احدهما بني والاخر عمل سقفها او انهما اشتركا فيهما لما علمت ان
كلا منهما كان بانيا نجارا ثم رايت عن ابن اسحاق وكان بمكة قبطي
يعرف نحو الخشب وتسويته فوافقهم علي ان يعمل لهم سقف
الكعبه ويساعده باقوم اي الرومي فالقبطي هو مولي سعيد
ابن العاص وح ففي هذه الروايه وصف باقوم الرومي انه كان
نجارا كالروايه التي قبلها وسياتي في الروايه التي تلي هذه انه
الذي بناها وهي في الاصابة اسم الرجل الذي بنا الكعبه لقريش
باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبستها الريح فخرجت اليها
قريش فاخذوا خشبها وقالوا له ابنها علي بنيان الكنايس
وان باقوم الرومي اسلم ثم مات ولم يدع وارثا فدفع النبي صلى
الله عليه وسلم ميراثه لسهيل ابن عمرو ثم لما بنوها جعلوا مدماكا
من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها الي اعلاها وزادوا
فيها تسعة اذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها
من الارض فكان لا يصعد اليه الا في درج وضاقت بهم النفقه
عن بنايها علي تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جدارا
قصيرا علامة علي انه من الكعبه ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود
اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه الي موضعه دون الاخرى حتى اعدوا
للقتال فقربت بنوا عبد الدار جفنة مملوة دما ثم تعاقدوا هم وبنوا
عدي اي تحالفوا علي الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنه
فسموا لعقة الدم وقد تقدم في حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم
اربع او خمس ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام وكان بنوا امية بن
المغيرة واسمه حذيفه اسن قريش كلها بوعدوا اي ومولوا الدم لمة
رضي الله عنها وهو احد اجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف

بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه احد بل يكفي كل
مسافر معه المزاد اي وذكر بعضهم ان ازواد الراكب من قريش
ثلاثة زمعة ابن الاسود ابن المطلب ابن عبد مناف قتل يوم
بدر كافرا ومسافر بن ابي عمرو بن امية وابو امية بن المغيرة
وسموا بذلك وفي كلام بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب
الا ابا امية بن المغيرة وحده يحتمل ان المراد لا تكاد تعرف
قريش غيره بهذا الوصف لشهرته فلا مخالفة وابو امية
هذا مات على دينه ولعله لم يدرك الاسلام فقال يا معشر
قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من
باب هذا المسجد يقضي بينكم اي وهو باب بني شيبة كان يقال
له في الجاهلية باب بني عبد شمس الذي يقال له الآن باب السلام
وفي لفظ اول من يدخل من باب الصفا اي وهو المقابل لما بين
الركنين اليماني والاسود ففعلوا اي وفي كلام البلاذري
ان الذي اشار على قريش بان يضع الركن اول من يدخل من
باب بني شيبة هشم ابن المغيرة ويكنى ابا حذيفة وقد يقال
لا مخالفة لانه يجوز ان يكون اسمه حذيفة ويكنى بابي حذيفة
كما يكنى بابي امية وهشم لقبه وان الراوي عنه اختلف كلامه
فتارة قيل عنه يقضي بينكم وتارة قيل عنه يضع الركن والمشهور
الاول فلما راوه صلى الله عليه وسلم قالوا هذا الامين رضينا هذا
محمد اي لانهم كانوا يتحاكمون اليه في الجاهلية لانه كان لا يداري
ولا يماري فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم
هلم الي ثوبا فاتي به وفي رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ازاره وبسطه في الارض اي وقيل انه كسا ابيض من متاع
الشام

الشام ويقال ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة فاخذ
صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة
ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب اي بزاوية من
زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان في ربع عبد مناف
عتبة بن ربيعة وكان في الربع الثاني زمعة وكان في الربع
الثالث ابو حذيفة بن المغيرة وكان في الربع الرابع قيس
ابن عدي حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو صلى الله عليه وسلم
اي ولما مات ابو امية بن المغيرة رثاه ابو طالب بقصيدة طويلة
ورثاه ابو حيحه بقوله، الا هلك الماجد الرافد، وكل قريش له حامد
ومن هو عصمة ايتامنا، وغيث البلاد فقد الرواعد، قال ابن
عباس رضي الله عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن اي
الحجر ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا يشد
به الركن فقال العباس رضي الله عنه لا وناول العباس ما شد به الركن
فغضب النجدي وقال واعجبا لقوم اهل شرف وعقول واموال عمدوا
الى رجل اصغرهم سنا واقلهم مالا فراسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم
كانهم خدم له اما والله ليفرقنهم شيعا وليقسمن بينهم حظوظا
فكاد يثير شرا بينهم ولعل هذا النجدي هو ابليس فقد ذكر السهيلي
رحمه الله ان ابليس لعنه الله تمثل في صورة شيخ نجدي حين حكموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الركن من يرفعه وصاح يا
معشر قريش ارضيتم ان يلي هذا الغلام دون اشرافكم وذوي
انسابكم انتهى اي وانما تصور بصورة نجدي لان في الحديث نجد
طلع منها قرن الشيطان اقول وسياتي انه تصور بهذه الصورة ايضا
عند دخول قريش دار الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله

عليه وسلم ودخل معهم وسياتي ثم في حكمة تصويرها بذلك غير ما ذكر ولا
مانع ان يكونا حكمة هاهنا ولما بالي واعادوا الصور التي كانت
في حيطانها لانه كان في حيطانها صور الانبيا بانواع الاصباغ
ومن جملتهم صورة ابراهيم وفي يده الازلام اي واسماعيل وفي
يده الازلام وصور الملايكة وصورة مريم كما سياتي في فتح مكة وكساها
زعماوهم ابرديتهم وكانت من الوصايل ولم يكسها احد بعد ذلك
حتى كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع
والله اعلم وهذه المرة الرابعة اي من بنا الكعبة بنا على ان اول
من بناها الملايكة ففي بعض الاثار ان الله سبحانه وتعالى
قبل ان يخلق السموات والارض كان عرشه على الما اي العذب
فلما اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله
فسكن فلما اراد ان يخلق السموات والارض ارسل الريح على ذلك
الما فتموج فعلاه دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم
ازال ذلك الما عن موضع الكعبة فيبس وفي لفظ ارسل على الما
ريحا هفافة فصفقت الريح الما اي ضرب بعضه بعضا
فابرز عنه خشفة اي بالخا المعجمة وهي حجارة تنبت بالارض
في موضع البيت كانها قبة لحديث وبسط الحق سبحانه من ذلك
الموضع جميع الارض طولها والعرض فهي اصل الارض وسرتها
وقد يخالفه ما في انس الجليل روي عن علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه انه قال وسط الدنيا بيت المقدس وارفع الارضين
كلها الى السما بيت المقدس وعن ابن عباس ومعاذ بن جبل رضي
الله عنهما انه قال اقرب الى السما باثني عشر ميلا ثم بين ذلك
في انس الجليل ولما ماجت الارض وضع عليها الجبال وكان
اول

اول جبل وضع عليها ابو قبيس ومن ثم كان ينبغي ان يسمى ابا
الجبال وان يكون افضلها مع ان افضلها كما قال الجلال
السيوطي استنباطا احد لقوله صلى الله عليه وسلم احد يحبنا
ونحبه ولما ورد انه على باب من ابواب الجنة قال ولانه من جملة
ارض المدينة التي هي افضل البقاع اي عندنا تبعا للجمع ولانه
مذكور في القران باسمه في قراءة من قرا اذ تصعدون ولا
تلوون على احد اي بضم الهمزة والحاء ثم فتق الارض فجعلها
سبع ارضين وقد جا ان الله خلق الارض في يومين غير
مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين ثم دحى الارض
بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين وبهذا
يبطل التوقف في قول مغلطاي ان لفظة بعد في قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان خلق الارض
قبل خلق السما لما علمت ان الارض خلقت قبل السما غير
مدحوة ثم بعد خلق السما دحى الارض ثم رايت بعضهم سال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن ذلك حيث قال له
بالشام اختلف علي من القران ايات قال الله تعالى اينكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين حتى بلغ طايعين
ثم قال في الاية الاخرى ام السما بناها ثم قال والارض بعد
ذلك دحاها فاجابه ابن عباس رضي الله عنهما اما قوله خلق
الارض في يومين فان الارض خلقت قبل السما وكانت السما
دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض واما
قوله والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل
فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا ويرد قول بعضهم

خلقت السما قبل الارض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار
فليتأمل وقد جا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ومن
الارض مثلهن قال سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وادم كادمكم
ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسيكم رواه الحاكم في
المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده صحيح لكنه
شاذ بالمرة اي لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون
فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الجلال السيوطي
رحمه الله ويمكن ان يورد على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون
الجن عن انبيا البشر ولا يبعد ان يسمي كل منهم باسم النبي الذي
يبلغ عنه هذا كلامه رحمه الله وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم
رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد
فليتأمل ولما خاطب الله تعالى السموات بقوله ايتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن
السما ما حاذاها الذي هو البيت المعمور وعن كعب الاحبار لما
اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل عليه السلام
ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاوها ونورها
فهبط فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف
وهي بيضا منيرة لها شعاع عظيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال
بعض العلما هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا تلك الطينة
اي وقد ذكر الشيخ ابو العباس المرسي نفعنا الله به ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق رضي الله عنه اتعرف
يوم يوم فقال ابو بكر نعم والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول الله

سال النبي

سال النبي عن يوم المقادير يعني يوم الست بربكم ولقد
سمعتك تقول حينئذ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وقد سئل الشيخ سيدي علي الخواص رحمه الله ونفعنا ببركاته
لم لم تتكلم الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم بلسان الباطن
الذي تتكلم به الصوفية فاجاب بانه انما لم تتكلم بذلك
لاجل عموم خطابهم للامة ولا يعتبر بالاصالة الا فهم العامة
دون فهم الخاصة الا لبعض تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
للصديق رضي الله عنه اتعرف يوم يوم فقال نعم يا رسول الله
الحديث وتلك الطينة لما تموج الما رمى بها الى محل تربته
ومحل مدفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة وبهذا يندفع ما يقال
مقتضى كون اصل طينته صلى الله عليه وسلم بمكة ان يكون مدفنه
بها لان تربة الشخص تكون في محل مدفنه ثم عجنها بطينة ادم
ولعل هذه الطينة هي المعبر عنها بالنور في قوله صلى الله عليه وسلم
وقد قال له جابر يا رسول الله اخبرني عن اول شي خلقه الله
تعالى قبل الاشيا يا جابر ان الله خلق قبل الاشيا نور
نبيك من نوره ولم يكن في ذلك الوقت لا سما ولا ارض ولا
شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم الحديث وجا اول ما خلق الله نوري
وفي رواية اول ما خلق الله العقل قال الشيخ علي الخواص
ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها
بالعقل الاول وتارة بالنور اي روح الانبيا والاوليا مستمد
من روح محمد صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وفي هذا المعنى
يقول بعضهم لما تعلقت ارادة الحق بايجاد خلقه ابرز الحقيقة
المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ

منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه ان هذا لا يناسبه قوله ولم
يكن في ذلك الوقت لا سما ولا ارض اذ كيف يا لف ذلك مع قول كعب
الاحبار رضي الله عنه امر جبريل عليه السلام ان ياتيه بالطينة
التي هي قلب الارض الخ ومع قول ابن عباس رضي الله عنهما اصل طينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا ان يقال ان ذلك
النور بعد ايجاده اودع تلك الطينة التي هي قلب الارض وسرتها
وح لا يخالف ذلك ما جاء ان الله تعالى خلق ادم من طين العزة من
نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي
لجميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس هذا
وقد جاء في حديث بعض رواته متروك الحديث خلق الله ادم من
تراب الجابية وجا خلق الله ادم من تربة دحنا ومسح ظهره
بنعمان الاراك وهو محل قريب من الطايف وتقدم انه يحتاج الى
بيان وجه كون ادم خلق من نوره وجعل نوره في ظهر ادم ولما
خلق الله ادم وقبل نفخ الروح فيه استخرج ذلك النور من ظهره
واخذ عليه العهد الست بربكم فقد خص بذلك عن بقية خلقه
من بني ادم فان بني ادم ما اخرجوا من ظهر ادم واخذ عليهم الميثاق
الا بعد نفخ الروح في ادم ونقل بعضهم ان الله تعالى لما اخرج الذر
واعاده في ظهر ادم عليه السلام امسك روح عيسى عليه السلام الى ان يات
وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد ان اخذ العهد على الصديق
كان بعد نفخ الروح في ادم واخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم
كان سابقا على ذلك وح فيكون المراد بقول الصديق رضي الله عنه
ح لما قال له صلى الله عليه وسلم انصرف يوم بيوم وقال نعم الى قوله ولقد
سمعتك تقول ح اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الى حين

اخذ العهد

اخذ العهد على بني ادم لا حين اخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم
كما قد يتبادر فليتامل ثم لما نفخت الروح في ادم عليه السلام صار
ذلك النور في ظهر ادم فصارت الملايكة تقف صفوفا خلف ادم عليه
السلام ينظرون من ذلك النور فقال ادم يا رب ما بال هولا ينظرون
الى ظهري قال تعالى ينظرون الى نور محمد خاتم الانبيا الذي اخرجه
من ظهرك فسال الله ان يجعله في مقدمه لتستقبله الملايكة فجعله
الله في جبهته ثم سال الله ان يجعله في محل يراه فجعله في سبابته
فلما هبط ادم الى الارض انتقل ذلك النور الى سبابته قال يا رب
هل بقي في ظهري من هذا النور شي قال نعم نور اخصا اصحابه فقال
يا رب اجعله في بقية اصابعي فجعل نور ابي بكر رضي الله عنه في الخنصر
ونور علي كرم الله وجهه في الابهام فلما اكل من الشجرة عاد ذلك النور
الى ظهره كذا في بحر العلوم عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم انتقل ذلك
النور من ادم عليه السلام الى ولده شيث عليه السلام ولما قال الله تعالى
للملايكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
يعنون الجن الذين افسدوا فيها وسفكوا الدما غضب عليهم وفي لفظ
ظنت الملايكة اي علمت ان ما قالوا رد اعلى ربهم وانه قد غضب عليهم
من قولهم فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعة اطواف يسترضون ربهم
فرضي عليهم وفي لفظ فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم فعند ذلك
قال الله لهم ابنوا لي بيتا في الارض يعوذ به من سخطت عليه من بني ادم
اي الذي هو الخليفة فيطوفون حوله كما فعلتم بعرشي فارضى عنهم
فبنوا الكعبة وفي هذه الرواية اختصار بدليل ما قيل وضع الله تحت
العرش البيت المعمور على اربع اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمرا

وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت اي بالارض عنكم ثم قال لهم ابنوا لي بيتا
في الارض بمثاله وقدره اي فعلوا وقدره عطف تفسير على مثاله
فالمراد بالمثال القدر وفي لفظ لما قال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الاية خافوا ان يكون الله تعالى
عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون
ربهم ويتضرعون اليه فامرهم ان يبنوا البيت المعمور في السماء ان
يجعلوا طوافهم به فكان ذلك اهون عليهم من الطواف بالعرش
ثم امرهم ان يبنوا في كل سماء بيتا وفي كل ارض بيتا قال مجاهد هي اربعة
عشر بيتا متقابلة لو سقطت منها لسقط على مقابله والبيت المعمور
في السماء السابعة وله حرمة كحرمة مكة في الارض واسم البيت الذي
في السماء الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم وفي كل سماء بيت تعمره
الملائكة بالعبادة كما تعمر اهل الارض البيت العتيق بالحج في كل عام
والاعتمار في كل وقت والطواف في كل اوان ولينظر ما معنى بناء
الملائكة للبيوت في السموات واذا لم يصح ان الملائكة بنت الكعبة
تكون هذه المرة من بناء قريش هي المرة الثالثة بناء على ان اول
من بناها ادم صلى الله عليه وسلم اي او ولده شيث فقد قال
بعضهم ما تقدم من الاثرين الدالين على ان اول من بناها الملائكة
لم يصح واحد منهما وجاءت قبل ذلك اي وجاء لمحلها قبل بناء ادم
لها خيمة من ياقوتة حمراء انزلت لادم عليه السلام من الجنة
اي لها بابان باب من زمرد اخضر شرقي وباب غربي من ذهب
منظومان من در الجنة فكان ادم عليه السلام يطوف بها ويانس
اليها وقد حج اليها من الهند ماشيا اربعين حجة ويجوز ان يكون

تلك

تلك الخيمة هي البيت المعمور وعبر عنها بحمراء لان سقف البيت المعمور
كان بياقوتة حمراء قال وذكر ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض
كان رجلاه بها وراسه في السماء وفي لفظ كان راسه يمسح السحاب
فصلع فاورث ولده الصلع اي بعض ولده يسمع تسبيح الملائكة
ودعاهم فاستانس بذلك فهابته الملائكة اي صارت تنفر منه
فشكى الى الله تعالى فنقص الى ستين ذراعا بالذراع المتعارف
وقيل بذراع ادم فلما فقد اصوات الملائكة حزن وشكى الى الله تعالى
فقال الله تعالى يا ادم اني قد اهبطت بيتا يطاف به اي يطوف به
الملائكة كما يطوفون حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي اي كما ان
ذلك اي الطواف بالعرش والصلاة عنده شان الملائكة اولا فلا ينافي
ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج
اليه اي طاف به وصلى عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة الذي انزلت
لاجله وقد علمت انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور وقيل
اهبط ادم وطوله ستون ذراعا اي على الصفة التي خلق عليها
وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله ادم على صورته وطوله
ستون ذراعا اي اوجده الله على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل
في النشاة احوالا بل خلقه كاملا سويا من اول ما نفخ فيه الروح فالضمير
في صورته يرجع لادم عليه السلام وعلى رجوعه الى الحق سبحانه وتعالى
المراد على صفته اي حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا
مدبرا حكيما وقد خالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق ادم على صورته مخرج على سبب وهو ان النبي صلى الله
عليه وسلم راى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضربه على وجهه
فان الله تعالى خلق ادم على صورته اي صورة هذا الرجل فهو ينتقل

اطوارا ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله وقد رد القيل
المتقدم من انه اهبط وطوله ستون ذراعا بموافقته ما جاء في الحديث
المرفوع كان طوله ستين ذراعا في سبعة اذرع ومن ثم قال الحافظ ابن حجر
ان ما روي من ان ادم لما اهبط كانت رجلاه في الارض وراسه في
السما فحطه الله الى ستين ذراعا اي الذي تقدم ظاهر الخبر الصحيح خلافه
وهو انه خلق في ابتدا الامر على طول ستين ذراعا وهو الصحيح وكان
ادم صلى الله عليه وسلم امرد وفي الصحيحين فكل من يدخل الجنة يكون
على صورة ادم وقد جا في صفة اهل الجنة جرد مرد على صورة ادم وفي
بعض الاخبار ان ادم عليه السلام لما كثر بكاوه على فراق الجنة نبتت
لحيته ولم يصح ولم تنبت اللحية لاولاده وكان مهبطه بارض الهند
بجبل عال يراه البحريون من مسافة ايام وفيه اثر قدم مغموسة
في الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد
له في كل يوم من مطر يغسل قدمي ادم عليه السلام وذروة هذا الجبل
اقرب ذروة جبال الارض الى السما ولعل هذا وجه النظر الذي ابداه
بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس اقرب الارض الى السما
بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر قيل ونزل معه عليه
السلام من ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان اصل الطيب فثبت بالهند
وعن عطا ابن ابي رباح ان ادم عليه السلام هبط بارض الهند
ومعه اربعة اعواد من الجنة فهي هذه التي يتطيب الناس بها وجا
انه نزل بنخلة العجوة ثم لما امر ادم عليه السلام بالخروج من تلك
الجنة خرج اليها وقد قدر في الخطوة تلك كانت خطوته مسيرة ثلاثة
ايام فقد قيل لمجاهد هل كان ادم عليه السلام يركب قال واي
شي كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة ايام وخبر ان هذا

بعض

٧٨ ارسل الله عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر اشباه الخطاطيف ويقال ان
حمام الحرم من نسل تلك الطير فاهلكتهم وقد يقال ان هذا اشتباه لان
الذي قيل انه من نسل الابابيل انما هي التي يشبه الزرازير تكون
بباب ابراهيم من الحرم والاخبار الى ان حمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش
على فم الغار على ما سياتي فيه وفي حياة الحيوان ان الطير الابابيل تعشش
وتفرخ بين السما والارض ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش
وهابتهم الناس كلهم وقالوا اهل الله لان الله معهم وفي لفظ لان الله قاتل
عنهم وكفاهم مونة عدوهم الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قوة وغنموا
اموال اصحاب الفيل اي وفرح من فيهم من الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك
الكنيسة التي بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات
ومردة الجن وكل من اراد ان ياخذ منها شيا اصابته الجن واستمرت
كذلك الى زمن السفاح الذي هو اول خلفا بني العباس فذكر له امرها
فبعث اليها عامله على اليمن فخربها واخذ خشبها المرصع بالذهب
والالات المفضضة التي تساوي قناطير من الذهب فحصل له منها
مال عظيم وحج عفي رسمها وانقطع خبرها واندرست اثارها وقد
كان عبد المطلب امر قريشا ان يلحقوا بخرج من مكة ويكونوا في روس
الجبال خوفا عليهم من المعرة وخرج هو وايا هم الى ذلك بعد ان اخذ
بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويتضرعونه
ويستنصرونه على ابرهة وجنده وقال
لاهم ان العبد يحمي رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم
عدوا محالك اي فانهم كانوا نصارى ولاهم اصله اللهم فان
العرب تحذف الالف واللام وتكتفي بما بقي وكذلك تقول لاه ابوك
تريد لله ابوك والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة

والحال

وان انتقل عن عبد المطلب لكن اكرم الله عبد المطلب فاحدث ذلك النور
في ظهره وفي وجهه واطلع الفيل عليه هذا الكلام فيه تامل وذكر بعضهم ان
الفيل مع عظم خلقته صورته ضئيل اي ضعيف ويفرق اي يخاف من السنور
الذي هو القط ويفزع منه وفي المواهب والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد
بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطية لثبوته وتقدمة لظهوره وبعثه
هذا الكلام وفيه انه قد يقال الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل بعثه
الذي هو دعواه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية الذي هو المراد بظهوره وح
فقول القاضي البيضاوي رحمه الله انها من الارهاصات اذ روي انها وقعت
في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد وجوده ومن ثم
قال ابن الهيثم في الهدي ان مما جرت به عادة الله ان يقدم بين يدي الامور
العظيمة مقدمات تكون كالموصل لها فمن ذلك قصة مبعثه عليه الصلاة
والسلام تقدمها قصة الفيل هذا كلامه قال فلما شرع ابرهة في الذهاب
الى مكة ووصل الفيل الى اول الحرم والمواهب اسقط هذا وهو يوهم انهم
دخلوا مكة وان الفيل برك دون البيت فيه تامل ولعدم وصوله الى اول الحرم
برك فصاروا يضربون راسه ويدخلون الكلاليب في مراق بطنه فلا يقوم
فوجهوا وجهه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة الشام فعل ذلك
مرارا فامر ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على امره
ويقال اذا برك لان نفيل ابن حبيب الخثعمي قام الى جنب الفيل فعرك اذنه
وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم
ارسل اذنه فبرك قال السهيلي رحمه الله الفيل لا يبرك فيحتمل ان يكون
بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من امر الله ويحتمل ان يكون فعل البروك
وهو الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك قال وقد سمعت
من يقول ان في الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل وعند ذلك

زبيدة زوجة الرشيد ام الامين مسجدا للمساجد وفي كلام ابن دحية
ان الخيزران امها روج الرشيد لما حجت اخرجت تلك الدار من دار ابن
يوسف وجعلها مسجدا ويجوز ان تكون زبيدة جددت ذلك المسجد الذي
بنته الخيزران فنسب لكل منهما وسياتي ان الخيزران بنت دار الارقم مسجدا
وهي عند الصفا ايضا ولعل الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند
الصفا وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم ثم اقول قد يقال لا مخالفة
لانه يجوز ان يكون تلك الدار من شعب بني هاشم ثم رايت التصريح بذلك ولا
ينافيه ما تقدم في الكلام على المحل من ان شعب ابي طالب وهو من جملة بني هاشم
ثم كان عند الحجون لانه يجوز ان يكون ابو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب
والله اعلم قال وقيل ولد صلى الله عليه وسلم في الردم اي ردم بني جمح وجمح
بطن من قريش ونسب لبني جمح لانه ردم على من قتلوا في الجاهلية من بني
الحارث فقد وقع بين بني جمح وبين بني الحارث في الجاهلية مقتلة
وكان الظفر فيها لبني جمح على بني الحارث فقتلوا منهم جمعا كثيرا وردم
على تلك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى اقول مما يرد القول
بكونه ولد بعسفان ما ذكره بعضهم تنبيها ان من جملة ما يجب على الولي ان يعلم
مولية اذا ميز انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة الا ان يقال ذاك
بناء على ما هو الاصح عندهم والردم هو المحل الذي كانت ترى منه الكعبة
قبل الان ويقال له الان المدعى لانه يولي فيه بالدعاء الذي يقال عند الكعبة
ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن مرتفعا في زمنه صلى
الله عليه وسلم لانه انما رفعه وبناه سيدنا عمر رضي الله عنه في خلافته
لما سال السيل العظيم الذي يقال له سيل ام نهشل وهي بنت عبيدة من
ربيعة ابن سعيد ابن العاص فانه اخذها والقاها اسفل مكة فوجدت
هناك ميتة ونقل المقام الى ان القاه باسفل مكة فجيء به وجعل عند الكعبة

وكوتب عمر رضي الله عنه بذلك فحضر وهو مرعوب فزع ودخل مكة معتمرا فوجد
محل المقام دثر وصار لا يعرف فيها له ذلك ثم قال انشد الله عبدا عنده علم
من محل هذا المقام فقال المطلب بن رفاعة رضي الله عنه انا يا امير المومنين
عندي علم بذلك فقد كنت اخشي عليه مثل ذلك فاخذت قدره من موضعه الي
باب الحجر ومن موضعه الي زمزم بحفاظ فقال له اجلس عندي وارسل
فارسل فجي بذلك الحفاظ فقيس به ووضع المقام بمحله الان واحكم
ذلك واستمر الي الان فمن ذلك بني هذا المحل الذي يقال له الردم ررر
بالصخرات العظيمة ورفعه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة
تشاهد منه والان قد حالت الابنية فصارت لا ترى ومع ذلك لا باس
بالوقوف عنده والدعا فيه تبركا بمن سلف ولعل هذا محل قول من قال
اول من نقل المقام الي محله وكان ملصقا بالكعبة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
فلا ينافي ان الناقل له هو صلي الله عليه وسلم كما سياتي لكن رايت ابن كثير
قال وقد كان هذا الحجر اي الذي هو المقام ملصقا بباب الكعبة علي ما كان
عليه من قديم الزمان الي ايام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فاخره عنه لئلا
يشغل المصلون عنده الطايفين بالبيت هذا كلامه وقوله من قديم الزمان
ظاهره من عهد ابراهيم علي نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فليتامل
وعن كعب الاحبار رضي الله عنه اني اجد في التوراة عبدي احمد المختار
مولده بمكة اي وهو ظاهر في ان كعب الاحبار كان قبل الاسلام علي دين
اليهودية قال وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن امه الشفا اي
بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفا وقيل بفتحها وتشديدها لغا مقصورا
قالت لما ولدت امنه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقع علي يدي اي
فهي دايته صلي الله عليه وسلم ووقع في كلام ابن دحيه ان ام ايمن دايته
وقد يقال اطلاق الداية علي ام ايمن لانها قامت بخدمته صلي الله عليه وسلم

ومن ثم

٨٠

ومن ثم قيل لها حاضنته وللشفا قابلة وقد قيل في اسم الوالدة والقابلة
الامن والشفا وفي اسم الحاضنة البركة والنمو وفي اسم مرضعته المستقل له
برضاعه النبي صلي الله عليه وسلم حليمة السعدية الحلم والسعد قالت ام عبد الرحمن
فاستهل فسمعت قايلا يقول يرحمك الله او رحمك ربك وهذا القول
الذي لا يقال الا عند العطاس اي الذي هو التشميت بالشين المعجمة
والمهملة حمل بعضهم الاستهلال الذي هو في المشهور صياح المولود اول
ما يولد يقال استهل المولود اذا رفع صوته علي العطاس مع الاعتراف
بانه لم يجي في شي من الاحاديث تصريح بانه صلي الله عليه وسلم لما ولد عطس
انتهي اي فقد قال الحافظ السيوطي رحمه الله لم اقف في شي من الاحاديث
يدل علي انه صلي الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة احاديث المولد من
مظانها اي وعطس بفتح الطا يعطس بالكسر والضم وحكي الفتح ولعله
من تداخل اللغتين لكن في الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس
وقد يكون استهلال المولود له معنيان مما يجرد رفع الصوت والعطاس
وحمل هنا علي العطاس بقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس
وقد اشار الي التشميت صاحب الهمزية رحمه الله بقوله
شمتته الاملاك اذ وضعته ◦ وشفتنا بقولها الشفا ◦ اي قالت له
الاملاك رحمك الله او رحمك ربك وقت وضع امه وفرحتنا بقولها المذكور
الشفا التي هي ام عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما الاول قال بعضهم
ولعله صلي الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه لما استقر من شرعه
الشريف انه لا يسن التشميت الا لمن حمد الله تعالي هذا كلامه ويدل
لما رجاه ما تقدم انه حين خروجه من بطن امه قال الحمد لله كثيرا وفي كلام
بعض شراح الهمزية ويجوز ان يكون شمت من غير حمد تعظيما لقدره وقد جا
العاطس ان حمد الله فشمتوه وان لم يحمد فلا تشمتوه وجا اذا عطس

فحمد الله فحق على كل من سمعه ان يشمته وفي الصحيح ان رجلا عطس عند النبي صلى
الله عليه وسلم وحمد الله فشمته وعطس اخر فلم يحمد الله فلم يشمته وفي حديث
حسن اذا عطس احدكم فليشمته جليسه فان زاد على ثلاث فهو مزكوم فلا
يشمت بعد ثلاث وتمسك بذلك اي بالامر بالتشميت بصيغة افعل التي
الاصل فيها الوجوب وبقوله حق اهل الظاهر على وجوب التشميت
على كل من سمع وذهب بعض الايمة الى وجوبه على الكفاية وهو منقول عن
مشهور مذهب مالك رضي الله عنه اي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ليس على ابليس اشد من تشميت العاطس وعن سالم بن عبيد الله الاشجعي
رضي الله عنه وكان من اهل الصفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا عطس احدكم فليحمد الله عز وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليهم
بقوله يغفر الله لي ولكم ومن لطيف ما اتفق ان الخليفة المنصور وشي
عنده بعض عماله فلما حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل
فقال له المنصور ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت
في نفسي فقال شمتك في نفسي فقال له ارجع الى عملك فانك اذا لم
تحابني لا تحابي غيري قال بعضهم والحكمة في قول العاطس ما ذكر انه ربما
كان العطاس سببا لالتواء عنقه فيحمد الله على معافاته من ذلك وقال
غيره لان الاذى وهي الابخرة المحتقنة تندفع به عن الدماغ الذي
فيه قوة التذكر والتفكر اي فهو بحران الراس كحال العرق بحران المريض
وذلك نعمة جليلة وغاية عظيمة ينبغي ان يحمد الله تعالى عليها اي ولان
الاطبا كما زعم بعضهم نصوا على ان العطاس من انواع الصرع اعاذنا
الله من الصرع وقد ينازع فيه ما تقدم وما ذكره بعض الاطبا ان العطاس
للدماغ كالسعال للرية قال والعطاس انفع الاشيا لتخفيف
الراس وهو مما يعين على نقص المواد المحتبسة وتسكين ثقل الراس

فيحصل

فيحصل منه النشاط والخفة وفي نوادر الاصول للترمذي قال صلى الله
عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مومن يعطس ثلاث عطسات
متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا وفي الجامع الصغير ان الله يحب
العطاس ويكره التثاوب هو العطسة الشديدة من الشيطان وفي الحديث
العطاس شاهد عدل وفي حديث حسن اصدق الحديث ما عطس عنده
وقد جا ان روح ادم عليه السلام لما نزلت خياشيمه عطس فلما نزلت الى فيه
ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها ادم فقال الحق يرحمك
الله يا ادم ولذلك خلقتك وفي رواية وللرحمة خلقتك اي للموت وقد
روى الترمذي مرفوعا بسند ضعيف العطاس والنعاس والتثاوب
في الصلاة من الشيطان وروى ابن ابي شيبة موقوفا بسند ضعيف ايضا ان
الله يكره التثاوب ويحب العطاس في الصلاة اي مع كون كل منهما قد
من العطاس والتثاوب في الصلاة من الشيطان العطاس فيها احب الى
الله من التثاوب فيها والتثاوب فيها اكره الى الله من العطاس فيها لان
الكراهة مقولة بالتشكيك ولكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته
ورفع الصوت به لما تقدم من التقييد بذلك في الرواية السابقة ومن ثم جا
اذا عطس احدكم اي هم بالعطاس فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته
اي ولا يبالغ وجود التقا وجود ام عثمان بن العاص عند امه صلى الله عليه وسلم
عند ولادته ما روي انها قالت لما اخذني ما ياخذ النسا اي عند الولادة
والى لوحيدة في المنزل رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد مناف
يحدقن بي وفي كلام ابن المحدث ودخل على نسا طوال كانهن من بنات عبد المطلب
ما رايت اضوا منهن وجوها وكان واحدة من النسا تقدمت الي فاستندت
اليها واخذني المخاض واشتد علي الطلق وكان واحدة منهن تقدمت
الي وناولتني شربة من الما اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من
الشهد فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت

ثم مسحت بيدها على بطني وقالت لكم بعد بسم الله اخرج باذن الله فقلت
لي اي تلك النسوة نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من
الحور العين لجواز وجود التفاوام جهتان عندها بعد ذلك وتاخر
خروجه صلى الله عليه وسلم عن القول المذكور حتى نزل على بدا الشقا لما تقدم
من قولها ووقع على يدي ولعل حكمة شهود آسية ومريم لولادته صلى الله عليه وسلم
كونهما يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم اخت موسى عليه
الصلاة والسلام ففي الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم بنت
عمران وامراة فرعون واخت موسى وصح انه عند موت خديجة رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم قال لها اشعرت ان الله قد اعلمني انه سيزوجني
وفي رواية اما علمت ان الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران
وكلثم اخت موسى عليه السلام وآسية امراة فرعون فقالت الله اعلمك
بهذا قال نعم قالت بالرفا والبنين وقد حمى الله هؤلاء النسوة عن ان يطاهن
احد فقد ذكر ان آسية لما ذكرت لفرعون احب ان يتزوجها فتزوجها على كره
منها ومن ابيها مع بذله لها الاموال الجليلة فلما زفت له وهم بها اخذه الله
عنها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر اليها واما مريم عليها
السلام فقيل انها تزوجت بابن عمها يوسف النجار ولم يقربها وانما
تزوجها ليرافقها الى مصر لما ارادت الذهاب الى مصر بولدها عيسى
عليه السلام واقاموا بها اثني عشر سنة ثم عادت مريم وولدها الى الشام
ونزلا الناصرة واخت موسى عليه السلام لم يذكر انها تزوجت وهذا
يفيد ان بنات عبد مناف او بنات عبد المطلب على ما تقدم كن متميزات
عن غيرهن من النساء في افراط الطول وقد رايت ان عليا ابن عبد الله بن
عباس وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور اول خلفا بني العباس
ابو ابيهما محمد كان مفرطا في الطول كان اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب
وكان مع هذا الطول الى منكب ابيه عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس
الى منكب ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبد المطلب لكن

ابن الجوزي

٨٧

ابن الجوزي اقتصر في ذكر الطوال على عمر ابن الخطاب والزبير ابن العوام
وقيس ابن سعد وجب ابن كمد وعلي ابن عبد الله ابن عباس وسكت
عن عبد الله ابن عباس وعن ابيه العباس وعن ابيه عبد المطلب وفي
المواهب ان العباس كان معتدلا وقيل كان طوالا وروي ان عليا هذا
جد الخلفا العباسيين كان على غاية من العبادة والزهادة والعلم والعمل
وحسن الشكل حتى قيل انه كان اجمل قرشي على وجه الارض وكان يصلي
في كل ليلة الف ركعة ولذلك كان يدعى السجاد وان سيدنا علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه وهو الذي سماه عليا وكناه ابا الحسن فقد روي ان عليا كرم الله
وجهه افتقد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في وقت صلاة الظهر فقال
لاصحابه ما بال ابي العباس يعني عبد الله لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما
صلى علي كرم الله وجهه قال امضوا بنا اليه فاتاه فهناه فقال شكرت
الواهب وبورك لك في الموهوب زاد بعضهم ورزقت بره وبلغ اشده ما
سميته قال او يجوز لي ان اسميه حتى تسميه فامر به فاخرج اليه
فاخذه وحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك ابا الاملاك هذا
سميته عليا وكنيته ابا الحسن فلما ولي معاوية الخلافة قال لابن عباس
ليس لكم اسمه وكنيته يعني علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه كراهة في
ذلك وقد كنيته ابا محمد فجرت عليه وقد يخالف ذلك ما ذكر بعضهم ان
عليا المذكور لما قدم على عبد الملك ابن مروان قال له غير اسمك او كنيتك
فلا صبر لي على اسمك وهو علي وكنيتك وهو ابا الحسن قال اما الاسم
فلا اغيره واما الكنية فاكنى بابي محمد وانما قال عبد الملك ذلك كراهة
في اسم علي ابن ابي طالب وكنيته وعلى هذا دخل هو وولدا ولده محمد وهما
السفاح والمنصور وهما صغيران يوما على هشام بن عبد الملك ابن مروان
وهو خليفة فاكرمه هشام فصار يوصيه عليهما ويقول له سيليان هذا

الامر يعني الخلافة قد فصار هشام يتعجب من سلامة باطنه ويتبسم
في ذلك الى الحمق وقيل ان الوليد ابن عبد الملك اي لما ولي الخلافة وبلغه
عنه انه يقول ذلك ضربه بالسياط على قوله المذكور واركبه بعيرا وجعل وجهه
مما يلي ذنب البعير وصايح يصيح عليه هذا علي ابن عبد الله ابن عباس
الكذاب قال بعضهم فاتيته وقلت له ما هذا الذي ينسبك اليك من الكذب
قال بلغهم عني اني اقول ان هذا الامر يعني الخلافة ستكون في ولدي والله
ليكونن فيهم فكان الامر على ما ذكر فقد ولي السفاح الخلافة ثم المنصور
وبنو ولده الى اليوم وللبيهقي ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قدم
على معاوية رضي الله عنه فاجازه واحسن جائزته ثم قال يا ابا العباس
هل تكون لكم دولة قال اعفني يا امير المؤمنين قال لتخبرني قال نعم قال
فمن انصاركم قال اهل خراسان اي وهو ابو مسلم الخراساني يجيء بجيشه
معه رايات سود يسلب دولة بني امية ويجعل الدولة لبني العباس
فيقال ان ابا مسلم هذا قتل ستمائة الف رجل صبرا غير الذي قتله في الحروب
وهذه الرايات السود غير التي عناها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اذا
رايتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاتوها فان فيها
خليفة الله المهدي فان تلك الرايات تاتي قبيل قيام الساعة ثم صارت
الخلافة في اولاد المنصور وقوله على بني ولدي واضح لان ولد الولد
ولد وقد حكى في مرآة الزمان عن المامون انه قال حدثني ابي يعني
هارون الرشيد عن ابيه المهدي عن ابيه المنصور عن ابيه محمد بن علي
عن ابيه علي عن ابيه عبد الله ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال سيد القوم خادمهم وذلك انه مما يؤثر عن المامون انه كان
يقول استخدام الرجل ضيفه لوم وكان يقول لو عرف الناس حبي
للعفو لتقربوا الي بالجرائم واني اخاف الا اوجر على العفو لانه

صار له

صار له طبيعة وسجية قالت امه صلى الله عليه وسلم ورايت ثلاثة اعلام
مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة والله اعلم ولما ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين
قال وهذا مما يوجه انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا فعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الانا
لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه
تحت برمة زاد في لفظ ضخمة والبرمة القدر فلما اصبحوا اتوا البرمة فاذا هي
قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السما فعجبوا من ذلك وعن امه انها قالت
وضعت عليه الانا فوجدته قد تفلق الانا عنه وهو يمص ابهامه يشخب
اي يسيل لبنا انتهى اي وفي العرايس ان فرعون لما امر بذبح ابناء بني
اسرائيل جعلت المراة اي بعض النسا لما لا يخفى اذا ولدت الغلام انطلقت
به سرا الى واد او غار فاخفته فيه فيقيض له ملكا من الملائكة يطعمه
ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي الى السامري لما جعلته امه في غار من
الملائكة جبريل عليه السلام فكان اي السامري يمص من احدى ابهاميه سمنا
ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع الرضيع يمص ابهامه فيروى من المص فقد جعل
له فيه رزقا والسامري هذا كان منافقا يظهر الاسلام لموسى عليه السلام
ويخفي الكفر وفي رواية ان عبد المطلب الذي دفعه للنسوة ليضعوه
تحت الانا اقول هذا الموافق لما سياتي عن ابن اسحاق رحمه الله تعالى من
ان امه لما ولدته ارسلت الى جده اي وكان يطوف بالبيت تلك الليلة في
اليها اي فقالت له يا ابا الحارث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب
وقال اليس بشرا سويا قالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع راسه
واصبعيه الى السما فاخرجته له ونظر اليه واخذه ودخل به الكعبة
ثم خرج فدفعه اليها وبه يظهر التوقف في قول ابن دريد اكفئت
عليه جفنة لئلا يراه قبل جده فالجفنة قد انفلقت عنه الا ان يقال

يجوز ان يكون جا احد بعد انغلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة
ثم بعد خروجه من الكعبة دفعها لها والنسوة ليضعوه تحت جفنة
اخرى الي ان يصبح فانفلقت تلك الجفنة الاخرى حتى لا ينافي ذلك
ما تقدم عن امه فوجدت الانا قد انفلق وهو يمص ابهامه وعن اياس
الذي يضرب به المثل في الذكا قال اذكر الليلة التي وضعت فيها امي
علي راسي جفنة وقال الاصمعي سمعتها لما ولدت قالت يا بني طست
سقط من فوق الدار الي اسفل ففزعت فولدتك تلك الساعة قال
بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل وان ايا سا منهم ولعل هذا
هو المراد بما جا في الحديث يبعث الله علي راس كل مائة سنة من يجدد لهذه
الامة امر دينها والمراد براسها اخرها بان يدركه اوايل المائة التي تليها
بان تنقضي تلك المائة وهو حي الا اني لم اقف علي ان ايا سا هذا كان من
المجددين وفي تفسير ابن مخلد الذي قال في حقه ابن حزم ما صنف مثله
اصلا ان ابليس رن اي صوت بحزن وكآبة اربع رنات رنة حين
لعن ورنة حين اهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي وهو المراد بقول بعضهم يوم بعثه ورنة حين انزلت عليه صلى الله عليه وسلم
فاتحة الكتاب والي رنته حين ولادته صلى الله عليه وسلم اشار صاحب
الاصل بقوله لمولده قد رن ابليس رنة فسحقا لما ذا ابتدر رنته
وعن عطا الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة
اجتمع اليه فيها جنوده من اقطار الارض فقالوا يا سيدنا ما هذه الصرخة
التي افزعتنا قال امر نزل بي لم ينزل قط اعظم منه قالوا وما هو فتلا
عليهم الآية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة
فقال اطلبوا فاني ساطلب قال فلبثوا ما شا الله ثم صرخ اخرى
فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها

الا التي قبلها قال هل وجدتم شيا قالوا لا قال لكني قد وجدت
قالوا وما الذي وجدت قال ازين لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا
يستغفرون اي لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا
ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله منها وقد جا في الحديث ان الله ان
يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته اي لا يثيبه علي عمله ما دام
متلبسا بتلك البدعة وعن الحسن قال بلغني ان ابليس قال سولت
لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم
ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهوا اي البدع وقد جا في الحديث
اخاف علي امتي بعدي ثلاثا ضلالة الاهوا الحديث واهل الاهوا هم اهل
البدع وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراي
تساقط النجوم قال لجنوده لقد ولد الليلة ولد يفسد علينا امرنا
وهذا يدل علي ان تساقط النجوم كان عند ابليس علامة علي وجود نبينا
صلى الله عليه وسلم فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنى من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل عليه السلام فركضه برجله
ركضة فوقع بعدن وكون تساقط النجوم كان عند ابليس علامة
علي وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت
الشياطين ومنعت من مقاعدها في السما لاستراق السمع شكوا
ذلك لابليس فقال لهم هذا امر حدث في الارض وامرهم ان ياتوه
بتربة من كل ارض فصار يشمها الي ان اتي بتربة تهامة ارض تهامة فلما
شمها قال من هاهنا الحادث هكذا ساقه بعضهم عند ولادته صلى الله عليه وسلم
الا ان يقال لا اشكال لان تساقط النجوم وان كان علامة علي وجود نبينا
صلى الله عليه وسلم لكن في اي ارض علي ان بعضهم انكر كون ما ذكر
كان عند الولادة وقد تقدم ان المذكور في كلام غيره انما هو عند مبعثه
صلى الله عليه وسلم كما سياتي ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم
روي ان الشياطين كانت تصعد الي السما ثم تجاوز سما الدنيا الي غيرها

فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع
اي في سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعوا من التردد الى السماء
الافلاك اي فصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا في بعض الاحايين وفي
اكثر الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فمنعوا اصلا
فصاروا لا يسترقون السمع الا دون سماء الدنيا ثم رايت في نقلت في الكوكب
المنير في مولد البشير النذير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كانوا
لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون
في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث
سموات وعن وهب عن اربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا
عن الكل وحرست بالشهب فما يريد احد منهم استراق السمع الا رمي
بشهب وسيأتي عند المبعث ايضاح هذا المحل وقد اخبرت الاحبار
والرهبان بولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضي الله عنه
قال اني لغلام يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت
وسمعت اذا بيهودي بيثرب يصيح ذات غداة على اطمة اي محل مرتفع يا معشر
يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع وقالوا ويلك ما لك فقال طلع نجم احمد الذي يولد
به في هذه الليلة اي الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم
في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة وحسان هذا سيأتي انه ممن
عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام مثلها وكذا عاش هذا العدد
وهو مائة وعشرون سنة ابوه وجده والد جده قال بعضهم ولا
يعرف اربعة تناسلوا وتساوت اعمارهم سواهم وكان حسان رضي الله
عنه يضرب بلسانه ارنبة انفه وكذا ابنه وابوه وجده وعن كعب
الاحبار رضي الله عنه رايت في التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت
خروج محمد صلى الله عليه وسلم اي من بطن امه وموسى عليه السلام اخبر
قومه ان الكوكب المعروف عندكم كذا اذا تحرك وسار عن موضعه

وهو

فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم اي وصار ذلك يتوارثه العلماء
من بني اسرائيل وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان يهودي يسكن
مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما
نعلمه قال احفظوا ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة
اي وهو منكم معاشر قريش على كتفه اي عند كتفه علامة اي شامة فيها
شعرات متواترات اي متتابعات كانهن عرف فرس اي وتلك العلامة
هي خاتم النبوة اي علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين وذلك
في الكتب القديمة من دلائل نبوته اي وعدم ارضاعه العلة لتوعك
يصيبه وفي كلام الحافظ ابن حجر واقره تعليلا لعدم ارضاعه لان
عفريتا من الجن وضع يده في فيه وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق
القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم اخبر
كل انسان منهم المرونة لفظ اهله فقالوا لقد ولد الليلة لعبد الله
ابن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاءوا اليهودي
واخبروه الخبر اي قالوا اعلمت ولد فينا مولود قال اذهبوا معي حتى
انظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي الينا ابنك
فاخرجته وكشفوا عن ظهره فراى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما
افاق قالوا ويلك ما لك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل
افرحتم به يا معشر قريش اما والله ليسطون عليكم سطوة يخرج
خبرها من المشرق الى المغرب اي وعن الواقدي رحمه الله انه كان
بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم اي الوقت الذي ولد فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش قال يا معشر
قريش قد ولد نبي هذه الامة الليلة في بحرتكم اي ناحيتكم هذه

وجعل يطوف في انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب
فسال فقيل له وقد ولد لابن عبد المطلب اي لعبد الله غلام فقال هو نبي
والنور امره وكان بمر الظهران راهب من اهل الشام يدعى عيص وقد
كان اتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس
ويقول يوشك اي يقرب ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب
اي تذل وتخضع ويملك العجم اي ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه
اي ادرك بعثته واتبعه اصاب حاجته اي ما يؤمله من الخير ومن ادركه
وخالفه اخطا حاجته فكان لا يولد بمكة مولود الا ويسال عنه ويقول
ما جاء بعد اي الان فلما كان صبيحة اليوم اي الوقت الذي ولد فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف على اصل
صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب اي وقيل
الجائي له عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على انه لم يمت وامه
حامل به ولعل قائله اخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له ما ترك
عليه اي على ذلك المولود فقال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت
احدثكم عنه وان نجمه اي الذي طلوعه علامة على وجوده طلع
البارحة وعلامة ذلك اي ايضا انه الان وجع فيشتكي ثلاثا ثم
يعافى فاقول اي ولا يرضع في تلك الثلاث ليالي فلا يخالف
ما سبق من قول الاخر لا يرضع ليلتين ولا دلالة في قوله كن اباه على
ان الجائي للراهب عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له ابو النبي
صلى الله عليه وسلم ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب
وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب كما تقدم والله
اعلم ثم قال له فاحفظ لسانك اي لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك
فانه لم يحسد حسده احد ولم يبغ على احد كما يبغى عليه قال

فاعمره

فاعمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها
في احدى وستين او ثلاث وستين زاد في رواية وذلك اجل اعمار امته
وعند ولادته صلى الله عليه وسلم تكسرت الاصنام اي اصنام الدنيا
وتقدم ايضا انها تنكست عند الحمل به وتقدم انه لا مانع من تعدد ذلك
وجاء ان عيسى عليه السلام لما وضعته امه خر كل شيء يعبد من دون الله
في مشارق الارض ومغاربها ساجدا لوجهه وفزع ابليس فعن وهب بن
منبه لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم
اصبحت الاصنام في جميع الارض منكسة على رؤسهم وكلما ردوها على
قوائمها انقلبت فحارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فشكت الى
ابليس فطاف ابليس في الارض ثم عاد اليهم فقال رايت مولودا والملائكة
قد حفت به فلم استطع ان ادنو اليه وما كان نبي قبله اشد علي وعليكم
منه واني لارجو ان اضل به اكثر ممن يهتدي به اقول قد علمت ان
تنكيس الاصنام تكرر لنبينا صلى الله عليه وسلم عند الحمل وعند الولادة
فالخاص به ما كان عند الحمل الا ما كان عند الولادة لمشاركة عيسى عليه
السلام في ذلك فبهذا يعلم ما في قول الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى
ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم تنكيس الاصنام لمولده وعن عبد المطلب
قال كنت في الكعبة فرايت الاصنام سقطت من اماكنها وخرت سجدا وسمعت
صوتا من جدار الكعبة يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر
من عبادة الاصنام ويامر بعبادة الملك العلام ولا يبعد قال ابليس في حق
عيسى عليه السلام لا استطيع ان ادنو اليه وتقدم في حق نبينا صلى الله
عليه وسلم ان ابليس دنا منه فركضه جبريل عليه السلام لانا نقول يجوز
ان يكون الدنو في حق نبينا صلى الله عليه وسلم دنوا الى محله الذي هو فيه
لا الى جسده والدنو المنفي في حق عيسى عليه السلام دنوا الى جسده //

فان قيل لحا في الحديث ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل
صارخا الا مريم وابنها عليهما السلام رواه الشيخان اي لقول ام مريم اني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي رواية كل بني ادم يطعن
الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن
فطعن في الحجاب اي وهي المشيمة التي يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه
جنبه الايسر وعن قتادة كل مولود يمسه الشيطان باصبعه في جنبه فيستهل
صارخا الا عيسى ابن مريم وامه مريم ضرب الله لهما حجابا فاصابت الطعنة
الحجاب فلم ينفذ اليهما منه شي ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل ان يكون
غيرها قلنا لحا عن مجاهد ان مثل عيسى في عدم طعن الشيطان في خصره
حين يولد سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يقال من قبل
الراي وعلى تقدير صحة ذلك يكون تخصيص عيسى وامه بالذكر لما ان
قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كعيسى وامه وهذا الكلام يرد بيان القاضي عياض للضرر المنفي
في قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اراد ان ياتي اهله بسم الله اللهم
جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما في ذلك
الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان ابدا بان المراد انه لا يطعن
فيه عند ولادته بخلاف غيره وهذا اي عدم قربه من نبينا صلى الله عليه وسلم
يجوز ان يكون من خصوصية ابليس فلا ينافي ما تقدم عن الحافظ ابن
حجر ان عدم ارتضاعه صلى الله عليه وسلم في ليلتين بوضع عفريت من
الجن يده في فيه على تسليم صحته وصاحب الكشاف لخرج الحس ومثله
الطعن عن حقيقته وقال المراد به طمع الشيطان في اغوايه وتبعه
القاضي على ذلك وسيالي في شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق
بذلك وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي اعلم انه لا بد لجميع بني ادم
من

٨٧

من العفونة والالم شيا بعد شي الى دخولهم الجنة لانه اذا انتقل الى البرزخ
فلا بد من الالم ادناه سوال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد من الم الخوف
على نفسه او غيره واول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته
صارخا لما يجده من مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهوى بخروجه عندهم
من الرحم فيحس بالم البرد فيبكي فان مات فقد اخذ حظه من البلا
وقال بعد ذكر في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام والسلام
علي يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند
الولادة حين يصرخ المولود اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى عليه
السلام بل وقع ساجدا لله حين خرج فليتامل هذا مع قوله ان استهلال
المولود وصراخه حين يولد لحسه الم البرد الذي يجده بعد مفارقة
سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على ان سجود نبينا صلى الله عليه وسلم
حين ولد ليس من خصائصه والله اعلم وذكر ان نفرا من قريش منهم
ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا
يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراوه منكبا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه فردوه الى حاله
فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان
هذا الامر حدث ثم انشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب
من امره ويساله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم
يصوت جهير اي مرتفع يقول ، تردى لمولود اضاءت بنوره ،
، جميع فجاج الارض بالشرق والغرب ، الاوثان والذكرات صاحب الهنا
لهيبة بقوله ، وتوالت بشرى الهواتف ان قد ولد المصطفى وحق
اي تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى
شخصه بان قد ولد المصطفى افتخارا على الخلق كلهم وثبت لهم الفرح

والسرور ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت الكعبة ولم تسكن ثلاثة ايام
ولياليهن وكان ذلك اول علامة رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم
وارتجس اي اضطرب وانشق ايوان كسرى انوشروان ومعنى انوشروان مجدد
الملك اي وكان بناء محكما بالحجارة الكبار والجص يضرب لا تعمل فيه الفؤس
مكث في بنايه بضعا وعشرين سنة اي وسمع لشقه صوت هايل وسقط من ذلك
الايوان اربع عشرة شرفة بضم الشين المعجمة وسكون الراء اي وليس ذلك
لخلل في بنايه وانما اراد الله تعالى ان يكون ذلك اية لنبيه صلى الله عليه وسلم
باقية على وجه الدهر اي وقد ذكر ان الرشيد امر وزيره يحيى ابن خالد
البرمكي والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيى لا تهدم
بناء دل على فخامة شان بانيه قال بلى يا مجوسي ثم امر بنقضه فقدر له نفقة
على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيى ليس يحسن بك ان
تعجز عن هدم شي بناه غيرك وهذا والذي رايته في بعض المجاميع ان
المنصور لما بنى بغداد احب ان ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها
مرحلة فاستشار خالد ابن برمك فنهاه وقال هو اية الاسلام ومن راه
علم ان من هذا بناؤه لا يزول امره الا بامر سماوي وهو مصلى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
والمؤنة في نقضه اكثر من الانفاق عليه ولما بلغ من تكرر طلب نقضه
من المنصور ومن ولده الرشيد وان قال الرشيد ليحيى بن خالد
يا مجوسي لان جده والد خالد البرمكي وهو برمك كان من خراسان
وكان اولا مجوسيا ثم اسلم وكان بها شاعرا فاضلا محصلا لعلوم كثيرة
جا الى الشام في دولة بني امية فاتصل بعبد الملك بن مروان فحسن
موقعه عنده وعلا قدره ثم لما زالت دولة بني امية وجات دولة بني
العباس صار وزيرا للسفاح ثم لصحبة المنصور من بني العباس
ورايت عن برمك هذا حكاية عجيبة وهي انه سار الى زيارة ملك الهند
فاكرمه وانس به واحضر له طعاما قال فاكلت حتى انتهيت

يقتضي ان ادم عليه السلام لم يكن يركب البراق فقول بعضهم ان
الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت تركبه مراده مجموعهم لا جميعهم
وخفض الله له ما كان في الارض من مخاض او بحر فلم يكن يضع قدمه في
الارض شي الا صار عمرانا وصار خطوه مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا
خيمة في موضع الكعبة اي الموضع الذي به الكعبة الان وتلك الخيمة
ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة مجوفة اي وفيها اربعة اركان بيض وفيها
ثلاث قناديل من ذهب فيها نور يلتهب من نور الجنة طولها ما بين السما
والارض كذا في بعض الروايات ولعل وصف الخيمة بما ذكر لا ينافي
ما تقدم انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور ووصف
بانه ياقوتة حمراء الان ووصفه في الواقع كان ياقوتة حمراء الا ان التغير
لعله بعد فليتامل ونزل مع ذلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة
بيضا من ارض الجنة وكان كرسيا لادم عليه السلام يجلس عليه
اي ولعل المراد يجلس عليه في الجنة اقول وهذا السياق يدل على ان
ادم عليه السلام اهبط من الجنة الى ارض الهند ابتدا وذكر في مثير
الغرام عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله اهبط ادم الى موضع الكعبة
وهو مثل الفلك من شدة رعدته ثم قال يا ادم تخطا فتخطا فاذا
هو بارض الهند فمكث هناك ما شا الله ثم استوحش الى البيت فقيل له
حج يا ادم فاقبل يتخطا فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك
مفازة حتى قدم مكة الحديث والسياق المذكور ايضا يدل على ان الخيمة
والحجر الاسود نزلا بعد خروج ادم من الجنة ويدل لكون الحجر الاسود نزل
عليه ما في مثير الغرام وانزل عليه الحجر الاسود وهو يتلالا كانه لولوة
بيضا فاخذه ادم عليه السلام فضمه اليه استئناسا به هذا كلامه
وفي رواية عنه انزل الركن والمقام مع ادم عليه السلام ليلة نزل

ادم من الجنة فلما اصبح راي الركن والمقام فعرفهما فضمهما اليه وانس
بهما قلت يا مل الجمع وفي رواية ان ادم عليه السلام نزل بتلك الياقوتة
فعن كعب انزل الله من السما ياقوتة مجوفة مع ادم عليه السلام فقال
له يا ادم هذا بيتي انزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي
ويصلي حوله كما يصلي حول عرشي اي على ما تقدم ونزل معه الملايكة
فرفعوا قواعده من الحجارة ثم وضع البيت اي تلك الياقوتة عليها
وقد يحتاج الي الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وقد
يقال في الجمع بجواز ان يكون المعية ليست حقيقية والمراد انه نزل بعد
قريبا من نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافي ما تقدم من قوله
يا ادم اني قد اهبطت بيتا يطاف به فاخرج اليه وجا ان ادم نزل من
الجنة ومعه الحجر الاسود متابطه اي تحت ابطه وهو ياقوتة من يواقيت
الجنة ولولا ان الله طمس نوره ما استطاع احد ان ينظر اليه وكون
ادم نزل بالحجر الاسود متابطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل
مع تلك الخيمة التي هي الياقوتة بعد نزوله وقد يحتاج الي الجمع بين
هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وايضا يحتاج الي الجمع بين ذلك
وبين ما روي عن وهب بن منبه ان ادم عليه السلام لما امره الله
بالخروج من الجنة اخذ جوهرة من الجنة اي التي هي الحجر الاسود مسح
بها دموعه فلما نزل الي الارض لم يزل يبكي ويستغفر الله ويمسح
دموعه بتلك الجوهرة حتى اسودت من دموعه ثم لما بني البيت امره
جبريل ان يجعل تلك الجوهرة في الركن ففعل وفي بهجة الاسرار
ان الحجر الاسود كان في الابتدا ملكا صالحا ولما خلق الله ادم واباح
له الجنة كلها الا الشجرة التي نهاه عنها ثم جعل ذلك الملك موكلا
على ادم ان لا ياكل من تلك الشجرة فلما قدر الله تعالى ان ادم ياكل
من

من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى الي ذلك
الملك بالهيبة فصار جوهرا الا ترى انه جا في الاحاديث ان الحجر الاسود
ياتي يوم القيمة وله يد ولسان واذن وعين لانه كان في الابتدا
ملكا اقول ورايت في ترجمة الشيخ كمال الدين الاخميمي انه لما جاور
بمكة راي الحجر الاسود وقد خرج من مكانه فصار له يدان ورجلان ووجه
ومشي ساعة ثم رجع الي مكانه وقد جا اكثروا من استلام هذا الحجر
فانكم توشكون ان تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات ليلة
اذ اصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا يترك شيا من الجنة في الارض
الا اعاده فيها قبل يوم القيمة اي فقد جا ليس في الارض من الجنة
الا الحجر الاسود والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ولولا ما مسهما
ذوو عاهة الا شفاه الله عز وجل وجا استكثروا من الطواف بهذا
البيت قبل ان يرفع وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة والله اعلم
وجا ان ادم عليه السلام اتي ذلك اي تلك الخيمة التي هي البيت
المعمور على ما تقدم الف مرة من الهند ماشيا ثلاثمائة حجة وسبعماية
عمرة واول حجة حجها جبريل معه وواقف بعرفة فقال له يا ادم
بر نسكك اما انا قد طفنا بهذا البيت قبل ان تخلق بخمسين
الف سنة وفي رواية لما حج ادم استقبلته الملايكة بالردم اي
ردم بني جمح الذي هو محل المدعي فقالوا بر حجك يا ادم قد حججنا هذا
البيت قبلك الف عام اقول وفي تاريخ مكة للازرقي ان ادم عليه
السلام حج على رجليه سبعين حجة ماشيا وان الملايكة لقيته بالمازمين
فقالوا بر حجك يا ادم فانا قد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام والمازمين
والمازمان موضع بين عرفة ومزدلفة قال الطبري ودون بين
ايضا مازمان والله اعلم بالمراد منهما هذا كلامه وجا انه وجد الملايكة

بذي طوى وقالوا له يا ادم ما زلنا ننتظرك ها هنا منذ الفي سنة
وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور خلع نعليه ويجاب بالجمع
بين كون الملايكة استقبلته بالردم وكونها لقيته بالمازمين وكونه
وجدهم بذي طوى وبين كونهم حجوا البيت قبله بالفي عام وكونهم حجوه
قبله بالفي عام وبخمسين الف عام وهل الملايكة خلقوا دفعة
واحدة ام خلقوا جيلا بعد جيل ومما يدل على انهم جيل بعد جيل
ما جاء عن مجاهد قال سبحان الله وبحمده خلق الله ملكا له عينان
وجناحان وشفتان ولسان يطير مع الملايكة ويستغفر لقايلها
الى يوم القيمة وما جاء ان جبريل عليه السلام في كل غداة يدخل نهر
النور فينغمس فيه الحديث لكن في سفر السعادة الحديث
المنسوب الى ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
يامر الله تعالى جبريل عليه السلام كل غداة ان يدخل بحر النور فينغمس
فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون الف قطرة
يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا ولهذا الحديث طرق كثيرة ولم
يصح منها شي ولم يثبت في هذا المعنى حديث هذا لفظه والله اعلم
وعند ذلك قال ادم عليه السلام للملايكة ما تقولون حوله قالوا كنا كنتم
نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ادم زيدوا فيها
ولا حول ولا قوة الا بالله فكان ادم اذا طاف يقولها وكان طوافه سبعة
اسابيع بالليل وخمسة اسابيع بالنهار اي ولما فرغ من الطواف صلى
ركعتين تجاه باب الكعبة ثم اتى الى الملتزم اي محله فقال اللهم انك
تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي
فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فاعطني سولي الحديث اقول قول
الملايكة قد طفنا بهذا البيت لا يحسن ان يعنوا به تلك الخيمة

المعنية

٩٠

المعنية بقوله تعالى لادم قد اهبطت بيتا الى اخر ما تقدم او كونها
اهبطت مع ادم بل المراد محل ذلك البيت الذي هو الخيمة قبل ان ينزل
ويجوز ان يكون المراد تلك الخيمة بناء على انها البيت المعمور وان
الملايكة طافوا بها قبل نزولها الى الارض قال وعن وهب بن منبه
قرات في كتاب من كتب الاول ليس من ملك بعثه الله الى الارض
الا امره بزيارة البيت فينقض من عند العرش محرما ملبيا حتى
يستلم الحجر ثم يطوف سبعا بالبيت ويصلي في جوفه ركعتين ثم يصعد
اقول يجوز ان يكون المراد باحرامه نية الطواف بالبيت لا الاحرام
بالعمرة بدليل قوله ثم يطوف سبعا بالبيت الى اخره ويجوز ان يكون
المراد بالبيت في كلام وهب محل تلك الخيمة او نفس تلك الخيمة ويكون
بعث من وجد من الملايكة بعد ذلك ولا يخفى ان الاول يبعده قوله
حتى يستلم الحجر وعلى الثاني يكون فيه دلالة على ان الحجر الاسود كان
في تلك الخيمة يبتدي الطواف منه وجاء عن عطاء وسعيد بن المسيب
وغيرهما ان الله عز وجل اوحى الى ادم عليه السلام ان اهبط الى الارض
ابن لي بيتا ثم احفف به كما رايت الملايكة تحف ببيتي الذي في السما
وفي رواية وطف به واذكرني عنده كما رايت الملايكة تصنع حول
عرشي اي على ما تقدم وهذا السياق لظاهره يوافق ما تقدم عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان هبوط ادم كان من الجنة الى موضع الكعبة
ابتداء والله اعلم قال وجاء ان جبريل بعثه الله الى ادم وحوا فقال
لهما ابنيا اي قال لهما ان الله يقول لكما ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل
فجعل ادم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اجابه الماء ونودي من تحته
حسبك يا ادم وفي رواية حتى اذا بلغ الارض السابعة فقذفت
فيها الملايكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلا انتهى وفيه انه

ان كان امر ادم عليه السلام ببنا البيت بعد مجيه الى تلك الخيمه
من الهند ما شاخا لف ظاهر ما تقدم عن عطا وسعيد بن المسيب
اوحى الله الى ادم ان اهبط الى الارض ابن لي بيتا اذ ظاهره انه
اوحي اليه بذلك وهو في الجنه الا ان يقال المراد بالارض في قوله
اهبط الى الارض ارض الحرم اي اذهب الى ارض الحرم ابن لي بيتا ثم لا
يخفى ان قوله فقذفت فيه الملائكة الصخر يقتضي ان القا الملائكة
للصخر كان بعد حضور ادم عليه السلام وهو مخالف لما تقدم ان نزل
الله لها بياقوتة مجوفه مع ادم عليه السلام فقال يا ادم هذا
بيتي انزلته معك ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجاره
ثم وضع البيت عليها فيكون القا الملائكة للصخر بعد حضور ادم فلما تم
ذلك الاس جعل ذلك البيت فوق الصخور ويكون المراد بقوله ونزل
معه الملائكة اي اصحبوه من ارض الهند الى ارض الحرم وجا في بعض
الروايات ان ادم وحوا لما اسساه نزل البيت من السما من ذهب
احمر وحمل به الملائكة سبعون الف ملك فوضعوه على اس ادم ونزل
الركن فوضع موضعه اليوم من البيت فطاف به ادم اي كان يطوف
به قبل ذلك وبهذا يجتمع الروايات وح لا مانع ان ينسب بنا هذا
الاساس الذي وضعت الملائكة عليه تلك الخيمه لادم وان ينسب
للملائكة اما نسبته للملائكة فواضح واما نسبته لادم عليه السلام
فلانه السبب فيه او لانه كان اذا القته الملائكة للصخر يضع
ادم عليه السلام بعضه فوق بعض وعلى نسبة ذلك بنا ذلك
الاس للملائكة ولادم عليه السلام يحمل القول بان اول من بنى
الكعبه الملائكة والقول بان اول من بنى الكعبه ادم عليه السلام
فليتامل وقد جا ان ادم عليه السلام بناه من لبنان جبل بالشام
ومن

ومن طور زيتا جبل من جبال القدس ومن طور سينا جبل بين مصر
وايليا وفي كلام بعضهم انه جبل بالشام وهو الذي نودي منه
موسى ومن الجودي وهو جبل بالجزيره ومن حرا حتى استوى على وجه
الارض اقول وفي رواية انه بناه من ستة اجبل الخمسة السابقة ومن ابي
قبيس ومن رضوى وفي احدى المتحصل من الروايتين انه بناه من
ثمانية اجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك البيت الذي هو الخيمه
الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الغرق بعث الله اليه
سبعين الف ملك رفعوه الى السما اي الرابعه فهو البيت المعمور
كما في الكشاف وكان رفعه لئلا يصيبه الما النجس وبقيت قواعده
التي هي الاس وبني الصرابيس ثم طافت السفينه باهلها الارض
كلها في ستة اشهر لا تستقر على شي حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت
بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان بجيه ادم عليه السلام
صيانة له من الغرق اي وهو البيت المعمور وكون حوى استانست
بالبيت مع ادم يخالف ما جا ان حوى اهبطت بجده وحرم الله عليها
دخول الحرم والنظر الى خيمة ادم والى شي من مكة لاجل خطيئتها وانها
ارادت ان تدخل مع ادم الى مكة فقال لها اليك عني فقد خرجت من الجنه
بسببك فتريدي ان تحرم هذا فكان ادم اذا اراد ان يلقاها
ليلم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر مجاهد ابن جرير ان الله
تعالى اهبط ادم على جبل سرنديب بالهند اي وقد تقدم ما فيه وحوا بجده
بالحا المهمله وقيل بالجيم جا ادم في طلبها فتقارفا بالمحل الذي قيل له
بسبب ذلك عرفة واجتمعا بالمحل الذي قيل له بسبب ذلك جمع وازدلفت
اليه في المحل الذي قيل له بسبب ذلك مزدلفه وهذا يدل على ان جمع
غير مزدلفه وهو خلاف المشهور من ان جمع هو مزدلفه الا ان يقال لكل

كل من المحلين من جملة البقعة واطلق كل من الاسمين على جميع تلك البقعة
وقيل سمي الجبل عرفة لان جبريل عليه السلام لما علم ابراهيم عليه السلام
المناسك وانتهى الى عرفة اي والمراد مناسكه التي قبل عرفة والا فمعظم
المناسك بعد عرفة فتامل وفي الخصائص الصغرى عن رزين انه روى
ان ادم عليه السلام قال ان الله اعطى امة محمد صلى الله عليه وسلم اربع كرامات
لم يعطنيها كانت توبتي بمكة واحدهم يتوب في كل مكان الحديث وهو يدل
على ان توبته عليه السلام كانت قبل طوافه بالبيت ويذكر ان حوا
عاشت بعد ادم عليه السلام سنة وجا ان ادم عليه السلام لما فرغ
من بنا البيت امره الله تعالى بالمسير الى ان يبني بيت المقدس فسار وبناه
ونسك فيه وحج لا يشكل قوله صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اي مسجد
وضع في الارض اول المسجد الحرام قيل اي قال بيت المقدس قيل
كم بينهما قال اربعون سنة وحج لاحتياجه لجواب الامام البلقيني بان المراد
ان المدة المذكورة بين ارضيهما في الدحو اي دحيت ارض المسجد الحرام
ثم بعد مضي مقدار اربعين سنة دحيت ارض بيت المقدس وفيه ان الامام
البلقيني انما اجاب بذلك بناء على ان سيدنا ابراهيم هو الباني للمسجد
الحرام والباني لبيت المقدس سيدنا سليمان عليهما السلام فان بينهما كما قيل
اكثر من الف عام وكذا لا اشكال اذا كان الباني للمسجد الحرام ادم والباني
لمسجد بيت المقدس احد اولاده كما قيل بذلك ومن ثم اجاب بعضهم بان
سليمان عليه السلام انما كان مجددا لبيت المقدس واما المؤسس له فسيدنا
يعقوب بن اسحاق بعد بنا جده ابراهيم عليهم السلام للمسجد الحرام بالمدة
المذكورة واما على ان الباني لهما ادم فلا اشكال وفي رواية ان اول من بنى
الكعبة اي جاهها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد موت ادم شيث ولد ادم
عليهما السلام بناها بالطين والحجارة اي فهي اولية اضافية

ثم

٩٢

ثم لما جا الطوفان انهدم وبقي محله وقيل انه استمر ولم يبنه
احد الى زمن ابراهيم عليه السلام ففي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام لما اراد بنا الكعبة جا جبريل فضرب بجناحه الارض
فابرز عن اس ثابت على الارض السابعة ثم بناها ابراهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام على ذلك الاس ويقال له القواعد كما تقدم وهذا
الاس كما علمت لادم وللملائكة وانما قيل له اساس ابراهيم وقواعد
ابراهيم لانه بنى على ذلك ولم ينقضه ومما يدل للقيل المذكور ما جا في
بعض الروايات عن عائشة رضي الله عنها قالت درس مكان البيت
اي بسبب الطوفان بدليل ما جا في رواية فقد درس مكان البيت
بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعه اكمة حمرا
وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما دعى عنده
احد الا استجيب له وعن عائشة رضي الله عنها لم يحجه هود ولا
صالح لتشاغل هود عليه السلام بقومه وتشاغل صالح عليه
السلام بقومه وثمود وجا ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة
وتسعين نبيا وجا ان حول الكعبة لقبور ثلثماية نبي وان ما بين
الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين نبيا وكل نبي من
الانبيا اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم واتى مكة يعبد الله
عز وجل بها حتى يموت وجا ما بين الركن اليماني والركن الاسود
روضة من رياض الجنة وان قبر هود وشعيب وصالح واسماعيل
عليهم الصلاة والسلام في تلك البقعة اقول ويوافق ذلك قول
بعضهم ان اسماعيل عليه السلام دفن حيال الموضع الذي فيه الحجر
الاسود ولكن جا ان قبر اسماعيل في الحجر وذكر المحب الطبري ان البلاطة
الخضرا التي في الحجر قبر اسماعيل وقد يقال لا منافاة بين كون

هود وصالح لم يحجا البيت وبين كونهما دفنا في تلك البقعة لانه يجوز ان
يكونا ماتا قبل وصولهما الى البيت فحملا ودفنا في تلك البقعة على ان
بعضهم ضعف كونهما لم يحجا اي وبذلك لانه قد حجا ايضا هود وصالح ومن
امن معهما وفي بعض الروايات لم يحجه بين نوح وابراهيم احد من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم من ان كل نبي
اذا كذبه قومه ويجمع على تقدير صحتهما وقد يقال لا احتياج للجمع الا ان ثبت
ان بين نوح وابراهيم عليهما السلام احد من الانبيا لانه فيه توهم الا هود
وصالح عليهما الصلاة والسلام وهو بعيد للقول بانهما لم يحجا وتقدم
ضعفه وجا في حديث راويه متروك ان نوحا عليه السلام حج به
السفينة فوقفت بعرفات وباتت بمزدلفة وطافت بما اي بالحرم
كما تقدم ان السفينة لم تجاوز الحرم وهذا لا يناسبه قوله وسعت
لان السعي بين الصفا والمروة الا ان يراد بالسعي نفس الطواف
فهو من عطف المفسر وفي انس الجليل ورد حديث شريف ان السفينة
طافت ببيت المقدس اسبوعا واستوت على الجودي اي وجا ان نوحا
عليه السلام قال لاهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق انكم في حرم
الله وحول بيته لا يمس احد امراة وجعل بينهم وبين النسا حاجزا ويذكر
ان ولده حام تعدى ووطي زوجته فدعى الله عليه بان يسود لون
بنيه فاجاب الله دعاه فجا ولده كوش اسود وهو ابو السودان
وقيل في سبب دعوة نوح وسوادهم غير ذلك وقد بينت ذلك في كتابي
اعلام الطراز المنقوش في فضايل الحبوش والله اعلم وقبر ادم وابراهيم
واسحاق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس اي بعد ان نقل سيدنا
يوسف من مصر الى الشام كما سنذكره قال وجا ان الله سبحانه وتعالى اوحى
الى ابراهيم عليه السلام ان ابن لي بيتا فقال ابراهيم اي ابنيه

فاوحى الله

فاوحى الله تعالى اليه ان اتبع السكينة وهي ريح لها وجه كوجه
الانسان اي وقيل كوجه الهر وذنب كذنبه وعن علي كرم الله
وجهه ورضي عنه كان لها وجه كوجه الانسان هذا كلام الكشاف
وفي رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها جناحان وراس بصورة
حية فكشفت لابراهيم واسماعيل ما حول البيت من اساس البيت
الاول وفي رواية ارسل الله سبحانه فيها راس فقال الراس يا ابراهيم
ان ربك يامرك ان تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل ينظر اليها ويخط
قدرها ثم قال الراس له قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتامل
الجمع بين هذه الروايات وبينها وبين ما تقدم ان جبريل عليه
السلام ضرب بجناحه الارض فابرز عن اس البيت وجا ان السكينة
جعلت تتبره ودليله الصرد وهو الطاير المعروف اي وهو طاير
فوق العصفور ويصيد العصافير ونحوها لان له صفير يختلف بعدد
لكل طاير يريد صيده بلغته فيدعوه الى القرب منه فاذا قرب منه
قضمه من ساعته والكلام ويقال له الصوام لانه ورد انه اول طير
صام عاشورا فعن بعض الصحابة رضي الله عنه راى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلى يده صرد فقال هذا اول طير صام عاشورا
لكن قال الذهبي هذا حديث منكر وقال الحاكم حديث باطل ويذكر
ان خالد ابن الوليد رضي الله عنه لما قتل طليحة الكذاب الذي ادعى
النبوة في زمنه صلى الله عليه وسلم وقوي امره بعد موته صلى الله عليه وسلم
قال خالد رضي الله عنه لبعض اصحابه ممن اسلم ما كان يقول لكم طليحة
من الوحي فقال كان يقول والحمام واليمام والصرد الصوام ليبلغن
ملكنا العراق والشام وقد سمع نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام
الصرد بصوت فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وفي الكشاف

ان ذلك صياح الهدهد ولا مانع ان يكون ذلك صياحهما وسمع طاوسا
يصوت فقال يقول كما تدين تدان وسمع هدهدا يصوت فقال يقول من لا
يرحم لا يرحم وقد يجمع بينه وبين ما تقدم بانه يجوز ان يكون الهدهد
تارة يقول استغفروا الله يا مذنبين وتارة يقول من لا يرحم لا يرحم
وسمع خطافا يصوت فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وسمع ديكا يصوت
فقال يقول اذكروا الله يا غافلين وسمع بلبلا يصوت فقال يقول اذا اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم
يخلقوا وسمع صرخة تصوت فقال تقول سبحان ربي الاعلى على سمائه وارضه
وقال الحداة تقول كل شي هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم
والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والنسر يقول عش ما شئت اخرك الموت
والعقاب يقول في البعد عن الناس انس وعن سيدنا سليمان صلوات
الله وسلامه عليه ليس من الطيور انصح لبني ادم واشفق عليهم من البومة
تقول اذا وقفت عند خربة اين الذين كانوا يتنعمون في الدنيا ويسعون
فيها ويل لبني ادم كيف ينامون وامامهم الشدايد تزودوا يا غافلين
وتهيئوا لسفركم وعن انس ابن مالك رضي الله عنه قال خرجت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فراينا طيرا اعمى يضرب بمنقاره على شجرة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يقول فقلت الله ورسوله اعلم قال
انه يقول اللهم انت العدل وقد حجبت عني بصري وقد جعت فاقبلت
جرادة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره فقال عليه الصلاة والسلام
اتدري ما يقول قلت لا قال انه يقول من توكل على الله كفاه وقال
لما قال سليمان للهدهد لاعذبنك عذابا شديدا قال له الهدهد
اذكر يا نبي الله وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد
فرقا وعفا عنه اي فان الهدهد له دلالة على الماء فان الهدهد
يرى الما

94

يرى الما تحت الارض كما يرى الما في الزجاجة فلما تفقد سليمان الما
تفقد الهدهد فلم يجده فارسل خلفه العقاب فراه مقبلا من
جهة اليمن فلما راه الهدهد منقضا عليه قال له بحق من اقدرك
علي الا رحمتني قيل لابن عباس يا سبحان الله الهدهد يرى الما
تحت الارض ولا يرى الفخ فقال اذا وقع القضا عمي البصر قيل
عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ما العذاب الشديد
الذي يعذب به الهدهد لتفرقه بينه وبين الفه وقيل
بالزامه خدمة اقرانه وقيل صحبة الاضداد وقد قيل اضيق
السجون عشرة الاضداد وقيل لا زوجته بعجوز قال تعالى حكاية
عنه علمنا منطق الطير قال بعضهم عبر عن اصواتها بالنطق لما
يتحصل منها من المعاني التي تدرك من النطق فسليمان صلوات
الله وسلامه عليه مهما سمع من صوت طاير علم بقوته القدسية
الغرض الذي اراده ذلك الطاير وهذا في طاير لم يفصح بالعبارة
والا فقد سمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فنوع من الغراب
يفصح بقوله اسحق وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرا سورة
السجدة واذا وصل الى محل السجود سجد وقال سجد لك
سوادي وامن بك فوادي والدرة تنطق بالعبارة الفصيحة
وقد وقع لي اني دخلت منزلا لبعض اصحابنا وفيه درة لم ارها
فاذا هي تقول مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فعجبت من فصاحة
عبارتها وكان يعرف نطق الحيوان غير الطير فقد جاء ان سليمان
عليه الصلاة والسلام سمع النملة وقد احست بصوت جنود
سليمان عليه السلام تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون فعند ذلك امر سليمان الريح توقفت

حتى دخل النمل مساكنها ثم جا سليمان الى تلك النملة وقال لها حذرت
النمل ظلمي قالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون على اني لم ارد حطم النفوس
اي اهلكها انما اردت حطم القلوب خشية ان يشتغلن بالنظر
اليك عن التسبيح اي فيمتن فقد جا مرفوعا اجال البهايم كلها وخشاش
الارض في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها ويروى ما من
صيد يصاد ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث
الثوب يسبح فاذا اتسخ انقطع تسبيحه وفي رواية ان النملة قالت
له عليه السلام انما خشيت ان تنظر الى ما انعم الله به عليك فتكفر انعم
الله عليك فقال لها عظيني قالت هل تدري لم جعل ملكك في فص
خاتمك قال لا قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوي قطعة حجر ومن
عجيب صنع الله ان النملة تغتذي بشم الطعام لانه لا جوف لها يكون
به الطعام ويذكر ان هذه النملة التي خاطبت سيدنا سليمان عليه
الصلاة والسلام اهدت له نبقة وضعتها له في كفه ويحكى عنها
لطيفة لا نطيل بذكرها وفي فتاوي السيوطي قال الثعالبي في زهرة
الرياض لما تولى سليمان عليه السلام الملك جاءه جميع الحيوانات
يهنونه الا نملة واحدة جاءت تعزيه فعابتها النمل في ذلك فقالت
كيف اهنيه وقد علمت ان الله تعالى اذا احب عبدا زوى عنه الدنيا
وحبب اليه الاخرة وقد شغل سليمان بامر لا يدري ما عاقبته
فهو بالتعزية اولى من التهنية وجاءه في بعض الايام شراب من الجنة
فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل اشار بشربه الا
القنفذ فانه قال له لا تشربه فان الموت في عز خير من البقا
في سجن الدنيا قال صدقت فاراق الشراب في البحر ل
فصار ابراهيم واسماعيل يتعاهدان الصرح حتى وصلا الى محل
البيت

البيت صارت السكينة سحابة تقول يا ابراهيم خذ قدر ظلي
فابن عليه وفي لفظ لما امر ابراهيم عليه السلام ببناء البيت ضاق
به ذرعا فارسل اليه السكينة وهي ريح خجوج ملتوية في هيولها
لها راس الحية فحفر ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام
فابرزا اي الحفر عن اس ثابت في الارض فبنى ابراهيم عليه السلام
واسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة اي التي تاتي بها الملايكة كما سياتي
حتى ارتفع البنا اقول يحتمل ان ابراهيم عليه السلام لما اوحي اليه
البناء كان في مكة عند اسماعيل وانهما كانا بمحل بعيد عن البيت
ويحتمل انهما كانا بقبرها ثم جا وقد قيل في قوله تعالى ان ابراهيم
كان امة قانتا لله اي قائم مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى
في ارضه لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله تعالى سواه والله
اعلم قال ثم لما ارتفع البنا جا بالمقام اي وهو الحجر المعروف
فقام عليه وهو يبني وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
وصار كلما ارتفع البنا ارتفع به المقام في الهوى فاثر قدم ابراهيم
في ذلك الحجر وقيل انما اثر في صخرة اعتمد عليها وهو قايم حين
غسلت زوجة اسماعيل عليه السلام له راسه لان سارة كانت
اخذت عليه عهدا حين استاذنها في الذهاب الى مكة ليتنظر
كيف حال اسماعيل وهاجر فحلفتها انه لا ينزل عن دابته اي التي
هي البراق ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من شانه
عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة ابقى الله تعالى فيها
اثر قدمه لا قدميه ووقوفه عليه في حالة الغسل على ان الموجود
فيه اثر قدميه فليتنظر وجعل ارتفاع البيت تسعة اذرع قيل
وعرضه ثلاثين ذراعا قال بعضهم وهو خلاف المعروف

ولم يجعل له سقفا ولا بناه بمدر وانما رصه رصا وجعل له بابا
اي منفذا لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولم ينصب عليه بابا
اي يقفل وانما جعله تبع الحميري بعد ذلك وحفر له بيرا داخله
عند بابه اي على يمين الداخل منه يلقى فيها ما يهدى اليه وكان
يقال لها خزانة الكعبة كما تقدم ولما اراد عليه الصلاة والسلام
ان يجعل حجرا يجعله علما للناس اي يبتدؤن الطواف منه
ويختمونه به ذهب اسماعيل الى الوادي يطلب حجرا فنزل جبريل
بالحجر الاسود يتلالا نورا اي فكان نوره يضي الى منتهى انصاب
الحرم من كل ناحية وفي الكشاف انه اسود لما مسته الحيض في
الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح ادم به دموعه وجا ان خطايا
بني ادم سودته واما شدة سواده فبسبب اصابة الحريق له
اولا في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
وقد كان رفع الى السما حين غرقت الارض في زمن نوح عليه السلام
بنا على انه ما كان موجودا في تلك الكعبة كما تقدم وفي رواية ان ابراهيم
عليه السلام لما قال لاسماعيل عليه السلام يا بني اطلب لي حجرا اضعه
هنا قال يا ابت اني كسلان لغب اي تعب قال علي
بذلك فانطلق يطلب حجرا فجاه جبريل بالحجر من الهند وكان
الحجر الذي خرج به ادم عليه السلام معه من الجنة اي كما تقدم فوضعه
ابراهيم موضعه وقيل وضعه جبريل وبنى عليه ابراهيم عليه السلام
وجا اسماعيل عليه السلام بحجر من الوادي فوجد ابراهيم قد وضع
ذلك الحجر اي او بنى عليه فقال من اين هذا الحجر من جاك به قال ابراهيم
عليه الصلاة والسلام من لا يكلني اليك ولا الى حجرك اي وفي لفظ
جاني به من هو انشط منك وفي لفظ ان اسماعيل جاه بحجر من الجبل

قال

قال غير هذا فرده مرارا لا يرضى ما ياتيه به وجا ان الله تعالى
استودع الحجر ابا قبيس حين اغرق الله الارض من نوح عليه الصلاة
والسلام وقال اذا رايت خليلي يبني بيتي فاخرجه له اي ولما
انتهى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لمحل الحجر نادى ابو قبيس ابراهيم
فقال يا ابراهيم هذا الركن فاحتفر عنه فجعله في البيت وقيل
تمخض ابو قبيس فانشق عنه اقول وفي لفظ قال يا ابراهيم يا
خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها فاذا هو بحجر ابيض
من ياقوت الجنة ومن ثم كان ابو قبيس يسمى في الجاهلية
الامين لحفظه ما استودع وسمي ابا قبيس باسم رجل من جرهم
اسمه قبيس هلك فيه وقيل باسم رجل من مذحج بني فيه يقال
له ابو قبيس وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج
الى الجمع بين ما ذكر على تقدير صحته وما ذكر في ترجمة اياد احد
اجداده صلى الله عليه وسلم انه اول من وضع الركن اي الحجر الاسود
حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عليه الصلاة والسلام فكان
اول من سقط عليه اي اول من علم به في زاوية البيت فليتامل
والله اعلم اي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال عند المقام
اشهد به يكررها لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن
والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان
نورهما طمس لاضا ما بين المشرق والمغرب اي من نورهما ولعل
طمس نور الحجر كان بسبب ما تقدم فلا مخالفة وجا انهما يبعثان
يوم القيمة ومعهما في العظم مثل ابي قبيس يشهدان لمن وافاهما
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لولا ما مسهما من اهل الشرك ما مسهما
ذو عاهة الا شفاه الله وعن جعفر الصادق رضي الله عنه

لما خلق الله الخلق قال لبني ادم الست بربكم قالوا بلى فكتب القلم
اقرارهم ثم القم ذلك الكتاب الحجر فقد الاستلام له انما هو بيعة
على اقرارهم الذي كانوا اقروا به قال وكان ابي علي رضي الله عنه
يقول اذا استلم الحجر اللهم امانتي اديتها وميثاقي وفيته ليشهد
لي عندك بالوفا وفي كلام السهيلي ان العهد الذي اخذه الله على
ذرية ادم عليه السلام حين مسح ظهره ان لا يشركوا به شيا كتبه
في صك والقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفا
بعهدك وهذا الذي قاله السهيلي مروي عن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه فعن سيدنا عمر رضي الله عنه انه لما دخل المطاف
قام عند الحجر وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك فقال له علي
كرم الله وجهه بلى يا امير المومنين هو يضر وينفع قال ولم قلت
ذاك قال بكتاب الله قلت بكتاب الله قال واين ذلك من كتاب الله
تعالى قلت قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم
واشهدهم على انفسهم الاية وكتب ذلك في رق وكان هذا الحجر له عينان
ولسان فقال له افتح فاك فالقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع
فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيمة فقال عمر رضي الله عنه
اعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا ابا الحسن وقد جا الحجر
الاسود يمين الله في الارض قال الامام ابن فورك وكان ذلك سببا
لاشتغالي بعلم الكلام فاني لما سمعت ذلك سالت فقها كنت
اختلف اليهم عن معناه فلم يجيبوا جوابا فقيل لي سل عن ذلك فلانا
من المتكلمين فسالته فاجاب بجواب شاف فقلت لا بد لي من معرفة
هذا العلم فاشتغلت به وعن قتادة قال ذكر لنا ان ابراهيم عليه
الصلاة

٩٧

الصلاة والسلام بنى البيت من خمسة اجبل من طور سينا ومن طور
زيتا ولبنان والجودي وحرا وذكرنا ان قواعده من حرا التي وضعها
ادم عليه السلام مع الملايكة الكرام اقول تقدم ان تلك القواعد
كانت من جبل لبنان ومن طور سينا ومن طور زيتا ومن الجودي
ومن حرا الا ان يقال يجوز ان يكون معظم ذلك من حرا فليتامل
وذكر بعضهم ان له ركنان وهما اليمانيان اي ولم يجعل له ابراهيم
عليه الصلاة والسلام الا الركنين المذكورين فجعلت له قريش حين
بنته اربعة اركان وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله ان ذا القرنين
الاول ذكره وهو المذكور في القران في قصة موسى عليه السلام وهو
اسكندر الرومي قدم مكة فوجد ابراهيم واسماعيل يبنيان الكعبة
فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مامورا فقامت خمسة
اكبش شهدن اي فقلن نشهد ان ابراهيم واسماعيل مامورا
بالبنا فقال رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لما كان ابراهيم عليه السلام بمكة واقبل ذو القرنين
عليها فلما كان بالابطح قيل له في هذه البلدة خليل الرحمن فقال
ذو القرنين ما ينبغي لي ان اركب في بلدة فيها ابراهيم خليل الرحمن فنزل
ذو القرنين ومشى الى ابراهيم فسلم عليه ابراهيم عليه السلام
واعتنقه فكان هو اول من عانق عند السلام قال الفاكهي واظن الاكبش
المذكورة اي التي شهدت احجارا ويحتمل ان تكون غنما ووصفه ذي القرنين
الاكبر احترازا عن ذي القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليوناني فانه
كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام وكان بين ابراهيم وعيسى عليهما
الصلاة والسلام اكثر من الفي سنة وكان كافرا والله اعلم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما لما فرغ ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بناء البيت قال يا رب

قد فرغت قال اذن في الناس بالحج قال اي رب كيف اقول قال قل
يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم عز وجل
فوقف على المقام وارتفع به حتى كان اطول الجبال فنادى وادخل
اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه شرقا وغربا ينادي بذلك ثلاث
مرات اي وزويت الارض له يومئذ سهلها وجبلها وبحرها وانسها
وجنها حتى اسمعهما جميعا فقالوا لبيك اللهم لبيك وبدا بشق اليمن
وحج يكون اول من اجاب اهل اليمن وسيأتي النص بذلك في
بعض الروايات وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل اليمن
اكثر اجابة ومن ثم جاء في الحديث الايمان يمان وقال صلى الله عليه وسلم
في حق اهل اليمن يريد اقوام ان يضعوهم ويأبى الله الا ان
يرفعهم وروى الطبراني باسناده عن علي كرم الله وجهه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب اهل اليمن فقد احبني ومن ابغضهم
فقد ابغضني ومما يؤثر عن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه
من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقد ذكر في تفسير
قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم هو تأثير قدمي ابراهيم عليه السلام
على المقام بما ذكر وقيل له البيت العتيق لانه اعتق من الجبابرة
لم يدعه اي يحب ينسب اليه جبار من الجبابرة الذين كانوا بمكة
مع العمالقة وجرهم وقال القاضي تبعا للكشاف لانه اعتق من
تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى قال
واما الحجاج فانما كان قصده اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما لما
تحصن به دون التسلط عليه كذا قال قال بعضهم وعن عبد الله
ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما انه قال انما سمي بكة اي
بالموحدة لانها كانت تبك اعناق الجبابرة ولم يظهر فيه قصده

ليهدمه

ليهدمه من الجبابرة غير ابرهة ثم رأيت في الشرف ان ثلاثة
غيره قصدوا هدمه اثنان قاتلهما خزاعة ومنعهما والثالث
كان في اول زمان قريش اراد هدمه حسدا على شرف الذكر لقريش به
وان يبني عنده بيتا يصرف حاج العرب اليه لما قارب مكة اظلمت
الارض وايقن بالهلاك واقلع عن تلك النية ونوى ان يكسو البيت
وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل ذلك عقبه ان هذا الذي حصل
له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما عمد الى البيت يريد تخريبه ارسلت
عليه ريح كتعت منه يديه ورجليه واصابته وقومه ظلمة شديدة وفي
رواية اصابه دا تمخض منه راسه قيحا وصديدا اي ينبع نتنا حتى لا
يستطيع احد ان يدنو منه فدعا بالاطبا فسالهم عن دائه فسالهم ما
راوا منه ولم يجد له عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر لعلك هممت
بشيء في حق هذا البيت فقال لقد اردت هدمه فقال له تب الى الله تعالى
مما نويت فانه بيت الله وحرمه وامره بتعظيم حرمته ففعل فبرا من ذلك
ابه وقيل لانه اول بيت وضع في الارض وقيل لانه اعتق من الغرق
بسبب الطوفان في زمن نوح عليه الصلاة والسلام كذا في الكشاف
وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح
انه لما بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقعت بوادي الحرم
فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينة حمرا فاختضبت رجلاها
الا ان يقال ان معنى اعتق من الغرق انه لم يذهب بالمرة بل بقي اثره
وفي الخميس عن ابن هشام رحمه الله ان ماء الطوفان لم يصل للكعبة ولكن
قام حولها وبقيت هي مرتفعة الى السماء اي بناء على ان الكعبة هي الخيمة
التي كانت على زمن ادم عليه السلام وتقدم عن الكشاف انها رفعت
الى السماء السابعة الرابعة وانها البيت المعمور وهذا علمت

على ان المراد بالكعبة الخيمة التي كانت لآدم وقوله فاقام حولها
يوبوا انه لم يصل لمحل تلك الخيمة ولعله لا ينافيه ما تقدم في قصة
نوح عليه السلام فليتامل وفي رواية ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام نادي يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج وفي لفظ ان
ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم ان تحجوه فاجيبوا ربكم كرر ذلك
ثلاث مرات فاسمع في اصلاب الرجال وارحام النسا فاجابه
من كان سبق في علم الله انه يحج الي يوم القيمة لبيك اللهم لبيك
فليس حاج يحج الي ان تقوم الساعة الا من كان اجاب ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ومن لبي تلبية واحدة حج حجة واحدة
ومن لبي مرتين حج حجتين وهكذا وفي لفظ لما نادي ابراهيم
فما خلق الله من جبل ولا شجر ولا شي من المطيعين له الا اجاب
لبيك اللهم لبيك اقول لا يخفي انه لا يحتاج الي الجمع بين هذه
الروايات وفيما نادي به ابراهيم عليه السلام وسياتي ومعلوم
ان اجابة غير العقلا اجابة اجلال وتعظيم ولعل المراد بالكتب
مطلق الطلب لا خصوص الوجوب لانه لم يفرض الحج على هذه
الامة الا بعد الهجرة في السنة السادسة وقيل في التاسعة
وقيل العاشرة كما سياتي واما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم
اقف على وجوب الحج عليها وقد ذكر بعض المتاخرين من اصحابنا
ان الصحيح انه لم يجب الحج الا على هذه الامة واستغرب وفي
الخصائص الصغري وافترض عليهم اي على هذه الامة ما افترض
على الانبيا والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج
والجهاد وهو يفيد انه كان واجبا على الانبيا والرسل وفيه
ان الاصل ان ما وجب في حق نبي وجب في حق امته الا ان يقوم

الدليل

الدليل الصحيح على الخصوصية وقوله وهو الوضوء سياتي ما في الوضوء
والله اعلم اي ثم اتي بالمقام فوضعه قبلة اي ملصقا بالبيت على يمين
الداخل فكان يصلي اليه مستقبل الباب اي جهته واول من
اخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الان عمر رضي الله عنه
اي وقد تقدم ذلك عن ابن كثير اقول وقيل ان اول من وضعه
موضعه الان النبي صلي الله عليه وسلم في فتح مكة وسياتي
الجمع بين هذين القولين وبالي ما فيه وذكر الطبري ان محله
اولا المحفض اي الذي يسميه العامة المعجنة اي محل عجن
الطين للكعبة وذلك المحفض هو محل صلاة جبريل به
صلي الله عليه وسلم الصلوات الخمس في اليومين كما سياتي ونازع
في ذلك العز ابن جماعة وقال لو كان ذلك لاشتهر عليه بالكتابة
في الحفرة ورد بان ذلك ليس بلازم والناقل ثقة ومن حفظ حجة على
من لم ينقل وذكر ابن حجر الهيتمي ان في رواية اخري عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام صعد ابا قبيس
وقيل صعد ثبيرا واذن وان اول من اجابه اهل اليمن اي لما تقدم
انه بدا بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك اي وقوفه على تلك الاماكن
التي هي المقام وابو قبيس وثبير ويجوز ان يكون قال في بعض الاماكن
ما لم يقله في غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادي
به ابراهيم عليه السلام وجاء انه لما فرغ من عمارته ذهب به جبريل
فاراه الصفا والمروة وحدود الحرم وامره ان ينصب عليها الحجارة
ففعل وعلمه المناسك اي مع اسماعيل ففي العرائس خرج جبريل بهما
يوم التروية الي منى فصلي بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة
ثم باتا بها حتى اصبحا فصلي بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الي عرفة

فقام بهما هناك حتى زالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر
ثم رجع بهما الى الموقف من عرفه فوقف بهما على الموقف الذي يقف
عليه الناس الان فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفه فجمع بين
الصلاتين المغرب والعشا الاخره ثم بات بهما حتى طلع الفجر
ثم صلى بهما صلاة الغداه ثم وقف بهما على قزح حتى اذا اسفر
افاض بهما الى منى فاراهما كيف رمي الجمار ثم امرهما بالذبح واراهما
المنحر من منى وامرهما بالحلق ثم افاض بهما الى البيت فليتامل ذلك
فان فيه التصريح بان ابراهيم واسماعيل صليا مع جبريل عليه
السلام جماعه الصلوات الخمس وجمعا تقديما بين الظهر والعصر
وتاخيرا بين المغرب والعشا للنسك وهو مخالف لقول ائمتنا
لم تجمع الصلوات الخمس الا لنبي عليه الصلاة والسلام في الخصايص
الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بمجموع الصلوات الخمس ولم
تجتمع لاحد وبالعشا ولم يصلها احد وبالجماعة في الصلاة الا ان
يدعى ان المراد الجمع على جهة المداومه على ذلك لجواز ان ابراهيم
واسماعيل عليهما الصلاة والسلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا
يخفى وفي الوفا عن وهب قال اوحى الله سبحانه وتعالى الى ادم
عليه السلام انا الله ذو بكه اهلها خيرتي وزوارها وفدي
وفي كنفي اعمره باهل السما واهل الارض يأتونه افواجا شعثا
غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية رجيجا ويثجون
بالبكا ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد الي
ونزل بي وحق لي ان اتحفه بكرامتي اجعل ذلك البيت وذكره
وشرفه ومجده وسناه لنبي من ولدك يقال له ابراهيم ارفع له
قواعده واقضي على يديه عمارته وانيط له سقايته واريه
حلم

حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم يعمره الامم والقرون حتى ينتهي
الى نبي من ولدك يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على
يديه ولايته وحجابته وسقايته فمن سال عني يومئذ فانا مع الشعث
الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم ولما دعا ابراهيم
عليه السلام بقوله وارزقهم من الثمرات اي دعا بذلك وهو على ثنية
كدا بالمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام حين قال فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم
من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره السهيلي وعند ذلك نقل
الله الطايف من فلسطين من ارض الشام اي وببركة دعايه توجد
بمكة الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد كما في الكشاف ثم لما فرغ اي من بنا البيت
وحج وطاف بالبيت لقيته الملايكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم
ما تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل ابيك ادم عليه السلام سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاعلمناه بذلك فقال زيدوا
ولا حول ولا قوة الا بالله فقال ابراهيم عليه السلام زيدوا فيها
العلي العظيم فقالت الملايكة ذلك وكان بنا ابراهيم البيت
بعد ما مضى من عمره مائة سنة ثم بناه العمالقه ثم بنته جرهم
وقيل عكسه وقد يتوقف في بنا العمالقه له اما في الاول فلان اول
من نزل مكة مع هاجر وولدها اسماعيل جرهم وانهم بعد اسماعيل
وبعض ولده كانوا ولاة البيت واما في الثاني فلان ولاية البيت
كانت لخزاعه بعد جرهم كما تقدم وكيف يكون البيت ولا ولاية
لهم عليه الا ان يقال لا مانع ان يكونوا اهل ثروة بخلاف
جرهم وخزاعه ثم رايت عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العماليق

كانوا في عز وكانت لهم اموال كثيرة وان الله تعالى سلبهم ذلك لما
تظاهروا بالمعاصي وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم
وتفرقوا او هلكوا والذر في النمل كالزنبور في النحل وفي تاريخ
مكة للفاكهي ان العماليق قد سموا مكة لما تقدم وهو عاد للاستسقا
بالبيت وقيل كانوا يعرفونه ولما اخرج الله تعالى زمزم لاسماعيل
بواسطة جبريل ففي ربيع الابرار ان جبريل اخرج زمزم مرتين
مرة لادم عليه السلام ومرة لاسماعيل عليه السلام وعند ذلك
تحولوا الى مكة لما علموا بذلك وقيل كانوا بعد جدهم ولا يصح
ذلك ثم رايت المقريزي رحمه الله قال وفي كتاب اخبار مكة
للفاكهي ما يدل على ما تقدم بناجدهم على ذلك ولا يصح
ذلك لاتفاقهم على ان ولاية العمالقة على مكة كانت قبل ولاية
جدهم وعلى انه لم يل مكة بعد جرهم الا خزاعة ولا يخفى ان
هذا صريح في ان العمالقة بنته ولابد وانه بناهم لها ان قيل بنا
جدهم له والعماليق من ولد عملاق او عمليق ابن لاوذ بن سام
ابن نوح عليه السلام قيل وهو اول من كتب بالعربية وقيل
من ولد العيص بن اسحاق ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
ثم بناه قصي جده صلى الله عليه وسلم وسقفه بخشب الدوم
وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم ثم بناه بعد قريش عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما اي ويكنى ابا حبيب بضم المعجمة
وفتح الباء الموحدة وكنى بابي حبيب لان حبيبا كان رجلا بالمدينة
من المشاكطويل الصلاة قليل الكلام اي وعبد الله رضي الله
عنه كان مشابها له في ذلك فكنى به هذا وفي كلام ابن الجوزي
الحرمان لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما ولد ابنا له حبيب

حبيب قال حبيب ابن عبد الله ابن الزبير ضربه عمر ابن عبد العزيز
بامر الوليد ماية سوط فمات لانه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا بلغ بنوا بني العاص اربعين رجلا وفي رواية ثلاثون
رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ
بنو امية اربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا اي خدما ومال الله
دولا ودين الله دغلا وفي رواية قال بدل دين الله كتاب الله قال
ابن كثير وهذا الحديث اي ذكر بني امية وذكر الاربعين منقطع
وفي لفظ لما بلغ الوليد ما ذكر حبيب كتب لابن عمه عمر ابن عبد العزيز
وهو والي المدينة ان يضرب حبيبا هذا ماية سوط ففعل ثم برد ما
في جرة وصبه اي في يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه
اخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض
واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر ابن عبد العزيز اذا
قيل له ابشر قال كيف ابشر وحبيب على الطريق اي عايق لي وفي
دلايل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن ابي
سفيان ومعه ابن عباس رضي الله عنهما على السرير فدخل عليه
مروان ابن الحكم فكلمه في حاجة وقال اقض حاجتي يا امير المومنين
فوالله ان مونتي لعظيمة قالي ابو عشرة وعم عشرة واخو عشرة
فلما ادبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم انشدك
الله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله
خولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين واربعماية
كان هلاكهم اسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما
اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فرد مروان ولده عبد الملك الى

معاوية رضي الله عنه فكلمه فيها فلما ادبر عبد الملك قال معاوية
رضي الله عنه افترك الله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر هذا فقال ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس
اللهم نعم فان اربعة من ولده ولوا الخلافة قلت ما هذا فانه
ربما يدل على ان عبد الملك صحابيا الا ان يقال ذكره قبل وجوده
فهو من اعلام نبوته وفي كلام ابن كثير هذا الحديث فيه غرابة ونكارة
شديدة هذا وقد رايت عن بعض حواشي الكشاف ان اعدا عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما هم الذين كانوا يكنونه بابي خبيب لان
خبيبا كان من اخس اولاده ويرده قول بعضهم يغلب للشرف
كالخبيبين في ابي عبد الله ابن الزبير واخيه مصعب وذكر
ابن الجوزي ايضا فيمن ضرب بالسياط من العلما سعيد ابن المسيب
ضربه عبد الملك ابن مروان مائة سوط لانه بعث ببيعة الوليد
الى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب ان يضرب مائة سوط ويصب
عليه جرة ماء في يوم شات ويلبس جبة صوف ففعل به ذلك
اي كما فعل بخبيب ثم رايت في تاريخ الحافظ ابن كثير رحمه الله
لما عهد عبد الملك لولده الوليد في حياته وانتهت البيعه
الى المدينه امتنع سعيد ابن المسيب ان يبايع فضربه نايب
المدينة ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر واركبه جملا
وطاف به في المدينة ثم اودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك
ارسل يعنف والي المدينة على ذلك ويامره باخراجه من السجن
هذا كلامه وفي كلام البلاذري وكان جابر ابن الاسود عاملا لابن
الزبير رضي الله عنهما على المدينة وهو الذي ضرب سعيد
ابن المسيب ستين سوطا اذ لم يبايع لابن الزبير هذا كلامه

١٧١ الان يقال

الا ان يقال لا مانع ان يكون سعيد فعل به الامران لان ولاية
ابن الزبير سابقة على ولاية عبد الملك والد الوليد ثم رايت الحافظ
ابن كثير صرح بذلك حيث ذكر ان سعيد ابن المسيب ضرب بالسياط المذكوره
وفعل به ما تقدم لما امتنع من المبايعه لابن الزبير وفعل به ذلك
ايضا لما امتنع من المبايعه للوليد وفي طبقات الشيخ عبد الوهاب
الشعراني في ترجمة سعيد ابن المسيب وضربه عبد الملك ابن مروان
حين امتنع من مبايعته والبسه المسوح ونهى الناس عن مجالسته
فكان كل من جلس اليه يقول له قم لا تجالسني فانهم جلدوني ومنعوا
الناس عن مجالستي هذا كلامه الا ان يقال المراد امتنع من قبول مبايعة
عبد الملك لولده الوليد فلا مخالفه وانما امتنع سعيد ابن المسيب
من المبايعه للوليد لانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيكون
في هذه الامه رجل يقال له الوليد لهو شر لامتي من فرعون لقومه
وفي رواية هو اضر على امتي من فرعون على قومه زاد في رواية يسد به
ركن من اركان جهنم وفي لفظ زاوية من زوايا جهنم فكان الناس يرون
انه الوليد ابن عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد بن يزيد ابن عبد الملك
لا الوليد ابن عبد الملك الذي هو عمه وكان سعيد ابن المسيب يعبر الناس
للرويا قال له رجل رايت كان ابوك في يدي فقال لتتخذنك ذات محرم
فنظر فاذا ابنه وبين امراته رضاعة واخذ سعيد تعبير الرويا عن
اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وهي اخذت ذلك عن والدها
ابي بكر الصديق رضي الله عنه وعن سعيد اخذ ابن سيرين ذلك وعن
ابن سيرين ان ابا بكر رضي الله عنه اعبر هذه الامه بعد النبي صلى الله
عليه وسلم وكان يعبر الرويا في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي حضرته
وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رويا فقصها على ابي بكر

رضي الله عنه فقال رايت كاني استبقت انا وانت درجة فسبقتك
بمرقاتين ونصف قال يا رسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة
واعيش بعدك سنتين ونصفا وقال له رايتني اردفت غنما
سودا ثم اردفتها غنما بيضا حتى ما يرى السود فيها فقال
ابو بكر يا رسول الله اما الغنم السود فانها العرب يسلمون ويكثرون
والغنم البيض الاعاجم فانهم يسلمون حتى لا يرى العرب فيهم
من كثرتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك عبرها الملك
سحرا وسبب بنا عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما للكعبة
ان يزيد ابن معاوية لما وجه الجيش عشرين الف فارس وسبعة
الاف راجل واميرهم مسلم ابن قتيبة لقتال اهل المدينة لما علم
انهم خرجوا عن طاعته اي واظهروا شتمه واعلنوا بانه ليس
لدين لانه اشتهر عنه نكاح المحارم وادمان شرب الخمر وترك
الصلاة وانه يلعب بالكلاب فقد ذكر بعض ثقات المورخين
انه كان له قرد يحضره مجلس شرابه ويطرح له وسادة ويسقيه
فضلة كاسه واتخذ له اتانا وحشية قد ريضت له وصنع له
سرج من ذهب يركب عليها ويسابق بها الخيل في بعض الايام وكان
يلبس عليه قبا وقلنسوة من الحرير الاحمر وقد استفتى الكيا الهراسي
من اكابر ائمتنا معاشر الشافعية فهو كان من رفقة تلامذة امام الحرمين
نظير الغزالي عن يزيد هذا هل هو من الصحابة وهل يجوز لعنه
فاجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد في ايام عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه وللامام احمد قولان اي في لعنه تلويح وتصريح
وكذا للامام مالك وكذا لابي حنيفة ولنا قول واحد التصريح لعنه
دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد يحرم
والتصيد

والتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم هذا
كلامه وسئل الغزالي رحمه الله هل من صرح بلعن يزيد
يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فاجاب بان من لعنه
يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهايم
فقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة بنص
النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح امره بقتل
الحسين ولا رضاه بقتله وما لم يصح منه ذلك لا يجوز ان يظن به
ذلك فان اساءة الظن بالمسلم حرام واذا لم يعرف حقيقة الامر
وجب احسان الظن به ومع هذا فالقتل ليس بكفر بل هو معصية
واما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل في المومنين
في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمومنين والمومنات هذا كلامه
وكان على ما افتى به الكيا الهراسي من جواز التصريح بلعنه
استاذنا الاستاذ الاعظم الشيخ محمد البكري تبعا لوالده
الاستاذ الشيخ ابي الحسن البكري وقد رايت في كلام بعض
استاذنا المذكور في حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا وضعة
وفي اسفل سجين وضعه وفي كلام ابن الجوزي اجاز العلماء
المورعون لعنه وصنف في اباحة لعنه مصنفا وقال
السعد التفتازاني انا لا نشك في اسلامه بل في ايمانه
فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا فيكون
مستثنى من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ولما خلعوا
اي اهل المدينة بيعة يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة
غسيل الملائكة واخرجوا والي يزيد من المدينة وهو مروان بن
الحكم وبني امية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى خفنا ان نرمى

بحجارة من السما فكانت وقعة الحرة المشهورة التي كادت ان تبيد
اهل المدينة عن اخرهم قتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين
وقيل المقتول فيها من الصحابة ثلاثة منهم عبد الله بن حنظلة ن
ونهبت المدينة واقتض فيها الف عذرا اي ولم تقم الجماعة ولا الاذان
في المسجد النبوي مدة المقاتلة وهي ثلاثة ايام وفي كلام بعضهم
ووقع من ذلك الجيش الذي وجهه يزيد للمدينة من القتل والفساد
العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل من الصحابة رضي الله عنهم
ومن التابعين خلق كثيرون وكانت عدة المقتولين من قريش ،،
والانصار ثلاثمائة وستة رجال ومن قرا القران نحو سبعمائة نفس
وفي التنوير لابي دحية وقتل من وجوه المهاجرين والانصار
الف وسبعمائة ومن حملة القران سبعمائة وجالت الخيل في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين القبر الشريف والمنبر
واختفت اهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت
على منبره صلى الله عليه وسلم ولم يرض امير ذلك الجيش من اهل
المدينة الا بان يبايعوه ليزيد على انهم خول اي عبيد له ان شا
باع وان شا اعتق حتى قال له بعض اهل المدينة البيعة على كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه وروى البخاري
ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما ارجف اهل المدينة بيزيد دعا
بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ،،
وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغني عن احد منكم انه خلع يدا
من طاعته الا كان الفيصل بيني وبينه ثم لزم بيته ولزم
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه بيته فقالوا له من انت ايها
الشيخ فقال ابو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالوا

فقالوا قد سمعنا خبرك ولنعم ما فعلت حين كففت يدك ولزمت
بيتك ولكن هات المال فقال قد اخذه الذين دخلوا قبلكم علي وما
عندي شي فقالوا كذبت ونتفوا لحيته واما جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
خرج في يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشي في بعض ازقة المدينة
وهو يعثر في القتلى ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له قايل من الجيش من اخاف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخاف
المدينة فقد اخاف ما بين جنبي فحمل عليه جماعة من الجيش يقتلوه
فاجاره منهم مروان وادخله بيته قال السهيلي وقتل في ذلك اليوم
من وجوه المهاجرين والانصار الف وسبعمائة وقتل من اخلاط
الناس عشرة الاف سوى النسا والصبيان فقد ذكر ان امراة من الانصار
دخل عليها رجل من الجيش وهي ترضع صبيها وقد اخذ ما وجد
عندها ثم قال لها هات الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك
فقالت ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ الصبي من يدها وثديها في فيه وضرب به الحايط حتى انتثر
دماغه في الارض فما خرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار
مثلة في الناس قال السهيلي رحمه الله واحسب هذه المراة
جدة للصبي لا امه اذ يبعد في العادة ان تبايع امراة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتكون في يوم الحرة في سن من يرضع اي ولدا
صغيرا لها ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بهذه الحرة وقال ليقتلن
بهذا المكان رجال هم خيار امتي بعد اصحابي وعن عبد الله بن سلام

رضي الله عنه لقد وجدت قصة هذه الواقعة في كتاب يهود بن
يعقوب الذي لم يدخله تبديل وانه يقتل فيها رجال صالحون يجيئون
يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وهذه الوقعة كانت سنة
ثلاث وستين وبقيادة كان من جملة اعذار اهل المدينة قبل هذه الوقعة
فيما ذكروه وبذل لهم من العطا اضعاف ما يعطي الناس رغبة في
استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن يابى الله الا
ما اراده ونفي التنزيه ان الله ابتلى امير هذا الجيش الذي هو مسلم
ابن قتيبة بعد ثلاثة ايام من اخذه البيعة بمرض صار ينبح منه
كالكلب الى ان مات وولي امر الجيش بعده الحصين بن نمير بامر يزيد
فانه وصى مسلم ابن قتيبة لما ولاه امرة الجيش وقال له اذا اشرفت
على الجيش الموت اي لانه كان مريضا بالاستسقا فول امر الجيش
للحصين وهذا الذي وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله
عليه وسلم لا يزال امر امتي قايما بالقسط حتى يثلمه رجل من بني
امية يقال له يزيد وقد جاء عن سعيد ابن المسيب لقد رايتني ليالي
الحرة وما في مسجده صلى الله عليه وسلم غيري وما ياتي وقت صلاة
الا سمعت الاذان والاقامة من القبر الشريف ومما يوثر عن سعيد
ابن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال ومن استغنى بالله
افتقر اليه الناس ومن جملة من خلع يزيد وقتل من الصحابة
في تلك الوقعة معقل ابن سنان الاشجعي روى علقمة عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه سئل عن رجل تزوج امراة ولم يسم لها صداقا
ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود رضي الله عنه لها مهر مثل
نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل
ابن سنان وقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت
واشق امراة منا مثل ما قضيت به ففرح بذلك ابن مسعود رضي الله عنه

وجب

وجب مقاتلة عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما لانه لما امتنع
من المبايعة ليزيد ايضا هو والحسين لما ارسل اليهما يطلب منهما المبايعة
له فامتنعا من ذلك وفرا من المدينة الى مكة ثم لما قتل الحسين تحرك
عنده امر الخلافة اي لان الحسين ارسل اليه اهل الكوفة ان بايعهم
ليبايعوه فاراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما وبين
له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن ونهاه ابن عمر وابن
الزبير رضي الله عنهم فابى الا ان يذهب فبكى ابن عباس رضي الله عنهما
وقال واحسيناه وقال له ابن عمر رضي الله عنهما استودعك الله من قتيل
وكان اخوه الحسن رضي الله عنه قال له اياك وسفها الكوفة ان يستخفوك
فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد تذكر ليلة قتله ذلك
فترحم على اخيه الحسن ولم يبق بمكة الا من حزن على مسيره وقدم امامه
الى الكوفة مسلم ابن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين اثني عشر الفا
وقيل اكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب
يزيد وهو عبيد الله ابن زياد عشرين الف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايعه //
لاجل تسحت العاجل على الخير الاجل فلما وصلوا اليه وراى كثرة الجيوش
طلب منهم احدى ثلاث اما ان يرجع من حيث جا او يذهب الى بعض الثغور
او يذهب الى يزيد ليفعل فيه ما اراد فابوا وطلبوا منه نزوله على حكم ابن
زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه الى ان اثخنته الجراحة فسقط
الى الارض فحزوا راسه وذلك يوم عاشورا عام احدى وستين ووضع
ذلك الراس بين يدي عبيد الله ابن زياد ولما جا خبر قتل الحسين //
قام ابن الزبير رضي الله عنهما في الناس يعظم قتل الحسين رضي الله
عنه وجعل يظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر وغير ذلك ويلفظ
الناس عن بيعته ويذكر مساوي بني امية ويطنب في ذلك ولما بلغ

بن يزيد ذلك اقسم ان لا يوتى به الا مغلولا فجا اليه رجل من اهل الشام
في خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة
وقال لا يستحل الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه
واقسم ان لا يوتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس
فوقه الثياب وتبر قسم امير المومنين فالصلح خير عاقبة واجمل
بك وبه فقال له انظر في امري ثم دخل على امه اسما رضي الله عنها
واستشارها فقالت يا بني عش كريما ومت كريما ولا تمكن
بني امية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس سرا
ثم اظهر المبايعة فاجتمع اليه اهل الحجاز ولحق به من انهزم من
وقعة الحرة فلما جا الجيش الى مكة حاصر عبد الله وضرب بالمنجنيق
نصبه على ابي قبيس قيل وعلى الاحمر وهما اخشبا مكة فاصاب
الكعبة من ناره ما احرق ثيابها وسقفها فان الكعبة كانت
في زمن قريش مبنية مدماك من خشب الساج ومدماك من حجارة
كما تقدم وذكر في المشرق ان الله تعالى بعث عليهم صاعقة
بعد العصر فاحرقت المنجنيق واحرقت تحته ثمانية رجال
من اهل الشام ثم عملوا منجنيقا اخر فنصبوه على ابي قبيس ويذكر
ان النار لما اصابت الكعبة انت حتى يسمع انينها كما يئن
المريض آه آه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فمن معجزاته
انذاره صلى الله عليه وسلم بتحريق الكعبة فعن ميمونة رضي الله
عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة
وحرق البيت العتيق وفي المراسيل ان اول يوم تكلم الناس
في القدر ذلك اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل ليس
من

من قدر الله وان المتكلم بذلك قيل ابو سعيد الجهني وقيل ابو الاسود
الدولي وقيل غير ذلك وقوله اول يوم تكلم الناس في القدر
لعل المراد اول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس في
القدر فلا يخالف ما حكي ان شخصا قال لعلي كرم الله وجهه
وهو بصفين يا امير المومنين اخبرنا عن مسيرنا هذا اكان بقضا
الله وقدره فقال نعم والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما وطينا موطيا
ولا قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا بقضا الله وقدره والتكلم في
القدر ليس من خصايص هذه الامة فقد تكلمت فيه الامم قبلها ففي
الحديث ما بعث الله نبي الا في امته قدرية يشوشون عليه امر
امته وان الله تعالى قد لعن القدرية على لسان سبعين نبي
وقد جا في ذم القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس
هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجا
اتقوا القدرية فانه شعبة من النصرانية وجا اخاف على امتي التكذيب
بالقدر وانما كانت القدرية مجوس هذه الامة لان طايفة من القدرية
تقول بان الخير من الله والشر من العبد وهولا الطايفة اشبه بالمجوس
القايلين بالاصلين النور والظلمة وهم المانوية وانما كان القدر
شعبة من النصرانية لان اكثر القدرية على انه ليس من افعال العبد
من خير او شر ناشيا عن اقدار الله له على ذلك بل هو ناشي عن قدرة
العبد واختياره فقد اثبتوا لله شريكا كما ان النصارى اثبتوا الشريك
لله فهذه الفرقة من القدرية اشبهت النصارى فكان القدر شعبة
من النصرانية لهذا الاعتبار وقد اوضحت ذلك في تعليقي المسمى
بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه اخر الكلام في القدر شرار امتي
في اخر الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله ايجادا وللعبد اكتسابا

وقيل ان سبب بنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما للكعبة ان امراة
بخرتها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل ذلك ولا مانع من
التعدد وقد وقع ايضا احتراقها بتجمير المراة في زمن قريش ولا
مانع من تعدد ذلك ايضا كما تقدم وعد بعضهم ان من البدع تجمير
المسجد وان مالكا رحمه الله كرهه وقد روي ان مولى عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه كان يجمر المسجد النبوي اذا جلس عمر رضي الله عنه
على المنبر يخطب ومع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذي فدي
به اسماعيل فانهما كانا معلقين بالسقف اقول ولعل تعليقهما
بالسقف كان بعد تعليقهما في الميزاب فقد ذكر بعضهم ان
جا الاسلام وراس الكبش معلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ويدل
لتعليقهما في السقف ما جا عن صفية بنت شيبة قالت لعثمان
ابن طلحة لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من البيت
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت قرني الكبش
في البيت نسيت ان امرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون
في البيت شي يشغل مصليا وذكر الجلال المحلي في قطعة التفسير
ان الكبش المذكور هو الذي قربه هابيل جا به جبريل عليه السلام
فذبحه السيد ابراهيم مكبرا وحج تكون النار التي نزلت في زمن
هابيل لم تاكله بل رفعته الى السما وحج يكون قول بعضهم فنزلت
النار فاكلته على المنسح ويدل له ما ذكر الجلال ما جا انه صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل ما كان ذبح ابراهيم اي مذبوحه قال الذي قرب ابن
ادم قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت قيل ووصف بانه
عظيم لانه رعى في الجنة اربعين عاما وقيل كان الكبش اختراعا
اخترعه الله في ذلك الوقت قال بعضهم فقد فدي من الموت
لصورة

١٠٧

بصورة الموت وهذا كله بنا على ان الذي قربه هابيل كان كبشا
وقيل كان حملا سمينا وعليه اقتصر القاضي فلينظر الجمع على
تقدير صحته كلها وتصدع الحجر من تلك النار من ثلاثة اماكن وعند
محاصرة الجيش لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما جا الخبر بموت يزيد
ويقال ان ابن الزبير رضي الله عنهما علم بموت يزيد قبل ان يعلم
الجيش وهم اهل الشام فنادى فيهم يا اهل الشام قد اهلك الله طاغيتكم
يعني يزيد فمن احب منكم ان يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل ومن
احب ان يرجع الى شامه فليفعل فانفل الجيش وبايع عبد الله بن
الزبير جماعة بالخلافة ودخلوا في طاعته ظاهرا ويقال ان امير
الجيش طلب من ابن الزبير ان يحدثه فخرجا من الصفين حتى اختلفت
رووس فرسيهما وجعل فرس امير الجيش ينفر ويكفها فقال له
ابن الزبير ما لك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره ان اطا
حمام الحرم فقال تفعل هذا وانت تقتل المسلمين فقال له ائذن لنا
ان نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فاذن لهم فطافوا فقال له
ان كان هذا الرجل قد هلك فانت احق الناس بهذا الامر يعني
الخلافة فارحل معي الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم
يثق به ابن الزبير رضي الله عنهما واغلظ عليه القول فكر راجعا
وهو يقول اعده بالملك وهو يعدني بالقتل وحين ثم قيل كان
في ابن الزبير رضي الله عنهما خلال لا تصلح معها الخلافة منها
سوء الخلق وكثرة الخلاف ودخل في طاعة ابن الزبير رضي الله عنهما
جميع اهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان بن الحكم تغلب عليهما
بعد موت معاوية بن يزيد ابن معاوية فان معاوية هذا مكث
في الخلافة اربعين يوما وقيل عشرين يوما بعد ان كان مروان

عزم على ان يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان الزبير رضي الله عنهما
لما ولي الخلافة بايعه بالمدينة امره باجلاء بني امية وفيهم مروان
وابنه عبد الملك الى الشام فلما اراد مروان ان يبايع ابن الزبير
نهى عزمه عن ذلك جماعة وقالوا له انت شيخ قريش وسيدها
وقد فعل معكم ابن الزبير ما فعل فانت احق لهذا الامر فوافقهم
ومكث تسعة اشهر في الخلافة فهو الرابع من خلفاء بني امية
وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو اول من سمي عبد الملك
في الاسلام ثم عهد عبد الملك لاولاده الاربعة من بعده الوليد
ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وادعى عمرو بن سعيد ان مروان //
عهد اليه بعد ابنه عبد الملك فضاق عبد الملك بذلك ذرعا
واستعمل امر عمرو بدمشق فلم يزل به عبد الملك حتى قتله
وفي كلام ابن ظفر رحمه الله ان عبد الملك لما خرج لمقاتلة عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما خرج معه عمرو بن سعيد وقد انطوى
على دخل نية وفساد طوية وطماعة في الخلافة فلما سار
عن دمشق اياما عارض عمرو بن سعيد واستاذن عبد الملك
في العود الى دمشق فاذن له فلما عاد دخل دمشق وصعد المنبر
وخطب خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس الى خلعه
فاجابوه الى ذلك وبايعوه فاستولى على دمشق وحصن
سورها وبذل الرغائب وبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه
الى ابن الزبير فاشير على عبد الملك ان يرجع الى دمشق //
ويترك ابن الزبير لان ابن الزبير رضي الله عنهما لم يعطه
طاعة ولا وثب له على مملكة فهو في صورة ظالم له وقصده //
لعمرو بن سعيد في صورة مظلوم لانه نكث بيعته وخان

امانة

امانته وافسد رعيته فرجع الى دمشق وظفر بعمرو بن سعيد
وقيل ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما للكعبة
انه جاء سيل فطبقها فخاف عبد الله رضي الله عنه بطوف سباحة
اي ولا مانع من وجود الامرين الحرق والسيل فلما راى عبد الله
رضي الله عنه ما وقع في الكعبة شاور من حضر ومن جملتهم عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما في هدمها فهابوا هدمها وقالوا نرى
ان تصلح ما وهى منها ولا تهدم فقال رضي الله عنه لو ان بيت احدكم
احترق لم يرضه الا باكمل الصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها وقد
حدثتني خالتي عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الم تري ان قومك يعني قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا على
قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين عجزت بهم النفقة
ولولا حدثان قومك بالجاهلية وفي لفظ لولا ان قومك حديث عهد
بالجاهلية اي قريب عهدهم بها اي وفي لفظ لولا ان الناس حديثوا
عهد بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائها لهدمتها
وجعلت لها خلفا اي بابا من خلفها اي وفي لفظ لجعلت لها
بابا يدخل منه وبابا بحياله يخرج الناس منه وفي لفظ وجعلت /
لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا والصقت بابها بالارض
اي كما كان عليه في زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولادخلت
الحجر فيها اي وفي رواية لادخلت نحو ستة اذرع وفي رواية
ستة اذرع وشبرا وفي رواية قريبا من سبعة اذرع فقد اضطربت
الروايات في القدر الذي اخرجته قريش وفي لفظ لادخلت فيها
ما اخرج منها وفي لفظ لجعلتها على اساس ابراهيم وازيد اي
بان ازيد في الكعبة من الحجر اي وذلك ما اخرجته قريش حتى صلى الله

عليه وسلم ان تشكو قلوبهم هدم بنائهم الذي يعدونه بلا كل
من اكمل شرفهم فربما حصل لهم الارتداد عن الاسلام وقد ذكر
بعضهم ان كلا من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لم يبنها الا على قواعد ابراهيم عليه السلام غير ان قريشا ضاقت
بهم النفقة اي الحلال الحديث وهذا بناء على ان من بعد
ابراهيم وقبل قريش بناها كلها وليس كذلك بل الحاصل
منهم انما هو ترميم لها فقوله لم يبنها الا على قواعد ابراهيم
ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها على ذلك قال وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعبد الله رضي الله عنه
دع بناء واحجارا اسلم عليها الناس وبعث عليها النبي صلى الله
عليه وسلم اي فانه يوشك ان يأتي بعدك من يهدمها فلا تزال
تهدم وتبنى فيتهاون الناس حرمتها ولكن ارقعها اي رمها
فقال عبد الله رضي الله عنه اني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على امري
فلما مضت الثلاث اجمع امره على ان ينقضها فتحاماها الناس
وخشوا ان ينزل باول الناس يصعدها امر من السما حتى صعدها
رجل فالقى منها حجارة فلم ير الناس اصابه شيء فتتابعوه انتهى
اي وقيل ان اول فاعل لذلك عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
نفسه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضي الله
عنهما فاقاموا بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب
هدمها وامر ابن الزبير رضي الله عنه جماعة من الحبشة يهدمها
رجاء ان يكون منهم الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم انه يهدمها
وفيه ان الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه يهدمها ذكر
صفته حيث قال كاني انظر اليه اسود افحج ينقضها حجرا حجرا

وما

وجاء في وصفه انه مع كونه افحج الساقين ازرق العينين افطس
الانف كبير البطن ووصف ايضا بانه اصلع وفي لفظ اجلح وبلو
من ذهب مقدم شعر الراس ووصف بانه اصعل اي صغير الراس
وبانه اصمع اي صغير الاذنين معه اصحابه ينقضونها حجرا حجرا
ويتناولونها حتى يرموا بها الى البحر اي وقوله ويتناولونها حتى يرموا
بها الى البحر لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم
الحبشة لها يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام وبعد رفع القران
من صدور والمصاحف اي وورد ان اول ما يرفع رويته صلى الله
عليه وسلم في المنام والقران واول نعمة ترفع من الارض العسل
وقيل يكون هدمها في زمن عيسى عليه السلام فاذا جاءهم الصريخ هربوا
فاذا مات عيسى عادوا وكانوا اهدموها فهدمها عبد الله رضي الله عنه الى ان
انتهى الهدم اي القواعد اي التي هي الاساس قال وفي رواية
كشف له عن اساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوجده داخلا في
الحجر ستة اذرع وشيئا والحجارة تلك الاساس كانها اعناق الابل حجارة
حمرا اخذ بعضها في بعض مشبكة كتشبيك الاصابع واصاب فيه قبر ام
اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهذا ربما يدل على انه لم يصب فيه
قبر ام اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو يؤيد القول بان قبره في
حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لا في الحجر كما ذكره الطبري رحمه الله
وانه تحت البلاطة الخضراء التي بالحجر كما تقدم فدعا عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما خمسين رجلا من وجوه الناس واشرافهم واشهدهم
على ذلك الاساس وادخل عبد الله بن المطيع العدوي عتلة كانت
بيده في ركن من اركان البيت فتزعزعت الاركان كلها فارتج جانب
البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة

فلم يبق دار من دور مكة الا دخلت فيها فغرعوا **اقول** تقدم
في بنا قريش انهم افضوا الي حجارة خضر كالاسنمة اخذ بعضها ببعض
وان رجلا ادخل عتلة بين حجرين فحصل نحو ما ذكر وقد **يقال**
لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضرا وبين كونها حمرا لانه
يجوز ان يكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هي قريبة **من**
السواد ومن ثم وصف بالها زرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر
كما ان الاخضر غير الصافي يقال له اسود والصافي يقال له ازرق
والله اعلم **وجعل** عبد الله رضي الله عنه على تلك القواعد ستورا
فطاف الناس بتلك القواعد حتى بني عليها وارتفع **البنا**
وزاد في ارتفاعها على ما كانت عليه في بنا قريش تسعة اذرع
فكانت سبعا وعشرين ذراعا زاد بعضهم وربع ذراع وبناها على
مقتضي ما حدثت به خالته عايشة رضي الله عنها فادخل فيها
الحجر اي لانه يجوز ان يكون ادخالها الحجر هو الذي سمعه من عايشة
رضي الله عنها فعمل به دون غير ذلك من الروايات المتقدمة
الدالة على ان الحجر ليس من **البيت** وانما منه ستة اذرع او وشبرا
او قريبا من سبعة اذرع **وقيل** ان هذا اي قولنا ادخل فيه الحجر
هو الموافق لما تقدم من ان قريشا اخرجت منها الحجر وهو واضح
ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر واما اذا لم يكن خارجا
عن جميع الحجر كيف يبعد ولا يبني عليه اعتمادا على ما حدثته
به خالته عايشة رضي الله عنها على انه سيأتي عن نص حديث
عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لها فان بدا لقومك
من بعدي ان يبنوا فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا
من ستة اذرع **وجعل** عبد الله رضي الله عنه خلفا اي بابا
من خلفها



من خلفها والصقه بالارض كالمقابل له **قال** ولما ارتفع البنا الي مكان
الحجر الاسود وكان في وقت الهدم وجد متصدعا بسبب الحريق كما تقدم
فشده بالفضة ثم جعله في ديباجة وادخله في دار الندوة **فحين**
وصل البنا الي محله امر ابنه حمزة وشخصا اخر ان يحملاه ويضعاه
محله وقال اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا حتى اسمعكما فاخفف صلاتي
فانه يصلي بالناس بالمسجد اغتناما لتخلفهم عن وضعه لما احس منهم
بالتنافس في ذلك اي ان كل واحد يود ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبرا
تسامع الناس بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يحضرهم **وكون**
الحجر وجد متصدعا بسبب الحريق وكون ابن الزبير رضي الله عنهما شده
كذلك بالفضة لا ينافي ما وقع بعد ذلك من ان ابا سعيد كبير القرامطة
وهم طايفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومايتين يزعمون ان لا
غسل من جنابة وحل الخمر وانه لا صوم في السنة الا يومي النيروز
والمهرجان ويزيدون في اذانهم وان محمد ابن الحنفية رسول الله وان
الحج والعمرة الي بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال واهل البراري
وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببهم **وسبب** ولده ابي طاهر
فان ولده ابا طاهر ابتنى دارا بالكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده
واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من **القلوب**
وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر
من خلفا بني العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب
الحاج الي مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي
جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى في بير زمزم وضرب الحجر الاسود
بدبوس فكسره ثم اقتلعه واخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها
وسقفها وقسمه بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد

ان اقام بها احدى عشر يوما ومعه الحجر الاسود ونفي عنه القرامطة اكثر من
عشرين سنة اي والناس يضعون ايديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون
الف دينار فابوا حتى اعيد في خلافة المطيع وهو الرابع والعشرون
من خلفاء بني العباس فاعيد الحجر الى موضعه وجعل له طوق فضة
شد به زنته ثلاثة الاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصفا قال
بعضهم تاملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد في راسه فقط وسائره
ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث وبعد
عشرة واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث
ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت
منه شظيات مثل الاظفار وخرج مكسره اسمر يضرب الى السمرة
محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك
واللك وحشوه في تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك وجعل
عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه طول الباب احدى عشرة ذراعا والباب
الاخر بازائه كذلك فلما فرغ من بنائها خلقها من داخلها وخارجها
بالخلوق اي الطيب والزعفران وكساها القباطي اي وهي ثياب
بيض رقاق من كتان يتخذ بمصر وفي كلام بعضهم اول من كسى
الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اقول وبناء
عبد الله رضي الله عنه للكعبة من جملة اعلام النبوة لانه من الاخبار
بالمغيبات فمن لفظ حديث عائشة رضي الله عنها فان بدا لقومك
من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من
سبعة اذرع وتقدم ان هذا يرد قول بعضهم ان ابن الزبير رضي الله
عنهما ادخل في بنائه جميع الحجر قال بعضهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم
تصريح بالاذن في ان يفعل ذلك بعده عند القدرة عليه

والتمكن

والتمكن منه وقد قال المحب الطبري رحمه الله وهذا الحديث يعني
حديث عائشة رضي الله عنها يدل تصريحا وتلويحا على جواز التغيير
في البيت اذا كان لمصلحة ضرورية او حاجية او مستحسنة قال
الشهاب ابن حجر الهيتمي رحمه الله ومن الواضح البين ان ما وهي
وتشقق منها في حكم المنهدم او المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه
بل يندب بل يجب هذا كلامه وفي شعبان سنة تسع وثلاثين
والف جاء سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس العشرين من
الشهر المذكور هدم معظم الكعبة سقط به الجدار الشامي بوجهيه
وانحدر معه من الجدار الشرقي الى جهة الباب ومن الجدار الغربي من
الوجهين نحو السدس وهدم اكثر بيوت اهل مكة واغرق
في المسجد جملة من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى
ان سد الابواب وعندما جاء الخبر بذلك الى مصر جمع متوليها الوزير
محمد باشا وهو الوزير الاعظم الآن اي في سنة ثلاث واربعين
جمعا من العلماء من جملتهم ووقعت الاشارة بالمبادرة بالعمارة
وقد جعلت للوزير المذكور في ذلك رسالة لطيفة وقعت منه موقعا
كبيرا واعجب بها كثيرا حتى انه دفعها لمن عبر عنها باللغة التركية وارسل
بها لحضرة مولانا السلطان مراد اعز الله انصاره وذكرت فيها ان الحق
ان الكعبة لم تبن جميعها الا ثلاث مرات المرة الاولى بناء ابراهيم عليه
الصلاة والسلام والثانية بناء قريش وكان بينهما الفا سنة وسبعمائة
سنة وخمس وسبعون سنة وحينئذ يكون ما جاء في الحديث استكثروا
من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في
الثالثة معناه قد يهدم مرتين ويرفع في الهدم الثالث فلا يعاد
والثالثة بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اي وكان بينهما نحو اثنتين

اي

وثمانين سنة اي واما بنا الملائكة وبنا ادم وبنا شيث فلم يصح وبنا
جرهم والعمالقة وقصي فانما كان ترميما ولم تثبت بعد هدمها جميعا
الا مرتين مرة زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
وذكر الامام البلقيني ان كون ابن الزبير رضي الله عنهما اول من
كسا الكعبة الديباج اشهر من القول بانه اول من كساها الديباج ام
العباس ابن عبد المطلب كما سياتي وجاز ان يكون عبد الله ابن
الزبير رضي الله عنهما كساها اولا القباطي ثم كساها الديباج والله
اعلم وكانت كسوتها اي في زمن الجاهلية المسوح والانطاع فان اول وكان
من كساها تبع الحميري كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحبيرة
اي وفي رواية كساها الوصايل وهي برود حمر فيها خطوط خضر
تعمل باليمن وفي كلام الامام البلقيني ويروى ان تبعا اليماني
لما كساها الخصف انتفضت فزال عنها فكساها المسوح والانطاع وفي
فانتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصايل فقبلتها قال
والوصايل ثياب موصولة من ثياب اليمن وفي الكشاف كان تبع
الحميري مومنا وكان قومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم
وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي هذا
وقد نقل الشمس الحموي في كتابه المناهج الزهية والمباهج المرضية
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان نبيا وقيل اول من كساها
عدنان ابن ادد وكانت قريش تشترك في كسوة الكعبة حتى نشا
ابو ربيعة ابن المغيرة فقال لقريش انا اكسو الكعبة سنة
وحدي وجميع قريش سنة اي وقيل كان يخرج نصف كسوة
الكعبة في كل سنة واستمر يفعل ذلك الى ان مات فسمته

قريش

١١٤

قريش العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة الكعبة ويقال لبنيه
بنو العدل وكانت كسوتها لا تنزع فكان كلما تجدد كسوة تجعل
فوق واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبي صلى
الله عليه وسلم الثياب اليمانية وفي كلام بعضهم اول من كسا
الكعبة القباطي النبي صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم القباطي وكساها معاوية رضي الله عنه
الديباج والقباطي والحبرات فكانت تكسى الديباج يوم عاشورا
والقباطي في اخر رمضان والاقتصار على ذلك يفيد ان عطف
الحبرات على القباطي من عطف التفسير فتامل وكساها المامون
الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطي فكانت تكسى الاحمر
يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع
وعشرين من رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى في زمن المتوكل
العباسي ثم في زمن الناصر العباسي كسيت السواد من الحرير واستمر
ذلك الى الان في كل سنة وكسوتها من غلة قريتين يقال لهما بيسوس
وسندبيس من قرى القاهرة وقفهما على ذلك الملك الصالح اسماعيل
ابن الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة اي
والان زادت القرى على هاتين والحاصل ان اول من كساها على
الاطلاق تبع الحميري كما تقدم على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسع
مائة سنة قيل وسبب كسوة ام عمه صلى الله عليه وسلم العباس
لها الديباج ان العباس رضي الله عنه ضل وهو صبي فنذرت امه
ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج
اي وكانت من بيت مملكة وقيل اول من كساها الديباج عبد الملك
ابن مروان اي وهو المراد بقول ابن اسحاق اول من كساها الديباج

الحجاج لان الحجاج كان من امرا عبد الملك وقد سئل الامام البلقيني
هل يجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها
في دوران المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم
لكسوتها الفاخرة التي يرجى بكسوتها الخلع السنية في الدنيا
والاخرة ويجوز اظهارها في دوران المحمل الشريف فان في ذلك
من التعظيم المناسب للحال الشريف ما يليق بالحال هذا كلامه اي واول
من حلي بابها بالذهب جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما
حفر بير زمزم وجد فيها الاسياف والغزالين من الذهب فضرب
الاسياف بابا وجعل في ذلك الباب الغزالين فكان اول ذهب
حلية الكعبة على ما تقدم واول من ذهب الكعبة في الاسلام
عبد الملك ابن مروان وقيل عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما واول
جعل على اساطينها صفايح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب
وجعل الوليد ابن عبد الملك الذهب على الميزاب ويقال انه ارسل
لعامله على مكة ستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة
وعلى الميزاب وعلى الاساطين التي داخلها وعلى اركانها من داخل
ان الامين بن هرون الرشيد ارسل الى عامله بمكة ثمانية عشر الف
دينار ليضرب بها صفايح الذهب على بابي الكعبة فقلع منها ما كان وذكر
على الباب من الصفايح وزاد عليها ذلك وجعل مساميرها وحلقتي
الباب والعتبة من الذهب وان ام المقتدر الخليفة العباسي امرت وجعل
غلامها لولوا ان يلبس جميع اسطواناتها ذهبا ففعل
وقال عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من بنايها من كان
لي طاعة فليخرج فليعتمر من التنعيم ومن قدر ان ينحر بدنة فليفعل
فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر فليتصدق بما تيسر واخرج مائة

لدنه

بدنه فلما طاف استلم الاركان الاربعة جميعا فلم تزل الكعبة على
بنا عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما تستلم اركانها الاربع
اي لانها على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويدخل اليها
من باب ويخرج من باب حتى قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
قتله شخص من جيش الحجاج بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل
وهو بالمسجد لان الحجاج كان اميرا على الجيش الذي ارسله عبد الملك
ابن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير
زاد في الكعبة ما ليس فيها واحدث فيها بابا اخر واستاذن في رد ذلك على
ما كانت عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد الملك ان يسد بابها الغربي ويهدم
ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك الحجاج فسايرها قبل وقوع هذا الهدم بالسيل
الواقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف بني بنيه على بنيان ابن الزبير
الا الجانب الذي يلي الحجر فانه من بنا الحجاج اي والباب الذي تحت العتبة
وهو اربعة اذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد الخليل وجرهم
وابراهيم عليه الصلاة والسلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم
وما سد به الباب الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل ارض
الكعبة اي التي وضعها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اي ولعله
انما وضع في ذلك المحل الحجارة التي تصلح للبنا فلا ينافي ما اخبرنا به
بعض الثقات ان بعض بيوت مكة كان فيها بعض الحجارة التي اخرجت من
الكعبة زمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ويقال ان ذلك البيت
الذي كان فيه تلك الحجارة كان بنا لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
وبنا الحجاج كان في السنة التي قتل فيها عبد الله ابن الزبير رضي الله
عنهما وهي سنة ثلاث وسبعين فقيل ولما دخل عبد الله ابن
الزبير رضي الله عنهما وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة اشهر وقيل

سبعة اشهر وسبع عشرة ليلة علي امه اسما رضي الله عنها قبل قتله
بعشرة ايام وهي شاكية اي مريضة فقال لها كيف تجدينك يا امه
قالت ما اجدني الا شاكية فقال لها ان في الموت لراحة فقالت لعلك
تتمنيته لي ما احب ان اموت حتى ياتي علي احد طرفيك اما قتلت
واما ظفرت بعدوك فقرت عيني ولما كان اليوم الذي قتل فيه دخل
عليها في المسجد فقالت يا بني لا تقبل منهم خطة تخاف فيها علي نفسك
الذي تخافه القتل فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة سوط في
ذل وقيل ان الناس لازالوا يتسللون عن بن الزبير رضي الله عنهما
الي الحجاج الامان ومطويه منهم حتى دخل عليه قريب من عشرة الاف حتى
كان من جملة من خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير رضي
الله عنهما واخذا لانفسهما امانا من الحجاج ودخل عبد الله علي امه
رضي الله عنهما فشكي اليها خذلان من له وخروجهم الي الحجاج حتى
اولاده واهله وانه لم يبق معه الا اليسير والقوم يعطوني ما شئت
من الدنيا فما رايك فقالت يا بني انت اعلم بنفسك انك ان كنت تعلم
انك علي حق وتدعوا الي الحق فاصبر عليه فقد قتل عليه اصحابك ولا
تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بني امية وان كنت انما اردت
الدنيا فبئس العبد انت اهلكت نفسك واهلكت من قتل معك
كم خلودك في الدنيا فدنا منها وقبل راسها وقال والله ما ركنت
الي الدنيا فلا احب الحياة فيها وما دعاني الي الخروج الا الغضب
لله ان تستحل حرمته وبعد ان قتل رضي الله عنه وصلب علي الجذع
فوق الثنية ومضت ثلاثة ايام جاءت امه اسما رضي الله عنها وبعد
تقاد لان بصرها كان قد كف حتى وقفت عليه فدعت له طويلا
ولم تقطر من عينها دمعة وقالت للحجاج اما لهذا الراكب ان ينزل

فقال

١١٤

فقال الحجاج المنافق ارايت كيف نصر الله الحق واظهر ان ابنك
الحد في هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب اليم وقد اذاقه الله تعالى ذلك العذاب الاليم
وفي كلام سبط ابن الجوزي ان ابن الزبير رضي الله تعالى
عنهما لما قال لعثمان رضي الله عنه وهو محاصر ان عندي نجائب
اعددتها لك فهل لك ان تتحول الي مكة فانهم لا يستحلوك وانت بها
قال له عثمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول يلحد رجل في الحرم من قريش او بمكة يكون عليه نصف عذاب
العالم ولن اكن انا وفي رواية قال له لا اني سمعت رسول الله صلى
الله صلي الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله
عليه مثل نصف اوزار الناس هذا كلامه وعندي ان المراد بعبد الله
الحجاج لا ابن الزبير ولا مانع ان يكون الحجاج من قريش علي ان الذي في
الصواعق لابن حجر الهيتمي ان القايل لعثمان رضي الله عنه ذلك المغيرة
ابن شعبة ولما سمعت سيدتنا اسما رضي الله عنها الحجاج يقول في ولدها
رضي الله عنهم المنافق قالت له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه كان صواما
قواما برا كان اول مولود ولد في الاسلام بالمدينة وسر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحا به
كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض ان يعصي الله عز وجل قال
انصرفي فانك عجوز قد خرفت قالت والله ما خرفت ولقد سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير اما الكذاب
فقد رايناه يعني المختار بن ابي عبيد الثقفي والي العراق فانه لما
قتل الحسين اتفق مع طايفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين
ولما قتل ندموا علي ذلك فوافقوا المختار علي مقاتلة من قتل

الحسين من اهل الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا الجميع من قاتل
الحسين وملكوا الكوفة وشكر الناس للمختار ذلك ثم قالت
رضي الله عنها واما المبير فانت المبير ولما بلغ عبد الملك ما قاله
الحجاج لاسما رضي الله عنها كتب اليه يلومه على ذلك اي ومن ثم
ارسل اليها الحجاج فابت ان تاتيه فاعاد عليها الرسول اما ان
تاتيني او لابعثن اليك من يسحبك من قرونك فعند ذلك اخذ
نعليه ومشى حتى دخل عليها فقال يا امراة ان امير المومنين اوصاني
بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك بام ولكني ام المصلوب
على راس الثنية وما لي من حاجة ولكن انتظر حتى احدثك ما
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فقد رايناه يعني
المختار واما المبير فانت فقال الحجاج مبير للمنافقين ومن كذب
المختار انه ادعى النبوة وانه ياتيه الوحي ويسرد ذلك لاصحابه
وفي دلائل النبوة للبيهقي رحمه الله عن بعضهم قال كنت اقوم بالسيف
على راس المختار ابي عبد الله فسمعته يوما يقول قام جبريل عن
هذه النمرقة وفي رواية لي على هذا الكرسي فاردت ان اضرب عنقه
فتذكرت حديثا حدثنيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن
الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيمة فكففت
عنه ولعل هذا مستندها نقل عن كتاب الاملا لامامنا الشافعي
رضي الله عنه من القول بان المسلم يقتل بالمستامن وقد كتب المختار
للاحنف بن قيس وجماعته قد بلغني انكم تسموني الكذاب وقد
كذب الانبيا من قبلي ولست بخير منهم وقد كان يقع منه امور تشبه
الكهانة منها انه لما جهز جيشا لقتال عبد الله ابن زياد المجهز للجيش

لمقاتلة

لمقاتلة الحسين رضي الله عنه كما تقدم قال لاصحابه في غد ياتي
اليكم خبر النصر وقتل ابن زياد فكان كما اخبر وجي براس ابن زياد
والقي بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشورا اليوم الذي قتل
فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتل المختار على يد مصعب ابن الزبير ثم
وجي براس المختار بين يدي مصعب لما ولي العراق من جانب اخيه
لابيه عبد الله بن الزبير وما يوثر عن مصعب العجب من بني ادم كيف وما
يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطعت راسه ثم
ووضعت بين يدي عبد الملك بن مروان وعن بعضهم انه حدث وعن
عبد الملك فقال له يا امير المومنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة
فاذا راس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد وعبيد الله بن
زياد على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس عبيد الله
ابن زياد على ترس بين يدي المختار والمختار على السرير ثم دخلت القصر
بعد ذلك بحين فرايت راس المختار بين يدي مصعب ابن الزبير ومصعب
على السرير ثم دخلت القصر بعد ذلك بحين فرايت راس مصعب ابن
الزبير بين يديك وانت على السرير فقال لا اراك الله لخامسه ثم
امر بهدم ذلك القصر وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان ابا وعن
الحجاج لما دخل ايام الحجاج واقعها فنام فراى قايلا يقول في المنام
ما اسرع ما انجبت بالمبير وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله ان ام وفي
الحجاج كانت قبل ابيه مع المغيرة ابن شعبة فطلقها بسبب انه دخل
عليها يوما فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت
تتخللين من طعام البارحة انك لقذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة
كنت فبنت قالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا ولا هو كما
ظننت ولكني استكت فاردت ان اتخلل من السواك فندم المغيرة

علي طلاقها فخرج فلقي يوسف بن ابي عقيل والد الحجاج فقال له هل
لك الي شي ادعوك اليه قال وماذاك قال اني نزلت عن سيدة نسا
ثقيف وهي الفارعه فتزوجها تنجب لك فتزوجها فولدت له الحجاج
وفي حياة الحيوان انها كانت قبل ابي الحجاج عند امية ابن ابي الصلت
هذا كلامه وقد يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثة وان تزوجها لامية
كان قبل المغيرة وكونها سيدة نسا ثقيف يبعد القول بانها المتمنية
التي عزرها سيدنا عمر رضي الله عنه وهي تنشد هل من سبيل الي خمر فاشربها
الابيات وانه كان يحبها فيقال له ابن المتمنية وفي حملة صلب ابنها
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما صارت امه رضي الله عنها تقول اللهم لا
تمتني حتى تقر عيني بجثته وذهب اخوه عروة بن الزبير الي عبد الملك
ابن مروان وان يسال له في انزاله عن الخشبة فاجابه وانزله قال الفاسي
كنا لا نتناول عضوا من اعضابه الا جا معنا فكنا نغسل العضو ونضعه
في اكفانه وقامت امه رضي الله عنها فصلت عليه وماتت بعده بجمعة
ذكر ذلك في الاستيعاب وقيل بعده بماية يوم قال الحافظ ابن كثير
وهو المشهور وبلغت رضي الله عنها من العمر ماية سنة ولم يسقط
لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير رضي الله عنهما
ما يتان وابعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة وكان من
جملة من قتل عبد الله بن صفوان الي راس ابن الزبير كانه يسارهم
بلعجون بذلك ثم بعثوا بهما الي عبد الملك ابن مروان ولما وضعت
راس عبد الله ابن الزبير بين يدي عبد الملك سجد وقال والله
كان احب الناس الي واشدهم الي الفا ومودة ولكن الملك عقيم
اي فان الرجل يقتل ابنه او اخاه علي الملك فاذا فعل ذلك انقطعت
بينهما الرحم وسنا في مدحة عبد الملك لابن الزبير رضي الله عنهما

وتوبيخ

وتوبيخ امير الجيش الذي ارسله بين يديه تلك القتله وقوله ان ابن
الزبير رضي الله عنهما قال لعبد الله بن صفوان الي قد اقلتك
بيعتي فاذهب حيث شئت فقال انما اقاتل عن ديني وكانت
سيدا شريفا مطاعا حليما كريما فقتل وهو متعلق باستار الكعبة
وحيند بيتقل كونه حرما امنا ومما يدل لما تقدم من ان عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما كان عنده سو خلق ما حكي انه جا اليه
شخص فقال له ان الناس علي باب عبد الله بن عباس يطلبون العلم
وان الناس علي باب اخيه عبد الله يطلبون الطعام فاحدهما يسعر
الناس والاخر يطعم الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعي شخصا وقال
له انطلق الي ابني العباس وقل لهما يقول لكما امير المومنين اخرجا
عني والا فعلت وفعلت فخرجا الي الطايف اي وقيل انما خرج عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما من مكة الي الطايف لان الله يقول
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم فقد قال الشيخ محي الدين
ابن العربي رحمه الله اعلم ان الله قد عفي عن جميع الخواطر التي لا
تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد ورد ان الله يواخذ فيه من يرد
فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكني عبد الله ابن عباس رضي الله
عنهما بالطايف احتياطا لنفسه لانه ليس في قدرة الانسان ان يدفع
عن قلبه الخواطر قال بعضهم كان يقال من اراد الفقه والجمال والسخا
فليات دار العباس الجمال للفضل والسخا لعبيد الله والفقه لعبد الله
قيل وحاج عبد الملك اي في ذلك في سنة خمس وسبعين قال له
الحارث انا اشهد لابن الزبير بالحرب الذي سمعه من خالته عايشه
رضي الله عنها قال انت سمعته منها قال نعم فجعل ينكت بالمنشار
بقضيب كان في يده الارض ساعة ثم قال وددت اني كنت تركته

يعني ابن الزبير وما تحمل وفي رواية ان عبد الملك كتب الى الحجاج
وددت انك تركت ابن الزبير وما تحمل وهو الموافق لما في تاريخ الازرقي
ان الحارث وفد على عبد الملك ابن مروان في خلافته فقال له عبد الملك
ما اظن ان ابا خبيب يعني ابن الزبير سمع من عائشة رضي الله عنها ما
كان يزعم انه سمع منها في بنا الكعبة قال الحارث انا سمعته منها
قال عبد الملك انا سمعته منها الحديث وكون عائشة رضي الله عنها حدثت
ابن الزبير بما ذكر لا ينافي ما في تاريخ ابن كثير عن بعضهم قال سمعت
ابن الزبير رضي الله عنهما يقول حدثتني امي اسماء ابنة ابي بكر رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله تعالى عنها
لولا قرب عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على اساس ابراهيم
عليه الصلاة والسلام الحديث وفي رواية ان عائشة رضي الله عنها
نذرت ان فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم تصلي في البيت
ركعتين فلما فتحت مكة اي وفي حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
سالت النبي صلى الله عليه وسلم ان يفتح لها باب الكعبة ليلا فجاء عثمان
ابن طلحة رضي الله عنه بالمفتاح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا رسول الله انها لم تفتح ليلا قط قال فلا تفتحها ثم اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها وادخلها الحجر وقال صلي ههنا
فان الحطيم اي الحجر من البيت الا ان قومك قصرت بهم النفقة اي الحلال
فاخرجوه من البيت ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بنا الكعبة
واظهرت قواعد الخليل وادخلت الحطيم في البيت والصقت العتبة
على الارض ولئن عشت الى قابل لافعلن ذلك ولم يعش صلى الله عليه وسلم
ولم يتفرغ الخلفا لذلك وبما ذكر يعلم ما في قول الاصل هدمها وبما ذكر
اي عبد الملك وبناها على ما كان عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد علمت

وقد علمت ان الحجاج لم يبن الا الجدار الذي يلي الحجر والباب الذي
تحت العتبة والدرجة التي في باطنها واما التراب الذي جعل في
باطنها فيحتمل ان يكون هو التراب الذي اخرجه عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما استمر باقيا فاعاده الحجاج ويحتمل انه غيره ولم اقف
على بيان ذلك في كلام احد والتراب الذي اخرجه عبد الله بن
الزبير رضي الله عنهما من عرض الاساس الذي بنته قريش لاجل
مصلحة استمساك البناء وثباته ومن العجب ما حدث به بعضهم قال
كنت اميرا على الجيش الذي بعث به يزيد بن معاوية الى عبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهما بمكة فدخلت مسجد المدينة فجلست
بجانب عبد الملك ابن مروان فقال لي عبد الملك انت امير هذا الجيش
قلت نعم قال ثكلتك امك اتدري الى من تسير الى اول مولود ولد في الاسلام
اي بالمدينة من اولاد المهاجرين والى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى ابن ذات النطاقين يعني اسما رضي الله عنها والى من حنكه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما والله ان جئته نهارا وجدته صائما وان جئته
ليلا تجده قائما فلو ان اهل الارض اطبقوا على قتله لاكبهم الله في النار
جميعا فلما صارت الخلافة الى عبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه
قال بعضهم ان عبد الملك اي مروان لما راى جيش يزيد متوجها الى مكة قال
اعوذ بالله ايبعث الجيش الى حرم الله فضرب بمنكبه شخص كان يهوديا واسلم
وكان يقرا الكتب وقال لجيشك اليه اعظم ويقال ان هذا اليهودي مر على دار
مروان والد عبد الملك هذا فقال ويل لامة محمد صلى الله عليه وسلم من اهل هذه
اي الدار اي لان مروان كان سبب لقتل عثمان رضي الله عنه وعبد الملك ابنه
كان سببا لقتل عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما ووقع ابنه الوليد كما يجي
اي اي عبد الملك الامور العظيمة اي وسبب ولاية الحجاج على الجيش انه قال

لعبد الملك ابن مروان رايت في منامي اني اخذت عبد الله بن الزبير
فسلخته فولني قتاله فولاه فارسله في جيش كثيف من اهل الشام
فحصر ابن الزبير رضي الله عنهما ورمى الكعبة بالمنجنيق ولما رمى به
ارعدت السما وابرقت فخاف اهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق
تهامه وانا ابنها ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك ولم تزل
صاعقة تتبعها اخرى حتى قتلت اثني عشر رجلا من اهل الشام فخاف
اهل الشام زيادة قال بعضهم ولا زال الحجاج يحصرهم بالرمي بالمنجنيق
ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى هدمت وحرقت استارها حتى صارت
كالفحم اي وفيه انه لو كانت هدمت او حرقت لاعيد بناوها او اصلحت
بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله ولعل
هذا اشتبه على بعض الرواة ظن ان الذي وقع من جيش يزيد واقع
من الحجاج فان قيل هلا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة
كما اهلك ابرهة قلت لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة
بخلاف ابرهة كما تقدم وفيه انه قد يشكل كونه حرما امنا وفي البخاري
عن بن عباس رضي الله عنهما انه قال الحين وقع بينه وبين ابن الزبير
رضي الله عنهما اي وامره بان يخرج الى الطايف وتهدده على ما تقدم
قلت ابوه الزبير وامه اسما وخالته عايشة وجده ابو بكر وجدته
صفيه وفي رواية عنه انه قال اما ابوه فحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد الزبير واما جده فصاحب الغار يريد ابا بكر رضي الله عنه واما امه
فذات النطاقين يريد اسما رضي الله عنها واما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم
يريد خديجة رضي الله عنها واما عمة النبي صلى الله عليه وسلم فجدته يريد
صفية ثم عفيف في الاسلام وقاري للقران ولما قتل عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما ارتجت مكة بالبكا فجمع الحجاج الناس وخطبهم وقال
في

في خطبته الا ان ابن الزبير كان من اخيار هذه الامة الا انه نازع الحق
اهله ان الله خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما
اخطا اخرجه من الجنة بخطيئته وادم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة
اعظم حرمة من الكعبة اذكروا الله يذكركم اي ومن اعلام نبوته صلى الله
عليه وسلم ما روي ان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما ولد نظر اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما سمعت بذلك امه رضي
الله عنها امسكت عن رضاعه رضي الله عنه فقال لها صلى الله عليه وسلم
ارضعيه ولو بما عينيك كبش بين ذياب وذياب عليها ثياب ليمنعن
البيت او ليقتلن دونه وفي حياة الحيوان ان العرب اذا ارادوا امدح
الانسان قالوا كبش واذا ارادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال
صلى الله عليه وسلم في المحلل التيس المستعار ويقال ان
الحجاج بعد قتل ابن الزبير رضي الله عنهما ذهب الى المدينة وقبل
وجهه الشام فراى شيخا خارجا من المدينة فسأله عن حال اهل المدينة
فقال والله شر حال قتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعاين الله ورسله من قليل المراقبة
فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف الحجاج اذا رايته
قال نعم ولا عرفه الله خيرا ولا وقاه الله ضيرا فكشف الحجاج اللثام
عن وجهه وقال ستعلم الان اذا سال دمك الان فلما تحقق الشيخ
انه الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج انا فلان اصرع من الجنون في كل
يوم خمس مرات فقال اذهب لا شفاك الله ولا يعافاك من جنونه ولا عافاه
وخلوص هذا من يد الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل صار دربة
ابيه اسر لم ينقل عن احد مثله وكان يقول يخبر عن نفسه ان اكبر لذاته
سفك الدما قال بعضهم والاصل في ذلك انه لما ولد لم يقبل

ثديا فتصور لهم ابليس في صورة الحارث ابن كلدة طبيب العرب وقال
اذبحوا الديك اسود والعقوه من دمه واطلوا به وجهه ففعلوا ذلك
فقتل ثدي امه وذكر انه اتي اليه بامراة من الخوارج فجعل يكلمها
وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لبعض اعوانه يكلمك
الامير وانت معرضة فقالت اني استحي ان انظر الي من لا ينظر الله
اليه فامر بقتلها فقتلت وقد احصي الذين قتلهم صبرا
فبلغ مائة الف وعشرين الفا ولما عزي بسيدتنا اسماء رضي الله
عنها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وامرها بالصبر قالت وما
يمنعني من الصبر وقد اهدي راس يحيي بن زكريا عليهما الصلاة
والسلام الي بغي من بغايا بني اسرائيل وقد جاء ان هذه البغي اول
من يدخل النار ويقال ان عبد الله بن الزبير قال لامه رضي
الله عنهم يوم قتل يا اماه اني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك
وسلمي لامر الله فان ابنك لم يتعمد الي اتيان منكر ولا عمل بفاحشة
وفي كون عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تاخر موته عن موت ابن الزبير
رضي الله عنهما نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مات
قبل قتل ابن الزبير رضي الله عنهما بثلاثة اشهر وسبب موته
ان الحجاج سفه عليه فقال له عبد الله رضي الله عنه انك سفيه
مسلط فغيره ذلك عليه فامر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه
ويضعه علي رجل عبد الله ففعل به ذلك في الطواف فمرض من ذلك
اياما ومات ويذكر ان الحجاج دخل عليه ليعوده فساله عمن فعل به
ذلك وقال له قتلني الله ان لم اقتله فقال له عبد الله لست بقاتل
له قال ولم قال لانك الذي امرت به اقول عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما للحجاج انك سفيه مسلط يشير الي قول ابيه عمر رضي الله عنهما

فانه

فانه لما بلغه ان اهل العراق حصبوا اميرهم اي رجموه بالحجارة خرج
غضبان فصلي فسهي في صلاته فلما سلم قال اللهم انهم لبسوا علي
فالبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية
لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وكان ذلك قبل ان يولد الحجاج
ثم رايت في تاريخ ابن كثير رحمه الله لما مات عبد الله ابن الزبير رضي الله
عنهما وهو مصلوب وقال السلام عليك ابا خبيب اما والله لقد كنت
انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت
انهاك عن هذا اما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم
ويذكر انه كان لعبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما مائة غلام لكل
غلام منهم لغة لا يشاركه فيها غيره وكان يكلم كل واحد منهم بلغته
وهذا اغرب مما استغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من خلفاء بني
العباس كان عارفا بالسن كثيرة حتي قيل انه يعرف اربعين لغة
ويجاري فيها وقد قال الحجاج لعروة بن الزبير رضي الله عنهما يوما في كلام
جري بينهما لا ام لك فقال الي تقول هذا وانا ابن عجائز الجنة يعني جدته
صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وامه اسماء وقال الحجاج يوما لشخص
ما تقول في عبد الملك بن مروان فقال الرجل ما اقول في رجل انت سيئة من
سيئاته وقد اطلق سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة من سجن الحجاج
سبعين الفا قد حبسهم للقتل ليس لواحد منهم ذنب يستوجب به
الحبس فضلا عن القتل وذكر انه كان يحبس الرجال مع النساء
ولم يكن لحبسه سقوف تظله فكان الرجل يبول بجانب المراة والمراة تبول
بجانب الرجل فتبدو العورات وكان كل عشرة في سلسلة ويطعمهم خبز
الدخن مخلوطا بالملح والرماد ومر يوم جمعة فسمع استغاثة
فقال ما هذا فقيل له اهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال قولوا لهم

احسبوا فيها ولا تكلمون فما عاش بعد ذلك الا اقل من جمعة واقر
من قتله الحجاج من التابعين سعيد ابن جبير ولم يقتل بعد ابن جبير
الا رجلا واحدا وقال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه لو جاءت كل
امة بفرعونها وجئنا هم بالحجاج لغلبناهم وقال سليمان بن عبد الملك
لرجل من لحصا الحجاج بعد موت الحجاج ابلغ الحجاج قعر جهنم فقال
يا امير المومنين يجي الحجاج يوم القيمة بين ابيك عبد الملك وبين اخيك
هشام ابن عبد الملك فضعهم من النار حيث شئت ومن غريب الاتفاق
ملحظا بعضهم قال مات رجل فلما وضع على مغتسله استوى قاعدا ومن
وقال نظرت بعيني هاتين واهو كيبدي الى عين الحجاج وعبد الملك
في النار يسحبان باقمعا بهما هادمنا كما كان والحجاج متاصل في
الظلم فقد رايت بعضهم حكي انه قال في المثل اظلم من ابن الجلندي
وهو الملك والبد بقوله تعالى وكان وراهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا
وانه من اجداد الحجاج بنيف وبنيه سبعون جيلا واستخلف الحجاج رجلا
في امر فقال لا والذي انت بين يديه غدا اذ لحنتي بين يديك اليوم فقال والله
اني يوميذ لذليل واول من ضرب الدراهم في الاسلام الحجاج بامر واول
عبد الملك ابن مروان وكتب عليها قل هو الله احد الله الصمد اي على احد
وجهي الدراهم الله احد وعلى وجهه الثاني الله الصمد ولم توجد
الدراهم الاسلامية الا في زمن عبد الملك بن مروان وكرهت الدراهم
قبل ذلك ووصيه وكسرونه وفي زمن الخليفة المستنصر بالله ومعهم وفي
السابع والثلاثون من خلفا بني العباس ضربت الدراهم ضربت الدراهم
وجاها النقره وقومت كل عشرة بدينار وذلك في سنة اربع وثلثين
وستمايه ولما دخل سليمان ابن عبد الملك المدينة سال هل بالمدينة
احد ادرك احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابو حازم ولما
فارسل اليه

فارسل اليه فلما دخل عليه ساله فقال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت
قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنقلوا من عمران
الى خراب فقال له وكيف القدوم على الله قال اما المحسن فكالغايب
يقدم على اهله واما المسي فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان
وقال يا ليت شعري ما لنا عند الله فقال اعرض عملك على كتاب الله تعالى
فقال في اي مكان اجده قال في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين
وجا قال فاي عباد الله اكرم قال اولو المروة وجا اعرابي الى سليمان
ابن عبد الملك هذا فقال يا امير المومنين اني اكلمك بكلام فاحتمله
فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هاته يا اعرابي فقال الاعرابي
اني اطلق لساني بما خرست عنه الالسن تاديبا لحق الله انه قد اكتنفك رجال
قد اساوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخطهم
وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حرب للاخرة وسلم للدنيا فلا تامنهم
على ما استخلفك الله عليه فانهم لن يالوا الامانة وانت مسيول عما
اجترموا فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس عند الله غبنا
من باع اخرته بدنيا غيره فقال له سليمان اما انت يا اعرابي فقد سللت
ولما لسانك وهو سيفك قال اجل يا امير المومنين لك لا عليك ولما حج
بالناس قال للوليد عمه وولي عهده عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه
الا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم الا الله ولا يسع رزقهم غيره
فقال يا امير المومنين هولا رعيتك اليوم وهم غدا خصماك عند الله فبكى
وقال سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله استعين وقال يوما لعمر ابن
عبد العزيز رضي الله عنه حين اعجبه ما صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى
ما نحن فيه فقال يا امير المومنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه
عديم

ومالك لولا انه يهلك ٭ وفرح لولم يعقبه ترح ٭ ولذات لولم تقترن بافات ٭
وكرامة لو صحبها سلامة ٭ فبكى سليمان حتى اخضلت دموعه لحيته
وولاية عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه بشر بها جده لامه عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه فقد حكي عنه رضي الله عنه انه قال ان من ولدي
رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملا الارض عدلا فكان ولده
عبد الله رضي الله عنه يقول ليت شعري من هذا الذي من ولد
عمر ابن الخطاب في وجهه علامة يملا الارض عدلا وفي رواية
عنه انه كان يقول يا عجبا يزعم الناس ان الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل
من ال عمر يعمل بمثل عمل عمر فقال بعضهم فاذا هو عمر ابن عبد العزيز
رضي الله عنه لان امه ابنة عاصم ابن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
ومما يؤثر عن عمر ابن عبد العزيز انه لما ولي الخلافة وقام خطيبا
قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ومن شاء اعطى
ومن شاء منع ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف
امنا وتؤمن خايفا وقال في خطبة من خطبه ايضا ايها الناس
ابن الوليد وابو الوليد وجد الوليد اسمعهم الداعي واسترد العواري
واضمحل ما كان لم يكن ذهبت عنهم ثابت الحياة وفارقوا القصور
واستبدلوا بلين الوطا خشن التراب فهم رهن فيه الى يوم المآب
فرحم الله عبدا مهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
ولما ولي الخلافة ابو جعفر المنصور اراد ان يبني الكعبة على ما بناها
ابن الزبير رضي الله عنهما وشاور الناس في ذلك فقال له الامام مالك
ابن انس انشدك الله اي بفتح الهمز وضم الشين المعجمة اي اسالك بالله
يا امير المومنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لا يشا احد منهم ان
يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رايه فيه

قال

قال وذكر الطبري في مناسك ان الذي اراد ذلك ورده مالك
هو الرشيد انتهى اقول وكونه الرشيد هو الذي ذكره المعتبر
واقتصر عليه ولان المنصور مات محرما ببئر ميمونه لستة ايام خلون
من ذي الحجة فلم يدخل مكة وقد يقال يجوز ان يكون دخل المدينة قبل
سيره الى مكة واستشار الناس في المدينة فقال له الامام مالك
رضي الله عنه ما تقدم وان الرشيد ايضا اراد ذلك واستشار
الامام مالك فاشار عليه بما ذكر ثم رايت في تاريخ ابن كثير رحمه الله
لما كان في زمن المهدي بن المنصور استشار الامام مالكا في ردها الى
الكعبة على الصفة التي بناها ابن الزبير رضي الله عنهما فقال له
اني اخشى ان تتخذها الملوك لعبة ثم رايت في كلام بعضهم ان المنصور
حج وانه لما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ولعل
هذا كان في حجة غير هذه التي مات فيها ثم رايت في تاريخ من كتب
رحمه الله ان المنصور حج وهو خليفة اربع حجات غير الحجة التي مات
فيها وكذا في القرى القاصد ام القرى للطبري وذكر انه مات في الحجة الخامسة
قبل يوم التروية بيومين وانه احرم في بعض حججه من بغداد وقد ذكر
الشيخ الصفوري رحمه الله وغيره بان المنصور بلغه ان سفيان الثوري
ينقم عليه في عدم اقامة الحق فلما توجه المنصور للحج وبلغه ان سفيان
بمكة ارسل جماعة امامه وقال لهم حيثما وجدتم سفيان خذوه واصلبوه
فنصبوا الخشب ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام وراسه
في حجر الفضيل ابن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له خوفا
عليه يا سيدي لا تشمت بنا الاعدا ثم فاختف فقام ومشى حتى وقف
بالملتزم وقال ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور وكان
وصل الى الحجون فزلقت به راحلته فوقع عن ظهرها ومات من فوره
فخرج سفيان وصلى عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين هذا

ومم

وما تقدم انه مات ببئر ميمونة لانه يجوز ان يكون المراد بوصوله
الى الحجون وصول خيله وركبه قلت مل ثم رايت في تاريخ ابن كثير
رحمه الله ان المنصور لما خرج الى الحج وجاوز الكوفة بمراحل اخذه
وجعه الذي مات فيه وافرط به الاسهال ودخل مكة فترك بها
وتوفي ولعل هذا لا يخالف ما سبق لانه يجوز انه اطلق مكة على المحل
القريب منها وان مع اطلاق بطنه زلقته به فرسه وقيل واخر
ما تكلم به المنصور اللهم بارك لي في لقائك ومما يؤثر عنه اولى الناس
بالعفو اقدرهم على العقوبة وانقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه
والله اعلم وتقدم ان قصيا لما امر قريشا ان تبني حول الكعبة بيوتها
فبنت بيوتها من جهاتها الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر
على ذلك زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن ابي بكر رضي الله عنه فلما ولي
عمر رضي الله عنه راى ان يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها
ووسع حول الكعبة وبنى جدارا قصيرا على ذلك وجعل فيه ابوابا
سبعة ثم وسعه عثمان رضي الله عنه ثم عبد الله ابن الزبير رضي الله
عنهما ان عبد الملك بن مروان رفع الجدرانه وسقفه بالساج
ان الوليد ابن عبد الملك نقضه ذلك ونقل اليه الاساطين
الرخام وسقفه بالساج المزخرف وازر المسجد بالرخام ثم زاد فيه
المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه المهدي اولا وثانيا حتى صارت
الكعبة في وسط المسجد وفي ايام المعتضد ادخلت دار الندوه
في المسجد وتسمى مكة شرفها الله تعالى فاران وتسمى قرية
النمل لكثرة نملها او لان الله تعالى سلط فيها النمل على العمالقة
لما اظهروا فيها الظلم حتى اخرجهم من الحرم كما تقدم ولها اسماء كثيرة
قد افردها صاحب القاموس رحمه الله بمؤلف اقول وسياتي عن

الامام

الامام النووي رحمه الله انه ليس في البلاد اكثر اسما من مكة والمدينة
والله اعلم قال وعن ابي هريرة رضي الله عنه خلقت الكعبة اي موضعها
قبل الارض بالفي سنة كانت خشفة على الماء عليها ملكان يسبحان الله
فلما اراد الله تعالى ان يخلق الارض دحاها منها فجعلها في وسط الارض
انتهى وسئل الجلال السيوطي رحمه الله عن قوله تعالى ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام هل كانت ايام ثم موجودة قبل
خلق السموات والارض فاجاب بان خلق السموات والارض وخلق الايام
كان دفعة واحدة من غير تقديم لاحدهما على الاخر واستند في ذلك
بما ثبت في التفسير وفي الحديث ان الله حرم مكة قبل ان يخلق السموات
والارض الحديث وحينئذ فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام حرم مكة معناه اظهر حرمتها

باب ما جاء من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن احبار اليهود وعن احبار الرهبان من النصارى
وعن الكهان من العرب على السنة الجان وعلى غير السنتهم وما سمع من
الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الطيور وطرد الشياطين
من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره
وذكر صفته في الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوبا
من النبات والاحجار وغيرها قال ابن اسحاق وكانت الاحبار من يهود
والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمانه صلى الله عليه وسلم
اما الاحبار من يهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من
صفته صلى الله عليه وسلم وصفة زمانه واما الكهان من العرب فجاءتهم به
الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند
الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره

ولا تلقى العرب لذلك بالاحتي لعنه الله تعالى ووقفت تلك الامور
التي كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا فيه تصريح بان الملائكة كانت
تصرح بذكره صلى الله عليه وسلم في السما قبل وجوده صلى الله عليه وسلم
فاما اخبار الاحبار اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة منها
ابن سلامة بن وقش رضي الله عنه وكان من اصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود
بني عبد الاشهل فذكر اي عند قوم اصحاب اوثان القيمة والبعث
والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان او ترى هذا كائنا
ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم
قال نعم والذي يحلف به ولود اي الشخص ان له بحظه من تلك النار اعظم
تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بان ينجو من تلك النار غدا
فقالوا له ويحك وما اية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد واشار بيده
الى مكة واليمن قالوا ومتى نراه فنظر الي وانا من احدثهم سنا فقال ان يستنفده
اي يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الله الليل والنهار
حتى بعث الله محمدا وهو اي ذلك اليهودي بين اظهرنا فامنا به صلى الله عليه وسلم
وكفر هو بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان الست الذي قلت لنا فيه قلت
قال بلى ولكن ليس به ومن ذلك ما جاء عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه ومن ذلك
قال رغبت عن الهة قومي في الجاهلية اي تركت عبادتها قال فلقيت رجلا من
اهل الكتاب من اهل تيما اي وهي قرية بين المدينة والشام فقلت له
اني امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معه اله فيخرج الرجل منهم فياتي
باربعة احجار فينصب ثلاثة لقدره اي يسقي لها ويجعل احسنها الها
يعبده ثم لعله يجد ما هو احسن منه شكلا قبل ان يرتحل فيتركه وياخذ
غيره واذا نزل منزلا سواه وراى ما هو احسن منه تركه واخذ ذلك الاحسن
فرايت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا فقال يخرج من مكة
رجل

رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رايت ذلك فاتبعه فانه
ياتي بافضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك الا مكة اتي فاسال
هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسالت فقيل لي حدث رجل
يرغب عن الهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت
منزلي الذي كنت انزله بمكة فسالت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت
قريشا عليه اشدا فتلطفت حتى دخلت عليه فسالته اي شي انت قال
نبي قلت من نباك قال الله قلت وبم ارسلك قال بعبادة الله وحده لا
شريك له وبحقن الدما وبكسر الاوثان وبصلة الرحم وامان السبيل
فقلت نعم ما ارسلت به قد امنت بك وصدقتك اتامرني ان امكث معك او انصرف
فقال الا ترى الى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث كن في اهلك
فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم
الى المدينة سرت اليه فقدمت المدينة فقلت يا نبي الله اتعرفني قال نعم
انت السلمي الذي اتيتني بمكة ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمر بن قتادة
رضي الله عنه عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى
لنا وهداه ما كنا نسمع من احبار يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا
اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا
منهم بعض ما يكرهون قالوا ان قد تقارب زمن نبي يبعث الان نقتلكم
قتل عاد وارم اي نستاصلكم بالقتل فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم
فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله عز
وجل وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فامنا به وكفروه
ففي ذلك نزلت هذه الايات في البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما
معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فلعنة الله على الكافرين ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان

رجل من يهود من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اي الحيان قدم الينا قبل
الاسلام بسنتين فحل بين اظهرنا والله ما راينا رجلا قط لا يصلي
الخمس افضل منه اي لا اظن احدا من غير المسلمين لان المسلمين يصلون
الخمس فلا اصلية لا زايدة فاقام عندنا فكنا اذا قحط المطر اي احتبس عنا
قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين
يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر او مدين من شعير فنخرجها
ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى
تمر السحابة ونسقى قد فعل ذلك غير مرة لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثة
بل اكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا
معشر يهود ما ترونه اخرجني من اهل الخمر بالتحريك واسكان الميم
الشجر الملتف والخمير الى ارض البوس والجوع فقلنا انت اعلم قال
فانا قدمت هذه الارض اتوكف اي اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه
اي اقبل وقرب كانه لقربه اظلم اي القى عليهم ظلة وهذه البلد
مهاجره وكنت ارجو ان يبعث فاتبعه فقد اظلكم زمانه فلا تسبقن
اليه يا معاشر يهود فانه يبعث بسفك الدما وسبي الذراري والنسا
ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح الها وفتح اللام الدال
المهملة وقيل بسكونها بني قريظة وهم ثعلبة بن سعية واسد بن سعية
وقيل اسيد بالتصغير واسد ابن عبيد وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة
والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا دماءهم واموالهم كما سياتي
قال ومن ذلك خبر العباس رضي الله عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن
في ركب فيه ابو سفيان ابن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان ان محمدا
صلى الله عليه وسلم قائم في الابطح يقول انا رسول الله ادعوكم الى الله ففشا
ذلك

ذلك في مجالس اهل اليمن فجانا حبر من اليهود فقال بلغني ان فيكم
عم هذا الرجل الذي قال ما قال العباس فقلت نعم قال نشدتك
الله هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان وما كان
اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فاردت ان اقول نعم فخشيت
من ابي سفيان ان يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك
رداه وقال ذبحت يهود وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا
قال ابو سفيان يا ابا الفضل ان يهود تفزع من ابن اخيك فقلت
قد رايت لعلك ان تؤمن به قال لا اومن به حتى ارى الخيل في كدا اي بالمد
قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمي الا اني اعلم ان الله لا يترك خيلا تطلع
على كدا قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان
الى الخيل قد طلعت من كدا قلت يا ابا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اي
والله اني لاذكرها انتهى **اي ومن ذلك** ما جاء عن امية بن ابي الصلت
الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب الالهية صفة نبي يبعث
في بلادنا فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد
مناف فنظرت فلم اجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن ربيعة
الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو سفيان
فلما بعث محمد قلت لامية فقال امية انه حق فاتبعه فقلت له فانت ما يمنعك
قال الحيا من نسا ثقيف اني كنت اخبرهن اني هو ثم اصير تبعا لفتى من
بني عبد مناف وسياتي ذلك باوسط مما هنا واما الاحبار والرهبان من النصارى
فمنها ما تقدم ذكره قال **ومنها** خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم
هل فيكم احد من اهل الحرم فقلت نعم انا قال هل ظهر احمد قلت ومن احمد
قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه اي الذي

بيعث فيه وهو اخر الانبيا مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ
فاياك ان تسبق اليه قال طلحة رضي الله عنه فوقع في قلبي ما قال
الراهب فلما قدمت مكة حدثت ابا بكر رضي الله عنه بذلك فخرج ابو بكر
حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فسر بذلك واسلم
طلحة رضي الله عنه فاخذ نوفل ابن العدوية ابا بكر وطلحة رضي الله عنهما
فشدهما في حبل واحد فلذلك سميا القرينين انتهى اقول يحتمل
ان هذا الراهب هو بحيرا ويحتمل ان يكون نسطورا لان كلا منهما كان
ببصرى كما تقدم في سفره ويحتمل ان يكون غيرهما وهو اولى لما تقدم ان
كلا من بحيرا او نسطورا لم يدرك البعثة والله اعلم اي ومنها ما حدث
به سعيد ابن العاص ابن سعيد قال لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت
في حجر عمي ابان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فاول شي سال عنه ان قال ما فعل
محمد قال له عمي عبد الله بن سعيد هو والله اعز ما كان واعلاه فسكت
ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بني امية اي
اشرافهم فقال لهم اني كنت بقرية فرايت بها راهبا يقال له [illegible] لم ينزل الى
الارض منذ اربعين سنة اي من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون
اليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال ممن الرجل فقلت اني من قريش وان
رجلا هناك خرج يزعم ان الله ارسله قال ما اسمه قلت محمد قال منذ
كم خرج فقلت عشرين سنة قال الا اصفه لك قلت بلى فوصفه فما اخطا
في صفته شيا ثم قال هو والله نبي هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل
صومعته وقال لي اقرا عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية اي و
سياتي انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب اي ومنها ما
حدث به حكيم ابن حزام بالزاي رضي الله عنه قال دخلنا الشام للتجارة

قبل

قبل ان اسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الي ملك الروم
فجئناه فقال من اي العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال له
حكيم فقال فقلت يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انتم صادقي
فيما اسالكم عنه فقلنا نعم فقال انتم ممن تبعه ام ممن رد عليه فقلنا ممن
رد عليه وعاداه فسالنا عن اشيا مما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرناه
ثم نهض واستنهضنا معه فاتى محلا في قصره وامر بفتحه وجا الى ستر
فامر بكشفه فاذا صورة رجل فقال اتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال
هذه صورة ادم عليه السلام ثم تتبع ابوابها فيفتحها ويكشف عن صور الانبيا
ويقول لنا هذا صاحبكم فنقول لا فيقول لنا هذه صورة فلان حتى فتح بابا
وكشف عن صورة فقال اتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله
صاحبنا قال اتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ اكثر من
الف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت اني عنده فاشرب
ما يغسل من قدميه ووقع نظير ذلك لجبير ابن مطعم رضي الله عنه وانه
راى صورة ابي بكر رضي الله عنه اخذ بعقب تلك الصورة واذا صورة عمر
اخذ بعقب صورة ابي بكر فقال من ذا الذي اخذ بعقبه قلت هو ابن ابي قحافة
قال فهل تعرف الذي اخذ بعقبه قلت نعم هو عمر ابن الخطاب قال اشهد
ان هذا رسول الله وان هذا هو الخليفة من بعده وان هذا هو الخليفة
من بعد هذا ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله عنه قال كنت
رجلا فارسيا من اهل اصبهان من قرية من قرى اصبهان يقال لها جي
بفتح الجيم وتشديد اليا اي وفي لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها
الطهر مزوني وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشات واما ابي فمن اصبهان
وكان ابي دهقان قريته اي كبير اهل قريته اي وفي لفظ كنت من
ابنا الاساورة فارس وكنت احب خلق الله الى ابي لم يزل حبه اياي حتى

جسبي في بيت فما تحبس الجاريه واجتهدت في المجوسيه حتي كنت قطن
النار يصح القاني وكسر قطا المهلد ويروي بقيتها بمعني قاطن خادمها
الذي يوقدها لا يتركها تخب اي تطفا ساعة وكانت لابي ضيعة عظيمة
فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنيان هذا اليوم
فاذهب اليها وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني ان
احتبست عني كنت اهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شي من امري
فخرجت اريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى
فسمعت اصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا ادري ما امر الناس
لحبس ابي اياي في بيته فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا
يصنعون فلما رايتهم اعجبتني صلاتهم ورغبت في امرهم وقلت والله
هذا خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت
ضيعة ابي فلم اتها ثم قلت لهم اين اصل هذا الدين قالوا بالشام
فرجعت الي ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئت
قال اي بني اين كنت الم اكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا ابت
مررت بالناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رايت من دينهم فوالله
ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال اي بني ليس في ذلك الدين
خير دينك ودين ابائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا
قال فخافني اي خاف مني ان اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في
بيته وبعثت الي النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني
بهم فقدم عليهم تجار من الشام النصارى فاخبروني بهم فقلت لهم اذا
قضوا حوائجهم وارادوا الرجعة فاخبروني بهم فاخبروني بهم فالقيت
الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الي الشام فلما قدمتها قلت من افضل اهل
هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف

الفا وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته
فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين واحببت ان اكون معك فاخدمك
في كنيستك واتعلم منك واصلي معك قال ادخل فدخلت معه فكان
رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه الاشيا منها
اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب
وورق فابغضته بغضا شديدا لما رايته يصنع ثم مات فاجتمعت
النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة
ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيا
فقالوا لي وما علمك بذلك قلت انا ادلكم على كنزه فاريتهم موضعه
فاستخرجوا سبع قلال مملوة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاث
قماقم فيها نحو نصف اردب فضه فلما راوها قالوا والله لا ندفنه ابدا
فصلبوه ورجموه بالحجارة اي ولم يصلوا عليه صلاتهم مع ان هذا الراهب
كان يصوم الدهر وهذا كان كلا نقيا من الشهوات ومن ثم قال في الفتوحات
المكية اجمع اهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ
من الدنيا احب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التي حذرنا الله منها بقوله
انما اموالكم واولادكم فتنة هذا كلامه قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي
ومن فوايد الرهبان انهم لا يدخرون قوتا لغد ولا يكنزون فضة ولا ذهبا
قال ورايت شخصا قال للراهب انظر الي هذه الدنيا ومن خرب اي الملوك
فلم يرض وقال النظر الي الدنيا منهي عنه عندنا قال ورايت الرهبان
مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له
اتلفت علينا الرهبان فسالت عن ذلك فقالوا رايناه حل عمامته
نصفا مربوطا فقلت لهم ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند
نبيكم صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وعند ذلك جاءوا برجل اخر فحملوه

حكاية فما رايت رجلا لا يصلي الخمس ارى انه افضل منه اي لا اظن احدا من
غير المسلمين افضل منه ولا ازهد في الدنيا ولا ارغب في الآخرة ولا اداب
ليلا ونهارا منه فاحببته حبا شديدا لم احبه شيئا قبله فاقمت معه
زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان اني كنت معك واحببتك حبا
لم احبه شيئا قبلك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصي قال اي بني
والله ما اعلم احدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وغيروا اكثر ما
كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات
وغيب اي دفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما امرني به صاحبي
فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فاقمت مع خير
رجل فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي اليك وامرني
باللحوق بك وقد حضرك من امر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تامرني
قال يا بني والله ما اعلم رجلا على مثل ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو
فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري
وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبيه
فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما احتضر
اي حضرته الملائكة لتقبض روحه قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي
الى فلان ثم ان فلانا اوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تامرني
قال يا بني والله ما اعلم بقي احد على امرنا امرك ان تاتيه الا رجلا بعمورية
من ارض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان احببت فائته فلما مات
وغيب اي دفن لحقت بصاحب عمورية واخبرته خبري فقال اقم عندي
فاقمت مع خير رجل على هدي اصحابه وامرهم فاكتسبت حتى كانت
لي بقرات وغنيمة ثم نزل به امر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان
اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم اوصى بي فلان الى فلان

ثم

١٩٧

ثم اوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تامرني قال اي بني والله ما اعلم
اصبح على ما كنا عليه احد من الناس امرك ان تاتيه ولكنه قد اظل اي اقبل
وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى ارض
بين حرتين بينهما نخل به علامات ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه
خاتم النبوة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب
اقول وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على
دين عيسى اربعة وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وفي النور انهم اربعة
عشر وان هذا اظهر قال سلمان رضي الله عنه ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت
لهم احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه فقالوا نعم
فاعطيتموها اي اعطيتهم اياها وحملوني معهم حتى اذا بلغوا بي وادي القرى
وهو محل من اعمال المدينة المنورة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فمكثت
عنده فرايت النخل فرجوت ان تكون البلدة التي وصف لي صاحبي ولم يحق
عندي اي لم اتحقق ذلك فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة
من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رايتها فعرفتها
اي تحققتها بصفة صاحبي فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقام بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فوالله اني لفي عذق اي نخل لسيدي
اعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ اقبل ابن عم له حتى وقف عليه
فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة اي وهما الاوس والخزرج لان قيلة
امهما فقد جاء ان الله امدني باشرف العرب انسا واذرعا يا بني قيلة
الاوس والخزرج ه والله انهم الان لمجتمعون بقبا بالمد والقصر وهو ع
قبل قباء بثلاثة اميال والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون
انه نبي فلما سمعتها اخذتني العرواء وهي الحمى النافض اي الرعدة

والبرحا الحاء لصاب حتى طننت اني ساقط على سيدي فنزلت عن النخله
فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديده
ثم قال مالك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شي انما اردت ان اثبته
فيما قال وقد كان عندي شي جمعته اي وهو يحتمل لان يكون تمرا ولان يكون
رطبا فلما امسيت اخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بقبا فدخلت عليه فقلت انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب لك
غربا ذو حاجة وهذا شي كان عندي للصدقة فرايتكم احق به من غيركم
فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك
يده فلم ياكل فقلت في نفسي هذه واحدة اي ومن ثم لما اخذ الحسن
ابن علي رضي الله عنهما وهو طفل تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه
قال له النبي صلى الله عليه وسلم كخ كخ اما تعرف انا لا ناكل من الصدقة
رواه مسلم وروي ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال اني لانقلب الى اهلي
فاجد التمرة ساقطة على فراشي ثم ارفعها لاكلها ثم اخشى ان تكون
صدقة فالقيها ووجد النبي صلى الله عليه وسلم تمرة فقال لولا اخشى
ان تكون من الصدقة لاكلتها وقال ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لال
محمد انما هي اوساخ الناس وفي رواية ان هذه الصدقات انما
هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد والراجح من مذهبنا
حرمة الصدقتين عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة الصدقة الفرض
دون النفل على اله وقال النووي لا تحل الصدقة لال محمد لا فرضها
ولا نفلها ولا لمواليهم لان بعض القوم منهم بذلك جا الحديث قال
سلمان رضي الله عنه ثم انصرفت عنه فجمعت شيا وهو ايضا يحتمل لان
يكون تمرا ولان يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى المدينه

١٢٩

الى المدينة ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقلت له اني رايتك لا تاكل الصدقة
وهذه هدية اكرمتك بها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه
فاكلوا معه فقلت في نفسي هاتان ثنتان اي ومن ثم روى مسلم انه كان
اذا اتي بطعام سال عنه فان قيل هدية اكل منها وان قيل صدقة لم ياكل
منها قال سلمان رضي الله عنه ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع
الغرقد وقد تبع جنازة رجل من اصحابه اي وهو كلثوم بن الهدم الذي
نزل عليه صلى الله عليه وسلم بقبا لما قدم المدينة قيل وهو اول من دفن به
وقيل اول من دفن به اسعد بن زرارة وقيل اول من دفن به عثمان بن
مظعون رضي الله عنه وجمع بان اول من دفن به من المهاجرين عثمان اي وقد
مات في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة واول من دفن به من الانصار
كلثوم او اسعد رضي الله عنهما اي وفي الوفيات لابن زبر مات كلثوم ثم مات
بعده ابو امامة اسعد بن زرارة في شوال من السنة الاولى من الهجرة ودفن
بالبقيع هذا كلامه ولم يذكرا الوقت الذي مات فيه كلثوم وفي النور عن الطبري
انه مات بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بايام قليلة ه واول
مات من الانصار البراء بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة
مهاجرا بشهر ولما حضره الموت اوصى ان يدفن ويستقبل به الكعبة
ففعلوا به ذلك ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره
هو واصحابه وكبر اربعا ولم اقف على محل دفنه وقولهم ان اول من دفن
بالبقيع كلثوم يدل على ان البراء لم يدفن بالبقيع الا ان يراد الاولية بعد
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر ان هذه اول صلاة صليت على القبر
قال سلمان رضي الله عنه وكان عليه شملتان وهو جالس في اصحابه فسلمت
عليه ثم استدبرته انظر الى ظهره هل ارى الخاتم الذي وصف لي فلما راني النبي صلى
الله عليه وسلم الردا عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه اقبله
وابكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه صلى الله عليه وسلم

فقصصت عليه حديثي قال ابن عباس رضي الله عنهما فاعجب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يسمع ذلك اصحابه رضي الله عنهم اي يعني شواهد النبوة لما جا
سلمان رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم
كلامه فطلب ترجمانا فاتي بتاجر من اليهود وكان يعرف الفارسية والعربية
فمدح سلمان النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي
وحرف الترجمة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ان سلمان يشتمك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هذا الفارسي جاء ليود بنا فنزل جبريل عليه السلام وترجم كلام
سلمان رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي الذي ترجمه
جبريل عليه السلام لليهودي فقال اليهودي يا محمد ان كنت تعرف الفارسية
فما حاجتك الي فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت اعلمها قبل والان علمني
جبريل او كما قال فقال اليهودي يا محمد كنت قبل هذا اتهمك والان
تحقق عندي انك رسول الله صلى الله عليك وسلم فقال اشهد ان لا اله
الا الله واشهد انك رسول الله صلى الله عليك وسلم ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له
ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان رضي الله عنه فتفل جبريل
عليه السلام في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح وهذا السياق
يدل على ان ذلك كان عند مجيئه في هذه المرة الثالثة وحينئذ فيشكل
مجيئه اولا وثانيا وقوله ما تقدم بالعربية الا ان يقال ذاك لقلته
يسهل عليه ان يعبر عنه بالعربية بخلاف حكاية حاله لكثرة ذلك لم يحسن
ان يعبر عنه بالعربية تأمل وقد اختلفت الروايات عن سلمان رضي الله
عنه في التمر الذي جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم اولا وثانيا فالرواية
الاولى المتقدمة ظاهرها يقتضي انه تمر انتهى اي وفيه [illegible] ان
ظاهرها ذلك بل هي محتملة وقد جاء التصريح بكونه تمرا في الاولى

والثانية

والثانية ففي بعض الروايات فسألت سيدي ان يهب لي يوما فعملت
في ذلك اليوم على صاع او صاعين من تمر وجئت به النبي صلى الله عليه وسلم
فلما رايته لا ياكل الصدقة سالت سيدي ان يهب لي يوما اخر فعملت فيه على
ذلك اي على صاع او صاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله عليه وسلم فقبله
واكل منه اي والذي في كلام السهيلي قال سلمان رضي الله عنه كنت عبدا لامراة
فسالت سيدتي ان تهب لي يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون
عني بسيدته زوجة سيده لانه يقال لها سيدة في المتعارف بين الناس
او ان المراة هي التي اشترته ويوجد ما يأتي وزوج المراة يقال له في المتعارف
بين الناس سيد فليتأمل وقيل ان الذي جاء به اولا وثانيا رطب وفي رواية
احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية
جئت بمائدة عليها بط وفي رواية عليها رطب وجمع بانه اولا قدم الخبز واللحم
الذي هو البط والتمر ثم قدم الرطب فلم يجد المقدم وفي مسند الامام
احمد ان المرات الثلاث وان المقدم فيها متحد انتهى اقول تقدم الرطب
في المرة الثالثة يخالفه ما تقدم انه في المرة الثالثة كان تمرا والله اعلم
ثم شغل سلمان رضي الله عنه الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدر واحد فكان اول مشاهده الخندق كما سيأتي وكان بعد ذلك يقال له
سلمان الخير وكان معدودا من اصحابه صلى الله عليه وسلم قال سلمان
رضي الله عنه ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت
صاحبي على ثلثمائة نخلة اي ودية على وزن فعيلة وهي النخلة الصغيرة
التي يقال لها الفسيلة احييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف اي الحفر اي وقيل
ثم قيل التفقير الحفر لها واغرسها بتلك الحفر ونضيرها بتلك
اي واتعهدها بالحفر الى ان تثمر والودية والفسيلة هي النخلة الصغيرة
التي جرت العادة بان تنقل من المحل الذي نبتت به الى محل اخر لكن في

كلام بعضهم اذا اخرجت النخلة من النواة قيل لها عجيبة ثم يقال لها ودية
ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهي جبارة ويقال للنخلة الطويلة عوانة
بلغة عمان وفي الحديث ان قامت الساعة وبيد احدكم فسيلة فان استطاع
ان يغرسها قبل ان تقوم فليغرسها وعلي اربعين اوقية اي من ذهب
كاتبانى فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اعينوا اخاكم فاعانوني بالنخل
الرجل بثلثين والرجل بعشرين ودية والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر
بقدر ما عنده حتي اجتمعت لي ثلثمائة ودية قال وفي رواية انه كوتب علي ان
يغرس لهم خمسمائة فسيلة اي يحفر لها ويغرسها اي ويتعهدها الي ان
تثمر وعلي اربعين اوقية قال سلمان رضي الله عنه فقال لي رسول الله صلي
الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر اي بالفاء وفي رواية فنقر اي بالنون
اي احفر لها فاذا فرغت فائتني اكن انا اضعها بيدي ففقرت وفي رواية
فنقرتها واعانني اصحابي حتي اذا فرغت جئته صلي الله عليه وسلم فاخبرته
فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلي الله عليه وسلم
بيده فما مات منها ودية واحدة فاديت النخل وبقي علي المال فاتي رسول
الله صلي الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة اي وفي رواية مثل بيضة
الحمامة من ذهب من بعض المعادن ولعل هذه البيضة كانت مترددة بين
بيضة الدجاجة وبين بيضة الحمامة اي اكبر من بيضة الحمامة واصغر من بيضة
الدجاجة فاختلف فيها التشبيه فقال صلي الله عليه وسلم ما فعل الفارسي
المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان اي يكون
بعضا مما عليك ومن ثم قد يتوقف في جواب سلمان بقوله قلت واين تقع هذه
يا رسول الله مما علي لان الشيء يؤدي ببعضه وان قل ذلك البعض الا ان يقال
العادة قاضية بان ذلك البعض لا يقبل الا اذا كان له وقع بالنسبة للكل وقد
اشار صلي الله عليه وسلم للرد علي سلمان بان هذا الذي قلت فيه انه لا يحسن

ان يكون

ان يكون بعضا مما عليك يؤدي به الله عنك جميع ما عليك حيث قال
خذها فان الله سيؤدي بها عنك فاخذتها فوزنت لهم منها والذي
نفس سلمان بيده اربعين اوقية فاوفيتهم حقهم اي وبقي عندي مثل
ما اعطيتهم قال وهذا اي سؤال سلمان وجوابه صلي الله عليه وسلم
كالصريح في ان الاواق التي كانت عليه كانت ذهبا لا فضة وقد جاء اي
ما يدل علي ذلك في بعض الروايات ان سلمان لما قال للنبي صلي الله عليه وسلم
واين تقع هذه مما علي فقلبها صلي الله عليه وسلم علي لسانه ثم قال خذها
فاوفهم منها وايضا اي ومما يدل علي ذلك ايضا ان من المعلوم ان قدر
بيضة الدجاجة من الذهب لا تعدل اكثر من اربعين اوقية من الفضة
انتهي اي فلا يحسن قول سلمان واين تقع هذه مما علي وقد صرح بذلك
اي بكونها ذهبا البلاذري والقاضي عياض في الشفا قال علي اربعين
اوقية من ذهب والى القصد اشار صاحب الهمزية رحمه الله بقوله
ووفاه قدر بيضة من نضار ، دين سلمان حين حان الوفاء ، كان يدعى قنا فاعتق لما
اينعت من نخيله الاقناء ، افلا تعذرون سلمان لما ، ان عرته من ذكره العرواء
اي ووفي قدر بيضة من بيض الدجاج او الحمام من ذهب دين سلمان وهو اربعون
اوقية من ذهب حين قرب حلول الدين وتقدم انه دفع دينه منها وبقي عنده
منها قدر ما اعطاهم وسبب هذا الدين الذي علي سلمان انه كان يدعى قنا
اي رقيقا بالباطل كما تقدم فكوتب علي ذلك وعلي ان يغرس تلك النخيل
ويتعهدها الي ان تثمر واعتق باداء هذا الدين حين اينعت العراجين
من نخيله التي غرسها اي غرست له افلا ترون لسلمان عذرا يمنعكم من
ايذائه حين ان غشيته قوة لكامن اجل سماع ذكره صلي الله عليه وسلم قال
سلمان وشهدت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه
مشهد وعن بريدة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اشتري سلمان اي كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا لشرائه اي مكاتبته من قوم اليهود
بكذا وكذا درهما على ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان
حتى تدرك فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها
عمر رضي الله عنه فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر رضي
الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها
وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمت من عامها وذكر البخاري
رحمه الله ان سلمان رضي الله عنه غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول
الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان رضي
الله عنه قال ويجوز ان يكون كل من سلمان وعمر غرس هذه النخلة احدهما
قبل الاخر اقول وهذا الحائط الذي غرس فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسلمان من حوائط بني النضير وكان يقال له الميثب
ففداه صلى الله عليه وسلم كاسبابي ولا يخفى ان قول صاحب الهمزية
كان يدعى قنا ليعلم انه لم يرق حقيقة وقد تقدم ذلك وفيه انه لو لم يرق
حقيقة لما اقره صلى الله عليه وسلم على الرق وامره بالمكاتبة وادى عنه
وكونه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تطييبا للخاطر سادانه لعبد فليتامل
فان قيل اذا رق حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يامر اصحابه
ان ياكلوا مما جاء به صدقة ويأكل معهم مما جاء به هدية والرقيق لا يملك
وان ملكه سيده على الاصح عند ائمتنا معاشر الشافعية بل وعند باقي الائمة
قلنا يجوز ان يكون للرقيق كان في صدر الاسلام يملك ما ملكه له سيده
ثم نسخ ذلك على ان بعض اصحابنا ذهب الى صحته وفي كلام السهيلي وذكر
البعيد ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه
او انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لان الاصل في الناس الحرية
ولعدم تحقق رق سلمان وعدم صحة مكاتبته على قواعدنا لم يستدلوا
على مشروعية الكتابة بقصة سلمان وفي كلام السهيلي ان في خبر سلمان

من

من الفتنة وقبول الهدية وترك سؤال المهدي اليه وكذلك الصدقة
وفي الحديث من قدم اليه الطعام فليأكل ولا يسأل والله اعلم وعن
سلمان رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخبره
بالقصة المتقدمة زاد ان صاحب العمورية قال له ائت كذا وكذا
من ارض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج كل سنة من هذه
الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذووا الاسقام فلا يدعوا
لاحد منهم الا شفي فاسأله عن هذا الدين فهو يخبرك به قال سلمان
رضي الله عنه فخرجت حتى جئت حيث وصفه لي فوجدت الناس قد
اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من احدى
الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعوا لاحد الا شفي
وغلبوني عليه فلم اخلص حتى دخل الغيضة التي يريد ان يدخلها الا
منكبه فتناولته فقال من هذا والتفت الي فقلت يرحمك الله اخبرني عن
الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فقال انك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس
اليوم قد اظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من اهل الحرم فانه يحملك
عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني لقد لقيت
عيسى ابن مريم عليه السلام والغيضة الشجر الملتف قال السهيلي هذا
الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان الرجل هو الحسن بن عمارة
وهو ضعيف باجماع منهم وان صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر
الطبري رحمه الله ان المسيح عليه السلام نزل بعدما رفع وامه وامراة اخرى
اي كانت مجنونة فابراها المسيح عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان
فاهبط اليهما وكلمهما وقال لهما علام تبكيان فقالتا عليك فقال اني لم
اقتل ولم اصلب ولكن الله رفعني واكرمني واخبرهما ان الله اوقع
شبهي على الذي صلب وارسل الى الحواريين اي قال لامه وتلك المرأة
ابلغا الحواريين امري ان يلقوني في موضع كذا ليلا فجاء الحواريون

ذلك الموضع فاذا الجبل قد اشتعل نورا لنزوله فيه ثم امرهم ان يدعوا الناس
الى دينه وعبادة ربهم ووجههم الى الامم واذا جاز ان ينزل مرة جاز ان
ينزل مرارا لكن لا نعلم انه هو اي حقيقة حتى ينزل النزول الظاهر
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح هذا كلامه ويروى
انه اذا نزل تزوج امراة من جذام قبيلة باليمن ويولد له ولدان يسمى
احدهما محمد والاخر موسى يمكث اربعين سنة وقيل خمسة واربعين سنة
وقيل سبع سنين كما في مسلم وقيل ثمان وقيل تسع وقيل خمس اي وجمع
بين كون مدة مكثه اربعين سنة او خمسة واربعين وبين كونها سبع اي وما
بعد ذلك بان المراد بالاول مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده والسبع
اي وما بعدها من الاقوال تكون بعد نزوله ويدفن اذا مات في روضة النبي
صلى الله عليه وسلم قال وقيل في حجرته صلى الله عليه وسلم اي عند قبره
وقيل في بيت المقدس انتهى اي وقيل يدفن معه صلى الله عليه وسلم
في قبره ويؤيده ما ورد يدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى من قبر
واحد بين ابي بكر وعمر اقول وكما يقتل عيسى عليه السلام الخنزير
يقتل الدجال فقد جاء ينزل عيسى عليه السلام حكما مقسطا يحكم بشرعنا
يقتل الدجال ونزوله يكون عند صلاة الفجر فيصلي خلف المهدي بعد ان
يقول له المهدي تقدم يا روح الله فيقول له تقدم فقد اقيمت لك وفي
رواية ينزل بعد شروع المهدي في الصلاة فيرجع المهدي القهقرى
ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع يده عليه السلام بين كتفيه ويقول له
تقدم فاذا فرغ من الصلاة اخذ حربته وخرج خلف الدجال فيقتله
عند باب لد الشرقي وورد ان المهدي يخرج مع عيسى عليه السلام
فيساعده على قتل الدجال وقد جاء ان المهدي من عترة النبي صلى
الله عليه وسلم من ولد فاطمة قيل من ولد الحسين وقيل من ولد الحسن
وقيل من ولد عمه صلى الله عليه وسلم العباس فهو من بني عباس رضي الله عنهما

ان امد

ان ام ام الفضل مرت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل
بغلام فاذا ولدتيه فائتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن
صلى الله عليه وسلم في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه اي
اسقاه صلى الله عليه وسلم اللبا من ريقه وسماه عبد الله وقال
اذهبي بابي الخلفا فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال صلى
الله عليه وسلم هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفا حتى يكون منهم السفاح
حتى يكون منهم المهدي اي الخليفة وهو ابو الرشيد بدليل قوله
حتى يكون منهم من يصلي بعيسى ابن مريم عليه السلام اي وهو المهدي
الذي ياتي اخر الزمان اسمه محمد ابن عبد الله لو لم يبق من الدنيا الا
يوما واحدا وفي رواية الا ليلة واحدة لطول الله ذلك حتى يبعث
وظهوره يكون بعد ان يكسف القمر في اول ليلة من رمضان وتكسف
الشمس في النصف منه فان ذلك لم يوجد منذ خلق الله السموات والارض
عمره عشرون سنة وقيل اربعون سنة ووجهه كوكب دري على خده
الايمن خال اسود يخرج في اخر زمان الدجال وينزل في زمانه عيسى بن مريم
واما ما ورد لا مهدي الا عيسى ابن مريم فلا ينافي ذلك لجواز ان يكون
المراد لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى عليه السلام فقد جاء لن تهلك امة
انا اولها وعيسى ابن مريم اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها
وعن العباس رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال انظر هل ترى في السما من شي قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا
قال اما انه سيملك هذه الامة بعددها من صلبك اي ابنك وقد
اختلف الناس في عددها المرئي فقيل سبعة انجم وقيل تسعة
وجمعنا بينهما بان الاول يكون هو المرئي لغالب الناس ولو غير
حديد البصر والثاني لمن يكون حديد البصر منهم واما المرئي له

صلى الله عليه وسلم فقيل كان يرى احد عشر نجما وقيل اثني عشر نجما فجمعنا
بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن صلى الله عليه وسلم النظر والثاني
على ما اذا امعن النظر ويقتضي هذا ان يكون الخلفاء من بني
العباس اثني عشر وعن سعيد ابن جبير رحمه الله سمعت ابن عباس
رضي الله عنهما يقول يكون منا ثلاثة اهل البيت السفاح والمنصور
والمهدي ورواه الضحاك عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية
يحتمل ان يكون المراد به ابو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر وروى ابو نعيم
بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم خرج فتلقاه عمه العباس
رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم الا ابشرك يا ابا الفضل قال
بلى يا رسول الله قال ان الله فتح بي هذا الامر وبذريتك يختمه
وفي رواية ويختمه بولدك وقد افردت ترجمة المهدي المنتظر بالتاليف
في مجلد حافل سماه مؤلفه العواصم عن الفتن القواصم وقد رويت
قصة سلمان رضي الله عنه على غير هذا الوجه الذي تقدم فعنه رضي الله
عنه قال كان لي اخ اكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل
ذلك غير ما مرة متنكرا فقلت له اما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي
معك قال انت غلام واخاف ان يظهر منك شي قلت لا تخف قال ان
في هذا الجبل قوما لهم عبادة وصلاح يذكرون الله ويذكرون الاخرة
ويزعمون انا على غير دين قلت فاذهب بي معك اليهم قال حتى
استامرهم فاستامرهم فقالوا جي به فذهبت معه فانتهيت اليهم
فاذاهم ستة او سبعة وكان الروح قد خرج منهم من العبادة
يصومون النهار ويقومون الليل ياكلون الشجر وما وجدوا
فصعدنا اليهم فحمدوا الله واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل
والانبيا صلوات الله وسلامه عليهم حتى خلصوا الى عيسى بن مريم

علم

عليه السلام قالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر له ما كان
يفعل من احيا الموتى وخلق الطير وابرا الاكمه والابرص فكفر
به قوم وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان
بين يديك جنة ونارا اليهما تصيرون وان هولا القوم الذين يعبدون
النيران اهل كفر وضلالة لا يرضى الله بما يصنعون وليسوا على دين
ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك واحسن فلزمتهم ثم اطلع
عليهم الملك فامرهم بالخروج من بلاده فقلت ما انا بمفارقكم فخرجت
معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم اتاهم رجل من كهف
جبل فسلم وجلس فحفوا به فقال لهم اين كنتم فاخبروه فقال ما هذا
الغلام معكم فاثنوا علي خيرا واخبروه باتباعي اياهم ولم ار مثل اعظامهم
له فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر من ارسله الله من رسله وانبيايه عليهم الصلاة
والسلام وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى ابن مريم وعظم فقال اتقوا
الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا فيخالف بكم ثم اراد ان يقوم فقلت
ما انا بمفارقك فقال يا غلام انك لا تستطيع ان تكون معي اني لا اخرج
من كهفي هذا الا كل يوم احد قلت ما انا بمفارقك فتبعته حتى دخل
الكهف فما رايته نايما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد الاخر فلما
اصبحنا خرجنا واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه
ورجعت معه فلبث ما شا الله ان يخرج في كل يوم احد ويخرجون اليه
ويعظهم ويوصيهم فخرج في احد فقال مثل ما كان يقول ثم قال
يا هولا اني قد كبر سني ورق عظمي وقرب اجلي واني لا عهد لي
بهذا البيت يعني بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لي من
اتيانه فقلت ما انا بمفارقك فخرج وخرجت معه حتى اتى الى
بيت المقدس فدخل وجعل يصلي وكان فيما يقول لي يا سلمان

ان الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من جبال تهامة //
علامته ان ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة
وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فاما انا فشيخ كبير //
لا احسبني ادركه فان ادركته انت فصدقه واتبعه فقلت وان
امرني بترك دينك وما انت عليه قال وان امرك ثم خرج من بيت
المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولني يدك فناوله يده
فقال له قم بسم الله فقام كانما نشط من عقال فقال لي المقعد
يا غلام احمل علي ثيابي حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب
الراهب وذهبت في اثره اطلبه فكلما سالت عنه قالوا امامك حتى
لقيني ركب من كلب فسالتهم فلما سمعوا اللغة اناخ رجل منهم
بعيره وحملني عليه فجعلني خلفه حتى اتوا بي بلادهم فباعوني
فاشترتني امراة من الانصار فجعلتني في حايط لها اي بستان
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبرت به فاخذت
شيا من تمر حايطي ثم اتيته صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده
اناسا فوضعته بين يديه فقال له ما هذا قلت صدقة قال
للقوم كلوا ولم ياكل هو ثم لبث ما شا الله ثم اخذت مثل ذلك
ثم اتيته صلى الله عليه وسلم فوجدت عنده اناسا فوضعته بين
يديه فقال ما هذا فقلت هدية قال بسم الله واكل واكل القوم
فقلت في نفسي هذه من اياته صلى الله عليه وسلم ويحتاج للجمع
بين هذه الرواية وما تقدم على تقدير صحتهما وفي الدر
المنثور ان امراة من جهينة اشترته وصار يرعى غنما لها ب
هو يوما يرعى اذ اتاه صاحبه فقال له اشعرت انه قد
قدم اليوم المدينة رجل يزعم انه نبي فقال له سلمان اقم في
المغنم

المغنم حتى اتيك فهبط سلمان رضي الله عنه الى المدينة فاشترى
بدينار ببعضه شاة فشواها وببعضه الاخر خبزا ثم اتاه به فقال
صلى الله عليه وسلم ما هذا قال سلمان هذه صدقة قال لا حاجة
لي بها فاخرجها فاكلها اصحابه ثم انطلق فاشترى بدينار اخر
خبزا ولحما فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
ما هذا قال هذه هدية قال فاقعد فكل فقعد واكلا جميعا
منها فدرت خلفه ففطن لي فارخى ثوبه فاذا الخاتم في ناحية
كتفه الايسر فتبينته ثم درت حتى جلست بين يديه فقلت
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وهذه الرواية تخالف
ما تقدم فليتامل ولينظر كيف الجمع ونقل بعضهم الاجماع على
ان سلمان رضي الله عنه عاش مايتين وخمسين سنة وكان حبرا
عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان ياخذ من بيت المال في كل
سنة خمسة الاف وكان يتصدق بها ولا ياكل الا من عمل يده
وكان رضي الله عنه له عباة يفترش بعضها ويلبس بعضها
قال بعضهم دخلت عليه رضي الله عنه وهو امير على المداين
وهو يعمل الخوص فقلت له لم تعمل هذا وانت امير تجري عليك
وهو يجري عليك رزق فقال اني احب ان اكل من عمل يدي
وربما اشترى اللحم وطبخه ودعى المجذومين فاكلوا معه
واول مشاهده الخندق كما تقدم وقيل شهد بدرا واحدا //
قبل ان يعتق اي وهو مكاتب فيكون اول مشاهده الخندق
بعد عتقه واما اخبار الكهان لا عن السنة الجان فكثيرة
منها ما تقدم في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفي ايام //
رضاعه قال ومنها ايضا خبر عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه

قال والله لقد علمت ان الجهال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
فقيل له وكيف ذاك قال فزعنا الى الكاهن لنا في امر نزل بنا فقال
الكاهن اقسم بالسما ذات الابراج والارض ذات الادراج
والريح ذات العجاج ان هذا لامراج لعلمي لجيج الناس وهو
الهالهما ولقاح ذي نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهور نبي صادق
بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا اين يظهر والى ماذا يدعو
قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن المراح
والسفاح وعن كل امر قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ
الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد انتهى ومنها
خبر قس ابن ساعدة الايادي وهو اول من قال البينة على المدعي
واليمين على من انكر واول من اتكى على عصى او قوس او سيف
عند الخطبة وقيل ان اول من تكلم بان البينة على المدعي واليمين
على من انكر داود عليه الصلاة والسلام وان ذلك فصل الخطاب
ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ايكم يعرف القس ابن ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله
نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما انساه بعكاظ على جمل
احمر وهو يقول ايها الناس اجمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات
ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السما لخبرا وان في الارض
لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور
اقسم قس قسما حتما لئن كان في الامر رضا ليكونن سخطا ان لله
دينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه ما لي ارى الناس
يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك

فناموا

فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشدوه
في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
صائر
لما رايت موارد الموت ليس لها مصادر ورايت قومي نحوها
يمضي الاصاغر والاكابر لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم وفي رواية اخرى عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا في قومه
وقيل له الجارود لانه اغار على قوم من بني بكر ابن وائل فجردهم
اي اخذ جميع اموالهم والى ذلك الاشارة بقول الشاعر
ودسناهم بالخيل من كل جانب كما جرد الجارود بكر ابن وائل فلما
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا القس قالوا
كلنا نعرفه يا رسول الله قال الجارود وانا بين يدي القوم كنت اقفوا
اي اتبع اثره كان من اسباط العرب اي من ولده ولد عمر شيخا عمره
سبعمائة سنة وقيل ستمائة سنة ادرك من الحواريين سمعان
فهو اول من تأله اي تعبد من العرب اي ترك عبادة الاصنام واول
من قال اما بعد اي وقيل اول من قال ذلك كعب بن لوي كما تقدم
وقيل سحبان ابن وائل وقيل يعقوب وقيل يعرب بن قحطان
وقيل داود وهو فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير
لغته اي وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي اوتيه داود عليه
السلام هو فصل الخصومة اي وهذا يرد ما تقدم عنه انه اول من
قال البينة على المدعي واليمين على من انكر لتقدم ما فيه وجمع
بان الاولية بالنسبة لداود حقيقية ولغيره اضافية فلكعب بن لوي
بالنسبة للعرب ولغيره بالنسبة لقبيلته وقس اول من كتب من فلان

و

الى فلان فقال الجارود كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له
ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشا يقول
هاج للقلب من جواه ادكار وليال خلالهن نهار وجبال شوامخ راسيات
وبحار مياههن غزار ونجوم تلوح في ظلم الليل نراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار فقال
النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود والرسل بكسر الرا
التودة فلست انساه بسوق عكاظ اي وهو سوق بين بطن نخلة
والطايف كان سوقا لثقيف وقيس غيلان كما تقدم على جمل اورق
اي يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ما اظن اني احفظه
وفي لفظ تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه الان فقال ابو بكر رضي
الله عنه يا رسول الله فاني احفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ
فقال في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا
من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات مطر ونبات
وارزاق واقوات وابا وامهات واحيا واموات جمع واشتات
وايات بعد ايات ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا ليل
داج اي مظلم وسما ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات
امواج ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام
فقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه
ولا اثما ان لله دينا هو احب من دينكم الذي انتم عليه ونبيا قد حان
حينه واظلكم زمانه فطوبى لمن امن به فهداه وويل لمن خالفه
فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون
الماضية يا معشر اياد اين الابا والاجداد
واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد اين من بغى وشيد

وزخرف

وزخرف وعمد اي زين وطوله وغره المال والولد اي من بغى
وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم
اموالا واطول منكم اجالا وابعد منكم امالا طحنهم الثرى بكلكله
اي بصدره ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية
عمرتها الذياب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد
ولا مولود ثم انشا يقول الابيات المتقدمة اي وفي رواية لما قدم
لما وفد وفد اياد على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر وفد اياد
ما فعل قس ابن ساعدة الايادي قالوا هلك يا رسول الله قال لقد
شهدته يوما بسوق عكاظ على جمل احمر يتكلم بكلام معجب مونق لا اجدني
احفظه الان فقام اعرابي من اقاصي القوم فقال انا احفظه يا رسول الله
فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يقول يا معشر الناس اجتمعوا
فكل من مات فات وكل شي ات ات ليل داج وسما ذات ابراج وبحر
عجاج ونجوم تزهر وجبال مرسية وانهار مجرية الحديث وفي رواية
اين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين
ثم كان ذلك كلمحة عين قال وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان قس ابن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سيأتيكم
حق من هذا الوجه واشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل
ابلج احور من ولد لوي ابن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم
لا ينفد فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني اعيش الى مبعثه لكنت اول
من يسعى اليه وروت هذه القصة من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير
هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات اصل القصة وقال
الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو مرد قول ابن الجوزي
في موضوعاته حديث قس ابن ساعدة من جميع جهاته باطل انتهى اقول

ذكر في البوران في قصة قس ما يرشد الى التعدد من تين من حفظه
عليه الصلاة والسلام كلامه وكان على جمل احمر والثاني انه لم
يحفظ صلى الله عليه وسلم فيها كلامه كان قس على جمل اورق قال
لكن لا ادري اي المرتين كانت اولا هذا كلامه وقد يقال النسيان
جائز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم انسي
كلام قس بعد الاخبار به اولا ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم
لا اظن اني احفظه الان او قبل الاخبار به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم
متاخرا عن خبر ابي بكر رضي الله عنه فلا دلالة في ذلك على التعدد
ووصف الجمل بانه احمر ووصفه بانه اورق لا يدل على التعدد لانه
يجوز ان يكون شديد الحمرة يميل الى السواد وهو الاورق فاخبر عنه
مرة بانه احمر ومرة بانه اورق وهذا السياق يدل على تعدد مجيء وفد
عبد القيس مرة جاء واحد منهم ومرة جاؤوا مع سيدهم الجارود وقد
جاءهم الله فيما انه كان على دين ابن اسماعيل ابن ابراهيم عليهما الصلاة
والسلام ومن ذلك خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم
وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير تسمى به بلدهم ان بطنا
من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانتشر في العرب جاؤوا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في
اسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا
على قوس فرفع راسه الى السماء طويلا ثم قال ايها الناس ان الله
اكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم ايها الناس
قليل واما اخبار الكهان على السنة الجان فكثيرة فمنها خبر
سواد ابن قارب وكان يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم فعن
محمد ابن كعب القرظي قال بينا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم

حالسا

جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا امير المؤمنين اتعرف هذا المار
قال ومن هذا قالوا سواد ابن قارب الذي اتاه رئيه او تابعه من
الجن الذي يتراءى له اتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم اي بعد انه
قال عمر رضي الله عنه على المنبر على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس
افيكم سواد ابن قارب فلم يجبه احد فلما كانت السنة المقبلة قال ذلك
كان في نفس الحجيج للزيارة من الافاق قال ايها الناس افيكم سواد بن قارب
قال بعضهم يا امير المؤمنين وما سواد بن قارب قال ان سواد بن قارب
كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال الراوي فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب
فارسل اليه عمر رضي الله عنه فقال له انت سواد بن قارب قال نعم قال انت
الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت
على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب وقال ما استقبلني بهذا
احد منذ اسلمت يا امير المؤمنين فقال له سبحان الله ما كنا عليه من الشرك
اي من عبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك اي وفي رواية ان عمر رضي الله
عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان ثم
حتى اكرمنا الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام اقول وفيه
ان المتبادر ان غضب سواد انما هو بسبب ما فهمه من نسبته الى الكهانة
لبعد الاسلام لا قبله بدليل قوله ما استقبلني بهذا احد منذ اسلمت وجوابه
سيدنا عمر رضي الله عنه يدل على انه فهم ان غضب سواد بسبب نسبته للكهانة
قبل الاسلام فلذلك قال رضي الله عنه سبحان الله سبحانه وفي كلام
السهيلي ان عمر رضي الله عنه مازح سواد رضي الله عنه فقال له ما فعلت
كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة
الاصنام واكل الميتات افتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضي الله عنه اللهم
غفرا فليتامل والله اعلم ثم قال رضي الله عنه لسواد اخبرني بما انباك رئيك

بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال لي يا سواد حدثنا ببدء
اسلامك كيف كان قال نعم يا امير المؤمنين بينا انا ذات ليلة بين النائم
واليقظان اذ اتاني رئيي فضربني برجله وقال قم يا سواد ابن قارب
فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لؤي ابن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول
عجبت للجن وتطلابها • وشدها العيس باقتابها • تهوي الى مكة تبغي الهدى
ما مؤمنو الجن ككفارها • ما صادق الجن ككذابها • فارحل الى الصفوة من هاشم
ليس قداماها كاذنابها • فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما
كانت الليلة الثانية اتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب
فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لؤي ابن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشأ يقول
عجبت للجن وتجبارها • وشدها العيس باكوارها • تهوي الى مكة تبغي الهدى
• ما مؤمن الجن ككفارها • فارحل الى الصفوة من هاشم فقمت فقلت
قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم اتيت المدينة وفي رواية حتى اتيت
مكة وهي كما قال البيهقي اقرب الى الصحة من الاولى اي لان الجن انما جاءت
اليه صلى الله عليه وسلم للايمان به في مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه حوله وفي لفظ والناس حوله وفي لفظ والناس عليه
كعرف الفرس فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد ابن قارب قد علمنا
ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي يا رسول الله
فقال هات فانشأت اي ابتدأت اقول • اتاني نجيي بعد هدء ورقدة
وفي لفظ اتاني رئيي بعد ليل وهجعة • ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة • اتاك رسول من لؤي ابن غالب • فشمرت
وفي لفظ عن ساق الازار ووسطت • بي الدعلب الوجناء بين السباسب

فاشهد

فاشهد ان الله لا رب غيره • وانك مأمون على كل غائب • وانك ادنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب • فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل • وان كان فيما جاء فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة • سواك بمغن عن سواد بن قارب • وفي رواية
وكن لي شفيعا يوم لا ذو قرابة • بمغن فتيلا عن سواد بن قارب • قال
ففرح النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤي
الفرح في وجوههم اي وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه
وقال افلحت يا سواد فقال عمر رضي الله عنه التزمه وقال كنت اشتهي ان
اسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم قال منذ قرأت القرآن
فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن اي وهذا السياق يدل
على ان سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم
لما اخبره سواد رضي الله عنه ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد
رضي الله عنه على قومه الردة قام خطيبا فيهم فقال يا معشر دوس من سعادة
القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ان لا يتعظوا الا بانفسهم وانه
من لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما
تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس ولا ينبغي لاهل البلاء الا ان يكونوا
اذكر من اهل العافية للعافية ولست ادري لعله يكون للناس جولة
فان تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم
بالسمع والطاعة اي ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة بالمدينة فكان
لها [illegible] كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له
ما لك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا
فحدثت بذلك فكان اول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما ما سمع من جوف الاصنام فكثير ايضا منها اي من غيرها ما تقدم في ليلة
ولادته صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس قال كان لمرداس السلمي

وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها الف ثم را مهملة
فلما حضرت مرداس الوفاة قال للعباس ولده اي بني اعبد ضمار فانه ينفعك
ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول
من للقبائل من سليم كلها . اودى ضمار وعاش اهل المسجد ان الذي ورث
النبوة والهدى . بعد ابن مريم من قريش مهتد . اودى ضمار وكان يعبد مدة
فحرق العباس رضي الله عنه ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي
لفظ ان عباس ابن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب
على نعامة بيضا وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس الم تر ان السما قد
كفت احراسها وان الحرب قد جرعت انفاسها وان الخيل وضعت
احلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوى
فقال العباس رضي الله عنه فراعني ذلك فجئت وثنا يقال له الضمار
كنا نعبده ونكلم من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صايح
يصيح من جوفه . قل للقبائل من قريش كلها . هلك الضمار وفاز اهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مدة . قبل الصلاة على النبي محمد . ان الذي ورث
الهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد . قبل الكتاب الى النبي محمد . قال
ابن عباس رضي الله عنه فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم
تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال
صدقت واسلمت انا وقومي ومن ذلك خبر مازن ابن الغضوبة
قال كنت اسدن اي اخدم صنما بقرية بعمان اي بالتخفيف تدعى
سمايل وسمايل يقال له باجر وفي لفظ باحر بالحا المهملة فعترنا
ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب
خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر

طهر

ظهر خير وبطن شر . بعث نبي من مضر . بدين الله الكبر . فدع نحيتا من حجر
تسلم من حر سقر . قال مازن ففزعت لذلك وقلت ان هذا لعجب .
ثم عترت بعد ايام عتيرة اي ذبحت ذبيحة لذلك الصنم فسمعت صوتا
من الصنم يقول . اقبل الي اقبل . تسمع ما لا تجهل . هذا نبي مرسل .
جا بحق منزل . فامن به كي تعدل . عن حر نار تشعل . وقودها بالجندل
فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي اقول ورايت في بعض السير
تقديم هذه الابيات على ما قبلها وان مازنا قال سمعت صوتا ابين من
الاول وهو يقول يا مازن اسمع الى آخره والله اعلم قال مازن فبينا نحن كذلك
اذ قدم رجل من اهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراك قال ظهر رجل يقال له احمد
يقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا نبا ما سمعت فثرت الى الصنم
فكسرته جذاذا وركبت راحلتي واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشرح لي الاسلام واسلمت وقلت كسرت باجر وفي لفظ باحر جذاذا وكان لنا
ربا نطيف به ضلا بتضلال . بالهاشمي هدانا من ضلالتنا . ولم يكن دينه
بالي على بال . يا راكبا بلغا عمرا واخوتها . اني لما قال ربي باجر قالي وعني بعمرو واخوتها
بنو خطامة وهي بطن من طي وهذه الابيات ساقطة في اسد الغابة
قال مازن رضي الله عنه فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب اي مغرم به
وبشرب الخمر وبالهلوك اي الفاجرة من النسا التي تتمايل وتتثنى عند
جماعها وقيل الساقطة على الرجال اي لشدة شبقها الحت اي دامت
علينا سنون اي اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري
والعيال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحيا
ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب
قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر اي الزنا
عفة الفرج واته بالحيا اي المطر وهب له ولدا قال مازن رضي الله عنه

فاذهب الله عنهما كان احده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا ولخصت
عمان يعني فزينة وما حولها من قرى عمان وتزوجت اربع حراير ووهب الله
لي حبان يعني ولده وانشأت اقول . اليك رسول الله حنت مطيتي .
تجوب الفيافي من عمان الى العرج . لتشفع لي يا خير من وطي الحصا .
فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج . اي ارجع بالفوز والظفر بالمطلوب .
الى معشر خالفت في الله دينهم . ولا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي .
اي بالشين المعجمة والجيم اي لان كلهم شكلي ولا طريقتهم طريقتي
وكنت امرا بالخمر والعهر مولعا بالعهر والخمر مولعا . شبابي حتى اذن الجسم بالنهج .
اي بالبلا فبدلني بالخمر خوفا وخشية . وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي .
فاصبحت همي في الجهاد ونيتي . فلله ما صومي ولله ما حجي . قال
مازن فلما رجعت الى قومي انبوني اي عنفوني ولاموني وشتموني وامروا
شاعرهم فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسي وتنحيت عنهم واتيت
مسجدا يتعبد فيه فقال لا يأتي هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا
ويدعوا على ظالمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره الا عوفي
ثم ان القوم ندموا وطلبوا مني الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا
الحديث واما ما سمع من اجواف الذبايح فمنه ما جاء عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
قال كانوا في حي من قريش فقال لهم ال ذريح بالحا المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم
والجزار يعالجه اذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيئا يا ال ذريح امر
نجيح صايح يصيح بلسان فصيح . يشهد ان لا اله الا الله اي والذريح العجل الذي
ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر تقول له احمر ذريحي اي شديد الحمرة والذي في
البخاري تقول يا جليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح
العجل المذبوح ايضا لانه قد جلح اي كشف عنه جلده واما ما سمع من الهواتف
ولم يجي على السنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبايح

فكثير

فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت اطلب بعيرا لي حتى اذا عسعس
الليل اي ادبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول
يا ايها الراقد في الليل الاحم اي بالحا المهملة الاسود قد بعث الله نبيا
بالحرم . من هاشم اهل الوفا والكرم . يجلو دجنات الليالي والبهم .
اي الظلمات والكثور والامور المشكلة . فادرت طرفي فما رأيت شخصا .
فانشأت اقول . يا ايها الهاتف في داجي الظلم . اهلا وسهلا بك من طيف الم
بين هداك الله في لحن الكلم . من الذي تدعوا اليه تغتنم .
فاذا بنحنحة وقايل يقول . ظهر النور وبطل الزور . وبعث الله محمدا بالحبور
اي السرور . صاحب النجيب الاحمر . اي الكريم من الابل والتاج والمغفر
والوجه الازهر اي الابيض المشرب بالحمرة والحاجب اي الجبين الاقمر اي الابيض
والطرف الاحور . اي شديد سواده صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذاك
محمد المبعوث الى الاسود والاحمر . اهل المدر والوبر . اي العجم والعرب ثم انشا
يقول . الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث . ارسل فينا احمد خير نبي قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث والى ذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله
تعالى بقوله . ولنفت بمدحه الجن حتى اطرب الانس منه ذاك الغنا . اي اطربت
الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صوت الغنا الذي تلتذ به النفس
ولا تصبر عنها ساعة فتسمع لقيه حتى اطرب الانس ذاك الغنا الذي
سمعوه من الجن قال فلاح الصباح واذا بالفنيق يشقشق والفنيق بفتح
الفا وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل المكرم من الابل وتشقشق
بشينين معجمتين وقافين اي يهدر الى النوق فملكت خطامه وعلوت
سنامه حتى اذا لغب بالغين المعجمة والبا الموحدة اي تعب فنزلت في روضة
خضرا فاذا انا بقس ابن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من اراك ينكت به

الارض وانكث بالمنساة فوق ومانبيوله . بابانا عجي للموت والتحود في حدث
اي قبر عليهم من بقايا بزيهم خرقه . اي والبزالبابه معهم فان لهم
يوما يصاح به . ثم اذا انتبهوا من نومهم فزعوا . اي خافوا حتى
يعودوا بحال غير حالهم . خلقا جديدا كما من قبله خلقوا . منهم عراة
ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق . والمنهج من الثياب
الذي اخذ في البلا قال قد دنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام
فاذا العين خوارة اي لماءها خرير اي صوت في الارض خوارة اي ضعيفة
ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به واذا باحدهما
قد سبق الاخر الى الما فتبعه الاخر يطلب الما فضربه بالقضيب الذي
في يده وقال ارجع ثكلتك امك اي فقدتك حتى يشرب الذي قبلك
فرجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذين قبرا اخوين
كانا يعبدان الله عز وجل لا يشركان به شيا اسم احدهما سمعون والاخر
سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما حتى الحق بهما
ثم نظر اليهما وانشد ابياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
قسا اني ارجوا ان يبعثه الله امة وحده اي واحدا يقوم مقام جماعة
كما تقدم وقد اشار الى ذلك الاصل بقوله . وعنه اخبر قس فهو قد
حلي مسامعهم من ذكره شنفا . ولما مات قس قبر عندهما وتلك
القبور الثلاثة بقرية يقال لها روحين من اعمال حلب وعليها بنا
والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام ومن ذلك ما
رواه الواقدي باسناده قال كان ابو يارع رضي الله عنه يحدث
ان قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى
اصنامهم فبينا الخثعميون عند صنم لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف
ويقول . يا ايها الناس ذوو الاجسام . ومسندو الحكم الى الاصنام

ومن

اما ترون

اما ترون ما ارى امامي . من ساطع يجلو دجى الظلام . ذاك نبي سيد الانام
من هاشم في ذروة السنام . مستعلن بالبلد الحرام . جا يهد الكفر بالاسلام
اكرمه الرحمن من امام . قال ابو هريرة رضي الله عنه فامسكوا ساعة
حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم تمض بهم ثالثة حتى فجاهم خبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قد ظهر بمكة اي جاءهم ذلك بغتة فاسلم
الخثعميون حتى استاخر اسلامهم وراوا عبرا عن اصنامهم واما
خبر زمل ابن عمرو العذري قال كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن
صنم يقال له خمام بالخا المعجمة المضمومة وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه
وكان في بني هند من حرام بالحا المهملة المفتوحة والرا وكان سادنه
اي خادمه رجلا يقال له طارق قال في النور لا اعلم له ترجمة ولا اسلاما
وكانوا يعترون اي يذبحون الذبايح عنده فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم
سمعنا صوتا يقول يا بني هند ابن حرام ظهر الحق واودى خمام اي هلك
ودفع الشرك الاسلام قال زمل ففزعنا لذلك وهالنا اي افزعنا فمكثنا
ثم سمعنا صوتا يقول يا طارق يا طارق . بعث النبي الصادق . بوحي ناطق
صدع صادع بارض تهامه . لناصريه السلامه . ولخاذليه الندامه
هذا الوداع مني الى يوم القيامه . فوقع الصنم لوجهه فكان ذلك الصوت
من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني الى يوم القيامة فهو من
غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زمل فابتعت
اي اشتريت راحلة ورحلت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من
قومي وانشدته اليك رسول الله اعملت نصها . النص هو الغاية في
السير . اكلفها حزنا وقوزا من الرمل . والحزن ما ارتفع من الارض
والقوز بالقاف والزاي التل الصغير لانصر خير الناس نصرا مؤزرا
اي قويا واعقد حبلا من حبالك في حبلي والحبل العهد والميثاق

واما

وانه لا اله الا الله لا شي غيره ادين له اي اخضع واطيع ما اثقلت قدمي
نعلي ومن هذا النوع خبر تميم الداري روي عنه صلي الله عليه وسلم
قصة الجساسة مع الدجال علي المنبر فقال حدثني تميم الداري وذكر
القصة قال بعضهم وهذا اولي ما يخرجه المحدثون في رواية الاكابر
عن الاصاغر وقد يكون من ذلك ما ذكر ان ابا بكر رضي الله عنه مر يوما علي ابنته
عايشة رضي الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم
دعا كان يعلمناه وذكر ان عيسي ابن مريم عليه السلام كان يعلمه اصحابه
ويقول لو كان علي احدكم جبل دين ذهبا قضاه الله عنه قالت نعم يقول
اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والاخرة
ورحيمهما انت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك
وعن ابي بكر رضي الله عنه كان علي دين وكنت له كارها فقلته فلم البث
الا يسيرا حتى قضيته قال تميم رضي الله عنه كنت بالشام حين بعث
رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرجت الي بعض حاجاتي فادركني الليل
فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي فلما اخذت مضجعي اذا مناد بنادي
بنادي لا اراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدا علي الله فقلت ايم تقوله
وايم بتشديد الباء واسكانها وفتح الميم بينهما اي بما تقول فقال
قد خرج رسول الاميين رسول الله صلي الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون
اي وهو مقبرة مكة التي يقال لها المعلاه كما تقدم واسلمنا واتبعناه
وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق الي محمد صلي الله عليه وسلم
فاسلم فلما اصبحت ذهبت الي دير ايوب فسالت راهبه واخبرته
فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم اي المدينة
وهو خير الانبيا فلا تسبق اليه قال تميم رضي الله عنه فتكلفت
الشخوص اي الذهاب حتى جيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فاسلمت

اقول

وعن

١٤٩

اقول ومما يدل ظاهرا علي ان تميم الداري اسلم بمكة قبل
الهجرة فهو مما الكلام فيه بل راتي في تتمة الخبر فسرت الي مكة فلقيت
النبي صلي الله عليه وسلم وكان مستخفيا فامنت به وروايته بعضهم
فقال وهذه الرواية غلط لان تميم الداري رضي الله عنه انما اسلم
سنة تسع من الهجرة والله اعلم قال ومن ذلك ما حدث به سعيد
ابن جبير رضي الله عنه ان رجلا من بني تميم حدث عن بدو اسلامه
قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي
وانختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادي
من الجن فرايت في منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر
ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيا فقلت هذا حلم
ثم عدت فغفوت فرايت مثل ذلك واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرايت
مثل ذلك فانتبهت فرايت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا انا برجل شاب
كالذي رايته في منامي بيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده يرده عن
ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة اثوار من
الوحش فقال الشيخ للفتي قم فخذ ايها شئت فدا ان قد جاري الانسي
فقام الفتي فاخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يا
فتي اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل اعوذ بالله رب محمد
من هول هذا الوادي ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل امرها فقلت
له ومن محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت اين مسكنه قال يثرب
ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى اتيت المدينة فرايت
رسول الله صلي الله عليه وسلم فحدثني قبل ان اذكر له منه شيا ودعاني
الي الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل علي ان هذه القصة
بعد الهجرة لا عند البعث الذي الكلام فيه ونظير هذا ما حدث به

لبعض الصحابة رضي الله عنهم قال خرجت في طلب ابل لي وكنا اذا نزلنا
بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت اعوذ بعزيز
هذا الوادي فاذا هاتف يهتف بي ويقول • ويحك عذ بالله ذي الجلال
منزل الحرام والحلال • ووحد الله ولا تبالي • ما كيد ذي الجن من الاهوال
اذ تذكر الله على الاهوال • وفي سهول الارض والجبال • وصار كيد الجن في سفال
الا التقى وصالح الاعمال • فقلت له يا ايها القايل ما تقول ارشد عندك •
ام تضليل فقال • هذا رسول الله والخيرات • جا بيسين وحاميات •
وسور بعد مفصلات • يامر بالصلاة والزكاة • ويزجر الاقوام عن هنات
قد كن في الاسلام منكرات • فقلت اما والله لا ابرح حتى اتي ببعيري هذه الى اهلي
لا ابتغي حتى اسلم قال الفارود فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى
الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة
فاني انيخ راحلتي اذ خرج الي ابو ذر رضي الله عنه فقال لي يقول لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما راني قال ما فعل الرجل وفي
لفظ ما فعل الشيخ الذي ضمن لك ان يودي ابلك اما انه قد اداها سالمة
وقد قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل
بعثته من ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي
من شر سفهايه بقوله سبحانه وتعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن اي حين ينزلون في اسفارهم بمكان مخوف فيقول كل
رجل اعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهايه فزادوهم رهقا اي
زاد والجن اي سادتهم باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا
الانس والجن اي ومن ذلك ما حكاه وايل ابن حجر الحضرمي
ويكنى ابو هنيدة كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من
ملوكهم قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه
لقدومي

لقدومي فقال يا تيكم وايل ابن حجر من ارض بعيدة من حضرموت
راغبا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية ابنا الملوك قال وايل
رضي الله عنه فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحب بي وادناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداه
فاجلسني عليه وقال اللهم بارك في وايل ابن حجر وولده وولد ولده ثم
صعد المنبر واقامني بين يديه ثم قال ايها الناس هذا وايل ابن حجر
اتاكم من ارض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يا رسول الله
بلغني ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله علي ان رفضت ذلك كله واثرت
دين الله قال صدقت اللهم بارك في وايل ابن حجر وولده وولد ولده
قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي صنم
من العقيق فبينا انا نايم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع
الذي فيه الصنم فاتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قايل يقول
واعجبا لوايل ابن حجر • يخال يدري • وهو ليس يدري • ماذا يرجى من نحيت صخر
ليس بذي نفع ولا ذي ضر • لو كان ذا حجي اطاع امري • قال فقلت
اسمعت ايها الهاتف الناصح ماذا يامرني فقال • ارحل الى يثرب
ذات النخل • تدين دين الصايم المصلي • محمد النبي خير الرسل • ثم خر الصنم
لوجهه فاندق عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا
حتى اتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث وفيه اشاران كان الصوت
من جوف هذا الصنم فهو من غير هذا النوع ولوايل هذا حديث مع
معاوية رضي الله عنهما تركناه لطوله واما ما سمع من بعض الوحوش
فمنه ما حدث به ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا راع يرعى
بالحرة اذ عرض ذيب لشاة من شاهه فحال الراعي بين الذيب

وبين الشاه فاقعى الذيب على ذنبه فقال الا تتقي الله تحول بيني وبين
رزق ساقه الله الي فقال الراعي اعجب من ذيب يكلمني بكلام الانس
فقال الذيب الا اخبرك باعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين
وفي رواية بيثرب يحدث الناس بانبا ما قد سبق وفي لفظ يخبركم
بما مضى وما هو كاين بعدكم فساق الراعي شاهه فاتى المدينة فقصد
الرسول صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال له الذيب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس
والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله
اي وهو احد سيورها الذي يكون على وجهها كما تقدم وعذبة
سوطه اي طرفه وقيل احد سيوره ويخبره بما فعل اهله اي وفي رواية
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج
فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم وفي رواية ان راعي الغنم كان يهوديا
وفي رواية ان الذيب قال له انت اعجب مني واقفا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه قدرا وقد فتحت له ابواب الجنة
واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا
هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي
فقال له الذيب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم اليه غنمه ومضى
الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذيب
شاة منها و بيان ان هذا وما تقدم من خبر سعيد بن جبير كما علمت
بعد البعث لا عند المبعث الذي الكلام فيه قال في النور هذا
الراعي لا اعرف اسمه قال وكلم الذيب غير واحد فانظرهم في تعليقي
على البخاري اقول ذكر في حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذيب

حن

من الصحابة رضي الله عنهم ثلاثة رافع ابي عميرة وسلمة ابن الاكوع
ووهبان ابن اوس واما سماع من جوف الاشجار فقد روي عن ابي بكر
رضي الله عنه انه قيل له هل رايت قبل الاسلام شيا من دلايل نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا انا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية
اذ تدلى علي غصن من اغصانها حتى صار على راسي فجعلت انظر
اليه واقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة هذا النبي يخرج في وقت
كذا وكذا فكن انت من اسعد الناس به والله اعلم واما قذف النجوم
وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال ابن اسحاق رحمه الله لما
تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين
عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا
بالنجوم فعرفت الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد يقول الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليهم خبرهم اذ حجبوا وانا
لمسنا السما اي طلبنا استراق السمع منها ه فوجدناها ملئت حرسا
شديدا اي ملايكة اقويا يمنعون عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع صالحة للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمي به اي ومن يخطف الخطفة
منهم بخفة حركة يتبعه شهاب يقتله اي او يحرق وجهه او يخبله
قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس امر الوحي بشي من خرافات الجن
مدة نزوله وبعد انقضائه وموته صلى الله عليه وسلم فلئلا تدخل الشبهه
على ضعفا العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان
امر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السما في حياته
صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة بعد اليوم
ه وقد حدث بعضهم قال ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها

تقيف دابهم جاءوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية وكان ادهى العرب
وانكرها رايا اي ادهاها رايا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث
فقالوا له يا عمرو الم تر الى ما حدث في السما من الرمي بهذه النجوم
فقال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم اي النجوم المشهورة التي
يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء الصيف والشتا
هي التي ترمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي
فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر اراد الله بهذا
الخلق اي والنوء بالنون والهمزة هنا ما يحصل عند سقوط نجم في الغرب
وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوما وحقيقة
النوء سقوط النجم وطلوع رقيبه في المدة المذكورة وكانت العرب
تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها او الى الطالع
منها فتقول مطرنا بنوء كذا وسياتي الكلام على ذلك في غزوة الحديبية
وفي لفظ امرا اراده الله ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك لا يقال
قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك عند مولده لانا نقول
المراد رجمت الان باكثر مما كان قبل ذلك او صارت تصيب ولا تخطي
ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اي قرب زمن
بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فاتوا عبد ياليل
ابن عمرو وهو بمثناة تحتية وكسر اللام الاولى الثقفي وكان اعمى
فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا رقيقهم وسيبوا انعامهم
فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف اي وهي التي
يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانوا فهي عند فنا الناس وان
كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا
من حدث اي وقد روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال النجوم امنة

السما

السما فاذا ذهبت النجوم اتى السما ما يوعدون وانا امنة لاصحابي فاذا
ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي
اتى امتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وفي لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف ابو سفيان بن حرب
رضي الله عنه فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل وهذا قد
يخالفه ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما لما كان اليوم الذي تنبا فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السما بالشهب ولا مانع من
تكرر سوال ثقيف مرة لعمرو بن امية ومرة لعبد ياليل ابن عمرو وان كلا منهما
كان اعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سالوه فسماه
بعضهم عمرو بن امية وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا كما ترى يدل
انما عند البعث وبه يعلم ما في قول الماوردي الذي نقله عنه شيخ بعض مشايخنا
النجم الغيطي رحمه الله في معراجه واقره وسبب رمي النجوم ان الله
تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب
قبل مولده ففزع اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير وكان
يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال انظروا البروج الاثني عشر فان
انقض منها شي فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شي فسيحدث في
الدنيا امر عظيم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر
العظيم فانه يقتضي ان المراد ببعثته ولادته فكان ينبغي اسقاط
قوله قبل مولده لما علمت ان هذا اي كثرة تساقط النجوم انما كان
عند بعثته ونبوته لا عند ولادته ومنه خبر ابي لهب او لهبي اي ما لك
ابن بني لهب فان بني لهب فزعوا الفزع ثقيف قال حضرت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بابي وامي
نحن اول من عرف حراسة السما ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا

اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخا المعجمة والطا المهملة والرا ابن
مالك قال في النور لا اعرف له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد اتت
عليه مايتا سنة وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر
هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا
بسوء عاقبتها فقال ايتوني بسحر اي قبيل الفجر اخبركم الخبر الخير ام ضررا
وامن او حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر
اتيناه فاذا هو قايم على قدميه شاخص في السما بعينيه فناديناه يا
خطر يا خطر فاومى الينا ان امسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من
السما وصرخ الكاهن رافعا راسه اصابه اصابه جمع وصب بكحل وجال
فالنمرة بدله من الوادخامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله
جوابه اي ازال عنه جوابه باويله ماحاله بلبل بلباله البلبال
الغم عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت احواله ثم امسك طويلا
ثم قال يامعشر بني قحطان اخبركم بالحق والبيان اقسمت بالكعبة والاركان
والبلد المؤتمن السدان اي الخدام قد منع السمع عتاة الجان بثاقب
بكون ذا سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل
والفرقان وبالهدي وفاصل القران تبطل به عبادة الاوثان
قال فقلنا له ويلك يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك
فقال ارى لقومي ما ارى لنفسي ان يتبعوا خير نبي الانس برهانه
مثل شعاع الشمس يبعث في مكة دار الحمس بحكم التنزيل غير اللبس
والحمس بضم الحا المهملة واسكان الميم وبالسين المهملة هم قريش وما
ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد من اشراف العرب
الا على شرط ان تتحمس اولادهم فان قريشا من بين قبايل العرب
دانوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال
والفروج

والفروج ومالوا للتجارة ومن ثم يقال لقريش الحمس سموا بذلك لتشددهم
في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا له يا خطر ومن هم فقال والحياة
والعيش انه لمن قريش ما في حكمه طيش اي عدول عن الحق من قولهم طاش
السهم عن الهدف اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش اي لبس في طبيعته
وسجيته قول قبيح يكون في جيش واي جيش من ال قحطان وال ايش
وال قحطان هم الانصار قال صلى الله عليه وسلم رحا الايمان دايرة في ولد
قحطان وال ايش قبيلة من الجن المومنين ينسبون الى ابيهم ايش شخص
من كبار الجن وقيل المراد بهم المهاجرون اي ومن المهاجرين الذين يقال لهم
ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى اي شي هو اي شي عظيم
لا يمكن ان يعبر عن عظمته وجلالته وروي بدل ايش قريش فقلنا له
بين لنا من اي قريش فقال والبيت ذي الدعايم يعني الكعبة والركن
يعني الحجر الاسود والاجايم يعني بير زمزم لان الاجايم جمع اجوام والاجوام
جمع اجوم وهو الما في البير والمراد بير زمزم او ان الاصل الحوايم ففيه قلب
مكاني الاصل حوايم فصار اجايم على الحوايم هي الطير التي تحوم على الما والمراد
حمام مكة انه لمن نجل اي نسل هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم يعني
الحروب وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان اخبرني به رييس الجان ثم قال
الله اكبر جا الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت واغمي عليه فما افاق
الا بعد ثلاثة ايام فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة اي وحي وانه ليبعث يوم القيمة امة
وحده اي بمقام جماعة كما تقدم نظيره قال ومن ذلك ما رواه مسلم عن
ابن عباس رضي الله عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينا نحن جلوس مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية اي قبل البعث

قالوا يا رسول الله كنا نقول حين رأينا يرمى بها مات ملك وولد مولود فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولكن الله سبحانه وتعالى كان
اذا قضى بخلقه امرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم
فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى سماء الدنيا فيسبحوا
ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر
الذي كان اي يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء اي يقوله اهل كل
سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع
على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون
بعضا اي وفي البخاري اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع فربما
ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم
قال الحق ثم يذكرونه لما تقدم من قولهم قضى الله في خلقه كذا وكذا او لما
يأتي وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى
بالنجوم للحراسة زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة
والسلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما يأتي عن ابي بن كعب
وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشيء فقالوا
يا رسول الله انهم يحدثونا احيانا بشيء يكون حقا قال تلك الكلمة من الجن
يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه فيخلطون فيها اكثر من مائة كذبة
ثم ان الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت
الكهانة اليوم فلا كهانة اي وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة
تتحدث في العنان اي الغمام بالامر يكون في الارض فتسمع الشياطين
الكلمة فتقذفها في اذن الكاهن فيزيدون معها مائة كذبة وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه

رضي الله عنه لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم رمي بها فلما رأت قريش امرا لم تكن تراه فزعوا الى عبد
ياليل الحديث اقول وهذا ايضا يفيد انه لم يرم بها قبل بعثته صلى الله عليه وسلم
اي قبل قربه الشامل لزمن الولادة وقد يخالفه ما تقدم ان النجوم كان
يرمى بها قبل ان يرفع عيسى وذلك صادق بزمن آدم فمن بعده من الرسل وهو
الموافق لقول الزهري الحجب وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث في سابق
الازمان اي في زمن الرسل لا في زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف
وقول بعضهم ظاهر الاحاديث تدل على ان الرجم للشياطين بالشهب كان في
زمن غيره صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه اكثر المفسرين
حراسة لما ينزل من الوحي على الرسل واما الزمن الذي ليس فيه رسل
اي وهو زمن الفترات بين الرسل عليهم الصلاة والسلام فكانوا يسترقون
السمع في مقاعدهم ويلقون ما يسمعون للكهان اي لان الله تعالى ذكر
فائدتين في خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من
كل شيطان مارد وكونها انما جعلت رجوما وحفظا ليس الا عند مبعثه
صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من البعد البعيد وحيث كان الغرض
من الرمي بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع اقتضى ذلك انه لم يرم بها قبل
بعثته وعند ولادته صلى الله عليه وسلم ويوافق ذلك قول ابن اسحاق لما تقارب
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضي الله
عنهما لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين
من خبر السماء ورموا بالشهب فذكروا ذلك لابليس فقال لعله اي لعله بعث
نبي عليكم بالارض المقدسة اي لانها محل الانبياء هذا يدل على ان عند ابليس
علما بان الرمي بالنجوم علامة على بعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام فذهبوا
ثم رجعوا فقالوا ليس بها احد فخرج ابليس يطلبه بمكة اي لانها مظنة ذلك

بحرا مكث الرجعة مدة

بعد محل الانبيا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام فرجع الى اصحابه فقال بعث احمد ومعه جبريل وفي
رواية ان ابليس قال لما اخبروه بانهم منعوا من خبر السما ان هذا الحدث
حدث في الارض فاتوني من تربة كل ارض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلم
اشم تربة مكة قال من هاهنا الحدث فمضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد بعث اقول قد قال لا منافاة بين الروايتين لانه لا يجوز انهم لم
يخبروه بمبعثه صلى الله عليه وسلم لما وجدوه قد بعث او ذهب بعد اخبارهم
لم يملك للاستيقان وهذا يقتضي ان الرمي بالنجوم انما كان عند مبعثه
اي تقارب زمنه لا قبل ذلك الذي يعنيه زمن ولادته صلى الله عليه وسلم وحينئذ
يشكل حصول ما تقدم لابليس وجنوده عند مولده صلى الله عليه وسلم
ومن ثم قدمنا انه يجوز ان يكون من تخليط بعض الرواة وهذه الرواية
تدل على ان ابليس لم يكن عنده علم بان سقوط النجوم على الشياطين علامة
على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والرواية التي قبلها تدل على خلاف ذلك
كما علمت وكلا الروايتين تدل على انه لم يعلم عينه ولا محله والله اعلم وقد
اشار صاحب الهمزية رحمه الله الى ان حجب الشياطين كان عند مبعثه صلى
الله عليه وسلم بقوله وبعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضا
تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما يطرد الذياب الرعا فمحت اية الكهانة
ايات من الوحي ما لهن انمحا اي ارسل الله زمن ارساله الشهب من
ان رعلى الجن لاجل حراسة السما منهم وكثرة تلك الشعل ضاق عنها
المفازات الواسعة حال كون تلك الشهب تطرد الجن عن امكنة قريبة
يقعدون فيها لاجل ان يسمعوا شيا من الملايكة المتكلمين بما سيقع
في الارض من المغيبات وطرد تلك الشهب لاولئك الشياطين في الشدة
كطرد الرعا للذياب عن الغنم اذا ارادت ان تعدوا عليها فبسبب ذلك
الطرد البالغ للجن عن خبر السما محت ايات من الوحي اية الكهانة التي

مي



١٤٨

مي الاخبار بالامور المغيبة ما لتلك الايات من الوحي انمحا اي ذهاب
بل هي باقية الى يوم القيمة وقيد انه يلزم على كون الغرض من الرمي بالنجوم
حفظ الوحي ان ذلك لا يكون الا عند مبعثه ولا يكون قبل ذلك الذي
هو وقت ولادته صلى الله عليه وسلم وايضا لو كان ذلك موجودا قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم واستمر الى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه صلى
الله عليه وسلم واجيب عن الاول بانه يجوز ان يكون الغرض الاصلي من الرمي
بها حفظ الوحي فلا ينافي وجود ذلك قبل ذلك عند ولادته ارهاصا وتخويفا
وكان هذا السوال الثاني هو الحامل لابي بن كعب رضي الله عنه على دعوى
انه لم يرم بالنجوم منذ رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حتى نبا رسول الله
صلى الله عليه وسلم رمي بها وحيث فلما رات قريش امرا لم تكن تراه فزعوا
لعبد ياليل ويجاب بانه يجوز ان يكون الرمي بالنجوم عند المبعث مخالفا
للرمي بها قبله اما في الغرض لكثرتها واما لان الرمي بها بعد المبعث كان من كل
جانب وقبل كان من جانب واحد واما لان الرمي بها صار لا يخطي ابدا
وقبل ذلك كان يخطي تارة ويصيب اخرى فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه
ومنهم من تخبله اي تفسد عقله فيصير غولا يضل الناس في البراري فكان ذلك
سببا لفزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر ويخطي
فيعود الشيطان الى مكانه فيسترق السمع ويلقيها بسرقة الى الكاهن اي فلم
تنقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى زمن
مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة
بعد اليوم وهذا كله على تسليم صحة رواية ابن عباس رضي الله عنهما ان
النجوم رمي بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم وحفظ الوحي بالرمي بالشهب
لا يخالف ما نقله في الاتقان عن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما جا جبريل
عليه السلام بالقران الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ومعه اربعة من الملايكة

حفظة وسالت عن ابن ينبوع عن ابي جبير ما تولى جبريل يوحي حفظ الا وينزل
معه من الملايكة حفظة يحيطون به وبالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يوحى
اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبي
من الغيب اي يوحيه اليه فيبلغوه الى اوليايهم وعن بعضهم قال سافرت
عن زوجتي فتخلف عليها شيطان على صورتي وكلامي وساير حالاتي
التي تعرفها مني فلما قدمت من السفر لم تفرح لي ولم تتهيا لي وكانت
اذا قربت من سفر تتهيا كما تتهيا العروس فقلت لها في ذلك فقالت
انك لم تغب عنا فانكرتك اذ تفطن لي ذلك الشيطان وقال انا رجل من
الجن عشقت امراتك وكنت اتيها في صورتك فلا تنكر ذلك فاختر اما ان
يكون لك الليل ولي النهار او لك النهار ولي الليل فراعني ذلك ثم اخترت
النهار فكان ياتي بعض الليالي جاني وقال بت الليلة عند اهلك فقد حضرت
نوبتي في استراق السمع من السما فقلت له انت تسترق السمع فقال نعم
هل لك ان تكون معي فقلت نعم فلما جا الليل اتاني وقال حول وجهك فحولت
وجهي فاذا انا في صورة خنزير له جناحان فحملني على ظهره فاذا له معرفة
كمعرفة الخنزير فقال لي استمسك بها فانك ترى امورا واهوالا فلا تفارقني
فتهلك ثم صعد حتى لحق بالسما فسمعت قايلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن فهوى بي ووقع من ورا العمران
فحفظت الكلمات فلما اصبحت اتيت اهلي فلما كان الليل جا فقلتهن
فاضطرب فلم ازل اقولهن حتى صار رمادا وان لم يحل وقوع ذلك
في الجاهلية كان كذبا لانهم جايزون ان الغول تجده الجن
على التطور بلونه رفع التهمة بشي فان من راى نحو ولده او زوجته
احتمل انه جني فيتكل بان الله تكفل لهذه الامة بعصمتها عن ان يقع
فيها ما يودي الى ما يترتب عليه ريبة في الدين فتامل وقد جا في فضل

لاحول

لا حول ولا قوة الا بالله كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول ولا
قوة الا بالله والذي ينبغي ان يبدا ان لا حول ولا قوة الا بالله شفا من سبعين
داء ادناها الهم والغم ويفرق بين الغم والهم بان الغم يعرض منه السهر
والهم يعرض منه النوم وفي حكمة ال داود العافية ملك خفي وهم ساعة هرم
سنة وقالت الاطبا الهم يوهن القلب ومنه ذهاب الباه كما ان في الحزن
ذهاب البصر وفي الحديث من كثر همه سقم بدنه فعلم ان النجوم على تسليم
انه كان يرمى بها قبل الولادة وبعدها الى البعثة كانت قليلة فترمى من
المبعث تصيب تارة ولا تصيب اخرى مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا يدع
كثرتها وان الكثرة هي سبب الفزع لدوام الاصابة والا فمجرد دوام الاصابة
لا يكون حاملا على الفزع لانه لا يظهر لكل احد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة
لا يكون سببا لقطع الكهانة لانها قبل المبعث كانت ترمى من جانب دون
اخر وبعد المبعث رميت من جميع الجوانب واليه الاشارة بقوله تعالى
ويقذفون من كل جانب دحورا الخ فان ذلك سبب للفزع والمراد وجود ذلك
مع دوام الاصابة ليكون سببا لقطع الكهانة والا فمجرد الرمي من كل جانب
مع قلة الاصابة لا يكون سببا لقطع الكهانة ولما انقطعت الكهانة
بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في السما فجعل صاحب الابل ينحر
كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم
شاة حتى اسرعوا في اموالهم اي في اهلاكها فقالت ثقيف وكانت
اعقل العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من في السما
الستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذا في كلام بعضهم
وفيه لا يخالف ما تقدم من ان اول العرب فزعا للرمي بالنجوم ثقيف
وانهم جاوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية ولرجل اخر يقال له عبد ياليل

لجواز ان يكون ما ذكرها صادرا من بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبيد
بالنيل والله اعلم وظاهر القران والاخبار ان الذي يرمي به الشياطين
والمسترقين نفس النجم وانه المعبر عنه بالكواكب وبالمصابيح وبالزينة
وقيل انها عبارة عن شعلة نار تنفصل من النجم اي كما قدمنا فاطلق
عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ الكواكب ويكون معنا جعلناها رجوما
جعلنا منها رجوما وهي تلك الشهب ومعنى كونها حفظا باعتبار
ما ينشا عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما هي
اجزا نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها
بالنار التي دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج
منه نار لطيفة لا تمر بشي الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة
الخمود فقد حكي انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت
قاله في الكشاف ومما يؤيد ان الشعلة منفصلة من النجوم ما جا عن
سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة في السما الدنيا
كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدي
ملائكة ويشهد لهذا القول قوله تعالى اذا السما انفطرت واذا الكواكب
انتثرت ان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل
ان هذه تنفتح الى السما وقد وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس
ان النجوم ماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وافزع الخلق
فلجوا الى الله بالدعا قال بعضهم ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى
الله عليه وسلم اقول قد وقع نظير ذلك في سنة احدى واربعين
من القرن الثالث ماجت النجوم في السما وتناثرت الكواكب كالجراد
اكثر الليل وكان امرا مزعجا لم ير مثله ووقع في سنة ثلاث مائة
تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية الشرق والله اعلم واما ما جا من ذكر
احمد

اسمه صلى الله عليه وسلم اي ذكر اسمه وصفته وصفة امته في الكتب القديمة
اي كالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام لست ليال خلون من رمضان
اتفاقا والانجيل المنزلة على عيسى عليه السلام لثنتي عشرة خلت من رمضان
وقيل لثلاث عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لست خلت من رمضان وصحف
شعيا عليه السلام ويقال له اشعيا اي وزبور داود عليه السلام وصحف
شيث عليه السلام فقد انزل عليه خمسون صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم عليه
السلام فقد انزل عليه عشرون صحيفة وقيل ثلاثون اول ليلة من رمضان
اتفاقا وفي كتاب شعيب عليه السلام ولم يذكر صحف ادريس عليه السلام وقد انزلت
عليه ثلاثون صحيفة ذكر بعضهم ان موسى عليه السلام انزل عليه قبل التوراة
عشرون صحيفة وقيل عشر صحايف وهذا كما ترى يزيد على ما اشتهر ان الكتب
المنزلة مائة واربعة كتب وفي كلام بعضهم اتفقوا على ان القران انزل لاربع
وعشرين ليلة خلت من رمضان وعن ابي قلابة رضي الله عنه انزلت الكتب كاملة
ليلة اربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من حكى الاتفاق في التوراة
وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا ولم يعتد به وقد اشار الى ذكره صلى الله
عليه وسلم في الكتب المنزلة جميع الكتب المنزلة الامام السبكي في تائيته بقوله
وفي كل كتب الله نعتك قد اتى يخص على اسمه يعلمه وهذا ابلغ
ابلغ في قول بعضهم ومن قبل بعثته جاءت مبشرة به زبور وتوراة وانجيل
وقد اعترض على هذا القايل بعض الاغبيا بان التوراة والانجيل قد صحت
بشارتهما به صلى الله عليه وسلم واما الزبور فلا ندري ولا نقول الا ما نعلم ورده
ما ذكره الامام السبكي ويشهد له قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين اي في كتبهم فقد
قال بعض المفسرين ان الضمير عايد الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الاضافة حيث لا عهد
تحمل على العموم وسيأتي التصريح بوجود اسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور وقد
جا ان اسمه صلى الله عليه وسلم في التوراة احمد يحمده اهل السما والارض كما تقدم

وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من
سفه نفسه ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر
الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التوراة اني باعث من ولد
اسماعيل نبيا اسمه احمد من امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به
فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فانزل الله الاية وفيها ايضا محمد واسمه
فيها ايضا حماطا وقيل حمطايا اي يحمي الحرم من الحرام واسمه في التوراة
ايضا قدصايا اي الاول السابق واسمه فيها ايضا بيد بيد واسمه فيها
ايضا احيد وقيل احيد اي يحيد امته عن جهنم واسمه فيها ايضا
طاب طاب اي طيب واسمه فيها ايضا كما في الشفا حمد حبيب الرحمن ووصف فيها
بالضحوك اي طيب النفس وفيها محمد ابن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابه
وملكه بالشام والتوراة اي على انه يكون اسما عربيا ماخوذ من التوراه
وهي كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض من غير تصريح
واسمه في الانجيل المنحمنا والمنحمنا بالسريانية محمد اي وما
جاء عن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فاخذت الانجيل فقرات
حتى مررت الى ورقة ملصقة بغيرها ففتقتها فوجدت فيها صفة محمد صلى
الله عليه وسلم فجاء عمي فلما راى الورقة ضربني فقال مالك وفتح هذه
الورقة وقراتها فقلت فيها وصف النبي احمد فقال انه لم يات بعد اي الان
اي وفي الانجيل ايضا اسمه حيطا اي يفرق بين الحق والباطل ووصفه
ايضا بانه صاحب المدرعة وهي الدرع وفيه ايضا وصفه صلى الله عليه وسلم
بانه يركب الحمار والبعير وساوى ان راكب الحمار عيسى عليه السلام وراكب
الجمل محمد صلى الله عليه وسلم وساوى الجواب وفي الانجيل ان احبوني
فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ربي فيعطيكم بارقليطا وانا بارقليط
لا يجيكم ما لم اذهب فاذا جاء فتح العلم العالم على الخطيه ولا يقول من

لها

تلقا نفسه ولكن ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث
والغيوب اي وملجا بذلك واخبر بالحوادث الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
البارقليط والفارقليط الحكيم والرسول قيل والانجيل اي على
فرض ان يكون اسما عربيا ماخوذ من النجل وهو الخروج ومن ثم سمي الولد
نجلا لخروجه او مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله ان جيله
اي اصوله فسمي هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه في ذلك
الدين وقيل من النجلة وهي سعة العين لانه انزله وسعة لهم اي لان
فيه تحليل بعض ما حرم عليهم ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال
لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في التوراة قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته
في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا
للاميين انت عبدي ورسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ اي سيء الخلق
ولا غليظ اي شديد القول ولا صخاب بالسين وبالصاد في الاسواق
اي لا يصيح فيها وفي الحديث اشد الناس عذابا كل جعظ ري صخاب
في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله
حتى يقيم به الملة العوجا وملة ابراهيم عليه السلام التي غيرتها العرب
واخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا اي محجوبة لا تفهم كانها في غلاف وفي اعطا ثم لقيت
كعب الاحبار فسالته فما اخطا في حرف اقول لكن في رواية كعب واعطى
المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا صما ويقيم به
الالسنة المعوجة يعني المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفيها وصفه
بانه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وعن بعض
احبار اليهود انه قال لي جميع ما وصف في التوراة وقفت الا على هذين



الوصفين وكنت اشتهي الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه حاجة يستعين به وذكر له انه لم يكن عنده ما يعينه به فقال هذه دنانير تدفعها له وتكون علي كذا من التمر ليوم كذا فعل فجئته قبل الاجل بيومين او ثلاثة فاخذت بجامع قميصه ورداه ونظرت اليه صلى الله عليه وسلم بوجه غليظ وقلت الا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال لي عمر رضي الله عنه اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع وهو ينظر اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن التقاضي اي المطالبة اذهب وادفعه وزده عشرين صاعا مكان ما اراعته اي خضته فاسلم اليهودي وذكر القصة وفي التوراة لا يزال الملك في يهودا الى ان يجي الذي اياه تنتظر الامم اي لا يزال امرهم ظاهرا الى ان يجي الذي ينتظره الامم اي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما زعمه اليهود من انه يوشع عليه السلام رد بنص التوراة في محل اخر ان الله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم مثلي وقد قال لي انه سوف يقيم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وايما انسان لم يطع كلامه انتقم منه اي قوله مثلي اي رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرائع وذكر المبدا والمعاد لان يوشع عليه السلام لم يكن له كتاب بل كان متابعا لسنة موسى عليه السلام في بني اسرائيل خاصة وايضا يوشع عليه السلام منهم لا من اخوتهم فلو كان يوشع لقال منكم وما زعمه النصارى انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التي منها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم لان المسيح ليس من اخوتكم بل منهم لانه من نسل داود عليهما السلام وفي زبور داود سيولد لك ولد ادعى له ابا ويدعى لي ابنا واخوة بني اسرائيل انما هم اولاد اسماعيل

الذي

الذي هو اخو اسحاق عليهما السلام وبنو اسرائيل منهم وايضا لو كان المسيح عليه السلام لم يحسن ان يخاطب بهذا اللفظ والانجيل جا الله من طور سينا وظهر بساعير واعلن بفاران اي عرف الله بها رسالة موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لان ظهور نبوة موسى عليه السلام كان في طور سينا وتقدم انه جبل بالشام قيل هو الذي بين مصر وايلا وانزلت التوراة عليه فيه وظهور نبوة عيسى عليه السلام كان في ساعير وهو جبل القدس لان عيسى عليه السلام كان يسكن بقرية بارض الخليل يقال لها ناصره وباسمها سمي من اتبعه وانزل عليه الانجيل بها وظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان في فاران وهي مكة وانزل عليه القران بها وفي التوراة ان اسماعيل عليه السلام اقام ببرية فاران وانما عبر في جانب موسى بالمجي لانه اول المشرعين لان كتابه الذي هو التوراة اول كتاب اشتمل على الاحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب فانها لم تشتمل على ذلك وانما كانت مشتملة على الايمان بالله وتوحيده ومن ثم قيل لها صحف واطلاق الكتب عليها مجاز ولما حصل لعيسى عليه السلام وكتابه الذي هو الانجيل نوع ظهور عبر في جانبه بالظهور الذي هو اقوى من المجي ثم لما زاد الظهور بمجي محمد صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالاعلان الذي هو اقوى من مجرد الظهور وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته صلى الله عليه وسلم يامرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت عليهم على بني اسرائيل والبحيرة والسايبة والوصيلة والحام التي حرمها اهل الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث النجاسات التي تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول الدية في المقتول وان يقطعوا ما

ما اصابهم من البول والله اعلم ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله
عنه وكان من احبار يهود باليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم
قدمت عليه وسالته عن اشيا ثم قلت له ان ابي كان يختم على سفر ويقول
لا تقراه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه
قال النعمان رضي الله عنه فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك
كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انك خير الانبيا وامتك
خير الامم واسمك احمد صلى الله عليه وسلم وامتك الحامدون اي يحمدون الله
في السرا والضرا قربانهم دماهم ويتقربون به الى الله تعالى باراقة دماهم
في الجهاد واناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا
الا وجبريل عليه السلام معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه
ثم قال لي يعني اباه اذا سمعت به فاخرج اليه وصدقه وامن به فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدا النعمان الحديث من اوله
فرئي رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ثم قال اشهد اني رسول الله
افوك والنعمان هذا رضي الله عنه قتله الاسود العنسي الذي
ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار ولم يحترق كما وقع للخليل عليه
الصلاة والسلام قيل الذي حرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق
ذويب ابن كليب او ابن وهب لما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال
لاصحابه فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام وهذا السفر يحتمل ان يكون من اسفار
التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على ان جبريل عليه السلام يحضر كل
قتال الصدر من الصحابة رضي الله عنهم للكفار بل ظاهره كل قتال

صدر حتى من جميع الامة وفي رواية بعضهم نقلا عن سفر من التوراة
لا يلقون اي امته صلى الله عليه وسلم عدوا الا وبين ايديهم ملائكة معهم
رماح وفي التوراة في صفة امته صلى الله عليه وسلم زيادة على ما سبق يوضئون
اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم ويصفون في صلاتهم كما يصفون
في قتالهم وقد جاء ايتزروا كما رايت الملائكة اي ليلة الاسرا تتزر اي
موتزرون عند ربها الى انصاف سوقها وقد جا عليكم بالعمايم وارخوها
خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكل منها اي الايتزار وارخا العذبة
من خصايص هذه الامة وقد جاءت العمايم تيجان المسلمين وفي رواية من سيما
المسلمين اي علاماتهم المميزة لهم عن غيرهم ويوخذ من وصفهم بانهم يوضئون
اطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضئون ويوافقه قول الحافظ ابن حجر ان الوضو
من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام دون اممهم الا هذه الامة ويوافقه
ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا يقول الله تعالى افترضت عليهم ان يتطهروا
في كل صلاة كما افترضت على الانبيا اي يكونوا طاهرين او انه هذا اي وجوب
التطهر لكل صلاة كان في صدر الاسلام ولم ينسخ الا في فتح مكة كما سبق لكن
يخالف كون الوضو من خصايص هذه الامة ما رواه الطبراني في الاوسط
بسند فيه ابن لهيعة عن بريدة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوضو فتوضا واحدة واحدة فقال هذا الوضو الذي لا يقبل الله الصلاة
الا به ثم توضا ثنتين ثنتين فقال هذا وضو الامم قبلكم ثم توضا ثلاثا ثلاثا
ثم قال هذا وضوي ووضو الانبيا من قبلي فان هذا يفيد ان الوضو كان
للامم السابقة لكن مرتين ولانبيائهم عليهم الصلاة والسلام كان
ثلاثا وعليه فالخاص لهذه الامة التثليث كوضو الانبيا عليهم الصلاة
والسلام كما اختصت هذه الامة عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا
يحمل قول الشيخ ابن حجر الهيتمي رحمه الله ان الوضو من خصايص هذه الامة

بالنسبة لبقية الامم لا لانبيايهم وفي كلام ابن عبد البر فقيل ان ساير الامم
كانوا يتوضون ولا اعرفه من وجه صحيح وفي كلام ابن حجر والذي خصا به
اما الكيفية المخصوصة او الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد ان كون
الكيفية المخصوصة ومنها الترتيب من خصايصنا غير مقطوع به بل
الامر فيه علي الاحتمال ولا يخفي ان الاشارة في قوله صلي الله عليه وسلم
هذا وضوء الامم يدل علي الترتيب فقد استدل ايمتنا علي وجوب الترتيب
بانه صلي الله عليه وسلم لم يتوضا الا مرتبا باتفاق اصحابه ولو كان
جايز الترك في بعض الاحايين وما اعترض به علي دعوي الاتفاق بانه
جا عن ابن عباس رضي الله عنهما من مسح الراس فذكره بعد غسل رجليه
فمسحه ثم اعاد غسل رجليه والراوي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يتفق
علي اعادة ابن عباس رضي الله عنهما غسل رجليه وفي التوراة في صفة
امته صلي الله عليه وسلم دويهم في مساجدهم كدوي النحل وفي رواية اصواتهم
بالليل في جو السما كاصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا هم
احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر
حسنات واذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت عليه
سيئة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويومنون بالكتاب
الاول اي وهو التوراة وجنس الكتب السابقة والكتاب الاخر اي وهو
القران وروي الامام احمد وغيره باسناد صحيح قال الله تعالي لعيسي
يا عيسي اني باعث من بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا
وان اصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا علم ولا حلم قال كيف
يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم قال اعطيهم من حلمي وعلمي وحينيذ
يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالي يكمل حلمهم وعلمهم
من حلمه وعلمه ويدل لذلك ما ذكره بعضهم ان هذه الامة اخر الامم وكان

الحلم

الحلم والعلم الذي قسم بين الامم كما يشهد به حديث ان الله قسم بينكم
اخلاقكم قدره قدحا فلم يدرك منه هذه الامة الا اليسير مع ذلك
مع قصر اعمارهم فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وجا انهم يسمون
في التوراة صفوة الرحمن وفي الانجيل حلما علما ابرارا اتقيا كانهم من الفقه
انبيا وفي الطبراني ان عمر رضي الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجد نعتي في
التوراة قال خليفة قرن من حديد امير شديد لا تخاف في الله لومة
لايم وزاد عن جواب لسوال ثم الخليفة من بعدك تقتله امة ظالمة له ثم يقع
البلا بعد وفي صحف شعيا عليه السلام امته صلي الله عليه وسلم ركبت
المتواضعين وفيها اني باعث نبيا اميا افتح به اذانا صما وقلوبا غلفا واعينا
عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمومنين يبكي للبهيمة
المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة لو يمر الي جنب السراج لم يطفه من سكينته
ولو يمشي علي القصب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه الي اخر الرواية
فان فيها طولا وقد ساقها الجلال السيوطي في الخصايص الكبري وشعيا هذا كان
بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيي عليهما السلام ولما نهي بني اسرايل
عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل
فيها وادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما راوا ذلك جاوا
بالمنشار فوضعوه علي الشجرة ونشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل
الذين عناهم الله تعالي بقوله وقفينا من بعده بالرسل اي موسي وهم سبعة
وهو ثالث تلك الرسل السبعة اي وهو المبشر بعيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم
فقال خاطب بيت المقدس الماشكي له الخراب والقا الجيف فيه ابشري ياتيك راكب
الحمار يعني عيسي عليه السلام وبعده راكب الجمل يعني محمدا صلي الله عليه وسلم
وتقدم انه ركب الحمار والبعير وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان يكون
عيسي اختص بركوب الحمار بخلاف محمد صلي الله عليه وسلم فانه كان يركبهما
هذا تارة وهذا اخري فليتامل ومن جملتهم ارميا قيل وهو الخضر والله اعلم

واسمه صلى الله عليه وسلم في الزبور حاطاط والفلاح الذي يمحق الله به
الباطل والفارق الفارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل وهو كما تقدم
معنى فارقليطا وبارقليطا بالفاء في الاول والموحدة في الثاني وقيل معناه
الذي يعلم الاشياء الخفية وفي الينبوع ومن الالفاظ التي وضعوها لانفسهم
يعني النصارى وترجموها على اخبار رهبان المسيح عليه السلام قال اني سايل
الله ان يبعث اليكم بارقليط اخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شي ويفسر
لكم الاسرار وهو يشهد لي كما شهدت له ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالبراءة
والصدق في النبوة بعده الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر صاحب الدر المنظم
باسناده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه يا عمر اتدري من انا
انا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل البارقليط وفي الزبور حماطا وفي
صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وذكر صاحب كتاب شفاء الصدور في مختصره
ان من فضائله صلى الله عليه وسلم ما رواه مقاتل قال وجدت مكتوبا في زبور
داود عليه السلام اني انا الله لا اله الا انا ومحمد رسولي ووصفه في مزامير داود
بانه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له ويرحم المساكين ويبارك عليه في كل
وقت ويوم ذكره الى الابد ويليه رفقه تقلد ايها الجبار سيفك
فان قيل قال الله تعالى وما انت عليهم بجبار اجيب بان الاول هو الذي
يجبر الخلق الى الحق والثاني هو المتكبر ونبه يا داود سياتي من بعدك نبي
اسمه احمد ومحمد صادقا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصيني ابدا وقد غفرت له
قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي على فرض وقوع ذلك
الذنب والمراد به خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيئات المقربين اي
ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين
لعلو مقامهم وارتفاع شانهم وامته مرحومة ياتون يوم القيامة ونورهم مثل
نور الانبياء وفي بعض مزاميره اوداد ان الله اظهر من صهيون اكليلا محمودا
وصهيون اسم مكة والاكليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وفي

في صحف شيث اخوباخ ومعناه صحيح الاسلام وهذا يدل على ان
مزامير داود نسخه مختلفة بالزيادة والنقص وفي صحف ابراهيم
يوذموذ وقيل ان ذلك في التوراة ولا مانع من وجوده فيهما وتقدم
انه في صحف ابراهيم اسمه طاب طاب ولا مانع من وجود الوصفين
في تلك الصحف وفي كتاب شعيب عليه السلام عبدي الذي ثبت شانه
انزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلي لا يضحك اي مع رفع الصوت
ومن ثم قالوا لا يسمع صوته في الاصوات لان ضحكه صلى الله عليه وسلم كان
التبسم يفتح العيون العور والاذان الصم ويحيي القلوب الغلف وما
اعطيته لا اعطيه احدا وفيه ايضا مشفح بالنبي المجيد والقاف والحاء
المهملة اي زاهي يحمد الله حمدا جديدا اي مخترعا لم يسبق اليه احد
ياتي من افضى الارض لعل المراد به مكة به تفرح البرية وسكانها وهو
ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفا سلطانه على كتفه
وذكر البرية وسطها انها اشارة لدولة العرب والمراد بسلطانه على
كتفه خاتم النبوة لانه علامة ظهرها ن على نبوته اي وذكر ابن ظفر
رحمه الله ان في كتب الله المنزلة اني باعث رسولا من الاميين اسدده
بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفا
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته
والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة واهدي به من الضلالة والف به
بين قلوب متفرقة واهواء مختلفة واجعل امته خير الامم واما ما جاء
مما يدل على وجود اسمه الشريف اعني لفظ محمد مكتوبا في الاحجار والشجر
والحيوان وغيرها لك بقلم القدرة فكثير من ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه
مرفوعا ان فص خاتم سليمان بن داود عليه السلام كان سماويا اي من السما
القي اليه فوضعه في خاتمه اي وكان نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدي

ورسوله وحينئذ يكون ما تقدم عن جابر رضي الله عنه وما يأتي يجوز أن يكون
راويه بالمعنى وكان ينزعه إذا دخل الخلاء وإذا جامع وكان عند نزعه ينكر
عليه أصوات الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه وعن أنس الجليل
كان نقش خاتم سليمان عليه السلام لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله
ووجد على بعض الحجارة مكتوب محمد نبي مصلح وسيد أمين وفي جامع مدينة
قرطبة بالمغرب عامود أحمر مكتوب فيه بقلم القدرة محمد وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك
بحق محمد صلى الله عليه وسلم إلا غفرت لي قال وكيف عرفت محمدا وفي لفظ
كاف اللوح وما محمد ومن محمد قال لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك
رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت
أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك قال صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك
أي وفي لفظ ما أنشأتك قال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه
مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر
النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك وفي الوفا عن ميسرة قلت
يا رسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن
سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء
وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحوى وكتب اسمي أي موصوفا بالنبوة
وبما هو أخص منها وهو الرسالة على ما هو المشهور على الأبواب والأوراق
والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد أي قبل أن تدخل الروح
جسده فلما أحياه الله نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد
ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه أي فقد وصف
بالنبوة قبل وجود آدم وفيه أيضا عن سعيد بن جبير اختصم ولد آدم أي

الخلق

الخلق أكرم على الله فقال بعضهم آدم خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته
وقال آخرون بل الملائكة لأنهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لآدم عليه
السلام فقال لما نفخ في الروح لم تبلغ قدمي حتى استويت جالسا فبرق لي العرش
فنظرت فيه محمد رسول الله فذاك أكرم الخلق على الله عز وجل قيل وكان يكنى
آدم بأبي محمد وبأبي البشر وظاهره أنه كان يكنى بذلك في الدنيا وتقدم
أنه يكنى بأبي محمد في الجنة ومن ذلك ما جاء عن عمر ابن الخطاب أيضا رضي الله عنه
أنه قال لكعب الأحبار أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة أسطر الأول أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني والثاني
إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسولي طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث
إني أنا الله لا إله إلا أنا الحرم والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي
والسطر الرابع أي وذكر بعضهم أن في سنة أربع وخمسين وأربعمائة
عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وخرقت منها
الوحوش وظنوا أن تلك القيامة قد قامت وابتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء
فنظروا فإذا نورا عظيما قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا
الوحوش فإذا هي منصرفة إلى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فصاروا
معها إليه فوجدوا به صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع وفيها ثلاثة
أسطر سطر فيه لا إله إلا أنا فاعبدوني وسطر فيه محمد رسول الله القرشي
وسطر ثالث فيه احذروا وقعة العرب فإنها تكون من سبعة أو تسعة
والقيمة قد أزفت أي قربت وجاء أن آدم عليه السلام قال طفت فلم أر
في السموات موضعا إلا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر في
الجنة قصرا ولا غرفة إلا واسم محمد مكتوبا عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم
على نحور الحور العين وورق آجام أي ورق قصب آجام الجنة شجرة طوبى وسدرة
المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة وهذا الحديث قد حكم بعض الحفاظ

بوضعه اي وقد قيل اول شي كتب القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم
اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر
على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة مع الصديقين
وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد
عبده ورسوله فمن امن بهذا ادخله الله الجنة وفي رواية لما امر القلم ان يكتب
ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله و يتامل
هذا فانه ان كان المراد كما هو المتبادر ان القلم لما امر ان يكتب ما ذكر كان اول
شي كتب على سرادق العرش ما ذكر ثم تمم كتابة ما امر به على ذلك كما كان اول
ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ ثم تمم كتابة ما امر به لزم ان يكتب القلم كتب
كتب ما كان وما يكون في اللوح وعلى سرادق العرش ومن ذلك ما جاء عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادم عليه السلام قال
وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة
المنتهى وعلى ورق قصب اجام الجنة ومن ثم قال السيوطي رحمه الله في الخصائص
الكبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى
على العرش وفيها ولقد خلقت العرش على الما فاضطرب فكتبت عليه
لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن و مكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على ساير
ما في الملكوت اي من السموات والجنان وما فيهن وفي الخصائص الصغرى
له ايضا ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على العرش
وكل سما والجنان وما فيها وساير ما في الملكوت اقول ولا يخالف
هذا اي ما تقدم عن ادم عليه السلام ما جاء على تقدير صحته ان ادم عليه السلام
لما نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان
الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله
مرتين قال ادم عليه السلام من محمد قال جبريل عليه السلام هو اخر ولدك
من الانبيا لجواز ان يكون ادم عليه السلام الاذان ليستثبت هل هو

محمد

محمد الذي راى اسمه مكتوبا واخبره بانه اخر الانبيا من ذريته وانه لولاه
ما خلقه واستشفع به او غير ذلك تامل و انما قلنا على تقدير صحته
لانه سياتي في بدء الاذان ان سند هذا الحديث مجاهيل وذكر صاحب
كتاب شفا الصدور في مختصره عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن
النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك
ما خلقت ارضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضرا ولا بسطت هذه الغبرا
وفي رواية عنه ولا خلقت سما ولا ارضا ولا طولا ولا عرضا ولهذا ابرد على
ابن ادريس القائل في مدحه صلى الله عليه وسلم . لولاه ما كان لا فلك ولا ملك
كلا ولا بان تحريم وتحليل . بان قوله لولاه ما كان لا فلك ولا ملك مثل هذا
يحتاج الى دليل لم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل عليه لكن قد يقال له بل
جا في السنة ما يدل على ذلك والله اعلم ومن ذلك ايضا ما حدث به بعضهم قال
غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق احمر مكتوب عليه
بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم رايت في جزيرة شجرة عظيمة
لها ورق كبير طيب الرايحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة
بينة واضحة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر
الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله
الاسلام وعن بعضهم قال دخلت بلاد الهند فرايت في بعض قراها
شجر ورد اسود ينفتح عن وردة كبيرة سودا طيبة الرايحة مكتوب عليها
بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق
فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فرايت فيها
كما رايت في ساير الورق وفي البلد منها شي كثير واهل تلك البلد يعبدون
الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت
بنا ريح ونحن في لجة بحر الهند فارسينا في جزيرة فرينا فيها وردا احمر زكي
الرايحة مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم

لا اله الا الله محمد رسول الله اهـ ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال رايت في بلاد
الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة
خضرا مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية
وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث هذا
وفي دليل للحصر للاقتصار على لا اله الا الله اي وحينئذ لا يكون شاهدا على
ما ذكرنا ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة ببعض
البلاد وهاؤ ورق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط اشد خضرة من لون
الورق لا اله الا الله محمد رسول الله وكان اهل تلك البلاد اهل اوثان
وكانوا يقطعونها ويحرقون اثرها فترجع الى ما كانت عليه في اقرب وقت
فاذابوا الرصاص وجعلوه في اصلها فخرج من حول الرصاص اربع فروع
على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون ويستشفون
بها من المرض ويخلقونها بالزعفران واطر الطيب ومن ذلك انه وجد
في سنة سبع او تسع وثمانمائة حب عنب فيها بخط بارع بلون اسود محمد
ومن ذلك ما ذكره بعضهم اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله
وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رايتها القيتها في النهر احتراما لها
ومن بعض اخر قال ركبت بحر الغرب ومعنا غلام معه سنارة فادلاها في
البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضا فنظرنا فاذا مكتوب بالاسود على اذنها
الواحدة لا اله الا الله وفي قفاها واذنها الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في
البحر ومن بعضهم انه ظهرت له سمكة بيضا واذا على قفاها مكتوب بالاسود
لا اله الا الله محمد رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لوزة خضرا فالقاها فاخذها النبي صلى الله
عليه وسلم فوجد فيها دودة خضرا مكتوب عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول
الله ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله
وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم

اقتان

اقتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تتلاحق حتى
اخذت ما بين الخافقين واحالت بين السماء والبلد وكان ذلك وقت الزوال الظهر حتى
السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر
فتاب كل من كان افتتن واسلم الكثير ممن كان بالبلد من اليهود والنصارى ومن
ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال البغوي في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال كان لوحا من ذهب اي وقيل لوحا من رخام مكتوب فيه عجبا لمن ايقن
بالموت اي بانه يموت كيف يفرح عجبا لمن ايقن بالحساب اي بانه يحاسب كيف
يضحك عجبا لمن ايقن بالقضا اي بان الامور بالقضا والقدر كيف يحزن عجبا
لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى
البيهقي وغيره عن عمر رضي الله عنه ان الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من
ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف ينصب اي يتعب
عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي لفظ لا اله الا الله محمد عبدي ورسولي وفي تفسير القاضي البيضاوي وعجبت لمن
يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق اي ان الله رازقه كيف
ينصب اي يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب
كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
اقول فقد يقال بجواز ان يكون ما ذكر اولا في احد وجهي ذلك اللوح وما ذكر
ثانيا في الوجه الثاني او ان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى
وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح ابيهما وكان تاسع اب لهما وقد قال محمد بن المنكدر
ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وعقبته التي هو فيها والدويرات
حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره ويذكر ان بعض العلوية هم هارون
الرشيد بقتله فلما دخل عليه اكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك
الله منه فقال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح ابيهما احفظني منه
لصلاح ابائي كذا في العرايس ومن ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال مكتوب

بين كتفي ادم عليه السلام محمد رسول الله خاتم النبيين اي ويذكر عن بعضهم
انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولود اعلى احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله
وعلى الاخر محمد رسول الله اي ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال ولد عندي في عام
اربعة وسبعين وستماية جدي اسود فرايته ببياض على شكل الدايرة وفيها مكتوب
محمد بخط في غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم قال شاهدت ببلدة من
بلاد افريقيه بالمغرب رجلا ببياض عينه اليمنى من اسفل مكتوب بعرق
احمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا
الله ببركته في كتابه لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية
وفي يوم كتابتي لهذا الموضع وانا متكلم من اعلام النبوة وفد لكن شخصا اتاني
براس خروف شواها واكلها وراى فيها مكتوبا بخط الى عل الجبين لا اله
الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشا قال
الشيخ عبد الوهاب فتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يتبهوا هذا الكلام
وقد يقال لعل الحكمة التاكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو المجانب لمقام
الضلالة والغواية وعن الزهري رحمه الله قال شخصت الى هشام بن عبد الملك
فلما كنت بالبلقا رايت حجرا مكتوبا عليه بالعبراني فارشدت الى شيخ يقراه
فلما قراه ضحك وقال امر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جا الحق من ربك بلسان
عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى ابن عمران باب
بيان خبر البعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه عن سمرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قال جا في بعض الروايات ان هذا الحجر
هو الحجر الاسود اي وقيل انه غيره وانه الذي في زقاق مكة يعرف بزقاق الحجر
اي ولعله غير الحجر الذي شاع التبرك به في زقاق المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكا عليه
بمرفقه وهو الذي يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذي به اثر الاصابع وزرقك .

انه صلى الله عليه وسلم حين اراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته
اي لحاجة الانسان ابعد حتى لا يرى بيتا ويفضي الى الشعاب وبطون
الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله
وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احدا انتهى والى ذلك
يشير صاحب الاصل بقوله لم يبق من حجر صلب ولا شجر والى ذلك يشير
ايضا صاحب الهمزية رحمه الله بقوله والجمادات افصحت بالذي
اخرس عنه لاحمد الفصحا اي والجمادات التي لا روح فيها نطقت بكلام
فصيح لا تلعثم فيه اي بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق
اهل الفصاحة والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم وعن علي رضي الله
عنه وكرم وجهه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها
فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله
والى تسليم الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله
وما جرت بالاحجار الا وسلمت عليك بنطق شاهد لعد بعثة الا وسلم بك
واما حديث عايشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وما
ذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول الله
قال تلك الشجرة ثم قال لها من انا قالت رسول الله فليس من المترجم له
وفي الحصا يسمع لها صوت وخص صلى الله عليه وسلم بتسليم الحجر وبكلام الشجر
وشهادتها له صلى الله عليه وسلم بالنبوة واجابتها دعوته وفي كلام السهيلي
رحمه الله يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا بحياة وعلم
ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلى كل هو علم من اعلام النبوة
وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي اكثر العقلا بل كلهم يقولون عن الجمادات
لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاهم عن نبي او ولي

انه حجر الملمد مثلا يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والامر
عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شي
يسمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم
واطال في ذلك وقال فذا اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك
حياة الجماد الا من شاء الله كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل في ذلك
لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا واسمعنا تسبيحها ونطقها
وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله
تعالى عز وجل ولولا ما عنده من العظمة لما اندك والله اعلم

باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق رحمه الله لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين
سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس اجمعين وكان الله
قد اخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر
على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من امن بهم وصدقهم اي فهم وامهم
من جملة امته صلى الله عليه وسلم كما سياتي عن السبكي رحمه الله فعن انس
ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على راس الاربعين
قال وهذا هو المشهور عند الجمهور من اهل السير والعلم بالاثر وقيل
بزيادة يوم وقيل بزيادة عشرة ايام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة
سنتين وهو شاذ واكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين
وما قيل انه بزيادة خمس سنين قال بعضهم والاربعين هي سن الكمال
ونهاية بعث الرسل اي لا يرسلون دونها ومن ثم قال في الكشاف
ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة هذا كلام الكشاف
واما ما يذكر عن المسيح عليه السلام انه رفع الى السما وهو ابن ثلاث او اربع
وثلاثين سنة اي ومعلوم انه اوحي اليه قبل ذلك فلو قال شاذ حكاه

وهب

١٦٠

وهب ابن منبه عن البيضاوي انتهى اي وجرى عليه غير واحد من المفسرين
بل قال في ينبوع الحياة لم يبلغنا ان احدا من المفسرين ذكر انه بلغ سنه
اذ رفع اكثر من ثلاث وثلاثين سنة هذا كلامه وفي الهدي واما ما يذكر عن
المسيح عليه السلام انه رفع الى السما وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف
به اثر متصل يجب المصير اليه هذا كلامه ويوافقه ما تقدم عن بعض المفسرين
ملخ العرايس ولما تمت له يعني عيسى عليه السلام ثلاثون سنة اوحى الله
اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال لهم ويداوي المرضى
والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين لهم ويدحرهم ففعل
ما امر به واظهر المعجزات فاحيى بقدرة الله تعالى عازر بعد ثلاثة ايام من موته
وكان عيسى عليه السلام يمشي على الماء وعبارة الجلال البوطي في قطعة
النفسير احيا عيسى عليه السلام عازر صديقا له وابن العجوز وابنة
العاشر وسام ابن نوح هذا كلامه وذكر البغوي قصة كل واحد فراجعه
ومكث في الرسالة ثلاث سنوات ثم رفع ولا يوافق ذلك قول ابن الجوزي وان
حديث ما من نبي الا نبي بعد الاربعين موضوع لان عيسى عليه الصلاة والسلام
نبئ ورفع الى السما وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة او نبئ وهو ابن ثلاثين سنة
ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قيل نبئ وهو طفل فاشتراط الاربعين
في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليس بشي هذا كلامه اي وفيه ان هذا بمجرده
لا يدل على وضع الحديث ويوافقه ايضا قول القاضي البيضاوي ونبئ نوح وهو ابن خمسين
سنة ويوافقه ايضا قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة
قصة سيدنا يحيى صلوات الله وسلامه عليه بنا على ان الحكم في قوله تعالى واتيناه
الحكم صبيا النبوة لا الحكم وفهم التورية كما قيل بذلك بل الحكم اي عقله في صباه
واستنباه قيل كان ابن سنتين او ثلاث ولما ولي الخلافة المقتدر وهو
غير بالغ صنف الامام الصولي له كتابا فيمن ولي الامر وهو غير بالغ واستدل
على جواز ذلك بان الله تعالى بعث يحيى ابن زكريا نبيا وهو غير بالغ وذكر

في كل من استعمله النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة قال بعضهم ولو كتاب
حسن فيه فوائد كثيرة وكان ذبح يحيى عليه السلام قبل عيسى عليه السلام
بسنة ونصف سنة ومما يدل على ما تقدم عن الهدى اي من ان
ان عيسى رفع وله ثلاث وثلاثون سنة قول بعضهم الاحاديث الصحيحة
تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة من تلك الاحاديث قوله
صلى الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة رضي الله عنها اخبرني جبريل
انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي قبله واخبرني ان عيسى بن مريم عليه
السلام عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على راس الستين وفي
الجامع الصغير ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي قبله وعلى كونه
كل نبي عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله يشكل ان نوحا عليه السلام
كان اطول الانبياء عمرا اوصى ثم قبل لاكبر الانبياء وشيخ المرسلين وهو اوله
من تنشق عنه الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ثم رايت ان الحافظ الهيثمي
ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي الذي قبله
وقال العماد ابن كثير انه غريب جدا وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع
رجال من اصحابه يحرسونه اي ينتظرونه فراغه من الصلاة لان
نزول والله يعصمك من الناس كان قبل هذا حتى اذا صلى وانصرف
اليهم قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد قبلي قبلي
زاد في رواية لا اقولهن فخرا اما اولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة
اي في زمنه وغيرهم من تقدم او تاخر اي والشجر والحجر الى اخرها بابي وكان
من قبلي وفي لفظ وكان كل نبي انما يرسل الى قومه اي جميع اهل زمنه
او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح عليه السلام فانه كان مرسلا لجميع
من كان في زمنه من اهل الارض ولما اخبر بانه لا يؤمن منهم الا من قد امن معه
وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين اربعين رجلا واربعين امراة وفي عوارف

المعارف

المعارف اصحاب السفينة كانوا ثمانين وقد يقال من الاوصيت وغيرهم فلاجل
مخالفة دعا عليهم علامة ذكر باستيصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي
كان به هلاك جميع اهل الارض الا من امن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعا عليهم
بسبب مخالفتهم له في عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين اي في الدنيا
حتى نبعث رسولا وقد ثبت ان نوحا عليه السلام اول الرسل اي لمن يعبد
الاصنام لان عبادة الاصنام اول ما حدثت في قومه وارسله الله اليهم
ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون اول الرسل عليهم الصلاة والسلام
ادم عليه السلام ارسله الله الى اولاده بالايمان به تعالى وتعليم شرائعه
وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حوا في الجنة لان الله تعالى امره
ان يامرها وينهاها في ضمن اخباره بامره ونهيه بقوله تعالى يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
وذلك يعني الارسال لها كما ادعاه بعضهم فعلم ان عموم رسالة نوح لجميع
اهل الارض في زمنه لا ينافي عموم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان عموم
الرسالة عامة حتى لمن يوجد بعد زمنه وحينئذ فيسقط السؤال وهو
انه لم يبق بعد الطوفان الا المؤمنون فصارت رسالة نوح عليه السلام عامة
ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذي حصل بعد
الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرا بعد الطوفان بخلاف رسالة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قيل كان بين الدعوة والطوفان مائة عام
وقد حققنا فيما سبق ان ادم عليه السلام ومن بعده دعا الى الايمان بالله
وعدم الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يبق في الارض نوح عليه السلام
ومن بعده واما قول اليهود او بعضهم وهم العيسوية طائفة من اليهود
اتباع عيسى الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة
دون بني اسرائيل او انه صادق ففاسد لانهم اذا سلموا انه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانه صادق لا يكذب لزمهم التناقض لانه ثبت بالتواتر

عنه انه رسول الله لكل الناس اقول قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لانه لا يدل على اختصاص رسالته عليهم
بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه اولا ثم يبلغ الشاهد الغايب
ويحصل الافهام لغير اهل تلك اللغة من الاعاجم بالتراجم الذين
ارسلهم اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة وان كان هو وكتابه
عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مبعوثين
لبني اسرايل بكتابيهما العبراني وهو التوراة والسرياني وهو الانجيل
مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية
كالاروام فان لغتهم اليونانية والله اعلم واشار صلى الله عليه وسلم
الى الثانية من الخمس بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان
بيني وبينه مسيرة شهر اي امامه وخلفه بما لا مني رعبا اي بقذف
الرعب في قلوب اعدايه وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده
وبين احد من اعدايه اي المحاربين له اكثر من شهر اي وجاءت
سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ذهب هو وجنده من الانس
والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح كل يوم خمسة الاف ناقة وخمسة
الاف ثور وعشرين الف شاة لان مسلحة جنده عليه السلام كانت
مائة فرسخ فقال لمن حضر من اشراف جنده هذا مكان يخرج منه
نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر
القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه في الله لومة لايم
قالوا فباي دين يا نبي الله يدين قال يدين الحنيفية فطوبى لمن امن
به قالوا كم بين خروجه وزماننا قال مقدار الف عام واشار صلى
الله عليه وسلم الى الثالثة بقوله واحلت لي الغنايم كلها وكان من قبلي
اي من امر بالجهاد منهم لا يعطونها ويحرمونها اي لانهم كانوا يجمعونها

اي

وقف على طلبة العلم بالازهر

اي والمراد ما عدا الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات
تكون ملكا للغانمين دون الانبيا ولا يجوز للانبيا اخذ شي من ذلك بسبب الغنيمة
كذا في الوفا وجا في بعض الروايات واطعمت امتي الفي ولم احلها لامة قبلها اي
والمراد بالفي ما يعم الغنيمة كما انه قد يراد بالغنيمة ما يعم الفي هذا وفي بعض
الروايات وكانت الانبيا عليهم الصلاة والسلام يعزلون الخمس فتجيء النار اي
نار بيضا من السما فتاكله اي حيث لا غلول وامرت ان اقسمه في فقرا امتي
وفي تكملة تفسير الجلال السيوطي لتفسير الجلال المحلي ان ذلك لم يعهد
في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ولعله لم يكن ممن امر بالجهاد فلا يخالف ما
سبق واشار صلى الله عليه وسلم الى الرابعة بقوله وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا اي ما ادركتني الصلاة تمسحت اي تيممت حيث لا ما وصليت فلا
يختص السجود منها بموضع دون غيره وكان من قبلي يعظمون ذلك اي
الصلاة في اي محل ادركتهم فيه انما كانوا يصلون في كنايسهم وبيعهم اي
ولم يكن احد منهم من الانبيا عليهم الصلاة والسلام يصلي حتى يبلغ محرابه
وجا في تفسير قوله تعالى واختار موسى قومه الايات من الماثور ان الله تعالى
قال لموسى اجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله تعالى قد جعل لكم الارض
مسجدا قالوا لا نريد ان نصلي الا في كنايسنا فعند ذلك قال الله تعالى
ساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة الى قوله المفلحون اي وهم امة
محمد صلى الله عليه وسلم وفيه انه قيل كان عيسى يسيح في الارض يصلي حيث
ادركته الصلاة فيحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما تقدم من قوله لم يكن
احد من الانبيا يصلي حتى يبلغ محرابه الا ان يقال لا يصلي مع امته
الا في محرابه واما عيسى عليه السلام فخص بانه يصلي حيث ادركته الصلاة
وسياتي في الخصايص الكلام على ذلك واشار صلى الله عليه وسلم الى الخامسة
بقوله قيل لي سل فان كل نبي قد سال فاخرت مسالتي الى يوم القيامة

فمن يكم ولمن يشهد ان لا اله الا الله وهي لاخراج من في قلبه ذرة من الايمان
ليس له عمل صالح الا التوحيد اي لاخراج من ذكر من النار لان شفاعة غيره
صلى الله عليه وسلم تقع فيمن في قلبه اكثر من ذلك قاله القاضي عياض اي وقد
جاء في بيان من يشفع باذن الله في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد الا
شفع وفي رواية ثم يشفع الملايكة والنبيون والشهداء والصالحون والمومنون
فيشفعهم الله تعالى وقد جاء ان اول شافع جبريل عليه السلام ثم ابراهيم ثم موسى
ثم يقوم نبيكم رابعا لا يقوم بعده احد فيما يشفع فيه وفي الحديث الى تحت
العرش فاخر ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع
فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه
مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان وفي لفظ حبة من خردل وفي لفظ ادنى
ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فاخرجه اي من النار فانطلق فافعل
اي فاخرجه من النار وادخله الجنة وله صلى الله عليه وسلم شفاعة قبل هذه
في ادخال اهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط فوفي الحديث فاذا دخلت الجنة
فنظرت الى ربي خررت ساجدا فيما اذن الله لي في حمده وتمجيده ثم يقول
ارفع راسك يا محمد واشفع تشفع واسال تعطه فاقول يا رب شفعني
في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة فياذن الله تعالى لي في الشفاعة الى اخر ما
تقدم ومن هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار انما يكون
منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة كما تقدم من قوله اي تحت العرش
فاخر ساجدا الخ انما ذلك في الشفاعة في الموقف التي هي الشفاعة
في فصل القضا فهذا خلط من بعض الرواة اي خلطوا الشفاعة في
الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضا بالشفاعة بعد مجاوزة
الصراط في دخول اهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد دخول الجنة
في اخراج اهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضا
هي المشار اليها في قوله صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة

نعم

نعم قال ابن دقيق العيد رحمه الله الاقرب ان اللام فيها للعهد والمراد
الشفاعة العظمى في اراحة الناس من هول الموقف اي وهذا هو المقام
المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون والاخرون المعني بقوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على
عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة العظمى في فصل القضا فلام
الخصام الى ان اقتتلوا فقتل كثيرون وهذه الشفاعة احدى
الشفاعات الثلاث المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم لي عند ربي
ثلاث شفاعات وعدنيهن وفي كلام بعضهم له صلى الله عليه وسلم
تسع شفاعات اخر غير فصل القضا جرى في اختصاصه ببعضها
خلاف وهي الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب ولا عقاب
قال النووي وجماعة هي مختصة به والشفاعة في اناس استحقوا دخول
النار فلا يدخلونها قال القاضي عياض وغيره ويشركه فيها من يشا الله
والشفاعة في اخراج من ادخل النار من الموحدين وفي قلبه مثقال ذرة
من ايمان وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في اخراج من ادخل
منهم النار وفي قلبه ازيد من ذلك من ايمان ويشاركه فيها الانبيا والملايكة
والمومنون وظاهر هذا السياق ان المراد من في قلبه مثقال ذرة من
ايمان الخ عام في امته وغيرهم من الامم ولو خالف قول بعضهم جا في
الصحيح فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله اي ومات على ذلك
قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريايي وعظمتي لاخرجن من
النار من قال لا اله الا الله ولا يشكل قوله صلى الله عليه وسلم
اتاني ات من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي وفي رواية
ثلثي امتي الجنة اي بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة وهي لمن مات
لا يشرك بالله شيا فاخترت الشفاعة وعلمت انها اوسع لهم لانا نقول

المراد بالذين تنالهم شفاعته صلى الله عليه وسلم ممن مات لا يشرك بالله شيئا خصوص
امته واما من قبيل لا فيه لبس في ذلك لكن فيهم الموحدون من الامم السابقة
فليتامل مع ما سبق من شفاعة الانبيا والملايكة والمومنين والشفاعة
في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز النووي رحمه الله اختصاصها
به صلى الله عليه وسلم والشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار
كابي طالب وابي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب والشفاعة لمن
مات بالمدينة الشريفة ولعل المراد انه لا يحاسب وقد اوصل ابن القيم
رحمه الله شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى اكثر من عشرين شفاعة وفي رواية
اعطيت ما لم يعطه احد من الانبيا نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض
الخ وفي لفظ وبينا انا نايم رايتني اوتيت مفاتيح خزاين الارض فوضعت
بين يدي ولا منافاة لانه يجوز انه اعطي ذلك يقظة لعدات اعظم منا ما
وسميت احمد اي ومحمدا اي لان احدا من الانبيا لم يسم بذلك فهو من
خصايصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة للانبيا كذا في الخصايص الصغرى
وتقدم ان التسمية باحمد من خصايصه صلى الله عليه وسلم على جميع
الناس وفي وصفه صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه
الصلاة والسلام اني عبد الله الاية وقول سليمان عليه الصلاة والسلام
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء قيل لذكر العلما ما قيل في كتبهم
وهو ماخوذ من قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم
التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد وصعد سيدنا عمر رضي الله عنه المنبر فقال الحمد لله
الذي صيرني ليس فوقي احد ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت
ذلك اظهارا للشكر وعن سفيان الثوري رحمه الله من لم يتحدث بنعمة
الله فقد عرضها للزوال والحق في ذلك التفصيل ومدار ان من خاف من

التحدث

١٦٤

التحدث بالنعمة واظهارها الريا فعدم التحدث بها واظهارها اولى
اي وفي الشفا انه صلى الله عليه وسلم احمد المحمودين واحمد الحامدين
ويوم القيمة يحمده الاولون والاخرون لشفاعته لهم فحقيق ان يسمى
محمدا واحمد وتقدم ان هذا يوافق ما تقدم عن الهدي ان احمد ماخوذ
من الفعل الواقع على المفعول وقد جا انا محمد وانا احمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب الذي ليس بعدي نبي وجعلت امتي خير الامم قال القاضي البيضاوي
وفي التسمية بالاسما الغريبة تنويه الى تعظيم المسمى هذا كلامه وفي
رواية لما اسري بي الى السما قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين
او ادنى قيل لي قد جعلت امتك اخر الامم لافضح الامم عندهم اي يوقفهم
على اخبارهم ولا افضحهم عند الامم اي لتاخرها عنهم وعليه فالضمير
في ذلك يعود اليه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ان ذلك قيل لابن عباس
عن [illegible] تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم اي فالضمير في ذلك الى اخره يعود الى
الله تعالى وهو معنى لطيف وفي رواية نحن الاخرون من اهل الدنيا
والاولون يوم القيمة المقضي بهم قبل الخلايق وفي رواية نحن اخر الامم
واول من يحاسب تفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثر الطهور
وفي رواية من اثار الوضو فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبيا كلها
هذا وفي رواية غرا من اثر السجود محجلين من اثر الوضو وفي رواية فضلت
على الانبيا بست ولا مخالفة بين ذكر الخمس اولا وبين ذكر الست
هنا لانه يجوز ان يكون اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على
الباقي هذا على اعتبار مفهوم العدد اشار صلى الله عليه وسلم الى بيان
الست بقوله اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم
وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة والخلق

يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال الجلال السيوطي
وهذا القول اي ارساله للملائكة رجحته في كتاب الخصائص وقد رجحه
قبلي الشيخ تقي الدين السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبيا والامم السابقة
من لدن ادم الى قيام الساعة ورجحه ايضا البارزي وزاد انه مرسل الى جميع
الحيوانات والجمادات وازيد على ذلك انه مرسل الى نفسه وذهب جمع الى انه
لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح والجلال
المحلي في شرح جمع الجوامع وصرح عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي
في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره فيه الاجماع هذا كلامه وهذا
الذي افتى والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم
ارسلت للخلق كافة وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص
او الذي اريد به الخصوص ولا يشكل عليه احد بن سماعن اذا كان الرجل
في ارض فاقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون
بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز ان يكون ذلك صادرا عن تبعية
اليهم ولا يشكل ما ورد بعثت الى الاحمر والاسود لما تقدم ان المراد
بذلك العرب والعجم وفي الشفا وقيل الحمر الانس والسود الجان واستدل
للقول الاول القائل بانه ارسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم اي
من الملائكة اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهي انذار للملائكة عليهم
السلام على لسانه صلى الله عليه وسلم في القران الذي انزل عليه فثبت
بذلك ارساله اليهم ودعوى الاجماع منازع فيها فهي وغيره غير مسموعة
ثم رايت الحافظ الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر نبذة
ادلة يفهم منها لا تثبت المدعى الذي هو ان الملائكة مكلفون بشريعته
لا تخفى على من اذاقه نوع فهم بالوقوف عليها نعم انه صلى الله عليه وسلم
مرسل لجميع الانبيا واممهم على تقدير وجوده في زمنهم لان الله تعالى اخذ عليهم
وعلى

وعلى اممهم الميثاق على الايمان به ونصرته مع بقائهم بنبوتهم ورسالتهم
الى اممهم فنبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم اعم واشمل وتكون شريعته
بالنسبة الى اولئك الامم ما جاءت به انبياؤهم لان الاحكام والشرائع تختلف
باختلاف الاشخاص والاوقات قال السبكي رحمه الله اي لجميع الانبيا
واممهم من جملة امته عليه الصلاة والسلام فقد قال صلى الله عليه وسلم
لعمر ابن الخطاب والذي نفسي بيده لو ان موسى عليه السلام كان حيا
ما وسعه الا ان يتبعني واخرج احمد وغيره عن عبد الله بن ثابت
قال جاء عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني مررت باخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة الا اعرضها عليك
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه رضيت
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فسري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو اصبح فيكم موسى
ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين وفي النهر
لابي حيان رحمه الله ان عبد الله ابن سلام استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة في الصلاة من الليل فلم
ياذن له وكون جميع الانبيا واممهم من امته صلى الله عليه وسلم والمراد
امة الدعوة لا امة الاجابة لانها مخصوصة بمن امن به صلى الله عليه وسلم
بعد البعثة على ما تقدم وبالى ولبعثته صلى الله عليه وسلم رحمة حتى
للكفار بتاخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى
للملائكة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد ذكر في الشفا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام يا جبريل هل اصابك من
هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله علي في
القران بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين قال الجلال

السيوطي ان هذا الحديث لم يقف له على اسناد فهو صلى الله عليه وسلم افضل
من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين وفي لفظ اخر فضلت على الانبيا
بست لم يعطهن احد قبلي غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر واحلت لي
الغنايم وجعلت امتي خير الامم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واعطيت
الكوثر ونصرت بالرعب والذي نفسي بيده ان صاحبكم لصاحب لوا الحمد
يوم القيمة ادم فمن دونه وفي رواية فما من احد الا وهو تحت لواي يوم
القيمة ينتظر الفرج وان معي لوا الحمد انا امشي ويمشي الناس معي حتى اتي
باب الجنة الحديث **اقول** قد سيلت عما حكاه الجلال السيوطي انه ورد ال
مصر نصراني من القبط وقال لي بمهنة ان ازوجها فعقد له مجلس بدار الحديث
بالكاملية وراس المجلس لها اذ ذاك الشيخ عز الدين ابن عبد السلام
فقال له النصراني والناس يسمعون اي افضل عندكم المتفق عليه
او المختلف فيه فقال الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له النصراني قد
اتفقنا نحن وانتم على نبوة عيسى عليه السلام واختلفنا في نبوة محمد
فيلزم ان يكون عيسى عليه السلام افضل من محمد صلى الله عليه وسلم فاطرق
الشيخ عز الدين ساكتا من اول النهار الى الظهر حتى ارتج المجلس وانقطع
اهله ثم رفع الشيخ عز الدين راسه وقال عيسى قال لبني اسرايل ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فيلزمك ان تتبعه فيما قال وتومن
باحمد الذي بشر به فاقام الحجة على النصراني واسلم بانه كيف اقام الحجة
على كون محمد صلى الله عليه وسلم افضل من عيسى اذ غايته ما ذكر ان محمدا
رسول الله فلعل يجاب بانه حيث ثبت ان محمدا رسول الله وجب الايمان به
وبما جا به ومما جا به واخبر به انه افضل من جميع الانبيا وقد سيل
ابو الحسن الحال بالحا المهملة من فقهائنا معاشر الشافعية محمد وموسى
ايهما افضل فقال محمد فقيل له ما الدليل على ذلك فقال انه تعالى

ادخل

ادخل بينه وبين نجواه كلام الملك فقال واصطنعتك لنفسي وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرق
بين من اقام بوصفه وبين من اقامه مقام نفسه والله اعلم
وفي رواية اذا كان يوم القيمة كان لي لوا الحمد وكنت امام المرسلين
وصاحب شفاعتهم وفي لفظ الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا
الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر على الله
اي وفي رواية اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح اي يحرك حلقة الباب
او قرعه لا بصوت فيقول الخازن اي وهو رضوان من انت فاقول
محمد وفي رواية انا محمد فيقول بك امرت لا افتح وفي رواية ان لا افتح لاحد
قبلك زاد في رواية ولا اقوم لاحد بعدك لا افتح له **فمن** خصايصه
صلى الله عليه وسلم ان رضوان لا يفتح الا له ولا يفتح لغيره من الانبيا
وغيرهم وانما يتولى ذلك غيره من الخزنة وفي خصوصية عظيمة نبه
عليها الخيضري رحمه الله **وكون** الفاتح له الخازن لا ينافي ما قبله من كون
الفاتح له الحق سبحانه لما علم ان الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقي
وفي رواية انا اول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلق الجنة فيقول
من هذا فيقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار فاخر له ساجدا اي فالكلام
في يوم القيمة فلا يرد اولويته باعتبار ان دخوله الجنة مترتب على فتح الباب
غالبا الان ذلك قبل يوم القيمة وفي القيمة يخرج الى الموقف فيكون مع امته
للحساب **ولا** ينافيه ما جا ان اول من يقرع باب الجنة بلال ابن حمامة رضي
الله عنه على تقدير صحته لانه يجوز ان يكون يقرع الباب الاصلي الا
حلقة الباب او الاول من الامة والله اعلم **وفي** الاوسط للطبراني
باسناد حسن حرمت الجنة على الانبيا حتى ادخلها وحرمت على الامم
حتى تدخلها امتي وسياتي ان هذا من جملة ما اوحي اليه ليلة المعراج

الذي اشار اليه قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى ولعل هذا هو المراد
مما جا في المرفوع عن ابن عباس رضي الله عنهما حرمت الجنة على جميع الامم حتى
ادخلها انا وامتي وان ظاهرها من انه لا يدخلها احد من الانبيا الا بعد
دخول هذه الامة ليس مرادا وفي هاتين الروايتين منقبة عظيمة
لهذه الامة المحمدية وهي انه لا يدخل الجنة احد من الامم السابقة
ولو من صلحايها وعلمايها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب في النار
من عصاة هذه الامة بنا على انه لا بد من تعذيب طايفة من هذه الامة
في النار ولا بعد في ذلك لانه تقدم اول من يحاسب من الامم هذه الامة
فيجوز ان الامم لا يفرغ حسابهم ولا ياتوا الى باب الجنة الا وقد خرج من
كان يعذب من هذه الامة في النار ودخل الجنة وجا انه يدخلها قبله
صلى الله عليه وسلم من امته سبعون الفا مع كل واحد سبعون الفا لا حساب
عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من يدخل الجنة
الا ان يقال اول من يدخل الجنة من الباب وهولا السبعون الفا ورد
انهم يدخلون من اعلاها بطيرانهم في الجنة فلا معارضة ولا يعارض ذلك
ايضا ما جا اول من يدخل الجنة ابو بكر رضي الله عنه لان المراد اول من
يدخلها من رجال هذه الامة غير الموالي ولا يعارض ذلك ما تقدم عن بلال
انه اول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم
ان القرع كناية عن الدخول فالمراد من الموالي ولا يعارض
ذلك ايضا ما جا اول من يدخل الجنة بنتي فاطمة لانه لا يخفى ان المراد اول
من يدخلها من نسا هذه الامة فالاولية اضافية وجا لا تشغلن يوم
القيمة لاكثر ما في الارض من حجر وشجر وعن انس رضي الله عنه فضلت
على الناس باربع بالسخا والشجاعة وقوة البطش وكثرة الجماع
اي جنس سلمى رضي الله عنها مولاته صلى الله عليه وسلم ما وقع له صلى الله
عليه

عليه وسلم انها قالت طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسايه التسع
ليلة وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب
وما يدل على قوة بطشه صلى الله عليه وسلم ما وقع له صلى الله عليه وسلم مع ركانة
كما سياتي وفي الخصايص الصغرى وكان اخشى العالمين فهو صلى الله
عليه وسلم اجود بني ادم على الاطلاق كما انه افضلهم واشجعهم واعلمهم
واكملهم في جميع الاخلاق الجميلة والاوصاف الحميدة قال ابن عبد السلام
ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اخبره بالمغفرة اي بما
تقدم وتاخر ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بمثل ذلك اي ولانه لو وقع لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله
بل ومما اختص به صلى الله عليه وسلم وقوع غفران نفس الذنب المتقدم
والمتاخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما اختص به عن الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر اي ولا ينافي
ذلك قوله تعالى في حق داود فغفرنا له ذلك لانه غفران الذنب واخذ قال
ابن عبد السلام بل الظاهر انه لم يخبرهم اي بغفران ذنوبهم بدليل قولهم في
الموقف نفسي نفسي الى اخره وعن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سمع بي من يهودي او نصراني ثم لم يسلم دخل النار اي
لانه يجب عليه ان يومن به صلى الله عليه وسلم اقول والذي في مسلم
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي او نصراني
ثم يموت ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار اي من سمع
بنا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود في زمنه وبعده الى يوم القيمة ثم مات
غير مومن بما ارسل به كان من اصحاب النار اي ومن جملة ما ارسل به
انه ارسل الى الخلق كافة لا لخصوص العرب تامل وانما خص اليهود والنصارى

بالذكر تنبيها على غيرها لانه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم
ممن لا كتاب له كالمجوس اولى لان اليهود كتابهم التوراة والنصارى كتابهم
الانجيل لان شريعة التوراة التي هي شريعة موسى يقال لها اليهودية اخذا
من قول موسى عليه السلام انا هدنا اليك اي رجعنا اليك فمن كان على
دين موسى عليه السلام يسمى يهوديا وشريعة الانجيل يقال لها النصرانية
اخذا من قول عيسى من انصاري الى الله فمن كان على دين عيسى عليه السلام
يسمى نصرانيا وكان ابن عباس ان يقال له النصارى وقيل النصراني
نسبة الى ناصرة قرية من قرى الشام نزل بها عيسى عليه السلام كما تقدم
ولا مانع من رعاية الامرين في ذلك وجا في رواية وجعلت صفوفنا كصفوف
الملائكة اي والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل واحد على حدته
وان امته صلى الله عليه وسلم حط عنها الخطا والنسيان وحمل ما لا تطيقه
الذي اشارت اليه خواتيم سورة البقرة وان شيطانه اسلم وفي الخصائص
الصغرى واسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع عشرة خصلة قال
الحافظ ابن حجر ويمكن انه يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وذكر
ابو سعيد النيسابوري رحمه الله في كتابه شرف المصطفى انه عدد
الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبيا فاذا هي ستون
خصلة اي ومن ذلك اي مما اختص به صلى الله عليه وسلم في امته ان وصف
الاسلام خاص بهم لم يوصف به احد من الامم السابقة سوى الانبيا
فقط فقد شرفت هذه الامة المحمدية بان وصفت بالوصف الذي كان
يوصف به الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا الاسلام على القول الراجح
تعالى ولولا ما قام عليه من الادلة الساطعة قاله الجلال السيوطي رحمه
الله باب بدء الوحي له صلى الله عليه وسلم عن عائشة

رضي الله

١٦٨

رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين
اراد الله تعالى به كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة لا يرى رؤيا
الا جاءت كفلق اي مثل فلق كتفرق الصبح اي كضيايه وانارته فلا يشك
احد في وضوح ضيا الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يرى شيئا في المنام
الا كان اي وجد في اليقظة كما راى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد
جاء في رواية البخاري في التفسير اي ولا يخفى ان رؤيا النبي صلى الله
عليه وسلم كلها صادقة وان كانت شاقة كما في رؤياه صلى الله عليه وسلم في
يوم احد كما قال القاضي وغيره وانما ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالرؤيا لئلا يفجاه الملك الذي هو جبريل عليه السلام بالنبوة اي الرسالة
فلا يتحملها القوى البشرية اي لان القوى البشرية لا تحتمل رؤية الملك
وان لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر
به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تانيسا له فالمراد بالملك جبريل لكن ذكر
بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا عدم رؤيتنا الملائكة اي على الصورة
التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على احسن صورة فلو كنا نراهم لطارت اعيننا
وارواحنا لحسن صورهم وعن علقمة بن قيس اول ما يؤتى به الانبيا في المنام
اي ما يكون في المنام حتى تهدى قلوبهم ثم ينزل الوحي انتهى اي في اليقظة
لان رؤيا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحي وصدق وحق لا اضغاث احلام
ولا تخيل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه
في المنام له حكم اليقظة لجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون الا حقا وسيئا
ثم جا نحن معاشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا اقول وحينئذ
يكون في القول بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع انواع الوحي
الثلاثة له وعد منها الرؤيا في المنام وعد منها الكلام من غير واسطة
وبواسطة جبريل عليه السلام نظر لما علمت ان الانبيا جميعهم مشتركون في الرؤيا

وموسى عليه الصلاة والسلام حصل له كل من الكلام بلا واسطة وبواسطة
جبريل عليه السلام وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة اشهر قال فيكون
ابتداء الرؤيا حصل في شهر ربيع الاول وهو مولده صلى الله عليه وسلم
ثم اوحي اليه في اليقظة اي في رمضان ذكره البيهقي وغيره وجاء في الحديث
الرؤيا الصادقة وفي البخاري الرؤيا الحسنة اي الصادقة من الرجل الصالح
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال بعضهم معناه ان النبي صلى الله
عليه وسلم حين بعث اقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين
يوحى اليه فمدة الوحي اليه في اليقظة ثلاثة وعشرون سنة ومدة
الوحي اليه في المنام اي التي هي الرؤيا ستة اشهر فالمراد خصوص
رؤيته وخصوص نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا القيل نقله في الهدي
وافره حيث قال وقيل كانت الرؤيا ستة اشهر ومدة النبوة ثلاثة وعشرين
سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا هذا كلامه وحينئذ يكون
المعنى ورؤيتي جزء من ستة واربعين جزءا من نبوتي ولا يخفى ان هذا لا يناسب
الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح اذ ما يقتضي ان مطلق الرؤيا الصالحة
جزء من مطلق النبوة الشامل لنبوته ونبوة غيره فليتأمل ولم اقف في كلام
احد على عدة احد من الانبياء له صلى الله عليه وسلم في هاتين المدتين
وحينئذ يحتمل الخصوصية التي ادعاها بعضهم على هذا ومما يدل
على انه المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته
صلى الله عليه وسلم ما جاء في ذلك من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا ففي
رواية انها جزء من خمسين جزءا من النبوة وفي رواية من تسعة واربعين
وفي اخرى انها جزء من سبعين جزءا وفي رواية من اربعة واربعين جزءا
وفي رواية انها جزء من خمس جزءا من النبوة وفي رواية من تسعة
واربعين وفي اخرى انها من ستة واربعين وفي اخرى من خمسة واربعين

وعشرين

١٦٩

وعشرين جزءا وفي اخرى من ستة وعشرين جزءا وفي اخرى من اربعة وعشرين
فان ذلك باعتبار الاشخاص لتفاوت مراتبهم في الرؤيا وذكر الحافظ
ابن حجر ان اصح الروايات مطلقا رواية ستة واربعين ويليها رواية
انها جزء من سبعين جزءا فعلم ان الرؤيا المذكورة جزء من مطلق النبوة
اي كجزء منها من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينافي انقطاع النبوة
بموته صلى الله عليه وسلم فهي ثم جاء ذهبت النبوة اي لا نبوة بعدي وبقيت
المبشرات اي المرائي اي التي هي مبشرات فلا ينافي بالنبوة بدليل ما في
رواية لم يبق بعدي من المبشرات اي مبشرات النبوة الا الرؤيا اي بمجرد
الرؤيا الخالية عن شيء من مبشرات النبوة بدليل ما في لفظ لم يبق الا الرؤيا
الصالحة يراها المسلم او ترى له لا انها الا الرؤيا الصادقة تكون من الله وعند
اولاده وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم الا ان نقول لو فرض وقوع ذلك
كان استدراجا وفيه انها واقعة وظاهر سياق الحديث الحصر وكما يكون
الرؤيا مبشرة بخير عاجل او آجل تكون منذرة بشر كذلك قال بعضهم
وقد تطلق البشارة التي هي الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي
الخبر الضار لعموم المجاز بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخبر لان النذارة
ربما قادت الى الخير وفي الاتقان ومن المجاز تسمية الشيء باسم ضده نحو
فبشرهم بعذاب اليم انتهى اي وهي في هذه الاية للتهكم وجاء رجل اي
وهو ابو قتادة الانصاري رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني ارى في المنام الرؤيا تمرضني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رأيت الرؤيا تكرهها
فاستعذ بالله من الشيطان واتفل عن يسارك ثلاث مرات فانها لا تضرك
اي وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره وفي رواية اذا رأى احدكم
ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان كان يقول اعوذ بالله من شر

وذكر

ما راى من الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره
زاد في رواية وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه زاد في اخرى وليقم فليصل
اي يكون تفعل ذلك سببا للسلامة من المكروه الذي راه وفي البخاري
اذا راى احدكم الرويا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها
ولا يخبر بها الا من يحب واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان
اي لا حقيقة لها وانما هو تخييل يقصد به تخويف الانسان والتهويل
عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي الاذكار
ثم يقول اللهم اني اعوذ بك من عمل الشيطان وسيات الاحلام وفي الحديث
الرويا من الله والحلم من الشيطان قيل في معناه لان صاحب الرويا يرى
الشي على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ما هو عليه
فان الحلم ماخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرويا قيل انها امثلة يدركها
الراي بجزء من القلب لم يستول عليه افة النوم واذا ذهب النوم عن اكثر
القلب كانت الرويا اضغاث وذكر الفخر الرازي ان الرويا الردية يظهر
تعبيرها اي اثرها عن قرب والروية الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين
والسبب فيه ان حكمة الله تعالى تقتضي ان لا يحصل الاعلام بوصول
الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم اقل واما الاعلام
بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى يكون البهجة
الحاصلة بسبب توقع حصول ذكر الخير اكثر وهذا يجري على ما هو الغالب
والا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتاخر الرويا فقال راى النبي صلى الله عليه وسلم
في منامه كان كلبا ابقع يلغ في دمه فكان اي ذلك الكلب الابقع شمر قاتل
الحسين وكان ابرص فكان تاخر الرويا بعد خمسين سنة وجاء عن عمرو بن
شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها اذا خلوت
سمعت نداء ان يا محمد يا محمد وفي رواية ارى نورا اي يقظة لا مناما

واعم



١٧١

واسمع صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا امر وفي رواية والله ما ابغضت
بغض هذه الاصنام شيا قط ولا الكهان واني لاخشى ان اكون كاهنا اي فيكون
الذي يناديني تابع من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها
والكاهن ياتيه الجني بخبر السما وفي رواية واخشى ان يكون بي جنون اي لمة
من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله يفعل ذلك بك فوالله انك لتودي
الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك كريم اي فلا
يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله عنها بما فيه من الصفات
العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك
لا يجري الا خيرا ونقل الماوردي رحمه الله عن الشعبي رحمه الله ان الله
قرن اسرافيل عليه السلام بنبينا ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى
شخصه يعلمه الشي بعد الشي ولا يذكر له القران فكان في هذه
المدة مبشرا بالنبوة وانما هذه المدة لتاهب لوحيه وفيه انه لو كان
في تلك المدة مبشرا بالنبوة لما قال لخديجة ما تقدم الا ان يقال ما تقدم
انما قاله لخديجة في اول الامر ويدل لذلك ما قيل انه مكث خمسة عشر
سنة يسمع الصوت احيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين يرى نورا ولم
ير شيا غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر من تلك
المدة التي هي اثنان وعشرون سنة وهذا ينافي الذي كان يعلمه اسرافيل
لم اقف على ما هو والله اعلم وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التي
يكون فيها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق فيها تفريغ القلب عن اشغال
الدنيا ودوام ذكر الله تعالى فيصفوا ويشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شي احب
اليه من ان يخلوا وحده وكان يخلوا بغار حرا بالمد والقصر وهذا الجبل هو
الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الي يا رسول الله لما قال له
ثبير وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب

فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث اي يتعبد ابي تعالى الليالي ذوات
ويروى اولات العدد مع ايامها وانما غلب الليالي لانها انسب بالخلوه
قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث
ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان او غيره وفي كلام بعضهم ما قد يدل
على انه لم يتخلل اقل من شهر وحينئذ يكون قوله في الحديث الليالي ذوات العدد
محمول على العدد الذي كان صلى الله عليه وسلم يتزود له فاذا فرغ زاده
رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم الشهر وكذا قول بعضهم فتارة كان
ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم يصح انه اختلا اكثر من شهر
قال السراج البلقيني في شرح البخاري لم يجي في الاحاديث التي وقفنا
عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذه فكلام وسيأتي بيان
ذلك قريبا ثم اذا مكث صلى الله عليه وسلم تلك الليالي اي وقد فرغ زاده
يرجع الى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها اي قبل وكانت زوادته
صلى الله عليه وسلم الكعك والزيت وفيه ان الكعك والزيت يبقى له
الطويلة فيمكث جميع الشهر الذي يخلي فيه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر هذه
الخلوه كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فاذا انفذ ذلك الزاد رجع
الى اهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش وكان
غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه لغاية شهر لئلا يسرع الفساد
اليه ولاسيما وقد وصف بانه صلى الله عليه وسلم كان يطعم من يرد عليه
هذا كلامه وهو يشير فيه الى ثلاثة اجوبة الاول انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
في سعة حتى يدخر ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان غالب
ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر شهرا الثالث انه على فرض ان يدخر
ما يكفيه شهرا اي من الكعك والزيت الا انه كان يطعم منه فربما انفذ ما
ادخره وانما اختار الزيت للادام لان دسومته لا ينفر منها الطبع

بخلاف

بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جا ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من
شجرة مباركة وقوله ائتدموا من هذه الشجرة المباركة اي من عصارة ثمرة
هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتونة وهو الزيت وقيل لها مباركة لانها
لا تكاد تنبت الا في شريف البقاع التي بورك فيها كارض بيت المقدس
حتى جاءه الحق وهو في غار حراء اي في اليوم والشهر المتقدم ذكره وعن عبيد
ابن عمير رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل سنة
شهرا وكان ذلك مما يتحنث فيه قريش في الجاهلية اي ان لهذا منهم ابي وكان
اول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال ابن الاثير
اول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم
المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله اي يتعبد كورقة بن نوفل وابو امية
ابن المغيرة وقد اشار الى التعبد صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله
الف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجبا واذا حلت الهداية قلب
نشطت في العبادة الاعضا اي الف العبادة والخلوة في حال كونه طفلا
ومثل هذا الحال العلي شأن الكرام وانما كان هذا شأن الكرام لانه
اذا حلت الهداية قلب نشطت الاعضا في العبادة لان القلب رئيس
البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية
المراد بها مطلق اعتزال الناس واراد بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم
عند حليمة فقد تقدم عنها رضي الله عنها انها قالت لما ترعرع رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم
لا خصوص اعتزال الناس في غار حراء غالبا في قوله طفلا ظاهر ما
تقدم من ان خلوته صلى الله عليه وسلم لغار حراء كانت في زمن تزوجه
بخديجة رضي الله عنها وكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم
من جاءه من المساكين اي لانه كان من نسك قريش في الجاهلية اي في ذلك
المحل ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا كان لغيله

صلى الله عليه وسلم في غار حراء اي مع الانقطاع عن الناس والتجرد اطعام
المساكين لا يختص بذلك المحل الا اذا كان ذلك المحل صار في ذلك الشهر مقصودا
للمساكين ومن غيرهم وقيل كان تعبده التفكر مع الانقطاع عن الناس اي لاسيما
ان كانوا على باطل لان في الخلوة يجتمع القلب وينسى المالوف من مخالطة
ابناء الجنس المؤثرة في البدن التشويش ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة وقول
بعضهم كان يتعبد بالتفكر اي مع الانقطاع كما ذكرنا والتجرد التفكر لا يختص
لذلك المحل الا ان يدعى ان التفكر فيه اتم من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل
به وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه في سفر السعادة
وقيل بغير ذلك ومن ذلك العبادة قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم
وقيل بشريعة موسى وغيرها نسخ منها في شرعنا وقيل بكل ما صح انه
شريعة لمن قبله وغيرها نسخ من ذلك في شرعنا وفي كلام الشيخ محيي الدين
ابن العربي رحمه الله تعبده صلى الله عليه وسلم قبل نبوته كان بشريعة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام حتى فجاءه الوحي وجاءته الرسالة فالولي
الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله في قلبه
عين الفهم عنه فيلهم معاني القران ويكون من المحدثين بفتح الدال
ثم يصير الى ارشاد الخلق فكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك
كان اول ما يبدا به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا
او ما شاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله به
ما اراد من كرامته وذلك شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه اهله
اي عياله التي هي خديجة اما مع اولادها او بدونهم حتى اذا كانت
الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة
ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه وقيل كانت تلك

ليلة

ليلة ثمان من ربيع الاول اي وقيل ليلة ثالثه قال بعضهم القول
بانه في ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على راس الاربعين لان مولده
صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الاول على الصحيح اي وهو قول
الاكثرين وقيل كان ذلك ليلة او يوم السابع والعشرين من رجب فقد
اورد الحافظ الدمياطي رحمه الله في سيرته عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا
وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
بالرسالة واول يوم هبط فيه جبريل عليه السلام هذا كلامه واول يوم
هبط فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك
وسياتي في بعض الروايات ان جبريل نزل في سحر تلك الليلة
التي هي ليلة الاثنين ويجوز ان يكون كل من تلك الليالي كانت
ليلة الاثنين فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال
رضي الله عنه لا يفوتك صوم يوم الاثنين لاني ولدت فيه وبعثت فيه
ولا مخالفة بين كونه بعث في الليل وبين كونه في اليوم لان وقت السحر
قد يلحق بالليل وفي كلام بعضهم اتاه جبريل ليلة السبت وليلة
الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان
بحراء بامر الله تعالى وهذا القول اي ان البعث كان في رمضان قال
به جماعة منهم الامام الصرصري رحمه الله تعالى حيث قال اتت عليه
اربعون فاشرقت شمس النبوة منه في رمضان واحتجوا بان اول ما اكرمه
الله بنبوته انزل عليه القران واجيب بان المراد بنزول القران في رمضان
نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة في سماء الدنيا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني وانا نائم بنمط وهو ضرب من البسط
وفي رواية جاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب اي كتابة فقال

اقرا فقلت ما انا بقارئ اي انا امي لا احسن القراءة اي قراءة المكتوب
او مطلقا فغطني به اي غمني بذلك النمط بان جعله على فمه وانفه
قال حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرا اي من غير هذا المكتوب
فقلت ماذا اقرا ما اقول ذلك الا افتداء منه اي تخلصا منه ان يعود
الي بمثل ما صنع لي انما استفهمت عما اقراه ولم انف خوفا ان يعود لي
بمثل ما صنع عند النفي اي وفي رواية فقلت والله ما قرات شيا قط
وما ادري شيا اقراه اي لاني ما قرات شيا فهو من عطف السبب على المسبب
قال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقراتها فانصرف عني وهببت
اي استيقظت من نومي فكانما كتب في قلبي كتابا اقول اي استقر
ذلك في قلبي وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض وهو انه جاءه
ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين يحتمل لان يكون اتاه
بذلك النمط ليلة السبت وليلة الاحد وسحر يوم الاثنين وهو نائم
لا يقظة لقوله هببت من نومي ولا ينافي ذلك قوله ثم ظهر له بالرسالة
اي اعلن له بما يكون سببا للرسالة الذي هو اقرا الحاصل في اليقظة
وح يكون تكرر مجيئه هو السبب في استقرار ذلك في قلبه صلى الله
عليه وسلم وح لا يبعده قوله في الليلة الثالثة ما قرات شيا لان المراد
لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك اي ولا يبعده ايضا قولها ادري ما اقرا
لانه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت ان سبب الاستقرار التكرر
فلم يستقر ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم في الليلة الاولى وفي
سيرة الشامي رحمه الله ان مجيء جبريل بالنمط لم يتكرر وانه
كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم غار حراء وهذا السياق ادل
على انه كان بعده وفي سفر السعادة ما يقتضي انه جاءه صلى الله

عليه وسلم

١٧٣

عليه وسلم بالنمط يقظة في حراء وقوله فبينا هو في بعض الايام قائم على
جبل حراء اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله
لهذه الامة ثم اخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها
في يده وقال اقرا قال والله ما انا بقارئ ولا ادري في هذه الرسالة
كتابة اي لا اعلم ولا اعرف المكتوب فيها قال فضمني اليه وغطني حتى
بلغ مني الجهد ففعل ذلك بي ثلاثا وهو يامرني بان اقراه ثم قال اقرا
باسم ربك هذا كلامه فليتامل والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم فخرجت
اي من الغار وذلك قبل مجيء جبريل اليه باقرا اخذا مما يقتضيه
السياق حتى اذا كنت في وسط من الجبل اي في جانب منه سمعت صوتا
من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه
فاذا جبريل على صورة رجل صاف قدميه اي وفي رواية واضعا
احدى رجليه على الاخرى في افق السماء اي نواحيها يقول يا محمد انت
رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت
اصرف وجهي عنه في افق السماء فلا انظر في ناحية منها الا رايته كذلك
فما زلت واقفا ما اتقدم امامي ولا ارجع ورائي حتى بعثت خديجة
رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني
ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعا الى اهلي حتى اتيت خديجة
اي في الغار فجلست الى فخذها مضيفا اليها اي مستندا اليها فقالت
يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك فبلغوا مكة
ورجعوا الي اقول وهذا يدل على ان خديجة رضي الله عنها كانت
معه صلى الله عليه وسلم بغار حراء وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه
اهله اي خديجة رضي الله عنها على ما تقدم وقد يخالف ذلك ما روي ان
خديجة صنعت طعاما ثم ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم تجده بحرا فارسلت في طلبه الى بيت اعمامه واخواله فلم تجده فشق
ذلك عليها فبينما هي كذلك اذ اتاها فحدثها بما راى وسمع فان هذا يدل
على انها لم تكن معه بحرا وقد يقال يجوز ان تكون خرجت معه اولا
وارسلت رسلها اليه صلى الله عليه وسلم وهي بحرا فلم تجده وان
الرسل اخطاوا المحل وقوله بالجبل الذي هو حرا ثم رجعت الى مكة
وارسلت رسلها اليه بحرا لاحتمال عوده اليه ثم ارسلت الى بيت اعمامه
واخواله لما لم تجده بحرا فارسالها تكرر مرتين مع اختلاف محلها ويكون
قوله وانصرفت راجعا الى اهلي اي بمكة لا بحرا لانه يجوز ان يكون بلغه
رجوع خديجة الى مكة هذا على مقتضى الجمع واما على ظاهر الرواية الاولى
يكون رجوعه الى اهله بحرا كما ذكرنا وهو يدل على ان خروجه الى شط
الجبل كان من غار حرا كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قوله الشمس
الى ان تخرج مرة اخرى الى حرا فلما خرجت حتى اتيت الشط من الجبل
سمعت صوتا الى اخره فليتامل والله اعلم قال صلى الله عليه وسلم ثم حدثها
بالذي رات اي من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له يا محمد انت
رسول الله فقالت ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده اني
لارجو ان تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها اي التي
تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فاخبرته
بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى وسمع اي راى جبريل
وسمع منه انت رسول الله وانا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس اي بالضم
والفتح والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه
الناموس الاكبر الذي ياتي موسى الذي يقال له جبريل وانه لنبي هذه
الامة فقولي له فليثبت والقدوس الطاهر المنزه عن العيوب ثم هذا
بناء للمفعول اي وجاء بدل قدوس سبوح سبوح وللجبريل يذكر

٤

في هذه الارض التي يعبد فيها الاوثان جبريل امين الله بينه وبين رسله
اي لان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا غيرها من بلاد العرب ثم رجعت
خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة بن نوفل
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف اي فرغ ما تزوده
وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر لانه قبل ذلك قيل ان يجي اليه
جبريل باقرا باسم ربك كما تقدم اي وذلك كان في الشهر الذي اكرمه
الله فيه برسالته فصنع كذلك صنع كما كان يصنع بدا بالكعبة فطاف بها
فلقيه ورقة ابن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال له يا ابن اخي اخبرني
بما رايت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي
نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى
عليه السلام ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه بهاء السكت
ولا تكون الا ساكنه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه
ثم ادنى ورقة راسه صلى الله عليه وسلم منه وقبل يافوخه اي وسط
راسه لان اليافوخ بالهمز وسط الراس اذا اشتد وقيل اشتداده كما في
راس الطفل يقال له الغاذية بالغا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى منزله اي ولا مانع من تكرار مراجعة ورقة فتارة قال قدوس قدوس
وتارة قال سبوح قدوس اوجمع ذلك في وقت واحد وبعض الرواة اقتصر
على احد اللفظين وقد جاء ان ابا بكر رضي الله عنه دخل على خديجة اي وليس
عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له يا عتيق اذهب اي بمحمد
الى ورقة اي ليعلم ان اخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما سيذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ ابو بكر رضي الله عنه
بيده فقال انطلق بنا الى ورقة فذهب به الى ورقة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خلوت وحدي وسمعت نداء خلفي يا محمد

يا محمد فانطلق هاربا الى الارض فقال له لا تفعل اذا اتاك فاثبت حتى تسمع
ما تقول ثم ائتني اي وهذا قبل ان يراه ويجتمع به ويوحي اليه بالقران وح //
يكون تكرر رؤية ورقة ثلاث الاولى على يد ابو بكر رضي الله عنه وذلك قبل
ان يرى جبريل عليه السلام والثانية التي راى فيها جبريل عليه السلام وسمع
منه ولم يجتمع به وذلك عند اجتماعه صلى الله عليه وسلم به في المطاف والثالثة
التي بعد مجي جبريل له يقظة بالقران اي باقرا باسم ربك على المشهور من انه
اول ما نزل وذلك على يد خديجة ولا ينافي في ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر
رحمه الله كما سياتي ان القصة واحدة لم تتعدد ومخرجها متحد لان مراده //
قصة مجي جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم يقظة اقرا باسم ربك
وما ياتي ما فيه وانما قال ورقة له صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي قيل لانه
يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم في قصي فكان عبد الله بمثابة
الاخ له او انه قال ذلك لتوقيره له صلى الله عليه وسلم وانما ذكر ورقة
موسى دون عيسى عليهما الصلاة والسلام مع ان عيسى اقرب منه وهو على
دينه لانه كان على دين موسى عليه السلام ثم صار على دين عيسى عليه السلام
اي كان يهوديا ثم صار نصرانيا لان نبوة موسى عليه السلام مجمع عليها اي على
انها ناسخة لما قبلها وان شريعة عيسى عليه السلام قيل انها متممة
ومقررة لشريعة موسى عليهما الصلاة والسلام لا انها ناسخة لها قيل ولان
ورقة كان ممن تنصر اي كما تقدم والنصارى لا يقولون بنزول جبريل
على عيسى عليه الصلاة والسلام اي بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون
فيه انه احد الاقانيم الثلاثة للالوهية وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة
التي هي العلم حل بناسوت المسيح عليه السلام واتحد به فلذلك كان يعلم
الغيب ويخبر بما في الغد اقول وفيه ان في روايته انك على مثل
ناموس موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اي وفي بعض الروايات

جمع

جمع وفي بعضها اقتصر على موسى وفي الاقتصار على موسى معه الاقتصار
على عيسى عليهما الصلاة والسلام ما علمت ثم رايت ابن حجر في غير الصحيح
الاقتصار على عيسى عليه السلام فقال هذا الناموس الذي نزل على
عيسى فهو كما جا الجمع بينهما جا الاقتصار على كل منهما ولا ينافي ذكر اي
مجي جبريل لعيسى ما تقدم عن النصارى انهم لا يقولون بنزول جبريل
على عيسى لجواز ان يكون المراد لا ينزل عليه دايما وابدا لوحيه بل في بعض
الاحيان وفي بعضها يعلم الغيب بغير واسطة ثم رايت في فتح الباري ان
عند اخبار خديجة رضي الله عنها لورقة بالقصة قال لها هذا ناموس
عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي صلى الله عليه وسلم
له بالقصة قال هذا ناموس موسى للمناسبة بينهما لان موسى عليه السلام
ارسل بالنقمة على فرعون وقد وقعت النقمة على يد نبينا صلى الله
عليه وسلم على فرعون هذه الامة الذي هو ابو جهل هذا كلامه فليتامل
وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال في حق ابي جهل في يوم بدر هذا فرعون
هذه الامة والله اعلم وعن عايشة رضي الله عنها جا محمد صلى الله عليه وسلم
الملك سحرا اي سحر يوم الاثنين يقظة لا مناما اي بغير تخطيط فقال
له اقرا فقال ما انا بقاري فقال لا اوجد القراءة قال فاخذني فغطني
اي ضمني وعصرني وفي لفظ فاخذ بحلقي حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا فقلت ما انا بقاري اي لا احسن القراءة اي لا احفظ شيئا
اقراه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد فارسلني فقال اقرا
فقلت ما انا بقاري اي اي شي اقراه وفيه انه لو كان كذلك لقال ما اقرا
وماذا اقرا الا ان يقال اطلق ذلك واراد لازمه الذي هو الاستفهام
خصوصا وقد قرنه قال فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق //

اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اقول وقوله
اي بغير غط هو ظاهر الروايات ويجوز ان يكون لفظ الغط سقط في
هذه الرواية لغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار السيرة الشامية
على مجيئه بالغط وايضا كيف يجمع بين قوله هنا ما ذكر وبين قوله
هناك فكانما كتب في قلبي كتابا وما بالعهد من قدم الا ان يقال بجواز ان
يكون صلى الله عليه وسلم جوز انه يكون جبريل يريد منه قراءة غير الذي
قرأه وكتبه في قلبه ولا يخفى انه علم ان قول جبريل اقرأ امر بالقراءة وفيه
انه من التكليف بالايطاق اي في الحال وصح ثم ادعى بعضهم انه لمجرد
التنبيه والتيقظ لما يلقى اليه وفيه انه لو كان كذلك لم يحسن ان
يقال في جوابه ما انا بقارئ الذي معناه لا اوجد القراءة الا ان يقال
جبريل عليه السلام اراد التنبيه لا الامر وجوابه صلى الله عليه وسلم
بما انا بقارئ بناه على ما فهمه ظاهرا للفظ وعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم
ما انا بقارئ في المواضع الثلاثة معناه مختلف ففي الاول بمعنى الاخبار
بعدم ايجاد القراءة والثاني معناه الاخبار بانه لا يحسن شيئا يقرأه وان
كان ذلك هو مستند الاول والثالث معناه الاستفهام عن اي شيء يقرأه
وفيه ما علمت وبعضهم جعل قول الاول لا اقرأ لا احسن القراءة بدليل
انه جاء في بعض الروايات ما احسن ان اقرأ وح يكون بمعنى الثاني
فيكون تاكيدا له ايجاد الغط منهما شيء واحد قال بعضهم وجه المناسبة
بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم ان ادنى مراتب الانسان
كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله تعالى امتن على الانسان بنقله
من ادنى المراتب وهي العلقة الى اعلاها وهي تعلم العلم وقد اشتملت
هذه الآيات على براعة الاستهلال لان العنوان يشتمل اول الكلام على ما
يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما يسبق الكلام لاجله فانها

اسمه

اشتملت على الامر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره في الاتقان
قال فيه وصح ثم قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان
الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في اوله وكرر جبريل عليه السلام
الغط ثلاثا اي لعدد واخذ منه بعض التابعين وهو القاضي شريح ان المعلم
لا يضرب الصبي على تعليم القرآن اكثر من ثلاث ضربات وما ورد للحافظ
السيوطي عن الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يضرب المؤدب فوق ثلاث ضربات
وذكر السهيلي رحمه الله ان في ذلك اي الغط ثلاثا اشارة الى انه صلى
الله عليه متى يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك
وكانت الاولى ادخال قريش له الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم
على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه صلى الله عليه وسلم من احب البلاد
اليه وجاء صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل اي قبل قول جبريل عليه
السلام له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى اخر ما تقدم في الكلام على الرضاع
ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد
صرح بذلك الامام البخاري رحمه الله وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اول ما نزل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم
ثم قال اقرأ باسم ربك قال الحافظ ابن كثير هذا الاثر غريب في اسناده
ضعف وانقطاع اي فلا يبدل للقول بان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم
حكاه ابن النقيب رحمه الله في مقدمة تفسيره وبه يرد على الجلال
السيوطي رحمه الله حيث قال وعندي ان هذا لا يعد قولا برأسه فانه من
ضرورة نزول السورة اي سورة اقرأ نزول البسملة معها فهي اول اية
نزلت على الاطلاق هذا كلامه والله اعلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله

وبه

هذا الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتدا الوحي من خصائصه صلى الله عليه وسلم
اذ لم ينقل عن احد من الانبيا عليهم الصلاة والسلام انه جرى له عند
ابتدا الوحي مثل ذلك ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الامر رجع
بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك
عند الفزع ويقال لها الفريصة والفرايص اي وفي رواية فواده اي
قلبه ولا مانع من اجتماع الامرين لان تحرك البوادر ينشا عن فزع القلب
حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة رضي الله عنها فقال زملوني زملوني
اي غطوني بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه صلى الله عليه وسلم الروع بفتح
الرا اي الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية
على عقلي كما في الامتاع قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله
ابدا اي لا يفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل اي الشي
الذي يحصل منه التعب والاعيا لغيرك وتكسب المعدوم بضم التا والمعدوم
الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم اي توصل اليه الخير الذي لا يجده
عند غيرك ومن هذا يعلم سقوط قول الخطابي الصواب المعدم بلا واو لان
المعدوم اي الشخص المعدوم لا يكتسب اي لا يعطى الكسب وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق اي حوادثه فانطلقت به خديجة رضي الله عنها
حتى اتت به ورقة بن نوفل فقالت له خديجة رضي الله عنها اي عم اسمع
من ابن اخيك اي وقولها اي عم صوابه ابن عم لانه ابن عمها لا عمها كما وقع
في مسلم قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لجواز ارادة التوقير
لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد اي فلا يقال تجوزا انها جات اليه
بعد نزول الاية مرتين فقالت في مرة اي عم وفي مرة اي ابن عم قال ورقة يا ابن
اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة
هذا الناموس الذي انزل على موسى اي صاحب سر الوحي وهو جبريل
عليه السلام

عليه السلام يا ليتني فيها جذعا اي يا ليتني حين اكون في زمن الدعوة
الى الله اي اظهارها الذي جا به وانذارا واصل وجودها بنا على تاخر الدعوة
التي هي الرسالة عن النبوة على ما ياتي شابا حتى ابالغ في نصرتها يا ليتني
اكون حيا حين يخرجك قومك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم
بتشديد اليا المفتوحة لانه جمع مخرج والاصل اومخرجوني فحذفت النون
للاضافة فصار مخرجوي فقلبت الواو يا وادغمت قال ورقة نعم لم يات رجل قط
بما جيت به الا عودي اي فتكون المعاداة سببا للاخراج وهذا يفيد بظاهره
ان من تقدم من الانبيا اخرجوا من اماكنهم لمعاداة قومهم لهم والاخير في المعاداة
لا يقتضي الاخراج فلا يحسن ان يكون علامة عليه وقد يرد ذلك ما تقدم
عند الكلام على بنا الكعبة ان كل نبي اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة
يعبد الله عز وجل بها حتى يموت وتقدم ما فيه وفي كونه صلى الله عليه وسلم
لم يقل شيا في جواب قول ورقة انه يكذب ويوذى ويقاتل وقال في جواب
قوله انه يخرج اومخرجي هم استفهاما انكاريا دليل على شدة حب الوطن
وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن حرم الله وجوار بيته ومسقط راسه
صلى الله عليه وسلم قال ورقة وان ادركني يومك انصرك نصرا موزرا اي شديدا
قويا من الازر وهو الشدة هذا الذي في الحديث الصحيح وان يدركني يومك وهي التي
في بعض الروايات وان يدركني ذلك قال السهيلي رحمه الله وهو القياس لان
ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذي يدركه ما ياتي بعده كما جا اشقى
الناس من ادركته الساعة وهو حي هذا الكلام اي وفي بعض الروايات
انه قال لها ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدو نبوة وفي لفظ انه لنبي
هذه الامة اي وفي الشفا ان قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها
لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله من النبوة ولكنه لعله
خشي ان لا يحتمل قوته مقاومة الملك واعبا الوحي بنا على انه قال ذلك بعد

لقي الملك وارسله الله اليه بالنبوة فان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها
الا اولوا العزم من الرسل وفي كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلماء في
اسمي هذه الخشية على اثني عشر قولا واولاها بالصواب واسلمها من
الارتياب ان المراد بها الموت او المرض او دوام المرض هذا كله مدرك بالمل
مع رواية خشيت على عقلي وفي بعض الروايات ان خديجة قبل
ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من اهل
نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام فقالت له يا عداس
اذكرك الله الا ما اخبرتني هل عندكم علم من جبريل اي فان هذا الاسم لم
يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من ارض العرب كما تقدم فقال عداس
قدوس قدوس ما شان جبريل يذكر بهذه الارض التي اهلها اهل
اوثان اي والقدوس المنزه عن العيوب وان هذا يقال للتعجب كما تقدم
فقالت اخبرني بعلمك فيه قال هو امين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب
موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام انتهى وفيه انه سياتي عند
الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف بعد موت ابي طالب
يلتمس اسلام ثقيف اجتماعه صلى الله عليه وسلم بعداس الموصوف
بما ذكر لكن في تلك القصة ما قد يبعد معه كل البعد ان المذكور هنا
خلاف من ذكر ثم رايت ان عداسا المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير
السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وان خديجة قالت له انعم
صباحا يا عداس فقال كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نسا
قريش قالت اجل قال ادني مني فقد ثقل سمعي فدنت منه ثم قالت
له ما تقدم وهذا صريح في انه غير عداس الاتي ذكره وانهما اشتركا
في الاسم والبلد والدين اي وكونهما غلامين لعتبة ابن ربيعة من
اهل نينوى عنده علم من الكتاب فارسلت اليه خديجة تساله عن جبريل

فقال

فقال قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض
الرواة بلا شك وفي رواية ان عداسا هذا قال لها يا خديجة ان
الشيطان ربما عرض للعبد فاراه امورا فخذي كتابي هذا وانطلقي
به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله
فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هي برسول
الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الايات ن والقلم وما يسطرون
الى بايكم المفتون فلما سمعت خديجة رضي الله عنها قراءته صلى الله عليه وسلم
اهتزت فرحا ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك ابي وامي امض معي الى عداس
فلما راه عداس كشف عن ظهره الشريف فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه
فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقول قدوس قدوس انت والله النبي الذي
بشر بك موسى وعيسى الحديث وفيه ان هذا قبل ان تذهب به الى ورقة
اقتضى ان نزول سورة ن قبل اقرا ولا يحسن ذلك مع قوله صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام ما انا بقارئ اذ هو صريح في انه لم يقرا شيئا قبل ذلك
ومن ثم كان المشهور ان اول ما نزل اقرا وكون نون نزلت لهذا السبب يخالف
ما ذكره في اسباب النزول انها نزلت لما وصفه المشركون بانه مجنون الا ان
يقال لا مانع من تعدد النزول وذكر ابن دحية رحمه الله ايضا انه صلى الله
عليه وسلم لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب
فسالته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة نسا قريش انى لك
بهذا الاسم فقالت رضي الله عنها بعلي وابن عمي اخبرني بانه ياتيه فقال
انه السفير بين الله وانبيائه وان الشيطان لا يجترئ ان يتمثل به ولا ان
يتسمى باسمه وهذه انما هي كون جبريل هو السفير بين الله وانبيائه
صدرت من الحافظ السيوطي رحمه الله وزاد ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة
واعترض عليه بعضهم بان اسرافيل كان سفيرا بين الله ونبيه صلى الله عليه وسلم

فنقل الشعبي رحمه الله انه جانه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن
اربعين سنه وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فلما مضت
ثلاث سنين تولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل اي وقد تقدم ان
اسرافيل قرن به قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه
يعلمه الشي بعد الشي الى اخره وحينئذ يحتمل ان يكون قرن به بعد النبوة
ثلاث سنين ايضا وهو ما يعني بحث بعض الحفاظ انها مدة فترة الوحي
قلت ما وجه ولجواب الحافظ السيوطي عن ذلك بان السفير هو
هو المقصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي ذلك مجي غيره   واجاب
من الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان ولكن ان تقول
ان كان المراد المجي اليه بوحي من الله كما هو المتبادر وليس في هذه الرواية
ان اسرافيل كان ياتيه بوحي في تلك المدة وجواب الحافظ السيوطي
يقتضي ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان ياتيه بوحي من الله
قبل مجي جبريل له بوحي بعد النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص
باسم السفير وبان اسرافيل لم ينزل لغير النبي صلى الله عليه وسلم
من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم كما ثبت في الحديث فلم يكن
السفير بين الله وجميع انبيائه قيل وانما خص بذلك لانه اول
من سجد من الملائكة لادم عليه السلام وابنه سيل هل عيسى عليه
السلام بعد نزوله يوحي اليه فاجاب بنعم واورد حديث النواس بن
سمعان الذي اخرجه مسلم واحمد وابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم
وفيه التصريح بانه يوحي اليه قال والظاهر ان الجائي اليه بالوحي جبريل
عليه السلام قال بل هو الذي يقطع به ولا يتردد فيه لان ذلك وظيفته
عليه السلام وهو السفير بينه وبين الله تعالى وبين انبيائه لا يعرف
ذلك لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر
٤

١٧٩
على السنة الناس ان جبريل عليه السلام لا ينزل الى الارض بعد موت
النبي صلى الله عليه وسلم فهو شي لا اصل له وزعم زاعم ان عيسى انما يوحى اليه
الهام ساقط فاسد وحديث لا وحي بعدي باطل اي وبيان لهما واينه
في كلام بعضهم جبريل ملك عظيم ورسول كريم مقرب عند الله امين على   اي
وحيه وهو سفيره على ابيائه الى انبيائه كلهم وسماه روح القدس والروح
الامين واخصه بوحيه من بين الملائكة المقربين قال
ورايت في بعض التواريخ ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم
ستا وعشرين الف مرة ولم يبلغ احد من الانبيا هذا العدد والله اعلم وفي
اسباب النزول للواحدي عن علي كرم الله وجهه لما سمع النداء يا محمد
قال لبيك قال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ
السورة اي فلما بلغ ولا الضالين قال قل امين فقال امين كما في رواية
عن وكيع وابن ابي شيبة وجاء في حديث قال بعضهم اسناده ليس
بالقايم اذا دعا احدكم فليختم بامين فان امين في الدعا مثل الطابع
على الصحيفة وفي الجامع الصغير امين خاتم رب العالمين على لسان
عباده المومنين اي خاتم دعا رب العالمين اي يمنع من ان يتطرق اليه
رد وعدم قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فقال
قال قد وجب ان يختم بامين قال صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له
ذلك فقال له ورقة ابشر ثم ابشر فاني اشهد انك الذي بشر بك
عيسى ابن مريم فانك على مثل ناموس موسى عليه السلام وانك نبي مرسل وانك
ستومر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لاجاهدن معك اقول
هذا يدل للقول بان الفاتحة اول ما نزل وعليه كما قال في الكشاف
فاكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد ان تكون هذه الرواية قبل نزول

اقرا باسم ربك ثم رايت عن البيهقي انه قال فيما تقدم عن اسباب النزول
هذا مرسل رجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن
نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا والمدثر اي والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل
ثم رايت ابن حجر اعترض ما تقدم عن الكشاف بقوله الذي ذهب اليه اكثر
الايمة هو الاول اي القول بانه اقرا واما الذي نسبه الى الاكثر فلم يقل
به الا عدد اقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا كلامه ثم
رايت الامام النووي قال القول بان الفاتحة اول ما نزل بطلانه اظهر
من ان يذكر اي ومما يدل على ذلك ما جاء من طرق عن مجاهد ان الفاتحة اي
نزلت بالمدينة حتى في تفسير وكيع عن مجاهد فاتحة الكتاب مدنية وفيه
انه جاء عن قتادة انها نزلت بمكة وعن علي كرم الله وجهه كما في اسباب
النزول للواحدي انها نزلت بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العالمين قالت قريش فض الله فاك وفي الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة
وقيل نزلت بالمدينة فهي مكية مدنية هذا كلامه وتبعه على ترجيح
وفي انها مكية القاضي ايضا حيث قال وقد صح انها مكية وفي
الاتقان وذكر قوم منهم اي ممن تكرر نزول الفاتحة قبل ما مر فانه
ذكر لا يقال ذلك الا بناء على انها نزلت بهما اي نزلت بمكة ثم بالمدينة مبالغة
في شرفها وقد اشار القاضي البيضاوي الى ان تكرر نزولها ليس وقد
بمجزوم به وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة قال في الاتقان
والظاهر ان الذي نزل بالمدينة النصف الثاني قال ولا دليل
لهذا القول هذا كلامه واستدل بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف
ان سورة الحجر مكية وفيها ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
وهي الفاتحة فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قرئ عليه الفاتحة والذي نفسي بيده ما انزل الله
في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القران مثلها انها لهي

السبع

السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وقد حكى بعضهم الاتفاق
على ان المراد بالسبع المثاني في اية الحجر هي الفاتحة وبعد دعوى الاتفاق
قول الجلال السيوطي رحمه الله وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير السبع
المثاني في اية الحجر بالسبع الطوال ومما يدل على المراد بها الفاتحة ما ذكر في سبب
نزولها وهو ان عيرا لابي جهل قدمت من الشام بمال عظيم وهي سبع قوافل ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ينظرون اليها واكثر اصحابه صلى الله عليه وسلم
بهم عري وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم شيء لحاجة اصحابه فنزلت
اي اعطيناك سبعا من المثاني مكان سبع قوافل ولا تنظر لما اعطيناه لابي جهل
وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم اي على اصحابك واخفض جناحك لهم فان
تواضعك لهم اطيب لقلوبهم من ظفرهم بما يجب من اسباب الدنيا وفي زوايد في
الجامع الصغير لو ان فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقران في الكفة الاخرى
لفضلت فاتحة الكتاب على القران سبع مرات وفي لفظ فاتحة الكتاب
ولها شفاء من كل داء وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القران خلتا مل ولها
اثنان وعشرون اسما وذكر الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكري في تفسيره
الوسطاني لها ثلاثين اسما وذكرها قال السهيلي ويكره ان يقال لها
ام الكتاب اي لما ورد لا يقولن احدكم ام الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال
الحافظ السيوطي ولا اصل له في شيء من كتب الحديث وانما اخرجه ابن الضريس
بهذا اللفظ عن ابن سيرين وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك
هذا كلامه ولا يخفى انه جلي في تسمية الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا
واسقاطه اخرى فتارة جوزوا الامرين معا وهو يشكل على ان تسمية السور
توقيفي ثم رايت في الاتقان قال قال الزركشي في البرهان ينبغي البحث
عن تعداد الاسامي هل هو توقيفي او لما يظهر من المناسبات فان كان الثاني
فيمكن الفطن ان يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق اسمايها

ومما يؤيد هذا الكلام ويلزم القول بانها انما نزلت بالمدينة اي مدة وسلم
اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة كان يصلي بغير الفاتحة قال في اسباب
النزول وهذا مما لا تقبله العقول اي لانه لم يحفظ انه كان في الاسلام
صلاة بغير الفاتحة اي ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة اي
الكتاب وفي رواية لا تجزي صلاة لا يقرا فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد في
كل ركعة لقوله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر
ثم اقرا بام القران ثم اقرا بما شئت الى ان قال ثم اصنع ذلك اي القراة بام القران
في كل ركعة وجاء على شرط الشيخين ام القران عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا
عنها ويدل لذلك ايضا وصف القول بانها انما نزلت بالمدينة بانه هفوة
من قائله لانه تفرد بهذا القول والعلما على خلافه اي لان نزولها
كان بعد فترة الوحي بعد نزول يا ايها المدثر ويلزم على كونها نزلت بعد
المدثر انه صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي بل
ما سيأتي وقد يقال لا ينافي فيما تقدم من انه لم يحفظ انه لم يكن في
الاسلام صلاة بغير الفاتحة لجواز ان يراد صلاة من الصلوات الخمس
وما تقدم مما يدل على تعيين الفاتحة في الصلاة لجواز ان يكون صدر
منه صلى الله عليه وسلم بعد فرض الصلوات وفي الامتاع انزال الملك
مبشرة بالفاتحة وبالايتين من سورة البقرة يدل على انها نزلت
بالمدينة فقد اخرج مسلم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا
جبريل قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا اي صوتا من
فوقه فرفع راسه فقال هذا باب من السما فتح اليوم لم يفتح قط
الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط
الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة هذا كلامه فليتامل وجه الدلالة
منه هذا على انه سياتي عن الكامل للهذلي ما يصرح بان خواتيم

البقرة نزلت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا اي بقاب قوسين
ومما يدل على ان البسملة اية منها نزولها معها اي كما في بعض الروايات
والاخبار والروايات المتقدمة تدل على انها لم تنزل معها ويدل لكون
البسملة اية من الفاتحة ايضا ما اخرجه الدارقطني وصححه والبيهقي
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قراتم بالحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القران وام
الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها وقد
اخرج الدارقطني عن علي كرم الله وجهه انه سيل عن السبع المثاني فقال
الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هي ست ايات فقال بسم الله الرحمن الرحيم
اية وقيل لها السبع لانها سبع ايات وتثنى في الصلاة وقيل المثاني
كل القران لانه يثنى فيه صفات المومنين والكفار والمنافقين وقصص
الانبيا والوعد والوعيد قال بعضهم والوجه ان يقال المراد بالسبع
المثاني السبع الطوال اي كما انها المرادة في قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا
من المثاني على ما تقدم وهي البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام
والاعراف والسابعة يونس وقيل براة وقيل الكهف وعن ام سلمة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة اية من الفاتحة
ولهذا لعلها في تفسير البيضاوي عن ام سلمة رضي الله عنها انه صلى
الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين اية فقد
ذكر بعض الحفاظ ان هذا اللفظ لم يرد عن ام سلمة والذي رواه
جماعة من الحفاظ عن ام سلمة بالفاظ تدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم
اية وحدها انها ذكرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي
في بيتها فيقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وفي رواية
عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصلوات بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والاستدلال على ان البسملة اية من الفاتحة
بكونها نزلت معها لا يقتضي ان البسملة ليست اية من اقرا باسم ربك ومن
ثم قال الحافظ الدمياطي نزول اقرا بدون بسملة يدل على ان البسملة
ليست اية من كل سورة واستدل به اي بعدم نزولها في سورة اقرا البعض
كما قال الامام النووي من يقول ان البسملة ليست بقران في اوايل
السور اي وانما انزلت وكتبت للفصل وللتبرك بالابتدا بها وهذا
القول ينسب لقول امامنا الشافعي رضي الله عنه في القديم وهو قول
قدما الحنفية قال وجواب المثبتين اي لقرانيتها في ذلك انها نزلت
في وقت اخر كما نزل باقي السورة اي سورة اقرا وجوابهم ايضا بان الاجماع
من الصحابة والسلف على اثباتها في مصاحفهم مع مبالغتهم في تجريدها
عن كتابة غير القران فيها حتى انهم لم يكتبوا امين فيها واستدل
ايضا لعدم قرانيتها في اوايل السور لعدم تواترها في محلها ورد
بان عدم تواترها في محلها لا يقتضي سلب قرانيته عنها ورد هذا
الرد بان الامام الكافيجي قال المختار عند المحققين من علما السنة
وجوب التواتر اي في القران في محله ووضعه وترتيبه ايضا كما يجب
تواتره في اصله اي وفي الفتوحات البسملة من القران بلا شك
عند اهل الله وتكرارها في السور كتكرار ما تكرر في القران
من ساير الكلمات وهو نظام من يؤيد ما ذهب اليه امامنا من
انها اية من كل سورة ويحتمل لما قاله السهيلي رحمه الله حيث قال
نقول انها اية من كتاب الله مقترنة مع السورة وفي كلام ابي بكر ابن العربي
وبعد ان نفى انها اية من كل سورة حط سقف الى هذا القول احد
فانه لم يعدها احد اية من سائر السور ونقل عن امامنا الشافعي
انها اية من اول الفاتحة دون بقية السور ونقل عن الربيع رحمه الله

قال

الى امية وقال له والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا
اي لاتخذن قبره منسكا ومسترحما لانه من اهل الجنة وتقدم
ان هذا يدل على ان ورقة ادرك البعثة النبوية الى الرسالة وتقدم
ما فيه فكان بلال رضي الله عنه يقول احد احد يمزج مرارة العذاب
بحلاوة الايمان وقد وقع له رضي الله عنه انه لما احتضر وسمع امراته
تقول واحزناه صار يقول واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه
ومر به ابو بكر رضي الله عنه يوما وهو ملقى على ظهره في الرمضا
وعلى ظهره تلك الصخرة فقال لامية ابن خلف الا تتقي الله تعالى
في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال انت افسدته فانقذه
مما ترى قال ابو بكر رضي الله عنه عندي غلام اسود اجلد منه واقوى
اي على دينك اعطيكه به قال قبلت قال هو لك فاعطاه ابو بكر
رضي الله عنه غلامه ذلك واخذ بلالا رضي الله عنه فاعتقه //
وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف
قال لابي بكر الصديق في بلال حين قال له اتبيعنيه قال نعم ابيعه
بنسطاس عبد لابي بكر رضي الله عنه كان صاحب عشرة
الاف دينار وغلمان وجوار ومواشي وكان مشركا يابى الاسلام
فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه به هذا كلامه وفي الامتاع لما ساوم
ابو بكر رضي الله عنه امية ابن خلف في بلال رضي الله عنه قال امية
لاصحابه لالعبن بابي بكر لعبة ما لعبها احد باحد ثم تضاحك
وقال له اعطني عبدك نسطاس فقال ابو بكر ان فعلت تفعل
قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه
امراته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك
وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امراته قال ان فعلت تفعل

قال نعم قال قد فعلت فضحك وقال لا والله حتى تعطيني
معه امراته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك
فضاحكه وقال لا والله حتى تعطيني ابنته تزيدني معها بيتي
دينارا فقال ابو بكر رضي الله عنه انت رجل لا تستحي من الكذب
قال لا واللات والعزى لئن اعطيتني لا فعلن فقال هي لك
فاخذه هذا كلامه وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس اواق اي
ذهبا اي وقيل ببردة وعشرة اواق من الفضة وفي رواية برطل
من ذهب وروي ان سيده قال لابي بكر رضي الله عنه لو ابيت الا
اوقية اي لو قلت لا اشتريه الا باوقية لبعناكه فقال رضي الله عنه
لو طلبت مائة اوقية اخذته لاخذته بها وما قال المشركون
انما اعتق ابو بكر بلالا رضي الله عنهما ليد كانت له عنده فكافيه
بها انزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى وسيجنبها الاتقى ابو بكر رضي
الله عنه والاشقى امية بن خلف لعنه الله قال الامام فخر الدين
اجمع المفسرون هنا على ان المراد بالاتقى ابو بكر رضي الله عنه
وذهبت الشيعة الى ان المراد به علي كرم الله وجهه وجوزوه وصف
الاتقى بقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق
على علي كرم الله وجهه لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم
منعما عليه نعمة يجب عليه جزاؤها اي نعمة دنيوية لانها التي تجازى
عليها بخلاف ابي بكر رضي الله عنه فانه لم يكن صلى الله عليه وسلم
عليه نعمة دنيوية وانما كان له عليه صلى الله عليه وسلم نعمة
الهداية وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى فتعين حمل الاية على ابي بكر
الصديق رضي الله عنه فيلزم ان يكون ابو بكر رضي الله عنه بعد

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقية الانبياء عليهم الصلاة
والسلام افضل الخلق لان الله تعالى يقول ان اكرمكم عند الله
اتقاكم والاكرم هو الافضل وبين ذلك الفخر الرازي رحمه الله
بان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم
اما ابو بكر رضي الله عنه واما علي كرم الله وجهه ولا يمكن حمل
الاية على علي كرم الله وجهه لما تقدم فتعين حملها على ابي بكر
رضي الله عنه وقد ذهب بعض اهل المعاني المبينين لمعاني القران
كالزجاج والفراء والاخفش الى ان المراد بالاشقى والاتقى
الشقي والتقي فاوقع افعل التفضيل موضع فعيل فهو عام
في امية ابن خلف وابي بكر وغيرهما وان كان السبب خاصا والذي نقل
واستغني المراد به ابو سفيان رضي الله عنه لانه رضي الله عنه عاتب
ابو بكر رضي الله عنه في اعتاقه واعانته وقال له اضعت مالك جراءته
لا تنصيبه ابدا وقيل المراد به امية ابن خلف ولما بلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ان ابا بكر رضي الله عنه اشترى بلالا رضي الله عنه
قال له الشركة يا ابا بكر فقال قد اعتقته يا رسول الله اي لان
بلالا قال لابي بكر رضي الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني
لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني
فاعتقه هذا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي ابا بكر رضي
الله عنه فقال لو كان عندي مال اشتريت بلالا فانطلق
العباس رضي الله عنهما فاشتراه فبعث به الى ابي بكر اي ملكه
له فاعتقه فليتامل الجمع بين هذا وما تقدم وقد اشترى ابو بكر
رضي الله عنه جماعة اخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة ام بلال
رضي الله عنهما ومنهم عامر ابن فهيرة فانه كان يعذب في الله تعالى

حتى لا يدري ما يقول وقال لرجل من بني تيم من ذوي قرابة
ابي بكر رضي الله عنه ومنهم ابو فكيهة كان عبدا لصفوان بن
امية اسلم حين اسلم بلال رضي الله عنه فمر به ابو بكر رضي الله عنه
وقد اخذه امية ابو صفوان واخرجه نصف النهار في شدة الحر
مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه واخوانه
يقول له زده عذابا حتى ياتي محمد فيخلصه بسحره فاشتراه
ابو بكر رضي الله عنه ومنهم امراة وهي زنيرة بزاي فنون مشددة
مكسورة ثم مثناة تحت ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة
عذبت في الله تعالى حتى عميت فقال لها ابو جهل ان اللات
والعزى فعلا بك ما ترين فقالت له كلا والله لا تملك اللات
والعزى نفعا ولا ضرا هذا امر من السما وربي قادر على ان يرد
على بصري فاصبحت تلك الليلة وقد رد الله عليها بصرها فقالت
قريش هذا من سحر محمد فاشتراها ابو بكر رضي الله عنه واعتقها
وكذا ابنتها وفي السيرة الشامية ام عنيس بالنون او الباء
الموحدة فمثناة تحتية فسين مهملة امة لبني زهرة كان الاسود
ابن عبد يغوث يعذبها ولم يصفها بانها بنت زنيرة فاشتراها
ابو بكر رضي الله عنه واعتقها وكذا النهدية وابنتها وكانتا للوليد
ابن المغيرة وكذا امراة يقال لها الطيبة وكذا اخت عامر ابن فهيرة
او امة كانت لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه قبل ان يسلم فقد جاء ان
ابا بكر رضي الله عنه مر على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو يعذب
جارية اسلمت ثم يضربها حتى مل قبل ان يسلم ثم قال لها
اني اعتذر اليك اني لم اتركك حتى مللت فقالت له كذلك يعذبك
ربك ان لم تسلم فاشتراها منه واعتقها وفي السيرة الشامية

ومنها

ومنها با نها جارية بني المومل ابن حبيب وكان يقال لها لبيبة
مجملة بمولاة ممتنعة ومن فتن عن دينه فثبت عليه خباب بن
الارت بالمثناة فوق فانه سبي في الجاهلية فاشترته ام انمار اي
وكان قينا اي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يالفه وياتيه فلما اسلم
واخبرت بذلك مولاته صارت تاخذ الحديدة وقد احمتها في النار
فتضعها على راسه فشكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته راسها فكانت تعوي مع
الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب ياخذ الحديدة قد احماها
فيكوي راسها وفي البخاري عن خباب رضي الله عنه قال اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا
يعني معاشر المسلمين من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله
الا تدعو لنا فقعد صلى الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال انه كان
من قبلكم ليمشط احدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب
ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق راس احدهم
فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله هذا الامر حتى يسير
الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه
قال وعن خباب رضي الله عنه انه حكى عن نفسه قال لقد رايتني
يوما وقد اوقدوا لي نارا ووضعوها على ظهري فما اطفاها الا ودك
ظهري اي دهنه ومن فتن عن دينه فثبت عمار ابن ياسر رضي الله
عنه كان يعذب بالنار وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله كان صلى الله
عليه وسلم يمر به وهو يعذب بالنار فيمر يده على راسه ويقول
يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم عليه
السلام هذا كلامه ثم ان عمارا كشف عن ظهره فاذا اثر قد برص

اي صار اثر ان رابيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل
دعائه صلى الله عليه وسلم له بان النار تكون بردا وسلاما عليه
وعن ام هانئ رضي الله عنها ان عمار ابن ياسر واباه ياسر واخاه
عبد الله وسمية ام عمار رضي الله عنهم كانوا يعذبون في الله تعالى فمر
بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا يا ال ياسر اللهم اغفر
لال ياسر وقد فعلت فمات ياسر في العذاب واعطيت سمية رضي الله
عنها لابي جهل لعنه الله اي اعطاها له عمه ابو حذيفة ابن المغيرة
فانها كانت مولاته فطعنها في قبلها فماتت اي بعد ان قال لها
انما امنت بمحمد لانك عشقته لجماله ثم طعنها بالحربة في قبلها
حتى قتلها اي فهي اول شهيد في الاسلام انتهى اي وعن بعضهم
كان ابو جهل لعنه الله يعذب عمار ابن ياسر وامه رضي الله عنهما
ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف فنزل قوله تعالى
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وجاء ان
عمارا رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا
العذاب كل مبلغ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان
ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم صبرا ابا اليقظان ثم قال
اللهم لا تعذب احدا من ال عمار بالنار وقال بعضهم وحضر عمار
رضي الله عنه بدرا ولم يحضرها من ابواه مومنان الا هو اي من
المهاجرين فلا ينافي ان بشر ابن البراء ابن معرور الانصاري
حضر بدرا وابواه مومنان ومما اوذي به ابو بكر الصديق رضي
الله عنه ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ابتلي
المسلمون باذى المشركين اي وحصروا بني هاشم والمطلب
في شعب واذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة

وهي

وهي الهجرة الثانية خرج ابو بكر رضي الله عنه مهاجرا نحو
ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد بالغين المعجمة موضع باقاصي
هجر وقيل موضع وراء مكة بخمسة ايام اي وفي رواية حتى اذا سار
يوما او يومين لقيه ابن الدغنة بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة
وتخفيف النون وهو سيد القارة اي واسمه الحارث والقارة قبيلة
مشهورة كان يضرب بهم المثل في قوة الرمي ومن ثم قيل لهم رماة
الحدق لا سيما ابن الدغنة والقارة اكمة سوداء نزلوا عندها فسموا
بها قال له اين تريد يا ابا بكر قال ابو بكر رضي الله عنه اخرجني قومي
فاريد ان اسيح في الارض فاعبد ربي قال ابن الدغنة فان مثلك
يا ابا بكر لا يخرج لانك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وانك لنا جار فاعبد
ربك ببلدك فرجع مع ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف
قريش وقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب
المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على
نوائب الحق وهو في جواري فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة
اي لم ترد جواره وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره
وليصل فيها وليقرا ما شاء ولا يوذينا بذلك ولا يستعلن به فانا
نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لابي بكر
رضي الله عنه فلبث ابو بكر رضي الله عنه يعبد ربه في داره ولا
يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم ابتنى مسجدا بفناء
داره فكان يصلي فيه ويقرا القران وكان رضي الله عنه رجلا
بكاء لا يملك عينه اذا قرا القران فتقف نساء قريش تزدحم عليه
فافزع ذلك كثيرا من اشراف قريش اي من المشركين فارسلوا الى ابن

الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه
في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة
والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب
ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك
فاسأله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك اي ننقض
خفارتك اي ننقض جوارك ونبطل عهدك قالت فاتى ابن الدغنة ابا بكر
رضي الله عنه فقال قد علمت الذي قد عاقدت لك عليه فاما ان
تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع
العرب اني اخفرت اي ازيلت خفارتي في رجل عقدت له
فقال له ابو بكر رضي الله عنه فاني ارد عليك جوارك وارضى بجوار
الله تعالى قال ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء
قريش وهو عامد الى الكعبة فحثى على راسه ترابا فمر عليه بعض
كبراء قريش من المشركين فقال له ابو بكر رضي الله عنه الا ترى ما
صنع هذا السفيه فقال له انت فعلت بنفسك فصار ابو بكر
رضي الله عنه يقول رب ما احلمك قال ذلك ثلاثا انتهى اي وفي
كلام بعضهم وينبغي ان يتامل فيما وصف به ابن الدغنة ابا بكر
رضي الله عنه بين اشراف قريش بتلك الاوصاف الجليلة المساوية
لما وصفت به خديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يطعنوا فيه مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته
بسبب اسلامه رضي الله عنه فان هذا منهم اعتراف اي اعتراف
بان ابا بكر رضي الله عنه كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف
شهرة تامة بحيث لا يمكن احدا ان ينازع فيها ولا ان يجحد شيئا
منها والا لبادروا الى جحدها بكل طريق امكنهم لما تحلوا به من
قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق موالاته

رضي الله عنه

رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له وبما
يؤثر عنه رضي الله عنه من صنائع المعروف تقي مصارع السوء ثلاث
من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر باب عرض قريش
عليه صلى الله عليه وسلم اشياء من خوارق العادات وغير العادات
ليكف عنهم لما راوا المسلمين يزيدون ويكثرون وسؤالهم اشياء
من خوارق العادات معجزات وغير معجزات وبعثهم الى احبار
يهود بالمدينة ليسألوهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعن
تجابه وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين به صلى الله عليه وسلم
ومن حديثهم حديث الاراشي ومن قصد اذيته صلى الله عليه وسلم
فرد خائبا حدث محمد ابن القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة
وكان سيدا مطاعا في قريش قال يوما وهو جالس في نادي قريش
اي مجلسهم والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده
يا معشر قريش الا اقوم لمحمد واكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل
بعضها فنعطيه ايها ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه فكلمه
قال وفي رواية ان نفرا من قريش اجتمعوا وفي اخرى اشراف
قريش من كل قبيلة اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى نعذر
فيه فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا
الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فليكلمه
ولينظر ماذا يرد فقالوا لا نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة انتهى
فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان
في النسب اي من الوسط اي الخيار حسبا ونسبا وانك قد اتيت
قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت

بآلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم قال زاد بعضهم انه قال
له أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب اي فسكت ان كنت
تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان كنت تزعم
انك خير منهم فتكلم نسمع لقولك لقد افضحتنا في العرب حتى طار
فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا ما ننتظر الا ان يقوم
بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى انتهى فاسمع مني اعرض
عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما
جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا
وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان
كنت تريد ملكا ملكناك علينا فيصير لك الامر والنهي فهو اخص
مما تملم وان كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن تراه لا تستطيع
رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبريك
منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه حتى اذا
فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال لقد
فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل قال
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت
اياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرأها
عليه فلما انصت عتبة لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله
تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود فامسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم
ان يكف

ان يكف عن ذلك ثم انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى السجدة فيها فسجد
ثم قال صلى الله عليه وسلم قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت
وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف لقد جاءكم
ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له ما
وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله
قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش
اطيعوني واجعلوها لي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه
فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه
العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه
عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه
قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم قال وفي رواية ان عتبة لما قام
من عند النبي صلى الله عليه وسلم ابعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل
لعنه الله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه كلامه فانطلقوا
بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل يا عتبة ما جاء بك الا انك قد صبوت الى محمد
واعجبك امره فقص عليهم القصة وقال والله الذي نصبها بنية
يعني الكعبة ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد
علمت ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب
فقالوا له ويحك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال والله ما سمعت
مثله والله ما هو بالشعر الى آخر ما تقدم فقالوا والله سحرك يا ابا الوليد
قال هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان قريشا اي اشرافهم وشيوخهم منهم الاسود بن المطلب والاسود بن
زمعة والوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة

ابي ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو سفيان والنضر بن الحارث وابو جهل
وفي الينبوع ابن ابي الوليد بن المغيرة في اوليعيب رجلا من الملا اي
السادات منزل ابي طالب وسالوه ان يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويامره بامساكهم ما يكون منه اي ان يزيل شكواهم وبحثهم
الى امر فيه لهم الصلاح فاحضره وقال يا ابن اخي هولا الملا من
قومك فاسكتهم ونالهم فعاتبوا النبي صلى الله عليه وسلم على تسفيه
احلامهم واحلام ابائهم وعيب الهتهم الحديث اي قالوا يا محمد انا
بعثنا اليك لنكلمك فانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل على
قومه ما ادخلت على قومك قد شتمت الاباء وعبت الدين وسببت
الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق امر قبيح الا
اتيته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به
مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت انما
تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا
الذي ياتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طبك
وفي رواية انهم اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم فجاءهم مسرعا
طمعا في هدايتهم حتى جلس اليهم وعرضوا عليه صلى الله عليه وسلم
الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ما جئت بما جئتكم
به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني الله اليكم
رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم وان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في
الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني
وبينكم وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما دعت قريش
النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه مالا فيكون اغنى رجل بمكة

وبروجوه

ويزوجوه ما اراد من النساء ويكف عن شتم الهتهم ولا يذكرها بسوء
فقد ذكر ان عتبة بن ربيعة قال له ان كان بك الباءة فلتختر اي نساء
قريش فنزوجك عشرا وقالوا له ارجع الى ديننا واعبد الهتنا واترك
ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه في دنياك واخرتك
وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة ولنا فيها صلاح
قال صلى الله عليه وسلم وما هي قال تعبد الهتنا اللات والعزى سنة
ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وانت في الامر فان كان الذي نعبد
خيرا مما تعبد كنت اخذت منه بحظك وان كان الذي تعبد خيرا
مما نعبد كنا قد اخذنا بحظنا فقال صلى الله عليه وسلم حتى انظر ما
ياتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما
تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم السورة
وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان المشركين قالوا له صلى الله عليه وسلم
اعبد معنا الهتنا يوما نعبد معك الهك عشرا واعبد معنا الهتنا
شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت اي لا اعبد ما تعبدون يوما
ولا انتم عابدون ما اعبد عشرا ولا انا عابد ما عبدتم شهرا ولا انتم
عابدون ما اعبد سنة روى ذلك النقاش عن جعفر رضي الله عنه ردا على
بعض الزنادقة حيث قالوا طعنا في القران لو قال امرؤ القيس
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وكرر ذلك اربع مرات في نسق واحد
ما كان عيا فكيف وقع في القران قل يا ايها الكافرون السورة ومثل
مثل ذلك وقوله تعالى لكم دينكم ولي دين نسخ باية القتال نزل
وبقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون بل الله فاعبد
وكن من الشاكرين ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل
لما كرهتموه القران قالوا ايت بقران غير هذا فانزل الله تعالى ولو تقول

على بعض الاقاويل وقد يقال المناسب للرد عليهم قوله تعالى
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي الاية ثم رأيت في الكشاف ما
يوافق ذلك وهو انه لما ظهر ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد
الشديد قالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك فنتبعك
او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط ذكر الالهة
وذم عبادتها نزل قوله تعالى قل ما يكون لي ان ابدله الاية قال وجلس
اي صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم ابو جهل
ابن هشام وعتبة بن ربيعة اي وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف
والوليد ابن المغيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم أليس حسنا ان
جئت به فيقولون بلى والله وفي لفظ هل ترون بما اقول بأسا
فيقولون لا فجاء عبد الله بن ام مكتوم وهو ابن خال خديجة ام المؤمنين
وهو ممن اسلم قديما بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل باولئك
القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول
الله علمني مما علمك الله واكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك
فاعرض عن ابن ام مكتوم ولم يكلمه انتهى اي وفي رواية اشار صلى الله
عليه وسلم الى قائد ابن ام مكتوم بان يكفه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد
فدفعه ابن ام مكتوم فعبس النبي صلى الله عليه وسلم واعرض عنه
مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى في ذلك بقوله عبس وتولى
ان جاءه الاعمى الورع اي والمجيء مع العمى ينبئ عن مزيد الرغبة
وتجشم الكلفة والمشقة في المجيء وقد كان هذا شأنه حقه الاقبال
عليه لا الاعراض عنه فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا جاءه يقول
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه صلى الله عليه وسلم قال
وبهذا يسقط ما للقاضي ابي بكر ابن العربي هنا انتهى اقول

لعل

لعل الذي له هو ما ذكره تلميذه السهيلي رحمه الله وهو ان ابن ام
مكتوم لم يكن اسلم حينئذ والا لم يسمه بالاسم المشتق من العمى
دون الاسم المشتق من الايمان لو كان دخل في الايمان قبل ذلك وانما
دخل فيه بعد نزول الاية ويدل على ذلك قوله رضي الله عنه للنبي صلى الله
عليه وسلم استدنيني يا محمد ولم يقل استدنيني يا رسول الله وفعل
من قوله لعله يزكى الترجي والاستظهار لو كان ايمانه قد تقدم قبل
هذا لخرج عن حد الترجي والاستظهار للتزكي هذا كلامه وعن الشعبي
قال دخل رجل على عائشة رضي الله عنها وعندها ابن ام مكتوم رضي الله عنه
وهي تقطع له الاترج وتجعله في العسل وتطعمه فقال لها في ذلك
فقالت ما زال هذا له من آل محمد صلى الله عليه وسلم فقد عاتب الله عز وجل
فيه نبيه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وفي فتاوي الجلال السيوطي من جملة
اسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة ان ابا جهل قال يا محمد
ان اخرجت لنا طاووسا من صخرة في داري امنت بك فدعا صلى الله عليه وسلم
ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن انين المرأة الحبلى ثم انفلقت عن
طاووس صدره من ذهب وراسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه
من جوهر فلما رأى ذلك ابو جهل لعنه الله اعرض ولم يؤمن ومما سألوه
صلى الله عليه وسلم عنه من الآيات تعنتا سيأتي ما رواه الشيخان
آية معينة كما في رواية عن ابن عباس وسيأتي ما يعلم منه انهم سألوه
آية غير معينة ثم عينوها فلا مخالفة حينئذ فقد ذكر ابن عباس رضي الله
عنهما ان قريشا سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية وفي رواية عن ابن
عباس رضي الله عنهما الجمع المذكور فيه اي كثير منهم الوليد ابن المغيرة وابو
جهل ابن هشام والعاص ابن وائل والعاص ابن هشام والاسود بن عبد
يغوث والاسود ابن المطلب وزمعة بن الاسود والنضر ابن الحارث

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر
فرقتين نصفا على ابي قبيس ونصفا على قيقعان وقيل يكون نصفه
بالمشرق ونصفه الاخر بالمغرب وكانت ليلة اربعة عشر اي ليلة البدر
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما سالوه فانشق القمر نصفا
على ابي قبيس ونصفا على قيقعان وفي لفظ فانشق القمر فرقتين
فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التي كانت فوق
الجبل كانت جهة المشرق والتي كانت دون الجبل كانت جهة المغرب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة
بين الروايتين بينها وبين ما جاء في رواية فانشق القمر نصفين
نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل
ينظر اليه ثم غاب اي ثم ان كان الانشقاق قبل الفجر فواضح والا
فيحمل اخره لان القمر ليلة اربعة عشر يستمر جميع الليل وجاء في
عن رواية نبهي المعمر انه عاد بعد غروبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا والفرقتان هما المراد ثان بالمرتين في بعض الروايات
التي اخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي رحمه الله فقال
انه انشق مرتين لان المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان
اصل وضعها للافعال فقد قال ابن القيم رحمه الله كون
القمر انشق مرتين مرة بعد مرة في زمانين من له خبرة باحوال الرسول
صلى الله عليه وسلم وسيرته يعلم انه غلط وانه لم يقع الانشقاق
الا مرة واحدة وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة
اي وهو اي كبشة احد اجداده صلى الله عليه وسلم من قبل امه
صلى الله عليه وسلم لان وهب ابن عبد مناف ابن زهرة جد ابو امنة

امه

امه صلى الله عليه وسلم يكنى ابو كبشة او هو من قبل مرضعته حليمة
لان والدها او جدها كان يكنى بذلك او كان لها ابن تسمى كبشة
فكان زوجها الذي هو ابوه من الرضاع يكنى بذلك اذ كان تقدم
في الرضاع وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم عنه فقال احاضني ابو كبشة
انهم لما ارادوا دفن سلول وكان سيدا عظيما حفروا له فوقعوا على
باب مغلق ففتحوه واذا سرير وعليه رجل وعليه حلل عدة
وعند راسه كتاب انا ابو شمر ذو النون ماوى المساكين ومستفاد
المغارم اخذني الموت غصبا وقد اعيا الجبابرة قبل قال صلى الله عليه وسلم
كان ذو النون هذا هو سيف بن ذي يزن الحميري وقيل ابو كبشة جد
لابيه لان ابا ام جده عبد المطلب كان يدعى ابا كبشة وكان يعبد
النجم الذي يقال لها الشعرى وترك عبادة الاصنام مخالفة لقريش
فهم يشيرون بذلك الى ان له في مخالفتهم سلفا وقيل الذي عبد
الشعرى وترك عبادة الاصنام رجل من خزاعة فشبهوه صلى الله عليه وسلم
به في مخالفته لهم في عبادة الاصنام اي ومما يؤيد هذا الاخير ما في الاتقان
حيث مثل بهذه الاية للنوع المسمى بالنكت وهو ان يخص المتكلم
شيئا من الاشياء بالذكر لاجل نكتة كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى
خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شيء لان
العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن ابي كبشة عبد الشعرى ودعا
خلقا الى عبادتها فانزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التي ادعيت
فيها الربوبية هذا كلامه وكبشة ليس مؤنث كبش لان مؤنث الكبش
ليس من لفظه فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر اي بالنسبة
اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها اي جميع اهل الارض
وفي رواية لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم فاسالوا

من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل
ذلك وفي رواية ان ابا جهل قال ان هذا سحر محمد فاسالوا اهل الافاق
وفي لفظ انظروا ما ياتيكم به السفار حتى تنظروا هل راوا ذلك
ام لا فاخبروا اهل الافاق وفي لفظ فجا السفار وقد قدموا من كل
وجه فاخبروهم انهم راوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر
مستمر اي مطرد فهو اشارة الى ذلك والى ما قيل من الايات وفي لفظ
قالوا هذا سحر اسحر السحرة فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي مطرد كما تقدم او محكم
او قوي شديد او مار ذاهب لا يبقى وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على
انه لم يختص برؤية القمر منشقا اهل مكة بل جميع الافاق وبه يرد قول
بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم في معرفته
ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه جماعة خاصة
فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولا بانه قد يكون القمر حينئذ
في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الافاق دون بعض ولا بقول
بعضهم ان انشقاق القمر اية ليلية جرى مع طائفة في جنح ليل
ومعظم الناس نيام وفي فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر
نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق
الحديث اقول والى انشقاق القمر اشار صاحب الهمزية بقوله
اي شق عن صدره وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزا
اي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قلبه وكل منهما
صحيح لانه شق صدره اولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر
ليلة اربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم لان من شرط كل شرط
جزا لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزي على ذلك باعظم

مشابه

مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من اظهر المعجزات
بل اعظمها بعد القران وقد اشار الى ذلك ايضا الامام السبكي رحمه الله
في تائيته بقوله وبدر الدياجي انشق نصفين عندما
ارادت قريش منك اظهار اية اي فانهم ائتمروا فيما بينهم فاتفقوا
على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم انشقاق
القمر الذي هو بعيد عن الاطماع في غاية الامتناع اي فقد سالوه
اولا اية غير معينة ثم عينوها وفي الاصابة عن بعضهم قال وانا ابن
سبع عشرة سنة سافرت مع ابي وعمي من خراسان الى الهند في تجارة
فلما بلغنا اول بلاد الهند وصلنا الى ضيعة من الضياع فعرج
اهل القافلة نحوها فسالنا الناس عن ذلك فقالوا هذه ضيعة الشيخ
زين الدين المعمر فراينا شجرة خارج الضيعة تظل خلقا كثيرا
وتحتها جمع عظيم من اهل تلك الضيعة فلما راونا رحبوا بنا فراينا
زنبيلا معلقا في بعض اغصان تلك الشجرة فسالناهم عن ذلك فقالوا
في هذا الزنبيل الشيخ زين الدين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعا له بطول العمر ست مرات اي فبلغ ستمائة سنة كل دعوة بمائة
فسالناهم ان ينزلوا الشيخ لنسمع كلامه وحديثه فتقدم شيخ منهم
فانزل الزنبيل فاذا هو مملوا بالقطن والشيخ في وسط القطن
وهو كالفرخ فوضع فمه على اذنه وقال يا جداه هولاء قوم قد قدموا
من خراسان وقد سالوا ان تحدثهم كيف رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت
النحل بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع ابي وانا شاب
من هذه البلاد الى الحجاز في تجارة فلما بلغنا بعض اودية مكة
وكان المطر قد ملا الاودية فرايت غلاما حسن الشمايل يرعى

ابدا في تلك الاودية وقد حالت السيل بيني وبين ابلي وهو
يخشى من خوض الماء لقوة السيل فعلمت حاله فاتيت اليه
وحملته وخضت به السيل الى عند ابله من غير معرفة
سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الي فدعا لي ثم عزمنا الى
بلادنا وتطاولت المدة ففي ليلة ونحن جلوس في ضيعتنا هذه
في ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر في كبد السما اذ نظرنا اليه قد
انشق نصفين فغرب نصف في المشرق ونصف في المغرب واظلم
الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثاني من المغرب
الى ان التقيا في وسط السما كما كان اول مرة فتعجبنا من ذلك
غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسالنا الركبان عن سببه فاخبرونا
ان رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى انه رسول الله الى كافة العالم
وان اهل مكة سالوه معجزة واقترحوا عليه ان يامر القمر
فينشق في السما ويغرب نصفه في المشرق ونصفه في المغرب
ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك واشتقت الى رؤيته
فذهبت الى مكة وسالت عنه فدلوني على موضعه واتيت الى منزله
واستاذنت فاذن لي في الدخول فلما سلمت عليه نظر الي وتبسم
وقال ادن مني وبين يديه طبق فيه رطب فتقدمت وجلست
واكلت من الرطب وصار يناولني الى ان ناولني ست رطبات
ثم نظر الي وتبسم وقال لي الم تعرفني قلت لا قال الم تحملني
في عام كذا في السيل ثم قال امدد يدك فصافحني وقال قل
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقلت ذلك
فسر وقال لي عند خروجي من عنده بارك الله في عمرك قال
ذلك ست مرات فبارك الله لي في عمري بكل دعوة مائة سنة

وعمري

من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور رضي الله عنه وقيل
اسعد بن زرارة رضي الله عنه وقيل ابو الهيثم بن التيهان ثم
بايعه السبعون كلهم اي وبايعه المراتان من غير مصافحة لانه
صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النسا انما كان ياخذ عليهن فاذا
احرزن قال اذهبن فقد بايعتكن كما سياتي وكانت هذه البيعة
على حرب الاسود والاحمر اي العرب والعجم فهولاء الثلاثة لم يتقدم
عليهم احد غيرهم وصح بكونه الاولية فيهم حقيقية واضافية اي ويقال
ان ابا الهيثم قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثني
عشر من الحواريين عيسى ابن مريم عليه السلام وقال اسعد بن زرارة
ابايع الله عز وجل وابايعك يا رسول الله على ان اتم عهدي بوفائي
واصدق قولي بفعلي في نصرك وقال النعمان بن حارثة ابايع الله
يا رسول الله وابايعك على الاقدام في امر الله عز وجل لا ارافق فيه
القريب ولا البعيد اي لا اعامل بالرافة والرحمة وقال عبادة
ابن الصامت ابايعك يا رسول الله على ان لا تاخذني في الله لومة
لائم وقال سعد بن الربيع رضي الله عنه ابايع الله وابايعك
يا رسول الله على ان لا اعصي لكما امرا ولا اكذبكما حديثا فلما
انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية اي لما
وقعت صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت وابعده
يا اهل الجباجب اي بجيمين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد
كل جيم باء موحدة وهي منازل منى وفي الهدي يا اهل الاخاشب
هل لكم في مذمم والصباة معه يعني بمذمم النبي صلى الله عليه وسلم
لان قريشا كانت تقول بدل محمد مذمم ويعني بالصباة اصحابه رضي
الله تعالى عنهم الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن اسلم صابي لان

الصابي من خرج من دين الي دين وقد جا الا تعجبوا كيف يصرف الله عني
شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد فانهم قد
اجمعوا اي عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب
العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك وازب بكسر الهمزة
واسكان الزاي ثم بالموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاي وفتح
الموحدة اي شيطان تسمى بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه
عامرها وازب في الاصل القصير ومن ثم راي عبد الله ابن الزبير رجلا
طوله شبران على بردعة رحله فقال له ما انت قال ازب وقال فما ازب
قال رجل من الجن فضربه على راسه بعود سوطه فهرب وعند ذلك قال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا وفي لفظ انفضوا الى رحالكم اقول
وفي رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من راس الجبل
يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا
اي الانصار عند ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم
هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه احد مما تخافون
ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذي هو ابو الجن
ويجوز ان يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة
وانه اتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم
فعن حارثة بن النعمان رضي الله عنه لما فرغوا من البيعة قلت
يا رسول الله لقد رايت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قائما على يمينك
قال وقد رايته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام والله اعلم
ثم ان الحديث بما سمع المشركون من قريش بذلك اي وفي كتاب الشريعة
ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه اي ابن الحجاج فلم
يرعه ما راعنا وقال هل اتاكم فاخبركم بهذا منبه قلنا لا فقال لعله

المس

ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وامور مستغرب ولا بيان في
سماع محمد وابي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس
يسمعه احد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند
فشو الخبر جا جلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا
يا معشر الاوس والخزرج وفي رواية يا معشر الخزرج اي بالتغليب
بلغنا انكم جيتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه
على حربنا والله ما من حي العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم
منكم فصار مشركوا الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شي
وما علمناه اي حتى ان ابي بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان
قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى
يوامروني وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم اي ونفر الناس من
منى وبحث قريش عن خبر الانصار رضي الله عنهم فوجدوه حقا
فلما تحققوا الخبر تبعوا اثارهم فلم يدركوا الا سعد ابن عبادة والمنذر
ابن عمرو رضي الله عنهما فاما سعد رضي الله عنه فمسك وعذب في الله واما
المنذر ففات ثم انقذ الله سعدا من ايدي المشركين قال نقل عنه انه
قال لما ظفروا بي ربطوا يدي الى عنقي فلا زالوا يلطموني على وجهي
ويجذبوني بجمتي اي وكان ذا شعر كثير حتى ادخلوني مكة فاوى
الي رجل اي وهو ابو البختري ابن هشام مات كافرا وقال ويحك
ما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى قد كنت اجير
لجبير ابن مطعم تجاره وامنعهم ممن اراد ظلمهم ببلادي وللحارث
ابن حرب اي وهو اخو ابو سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثاني
لا يعلم له اسلام فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين فخرج ذلك الرجل
اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج ليهتف

فقالا من هو فقال المقول سعد ابن عبادة فجا فخلصاني من ايديهم انتهى
اي وعن سعد رضي الله عنه بينا انا مع القوم اضرب اذ طلع علي رجل
ابيض وضي شعشاع اي طويل زايد الحسن حلو من الرجال فقلت
في نفسي ان يكن عند احد من القوم خير فعند هذا فلما دنى مني رفع
يده ولكمني لكمة شديدة فقلت في نفسي والله ما عندهم بعد هذا
خير اي وهذا الرجل سهيل ابن عمرو رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك
فلما قدم الانصار رضي الله تعالى عنهم المدينة اظهروا الاسلام اظهارا
كلي وتجاهروا به والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم
لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح اي وهو من سادات بني سلمة
بكسر اللام واشرافهم لم يكن اسلم بعد وكان ممن اسلم ولده معاذ
ابن عمرو رضي الله عنهما وكان لعمرو في داره صنم اي من خشب
يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى اي تصب عنده تقربا اليه كان
يعظمه فكان فتيان قومه ممن اسلم كمعاذ بن جبل وولده معاذ بن
عمرو ومعاذ بن زيد رضي الله عنهم يدلجون بالليل على ذلك الصنم
فيطرحونه اي ولعله بعد اخراجه من داره في بعض الحفر التي فيها
خرو الناس منكسا فاذا اصبح عمرو قال ويحكم من عدا على الهتنا
هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا امسى
عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك الى ان غسله وطيبه وجا بسيف
علقه في عنقه ثم قال له ما اعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فامتنع
هذا السيف معك فلما امسى عدوا عليه واخذوا السيف من عنقه
ثم اخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل فلما القوه ثم القوه في بير من
ابار بني سلمة فيها خرو الناس فلما اصبح عمرو غدا اليه فلم يجده
ثم تطلبه الى ان وجده في تلك البير فلما راه كذلك رجع الى عقله
وكلمه من قومه فاسلم وحسن اسلامه وانشد رضي الله عنه ابياتا
منها قوله • والله لو كنت الها لم تكن • انت وكلب وسط بير في قرن •

اي

اي حبل وامر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة
الى المدينة لان قريشا لما علمت انه صلى الله عليه وسلم اوى اي انضم
الى قوم اهل حرب ونجدة ضيقوا على اصحابه رضي الله عنهم ونالوا
منه ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم
وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب في ايديهم وبين
هارب في البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستاذنوه في
الهجرة اي فمكث صلى الله عليه وسلم اياما لا ياذن لهم ثم قال لهم رايت
دار هجرتكم اريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت
السراة ارض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين اعظم
جبال العرب ثم خرج اليهم صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال قد اخبرت
بدار هجرتكم وهي يثرب فاذن لهم وقال من اراد ان يخرج فليخرج اليها
فخرجوا اليها ارسالا اي متتابعين يخفون ذلك اه اي وفي رواية رايت
في المنام اني هاجرت من مكة الى ارض ذات نخل فذهب وهلي اي وهمي
الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب وفي الترمذي عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
اوحى الي اي هذه الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك المدينة او البحرين
او قنسرين قال الترمذي هذا حديث غريب وزاد الحاكم فاختار المدينة
اقول فيه ان هذا السياق يدل على ان استيذانهم في الهجرة عبارة
عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وان عدم اذنه لهم في الهجرة لعدم
تعيين المحل الذي يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا
يناسب ما تقدم في حديث المعراج من قول جبريل عليه السلام له
صليت بطيبة واليها المهاجر وقد يجاب بانه يجوز ان يكون صلى الله
عليه وسلم انسي قول جبريل عليه السلام المذكور حينئذ ثم تذكره
بعد ذلك في قوله قد اخبرت بدار هجرتكم وفيه ان هذا لا يحسن بعد

مبايعته للاوس والخزرج على مناصرته صلى الله عليه وسلم ومحاربة
عدوه مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه وطنهم المدينة وكونهم بايعونه
على مناصرته مع كونه ساكنا في الحرمين او تقسيمهم في غاية البعد
على انه سيأتي في غزاة بدر انه صلى الله عليه وسلم خشي ان الانصار
لا ترى مناصرته الا بالمدينة اي فان في بعض الروايات وعلى ان
تنصروني اذا قدمت عليكم بيثرب والله اعلم وقبل الهجرة آخى صلى الله
عليه وسلم بين المسلمين اي من المهاجرين على الحق والمواساة فآخى بين
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة رضي الله
عنهما وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وبين الزبير
وابن مسعود رضي الله عنهما وبين عبادة بن الحارث وبلال رضي الله
عنهما وبين مصعب ابن عمير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهما
وبين ابي عبيدة وسالم مولى ابي حذيفة رضي الله عنهما وبين سعيد
ابن زيد وطلحة ابن عبيد الله رضي الله عنهما وبين علي كرم الله وجهه
ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال اما ترضى ان اكون اخاك قال بلى
يا رسول الله رضيت قال فانت اخي في الدنيا والآخرة قال وانكر
ابو العباس بن تيمية المواخاة بين المهاجرين سيما مواخاة النبي
صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه قال لان المواخاة بين المهاجرين
والانصار انما شرعت لارتفاق بعضهم ببعض ولتألف قلوب
بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاة مهاجري لمهاجري قال الحافظ
ابن حجر رحمه الله تعالى وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين
من كان اقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى
ليرتفق الادنى بالاعلى وليستعين الاعلى بالادنى ولهذا تظهر
مواخاته صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه لانه صلى الله عليه وسلم
كان هو الذي يقوم بامره قبل البعثة وفي الصحيح في عمرة

العضا

العضا ان زيد بن حارثة رضي الله عنه قال بنت حمزة بنت اخي
اي بسبب المواخاة التي وكان اول من هاجر منهم اليها اي لا معهم
ابو سلمة عبد الله ابن عبد الاسد المخزومي وهو اخوه صلى الله عليه وسلم
من الرضاع وابن عمته واول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم اي
فانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه اهلها واراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه
اسلام من اسلم من الانصار اي الاثنا عشر الذي بايعوه صلى الله عليه وسلم
البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل
رحل بعيره وحمل عليه ام سلمة رضي الله عنها وابنها سلمة في حجرها وخرج
يقود البعير فرآه رجال من قوم ام سلمة فقاموا اليه وقالوا يا ابا سلمة قد
غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا
خطام البعير منه فجاء رجال من قوم ابي سلمة وقالوا ان ابنها معها اذا نزعتموها
من صاحبنا ننزع ولدنا منها فتجاذبوه حتى خلعوا يده واخذه قوم ابيه
ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة بالابطح فتبكي
حتى المساء سنة فمر بها رجل من بني عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها
اما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا
لها الحقي بزوجك فلما بلغ ذلك قوم ابي سلمة ردوا عليها ولدها فبعيرا رحلت
ولدها في حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها احد من خلق الله حتى اذا
كانت رضي الله عنها بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة اي الحجبي صاحب
مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم اسلم رضي الله عنه
في هدنة الحديبية وهاجر مع خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله
عنهم كما سيأتي فشيعها الى المدينة حتى اذا اوفى على قباء قال لها
هذا زوجك هنا ثم انصرف وهي اول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة
رضي الله عنها وكانت ام سلمة تقول ما رأيت صاحبا اكرم من عثمان بن

طلحة فقال وقال ابن اسحاق وابن سعد ثم كان اول من قدمها بعد
ابي سلمة عامر ابن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت ابي حثمة بالحا المفتوحة
وسكون المثلثة وهي ام عبد الله دخلت المدينة انتهى اقول فام
سلمة اول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى اول ظعينة قدمت
المدينة مع زوجها فلا منافاة وفي كلام ابن الجوزي اول من هاجر الى
المدينة من النساء ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط والله اعلم قال
وبينت ان ام سلمة رضي الله عنها ما تقدم عنها في حق عثمان بن طلحة
رضي الله عنه بقولها فانه لما راني قال الى اين قلت الى زوجي قال
او ما معك احد قلت لا معي الا الله وابني هذا فقال والله لا اتركك
ثم اخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصل المنزل اناخ لي
ثم استاخر عني حتى اذا نزلت جاء واخذ بعيري فحط عنه ثم قيده
في الشجر ثم الى الشجرة فاضطجع تحتها فاذا دنى الرواح قام الى
بعيري فرحله وقدمه ثم استاخر عني وقال اركبي فاذا ركبت اخذ
بخطامه فقادني انتهى اي وقد قال فقهاؤنا من اصحاب مسافرة
المراة بغير زوج ولا محرم ولا امراة ثقة في غير الحج وفرض الحج والعمرة
اما في ذلك فيجوز حيث امن الطريق وقولت لا يعهم لانبا في ان اول
من قدم المدينة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن
عمير لان قدومه رضي الله عنه كان معهم على ما تقدم اوليقال لابوا
سلمة اول من قدم المدينة بوازع طبعه واما مصعب رضي الله عنه
فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم ثم رايت في السيرة الهشامية
اول من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
بني مخزوم ابو سلمة رضي الله عنه فلا اشكال ثم جاء عمار وبلال
وسعد رضي الله عنهم وفي رواية ثم قدم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسالا لا بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في

دورهم

١٩٦

دورهم فاووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر ابن الخطاب وعياش
ابن ابي ربيعة رضي الله عنهما في عشرين راكبا وكان هشام ابن العاص
واعد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان يهاجر معه وقال تجدني
او اجدك عند محل كذا ففطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة ومر
علي كرم الله وجهه قال ما علمت ان احدا من المهاجرين هاجر الا
مختفيا الا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد
سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده اسهما واختصر عنزته
اي وهي الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة
والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم اتى المقام فصلى
ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم شاهت الوجوه
لا يرغم الله الا هذه المعاطس لعيف الانوف من اراد ان تثكله امه
اي تفقده او يوتم ولده او يرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي
قال علي كرم الله وجهه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه ثم ان ابا
جهل واخاه شقيقه الحارث بن هشام رضي الله عنه فانه اسلم
بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يهاجر
فكلما عياش اي ابن ابي ربيعة رضي الله عنه وكان اخاهما لامهما
وابن عمهما كان اصغر ولد امه واخبراه ان امه قد نذرت ان لا
تغسل راسها وفي لفظ ولا يمس راسها مشط ولا تستظل
من شمس حتى تراه وفي لفظ ان لا تاكل ولا تشرب ولا تدخل
كنا حتى يرجع اليها وقالا له انت احب ولد امك اليها وانت في دين
منه بر الوالدين فارجع الى مكة فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة
فرقت نفسه وصدقهما اي واخذ عليهما المواثيق ان لا يعنياه
بسوء وقال له عمر رضي الله عنه ان يريدا الا فتنتك عن دينك فاحذرهما

والله لو اذى امك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال
عياش رضي الله عنه ابر امي ولي مال هناك اخذه فقال له عمر رضي الله
عنه خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فابى الا ذلك فقال له عمر رضي
الله عنه فحيث صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم
ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فابى ذلك وخرج راجعا معهما
الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء اي شدا يديه الى
خلفه بالكتاف في الطريق وفي السيرة الشامية انه اخذ الناقة
وخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له ابو جهل
لعنه يا اخي والله لقد استغلظت بعيري هذا افلا تعقبني على
ناقتك هذه قال بلى قال فاناخ واناخا ليتحول عليها فلما استووا
بالارض عدوا عليه واوثقوه رباطا ودخلا به نهارا موثقا وقالا يا
اهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا وفي لفظ بسفيهنا
فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن الهجرة
وجعل كل في قيد وفي لفظ انهما لما ذكروا ان امه حلفت ان لا يظلها
سقف حتى تراه واعطياه موثقا ان لا يمنعاه وان يخليا سبيله
بعد ان تراه امه فانطلق معهما حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه
فشداه وثاقا وجلداه نحو من مائة جلدة وكان اعانهما عليه
رجل من بني كنانة اي يقال له الحارث ابي يزيد القرشي وفي كلام ابن
عبد البر رحمه الله انه كان ممن يعذبه بمكة مع ابي جهل لعنه الله
وفي الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وانه لما جيء به الى مكة
القي في الشمس وحلفت امه انه لا تحل عنه حتى يرجع عن دينه
ففتن قيل وكان ذلك سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه الاية وفيه انه تقدم انها نزلت في سعد ابن ابي وقاص رضي
الله عنه ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه وقيل لم يزل عياش رضي الله

عنه

عنه محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش
فلقي ذلك الرجل الكناني وكان قد اسلم وعياش رضي الله عنه
لا يعلم باسلامه فقتله واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل
الله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا فقراها النبي صلى
الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر اي اعتق رقبة وما ذكر ان
عياش استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم مكث صلى الله عليه وسلم
وهو بالمدينة كما سياتي اربعين صباحا يقنت في صلاة الصبح بعد
الركوع اي من الركعة الاخيرة وكان يقول في قنوته اللهم انج الوليد
ابن الوليد وعياش ابن ابي ربيعة وهشام ابن العاص والمستضعفين
من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان
هذا يدل على ان هشام ابن العاص وعياش ابن ابي ربيعة لم يفتنا ولم يرجعا
عن الاسلام وفي السيرة الشامية ما يفيد انهما فتنا الاول صريحا والثاني
ظاهرا وفي السيرة الشامية التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر لانهما
لو كانا فتنا لاطلقا من الحبس والقيد وادامة ذلك الى ان يقال فعل بهما
ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على ان رجوعهما عن
الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما
اي وسياتي ان الوليد كان سببا لتخليص عياش بن ابي ربيعة وهشام
ابن ابي العاص بعد ان تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان
الوليد كان اسر ببدر ثم افتكه اخواه خالد وهشام ابنا الوليد
ابن المغيرة وذهبا به الى مكة فاسلم فارادا الرجوع فحبسوه بمكة وقيل له
هلا اسلمت قبل ان تفتدي قال كرهت ان يظن بي اني جزعت الاسار
ثم تخلص رضي الله عنه وتوصل الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما
وجاء بهما الى المدينة فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه

وبه يعلم ضعف ما تقدم من ان عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح
اي وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى ابي حذيفة بن عتبة
ابن ربيعة اي لانه لما اعتقته زوجة ابي حذيفة وكانت انصارية
تبناه ابو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه لانه كان اكثرهم اخذا للقران وكان عمر ابن الخطاب يثني عليه
كثيرا حتى قال لما اوصى عند قتله لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا
ما جعلتها شورى قال ابو عمر ابن عبد البر رحمه الله معناه انه كان يأخذ برايه
فيمن يولى الخلافة اي فانه قتل في اليمامة وارسل عمر بميراثه
لمعتقته فابت ان تقبله فجعله في بيت المال ولما اراد صهيب رضي الله
عنه الهجرة الى المدينة اي بعد ان هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلافا
لما يوهمه كلام الاصل وان تقدم قال له كفار قريش اتيتنا صعلوكا
حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد ان تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك
فقال لهم صهيب رضي الله عنه ارايتم ان جعلت لكم مالي اتخلوا سبيلي
قالوا نعم قال فاني جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ربح صهيب اقول وذكر ان صهيبا تواعد معه صلى الله عليه وسلم
ان يكون معه في الهجرة فلما اراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل
اليه ابا بكر رضي الله عنه مرتين او ثلاثا فوجده يصلي فكره ان يقطع
عليه صلاته كما سياتي وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته
صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم ومر ما في الخصائص الكبرى
عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج
معه ابو بكر رضي الله عنه وقد كنت هممت بالخروج معه فصدني
فتيان من قريش اي بعد ان اردت الخروج معه وقالوا له جئتنا
فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد ان تخرج بمالك
وبنفسك

١٩٨

وبنفسك لا يكون ذلك ابدا قال فقلت لهم هل لكم ان اعطيكم اواقي
من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا سبيلي ففعلوا
فقلت احفروا تحت اسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا قبل ان يتحول منها فلما راني
قال يا ابا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني اليك
احد وما اخبرك الا جبريل عليه السلام اي واخرج ابو نعيم في الحلية
عن سعيد ابن المسيب قال اقبل صهيب رضي الله عنه مهاجرا نحو النبي
صلى الله عليه وسلم اي وقد اخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه
قوم من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال يا معشر
قريش قد علمتم اني من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون الي حتى ارمي
بكل سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي منه في يدي شيء ثم افعلوا
ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم
فقال لهم ما تقدم اي وفي رواية انهم قالوا له دلنا على مالك ونخلي
على مالك عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان
المشركين اخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من
غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا لي راحلة
ونفقة ففعلوا فنزل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر رضي الله عنه جالسين فلما راني ابو بكر وعمر ورجال فقال لي
ابو بكر رضي الله عنه ربح بيعك ابا يحيى فقلت وبيعك فلا تخبرني
ما ذاك فقال انزل الله فيك كذا وقرا علي الاية وفي تفسير سهل ابن
عبد الله التستري ان صهيبا رضي الله عنه كان من المشتاقين لم يكن
له قرار كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكي ان امراة اشترته

فبرانه كذلك فقالت لا ارضى بك حتى تنام بالليل لانك تضعف
فلا ينبهانك لاشتغال باعمال مثلي وقال ان صهيبا اذا ذكر ان رطا ربه
واذا ذكر الجنة جاشوقه واذا ذكر اسطال شوقه ابو ثبت امل هذا مع باقي تاريخ
ابن كثير رحمه الله ان الروم اغارت على بلاد صهيب رضي الله عنه وكانت
على دجلة وقيل الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب
فاحتملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه واقام بمكة حينا
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسلامه واسلام عمر رضي
الله عنهما في يوم واحد وقد يقال يجوز ان يكون تلك المراه التي اشترته
من بني كلب وعن صهيب رضي الله عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يوحى اليه وانه قال له عمر رضي الله عنه يا صهيب اكتنيت
وليس لك ولد فقال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي يحيى
اي وتوفي حيا لذلك كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس له ولد
وكان رضي الله عنه في لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة راه صلى الله
عليه وسلم ياكل قثا ورطبا وهو ارمد احدى عينيه فقال له اتاكل
قثا ورطبا وانت ارمد فقال انما اكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك
صلى الله عليه وسلم وفي المعجم الكبير للطبراني عن صهيب رضي الله عنه
قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز
فقال ادن فكل فاخذت اكل من التمر فقال صلى الله عليه وسلم اتاكل
من التمر وبك رمد فقال يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى اي ولا
مانع من التعدد ولما اذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة ولم يتخلف
معه الا علي اي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وابو بكر رضي الله عنه اي
وصهيب كما تقدم ومن كان محبوسا او مريضا او عاجزا عن الخروج
كان ابو بكر رضي الله عنه كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع

ابو بكر

ابو بكر ان يكون هو صلى الله عليه وسلم وفي رواية تجهز ابو بكر رضي الله
عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجوا
ان يوذن لي فقال له ابو بكر هل ترجوا ذلك بابي انت قال نعم فحبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط اي وفي لفظ ورق السمر
بفتح المهملة وضم الميم قال الزهري وهو الخبط قال ابن فارس والخبط
ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفهما اربعة
اشهر اي وكان رضي الله عنه اشتراهما بثمان مائة درهم اقول ظاهر
هذا السياق ان علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم
ما ذكر ومعلوم ان ذلك كان بعد مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم
والمدة بعد مبايعة الانصار له والهجرة كانت ثلاثة اشهر او قريبا
منها لانها كانت في ذي الحجة وهجرته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع
الاول وفي السيرة الشامية يصرح بان علفه للراحلتين كان بعد
قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ففيها انه صلى الله عليه وسلم لما
قال لابي بكر رضي الله عنه وقد استاذنه في الهجرة لا تعجل لعل الله ان
يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه
فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما اعدادا لذلك وسياتي
عن الحافظ ابن حجر رحمه الله ان بين ابتداء هجرة الصحابة وهجرته صلى الله
عليه وسلم شهرين ونصف على التحرير والله اعلم فلما رات قريش ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صار له شيعة اي انصار واصحاب من غيرهم وراوا
خروج اصحابه صلى الله عليه وسلم اليهم وانهم اصابوا منعة لان الانصار
رضي الله عنهم اهل حلقة اي سلاح وباس حذروا ان يخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان يجمع على حربهم فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيها

يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محلا لمشورتهم لا يقضون
امرا الا فيها اي وهي اول دار بنيت بمكة كانت بمنزلة قصي بن كلاب
كان يتقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية رضي الله عنه
لما حج وهو خليفة من اولاد عبد الدار و تقدم ان معاوية انما اشتراها
من حكيم ابن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء
الاسلام ودار الندوة بيد حكيم ابن حزام فباعها من معاوية بن
ابي سفيان رضي الله عنهما بمائة الف درهم فقال له عبد الله بن الزبير
بعت مكرمة قريش فقال حكيم رضي الله عنه ذهبت المكارم الا التقى
يا ابن اخي الي لخرما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام
الحنفي الان وكان لها باب للمسجد وتقدم انه كان لا يدخلها عند
المشورة من غير ولد قصي الا ابن اربعين سنة وفي كلام بعضهم
ساد ابو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استدارت
لحيته وقد ادخلت في المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندي
ومعنى الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لانه اجتمع فيه
اشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني اسد
وبني مخزوم وبني سهم وبني جمح وغيرهم ممن لا يعد من قريش اي
ولم يتخلف من اهل الراي والحجا احد ثم ان ابليس لعنه الله جاءهم
في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان من خز وقيل من صوف وانما فعل
ذلك ليقبل منه ما يشير به لان اهل الطيالسة في العادة اهل الوقار
والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال
من اهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون
وعسى ان لا يعدمكم منه رايا ونصحا قالوا اجل اي نعم فادخل
فدخل معهم اي وانما قال لهم من اهل نجد لان قريشا قالوا لا يدخل

معكم

معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم كان مع محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل لما سمعهم يقولون لا يدخل معكم اليوم
الا من هو منكم قال لهم لما سالوه وقالوا له من انت قال شيخ من نجد
وانا ابن اختكم فقالوا ان ابن اخت القوم منهم وقيل ان ابليس
لما دخل عليهم انكروه وقالوا له من انت ومن اوصلك علينا في خلوتنا
هذه بغير اذننا فقال اني رجل من اهل نجد رايتكم حسنة وجوهكم
طيبة رائحتكم فاحببت ان اجلس اليكم وان اسمع كلامكم فان كرهتم ذلك
خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدي ولا عين عليكم منه وفي
لفظ هذا من نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة
قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان
من امره ما قد رايتم واننا والله لا نامنه على الوثوب علينا بمن قد
اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رايا فتشاوروا فقال قائل منهم اي وهو
ابو البختري ابن هشام احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا
به ما اصاب اشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما اصابهم من هذا الموت
فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم براي والله لو حبستموه
كما تقولون ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه
فلا تشكوا ان يثبوا عليكم فينزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم
على امركم ما هذا لكم براي فانظروا رايا غيره فتشاوروا فقال قائل
منهم اي وهو الاسود بن ربيعة ابن عمير نخرجه من بين اظهرنا
فننفيه من بلادنا فاذا اخرج عنا فوالله ما نبالي اين يذهب
فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم براي الم تروا حسن حديثه
وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما ياتي الله به والله
لو فعلتم ما امنتم ان يحل بفتح اوله وضم ثانيه المهملة اي ينزل

ويجوز ان يكون بكسرها اي يسقط علي حي من العرب فيغلب بذلك
عليهم من قوته وحدته حتي يتابعوه ثم يسير به اليكم حتي يطأكم بهم
فيأخذكم من ايديكم ثم يفعل ما اراد بكم ديروا فيه امرا غير هذا فقال
ابو جهل ابن هشام لعنه الله والله ان لي فيكم لرايا ما اراكم وقعتم عليه
قالوا وما هو يا ابا الحكم قال الراي ان تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا
اي قويا حسيبا في قومه نسيبا وسطا ثم يعطي كل فتي منهم سيفا
صارما ثم يعمدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه
فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه علي القبائل جميعا
فلم يقدر بنوا عبد مناف علي حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالعقل
اي الدية فعقلناه لهم فقال النجدي القول ما قال هذا الرجل هذا
هو الراي ولا اري غيره فتفرق القوم علي ذلك فاتي جبريل عليه السلام
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له لا تبت الليلة في فراشك الذي
كنت تبيت عليه اي واخبره بمكرهم وانزل الله تعالي واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية فلما كانت عتمة من الليل اي ثلثه الاول
من الليل اجتمعوا علي باب رسول الله صلي الله عليه وسلم يرصدونه
حتي ينام فيثبوا عليه اي ولما قالوا به اقول في الدر المنثور
اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن عبيد ابن عمير لما ائتمروا
بالنبي صلي الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه قال له ابو
طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال يريدون ان يسجنوني او يقتلوني
او يخرجوني قال من حدثك بهذا قال صلي الله عليه وسلم ربي قال نعم
الرب ربك فاستوص به خيرا قال استوص به بل هو يستوص
بي هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا كان بعد موت ابي طالب وكان
ائتمارهم في يوم السبت فقد سئل صلي الله عليه وسلم عن يوم السبت

فقال

فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا ارادوا
ان يمكروا فيه اي ارادوا المكر فيه برسول الله صلي الله عليه وسلم
فانزل الله تعالي واذ يمكر بك الذين كفروا وفي سيرة الحافظ
الدمياطي فاجتمع اولئك القوم من قريش يتطلعون من صير
الباب اي شقه ويرصدونه يريدون بياته صلي الله عليه وسلم
اي يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون ايهم يحمل علي المضطجع
وفيه ان ائتمارهم في ذلك لا يناسب ما اجتمع عليه رايهم من انهم
يجتمعون عليه ليتفرق دمه في القبائل ثم رايت بعضهم قال
واحدقوا ببابه صلي الله عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون
طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم
قاتليه من جميع القبائل فلا يمكنهم اخذ ثاره وهو المناسب لما
ذكر والله اعلم قيل فلما راي رسول الله صلي الله عليه وسلم مكانهم اي علم
ما يكون منهم قال لعلي كرم الله وجهه نم علي فراشي واتشح
ببردي هذا الحضرمي وقد كان صلي الله عليه وسلم يشهد فيه العيدين
وكان طوله اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان
اخضر او احمر يدل للثاني قول جابر رضي الله عنه كان يلبس بردا
احمر في العيدين والجمعة ثم رايت في بعض الروايات انه كان اخضر
فليتأمل الجمع وفي سيرة الحافظ الدمياطي واتشح ببردي هذا
الاحمر والحضرمي منسوب الي حضرموت التي هي القبيلة او البلد
باليمن كان صلي الله عليه وسلم يتسجي ببرده ذلك عند نومه فانه لن
يخلص اليك شيء تكرهه منهم اقول وما روي ان الله سبحانه
وتعالي اوحي الي جبريل وميكائيل اني قد اخيت بينكما وجعلت
عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار

كلاميهما الحياة فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل علي بن ابي طالب
اخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه
بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا
فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل عليه السلام
بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب باهى الله تعالى بك الملائكة وانزل
الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال
فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق اهل العلم بالحديث والسير
وايضا قد حصل له الطمانينة كرم الله وجهه بقول الصادق له
لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم فلم يكن فيه فدا بالنفس ولا ايثار
بالحياة والاية المذكورة في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق
وقيل انها نزلت في صهيب لما هاجر اي كما تقدم اي لكنه في الامتاع
لم يذكر انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه ما ذكر وعليه
فيكون فداوه للنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واضح ولا مانع من
تكرر نزول الاية في حق علي كرم الله وجهه وفي حق صهيب رضي الله
عنه وحينئذ يكون شرا في حق علي بمعنى باع اي باع نفسه بحياة
المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي حق صهيب رضي الله عنه بمعنى
اشترى اي اشترى نفسه بماله ونزول هذه الاية بمكة
لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب
وفي السبعيات انه صلى الله عليه وسلم نظر الى اصحابه رضي الله
عنهم وقال ايكم يبيت على فراشي وانا اضمن له الجنة فقال علي كرم
الله وجهه انا ابيت واجعل نفسي فداك هذا كلامه ولعله لا يصح
ثم رايت في الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحاق ولم
يعلم فيما بلغني بخروجه صلى الله عليه وسلم حين خرج الا علي وابو بكر
الصديق فليتامل والله اعلم وكان في القوم الحكم بن ابي العاص

وعقبة



وعقبة ابن ابي معيط والنضر ابن الحارث وامية ابن خلف
وزمعة ابن الاسود وابو لهب وابو جهل فقال وهم على
باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه
على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت
لكم جنان كجنان الاردن اي بضم الهمزة وتشديد النون وهو
محل بارض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم
ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها وسمعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم انا اقول
ذلك واخذ حفنة من تراب وتلى قوله تعالى يس والقران الحكيم
الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فاخذ الله تعالى على ابصارهم
عنه صلى الله عليه وسلم فلم يبصروه وفي مسند الحارث بن
ابي اسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضل يس
انها اذا قراها خائف امن او جائع فشبع او عار كسي او عطشان
سقي او سقيم شفي وعند خروجه صلى الله عليه وسلم جعل
ينثر التراب على رؤوسهم فلم يبق رجل الا وضع صلى الله عليه وسلم
على راسه ترابا ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى حيث اراد فاتاهم
ات فقال ما تنتظرون هاهنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله
والله خرج عليكم محمد صلى الله عليه وسلم ثم ما ترك منكم رجلا
الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم
قال فوضع كل رجل منهم يده على راسه فاذا عليه تراب وقال
في النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبي صلى الله عليه
وسلم تكنى ام الرباب انها طاطات لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين وينبغي ان يوفق بينهما

ان صحا والا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه اقول
التوفيق حاصل وهو ان يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم
لم يحب ان يخرج عليهم من الباب فتسور الحائط الذي يليه منها
عليهم والله اعلم اي وكان ذهابه في تلك الليلة الى بيت ابي بكر
رضي الله عنه فكان فيه الى الليل اي الى الليلة المقبلة ثم
خرج هو صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه ثم مضيا الى جبل
ثور كذا في سيرة الدمياطي نظرا اي بعد اخبارهم بخروجه صلى
الله عليه وسلم وجعله التراب على رؤوسهم جعلوا يطلعون فيرون
عليا كرم الله وجهه نائما على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا
كذلك اي يريدون ان يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى اصبحوا
وانتفع النهار فقام علي كرم الله وجهه من الفراش فقالوا والله
لقد صدقنا الذي كان حدثنا اي ولما قام علي كرم الله وجهه
سالوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا علم لي به وفي رواية
لما اصبحوا ثاروا اليه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما
راوا عليا كرم الله وجهه رد الله مكرهم فقالوا اين صاحبك
قال لا ادري فانزل الله تعالى قوله ام يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون وانزل الله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك او يخرجوك كذا في الاصل تبعا لابن اسحاق ولا يخفى
ان الاية الثانية موافقة لما ذكروه من المشاورة قال والمانع
من اقتحام الجدار عليه صلى الله عليه وسلم في الدار مع قصر الجدار
وقد جاؤوا لقتله انهم هموا بذلك فصاحت امراة من الدار فقال
بعضهم لبعض انها السبة في العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا

الحيطان

٢٠٣

الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى اقول
لا يخفى ان هذا لا يناسب ما قدمناه عن بعضهم انهم انما
ارادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر لينظر بنو
هاشم قاتلوه فلا يثبوا عليه ليلا بتسور الجدار الا ان يقال
ارادة ذلك منهم كانت لطلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة
لهم من الوثوب عليه لا ينافي ان المانع لهم من الوثوب عليه الذي
جاؤوا بصدده وهم مائة رجل من صناديد قريش انما هي حماية
الله الموجبة لانهم واظهار عجزهم وفي ذلك تصديق لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه لا يخلص اليك شيء
تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون
يرمون عليا كرم الله وجهه يظنون انه النبي صلى الله عليه وسلم
يرمونه بابصارهم لا بنحو حجارة او نبل والله اعلم فان قيل
هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك
لفات اذلالهم بوضع التراب على رؤوسهم واظهار رحمة الله
بخروجه عليهم ولم يبصره احد منهم وفي رواية انهم تسوروا
عليه ودخلوا شاهدين سيوفهم فثار علي كرم الله وجهه
في وجوههم فعرفوه فقالوا انت هو اين صاحبك فقال لا ادري
وهذا مخالف لما تقدم فليتامل الجمع بينهما على صحة هذا وفي لفظ
امروه بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبسوه ساعة
ثم خلوا عنه والله اعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن
له في الهجرة الى المدينة اي وانزل الله عليه وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا قال زيد ابن اسلم جعل الله مدخل صدق المدينة ومخرج

صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار رضي الله عنهم وبعار ضه
ملجا ان عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له
جبريل عليه السلام سل ربك فان لكل نبي مسئلة فقال اما تامرني
ان اسال قال قل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فانزل الله عليه ذلك في رجعته
من تبوك بعد ما ختمت السورة الا ان يدعي تكرر النزول وعند
الاذن له صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال صلى الله عليه وسلم
لجبريل عليه السلام من يهاجر معي قال جبريل عليه السلام ابو بكر
الصديق اي ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى
صديقا فقد تقدم ان تسميته بذلك كان عند تصديقه له صلى الله
عليه وسلم عند اخباره بالاسرا وعن صفة بيت المقدس ومن
الغريب ايضا ما في السبعيات ان النبي صلى الله عليه وسلم تشاور
من اصحابه فقال ايكم يوافق معي ويرافقني فقد امرني الله بالخروج
من مكة الى المدينة فقال ابو بكر رضي الله عنه انا يا رسول الله ويرده
ما في السيرة انه صلى الله عليه وسلم اتى ابا بكر رضي الله عنه ذات يوم
ظهرا فناداه فقال اخرج من عندك فقال يا رسول الله انما هما
ابنتاي عايشة واسما رضي الله عنهما قال شعرت اي علمت
انه قد اذن لي في الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة اي اسالك
الصحبة فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة اي لك
الصحبة عندك فانطلقا اي ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطي
لكن تقدم عنها انه صلى الله عليه وسلم دخل بيت ابي بكر رضي الله
عنه في ليلة خروجه من عند قريش وانه صلى الله عليه وسلم مكث
ببيت ابي بكر الى الليلة القابلة التي كان فيها خروجه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم الى جبل ثور فجاء الى الجبل وقد يقال لان مجيئه صلى
الله عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين
حتى اتيا الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال عند خروجه من مكة اي متوجها الى
المدينة والله اني لاخرج منك واني لاعلم انك احب بلاد الله الى الله
واكرمها على الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت اي وفي
رواية انه وقف اي على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال
والله انك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك
قهرا ما خرجت وفي لفظ انه وقف في وسط المسجد والتفت
الى البيت فقال اني لاعلم ما وضع الله بيتا احب الى منك وما في
الارض احب الي منك وما خرجت عنك رغبة ولكن الذين كفروا
اخرجوني اي وهذا السياق يدل على ان وقوفه على الحزورة
او في وسط المسجد يقتضي انه جا بعد خروجه من الغار الى ما
ذكر ثم ذهب الى المدينة وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم
على الحجون وقال والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله
الى الله ولولم اخرج منك ما خرجت وفي لفظ لو تركت فيك ما خرجت
منك ولا مانع من تكرر ذلك ثم رايت في كلام بعضهم ان وقوفه
صلى الله عليه وسلم على الحجون كان في عام الفتح وفي لفظ اخر قال
صلى الله عليه وسلم لمكة ما اطيبك من بلدة واحبك الي ولولا ان قومي
اخرجوني منك ما سكنت غيرك اي وفي جمال القرا للسخاوي رحمه الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة
وبكى فانزل الله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك الاية واما ما
روى الحاكم عن ابي هريرة مرفوعا اللهم انك اخرجتني من احب البقاع

الي فاسكني في احب البقاع اليك فقال الذهبي انه موضوع وقال
ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم انه منكر موضوع اقول والذي
رايته عن المستدرك اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد
الي فاسكني احب البلاد اليك والمعني واحد واما ما روي
عن الزهري اللهم انك اخرجتني من احب البلاد الي فاسكني احب البلاد
اليك استند من قال بتفضيل المدينة علي مكة قال لان الله تعالي اجاب
دعاه فاسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلما ومنهم الامام مالك
رضي الله عنه واما الاحاديث الاول استند من قال بتفضيل مكة علي
المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعي رضي الله عنه واستندوا
في ذلك الي انه صلي الله عليه وسلم قال في حجة الوداع اي بلد تعلمونه
اعظم حرمة قالوا لا نعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من
الصحابة رضي الله عنهم اقرهم عليه صلي الله عليه وسلم انها اي مكة
افضل من ساير البلاد لان ما كان اعظم فهو افضل وقد قال
صلي الله عليه وسلم المقام بمكة سعاده والخروج منها شقاوه وقال
صلي الله عليه وسلم من صبر علي حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه
جهنم مسيرة مائة عام قال ابن عبد البر رحمه الله واني لاعجب ممن
يترك قول رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو قوله والله اني لاعلم
انك خير ارض الله واحبها الي الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك
ما خرجت وهذا حديث صحيح وقيل الي تاويل لا يجامع
ما تاول عليه اي ولان الحسنة فيها بماية الف حسنة فعن ابن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من حج
ماشيا كتبت له بكل خطوة سبعماية حسنة من حسنات الحرم
قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بماية الف حسنة

دفن

ويقع الكلام في عرفا ضم اعضاه الشريفة من ارض المدينة والا فذاك
افضل بقاع الارض بالاجماع حتي من العرش والكرسي علي ان صاحب
عوارف المعارف رحمه الله ذكر ان الطوفان موج تلك التربة المكرمة
عن محل الكعبة حتي ارساها بالمدينة فهي من جملة ارض مكة وحينئذ
لا يحسن الاستناد في تفضيل المدينة علي مكة بقول ابي بكر رضي الله عنه
انهم لما اختلفوا في اي محل يدفن فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم
لم يقبضه الله الا في احب البلاد اليه ليدفن فيه كما سياتي والله اعلم
وعن عايشة رضي الله عنها قالت بينا نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر
رضي الله عنه في نحر الظهيرة اي وسطها وهو وقت الزوال قال
قايل لابي بكر رضي الله عنه اي وهذا القايل هي اسما بنت ابي بكر
رضي الله عنهما وفي كلام بعض الحفاظ يحتمل ان يفسر بعامر ابن فهيرة
مولي ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت اسما قلت يا ابت هذا رسول
الله صلي الله عليه وسلم متقنعا اي متطيلسا في ساعة لم يكن ياتينا
فيها اي فنحن عايشة رضي الله عنها لم يمر علينا يوم اي قبل الهجرة الا
وياتينا رسول الله صلي الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية كان لا يخطي
ان ياتي رسول الله صلي الله عليه وسلم بيت ابي بكر احد طرفي النهار اما بكرة
واما عشية اي ويحتاج الي الجمع بين هاتين الروايتين علي تقدير
صحة الثانية والا فالاولي في البخاري وتفسير التقنع بالتطيلس
ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث قال قوله متقنعا اي متطيلسا وهو
اصل في لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال
لم ينقل عنه صلي الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من اصحابه
وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية
الراس واكثر الوجه بالردا من غير ان يجعل منه شيء تحت رقبته الذي

يقال له التحنك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان
المقور الذي تلبسه اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور
هو المعروف بالطرحه وقد اتخذت خلفا بني العباس الطرحة
السودا على العمامة عند الخطبه واستمر ذلك شعار الخلفا والحاصل
ان ما يغطى به الراس مع اكثر الوجه ان كان معه تحنك اي اداره
على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له ردا مجازا وان لم يكن
معه تحنك قيل له ردا وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ماكان
شعارا في القديم لقاضي القضاه الشافعي خاصة قال بعضهم
بل صار شعار الفقها ومن ثم صار لبسه متوقفا على الاجازه
من المشايخ كالافتا والتدريس فكان الشخص يكتب في اجازته
وقد اذنت له في لبس الطيلسان لانه شهاده بالاهلية وما يجعل
على الاكتاف دون الراس يقال له ردا فقط وربما قيل له
ايضا طيلسان مجازا وصح عن بن مسعود رضي الله عنه وله حكم
المرفوع التقنع من اخلاق الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد
ذكر بعضهم ان الطيلسان الخلوة الصغرى وفي حديث لا يتقنع
الا من استكمل الحكمه في قوله وفعله وكان ذلك من عادة
فرسان العرب في المواسم والجموع واول من لبس الطيلسان
بالمدينه جبير بن مطعم وفي الكفايه لابن الرفعه ان ترك
الطيلسان لفقيه مخل بالمروه اي وهو بحسب ما كان
في زمنه وفي الترمذي لم يكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع
انما كان صلى الله عليه وسلم يفعله لحر او برد وتعقب بان في
حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يكثر التقنع وفي طبقات بن سعد مرسلا انه ذكر له صلى الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره اي لان فيه
غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم ولما قيل
لابي بكر رضي الله عنه ذلك اي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متقنعا قال ابو بكر رضي الله عنه فدا له ابي وامي والله ما جا به
في هذه الساعه الا امر قالت فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستاذن فاذن له فدخل وتنحى ابو بكر رضي الله عنه
عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه اخرج من عندك
فقال للنبي صلى الله عليه وسلم انما هم اهلك اي لان النبي صلى
الله عليه وسلم كان عقد على عايشه كما تقدم فامها من جملة اهله
واختها كذلك وقيل هو على حذف قول الشخص لاخر اهلي اهلك
وفي روايه قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال
ابو بكر رضي الله عنه لا عين عليك انما هما ابنتاي اي وسكت
عن امهما ستر فقال صلى الله عليه وسلم فانه قد اذن لي في الخروج
فقال ابو بكر رضي الله عنه الصحبة يا رسول الله بابي انت وامي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اي فبكى ابو بكر رضي الله
عنه سرورا قالت عايشه رضي الله عنها فرايت ابا بكر يبكي
وما كنت احسب ان احدا يبكي من الفرح حتى رايت ابا بكر رضي
الله عنه ولله در القايل ورد الكتاب من الحبيب بانه سيزورني فا
هجم السرور علي حتى انه من فرط ما قد سرني ابكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة تبكين من فرح ومن احزان
اي ومنه اقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة له عين يفرح به
واسخن عينه لمن يدعى عليه وهو سخنة عين لما يحزن به

لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد روي ان نبيا
من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجتاز بحجر يخرج منه الما
فسال ربه عن ذلك فانطق الله الحجر فقال منذ سمعت ان لله نارا
وقودها الناس والحجارة وانا ابكي هذا الدمع خوفا من النار فاشفع
لي عند ربك فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك ثم مر به مرة فاذا الما
يخرج منه فقال الم ابشرك ان الله انجاك من النار فما هذا قال يا نبي
الله ذاك بكا الخوف والخشية وهذا بكا الفرح والمسرة ومن ثم لما قال
صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب رضي الله عنه ان الله امرني ان اقرا
عليك سورة لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بكى من
الفرح وقال او ذكرت هناك اي ذكرني الله وفي لفظ سماني
قال نعم وفي سفر السعادة قال انما البكا على عشرة انواع
بكا فرح وبكا حزن لما فات وبكا رحمة وبكا خوف لما يحصل
وبكا كذب كبكا النائحة لانها تبكي لشجو غيرها وبكا موافقة
بان يرى جماعة يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب وبكا المحبة
والشوق وبكا الجزع من حصول الم لا يحتمله وبكا الخور والضعف
وبكا النفاق وهو ان تدمع العين والقلب قاسي والبكا
بالقصر دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه صوت
واما التباكي فهو تكلف البكا وهو نوعان محمود ومذموم والاول
ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر رضي الله
عنه لما راى المصطفى صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله عنه
يبكيان في شان بدر اخبرني ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت
بكا بكيت والا تباكيت ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك
والثاني ما يكون لاجل الريا والسمعة قال ابو بكر رضي الله عنه
نحمد

تحذ يا بي انت احدى راحلتي هاتين فاني اعددتهما للخروج
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن اي لتكون هجرته
صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله والا فقد انفق ابو بكر
رضي الله عنه اكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم اي فعن عائشة
رضي الله عنها انفق ابو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم
اربعين الف درهم وفي لفظ الف دينار ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
ليس من احد امن علي في اهل ومال من ابي بكر رضي الله عنه
وفي رواية ما احد امن علي في صحبته وذات يده من ابي بكر رضي الله
عنه وما نفعني مال ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر رضي الله
عنه وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية ما لاحد
عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا الله يكافيه
بها يوم القيامة اقول ولا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم اخذ
احدى راحلتي ابي بكر بالثمن ما رواه ابان بن ابي عياش احد
التابعين عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر رضي الله عنه ما اطيب مالك منه بلال موذني وناقتي
التي هاجرت عليها وزوجتني ابنتك وواسيتني بمالك كاني
انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتي لان ابان بن ابي عياش
معدود من الضعفا وقد قال شعبة رحمه الله لان اشرب من
بول حمار حتى اروى احب الي من ان اقول حدثنا ابان بن ابي
عياش وقال مرة اخرى لان يزني الرجل خير من ان يروي عن
ابان وقد طلب من شعبة ان يكف عن ابان هذا فقال الامر
وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ابن حبان
عذر ابان بانه كان يروي عن انس رضي الله عنه وكان يجالس

الحسن البصري فكان يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن
عن انس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحته ما قاله لا منافاة ايضا
لانها كانت من مال ابي بكر وقيل انه يأخذها صلى الله عليه وسلم
بثمنها على ان في الترمذي ما يوافق ما رواه ابان فضيه عن علي كرم
الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر
زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق
بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله اعلم وكان الثمن
عن تلك الناقة التي هي القصوى وقد عاشت بعده صلى الله عليه
وماتت في خلافة ابي بكر رضي الله عنه او الجدعا اربع مائة درهم
لما علمت ان الناقتين اشتراهما ابو بكر رضي الله عنه بثمان مائة
درهم واما ناقته صلى الله عليه وسلم العضبا فقد كان ابنته
فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها قالت عايشة رضي الله عنها
فجهزناها احث الجهاز اي اسرعه والجهاز بكسر الجيم افصح
من فتحها ما يحتاج اليه في السفر ووضعنا لهما سفرة في جراب
اي زادا في جراب لان السفرة في الاصل الزاد الذي يصنع
للمسافر ثم استعمل في وعا الزاد وكان في السفرة شاة مطبوخة
فقطعت اسما بنت ابي بكر رضي الله عنها قطعة من نطاقها
فربطت به على فم الجراب اي وابقت الاخرى اي نطاقها
وهو يوافق ما في صحيح مسلم عن اسما رضي الله عنها انها قالت
للحجاج بلغني انك تقول اي لولدها عبد الله بن الزبير رضي الله
عنهما تعيره يا ابن ذات النطاقين اجل والله انا ذات النطاقين
اما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام
ابي بكر الصديق رضي الله عنه واما الاخر فنطاق المرأة اي الذي

لا تسعى

لا تستغني عنه عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المرأة
وسطها كيلا تعثر في ذيلها اي على ثوب يلقى اعلاه على
اسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جا في بعض الروايات
ذات النطاق اي وكلاهما صحيح لكن في لفظ فقطعت نطاقها
قطعتين اي فاوكات بقطعة منه فم الجراب وشدت فم
القربة بالباقي اي فلم يبق لها شي منه ه ويوافقه ما في
البخاري عن اسما رضي الله عنها انها لم تجد لسفرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لمحلها الذي هو الجراب ولا لسقايته اي الذي
هو القربة ما تربطهما به فقلت لابي بكر والله ما اجد شيا اربط
به الا نطاقي قال رضي الله عنه فشقيه اثنين واربطي بواحد
السقا الذي هو القربة وبواحد السفرة فلذلك سميت ذات
النطاقين اي سماها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
لها ابدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة وفيه ان في الرواية
الاولى التي عن عايشة والرواية الثانية التي عن اسما التي
رواها مسلم لم يذكرا السقا وفي رواية البخاري ذكر السقا
واسقاط الجراب لكن ذكر بدل الجراب السفرة وقد يقال
المراد بربط السفرة ربط محلها الذي هو الجراب كما اشرنا
اليه قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغي ان يكون اقرب
الى الربط لان اسما قالته في اخر عمرها مخبرة عن نفسها اي فلم
تربط الا الجراب باحد شقي النطاق وابقت لها الاخر وقد
يقال الحصر ليس في محله لمنافاته لرواية البخاري وجمع بانه
يجوز انها لما شقت النطاق نصفين قطعت احدهما قطعتين
فسدت باحدهما الجراب وبالاخر السقا فهي ذات النطاقين

الذي ابقته والذي فعلت به ما ذكر وفي السيرة الشامية ان
اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما جاءت اليهما لما نزلا من الغار
بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها عصاما فذهبت تعلق السفرة
فاذا ليس لها عصام فشقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها
به وانتطقت الاخر انتهى وهذا يدل على ان المراد بقول عائشة
رضي الله عنها فجهزناهما احب الجهاز اي عند خروجهما من الغار
لا عند ذهابهما الى الغار كما قدمناه من السياق ثم على الحادر
جرى ابن الجوزي حيث قال اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما
اسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدا لسفرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين
هذا كلامه وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك والنطاق ما تشد
به المراة وسطها لئلا تعثر في ذيلها بخلافه قول بعضهم النطاق
ثوب تلبسه المراة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى
على الاسفل وهذا يوافق القيل المتقدم ولعل له اطلاقين
ويوافق الثاني ما قيل اول من فعله هاجر ام اسماعيل عليه
الصلاة والسلام اتخذته لتخفي اثر مشيها على سارة ولعله
عند خروجها لما امر الله باخراجها مع ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ليذهب بها الى مكة قبل ان تركب مع ابراهيم على البراق
ثم استاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه
رجلا من بني الديل اي وهو عبد الله بن الاريقط الليثي ويقال
ابن ارقط او ارقطة اسم امه فارس يعني مصغرا ليدلهما
على الطريق الى المدينة وكان على دين قريش اي ثم اسلم بعد ذلك

ووصل

وقيل لم يعرف له اسلام وفي الروض ما وجدنا من طريق صحيح
انه اسلم بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور
بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور الذي
يحرث عليه وسياق الثاني يدل على ان استئجار عبد الله المذكور
كان قبل التجهيز قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور اي ليلا كما تقدم
ابن سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت
ابي بكر رضي الله عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو صلى الله عليه وسلم
وابو بكر رضي الله عنه الى غار ثور فدخلاه اي وقت خروجهما
من خوخة في بيت ابي بكر رضي الله عنه وعن عائشة بنت قدامة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة متنكرا فكان
اول من لقيني ابو جهل لعنه الله فاعمى الله عز وجل بصره عني
وعن ابي بكر رضي الله عنه حتى مضينا وفي كلام سبط ابن الجوزي
رحمهما الله وعن وهب بن منبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما خرج الى الغار من بيت ابي بكر رضي الله عنه خرج من خوخة
في ظهر الدار والاصح ان خروجه صلى الله عليه وسلم انما كان من بيت
نفسه وجعل ابو بكر يمشي مرة امام النبي صلى الله عليه وسلم
ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك
واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا امن
عليك انتهى في الدر المنثور فمشى صلى الله عليه وسلم ليلته على
اطراف اصابعه اي لئلا يظهر اثر رجليه على الارض حتى حفيت
رجلاه فلما راهما ابو بكر رضي الله عنه قد حفيتا حمله على كاهله

وجعل يشتد به حتى انتهى الى فم الغار فانزله وفي لفظ لم يصب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما وفي
كلام السهيلي عن ابي بكر رضي الله عنه قال نظرت الى قدمي رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد قطرتا دما قال بعضهم ويشبه
ان يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك
ولعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله
تمشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته وفي لفظ فانتهيا
الى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشي ليلة الا بتقدير ذلك
او انه صلى الله عليه وسلم كان قبل ذهب الى جبل حبشي فناداه
اهبط عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب فناداه
جبل ثور الي يا رسول الله وساق في الاصل رواية تقتضي
انه ذهب الى غار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم رايته في النور
اشار الى ان ركوبه الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لانه
ركبها من منزل ابي بكر رضي الله عنه الى الغار كما هو ظاهر الرواية
وفي الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضي الله عنهما لما تشاور
المشركون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلع الله نبيه صلى الله
عليه وسلم على ذلك خرج تلك الليلة حتى لحق بالغار فلما اصبحوا
اقتفوا اثره فلما بلغوا الجبل الحديث وهو مخالف لما تقدم
من ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان في الليلة الثانية
لا في ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لان قوله حتى
لحق بالغار غاية لمطلق الخروج من بيته لا في خصوص تلك
الليلة اي خرج صلى الله عليه وسلم من بيته واستمر على خروجه
حتى لحق بالغار وذلك في الليلة الثانية لكن تقدم انه صلى

الله

الله عليه وسلم جاء الى بيت ابي بكر رضي الله عنه نتيجتها في وقت
الظهيرة فليتامل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم
الله وجهه بخروجه الى الهجرة وامره ان يتخلف عنه حتى يؤدي
عنه الودائع التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس
لانه لم يكن بمكة احد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه صلى الله عليه وسلم
لما يعلموا من امانته اي وفعل اعلام علي كرم الله وجهه بذلك كان
عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت ابا بكر رضي الله عنه انه لم يثبت
انه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلي كرم الله وجهه بعد ذلك الا في المدينة
لكن سياتي عن الدر ما يقتضي انه اجتمع به عند خروجه من الغار
الفصول المهمة انه صلى الله عليه وسلم وصى عليا كرم الله وجهه بحفظ
ذمته واداء امانته ظاهرا على اعين الناس وامره ان يبتاع رواحل
للفواطم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت اسد ام علي
كرم الله وجهه وفاطمة بنت صلى الله عليه وسلم وارساله لتلك
الحملة كان بعد وصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فليتامل
قال في الفصول المهمة وقال صلى الله عليه وسلم له اي لعلي كرم
الله وجهه اذا ابرمت ما امرتك به كن على اهبة الهجرة الى الله
ورسوله وسر بعد ورود كتابي عليك واذا جا ابو بكر رضي الله عنه
فوجهه خلفي نحو بير ام ميمون وكان ذلك في فحمة العشا والرصد
من قريش قد احاطوا بالدار ينتظرون ان ينتصف الليل وينام
الناس ودخل ابو بكر رضي الله عنه على علي كرم الله وجهه وهو
يظنه اي وابو بكر يظن عليا رضي الله عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
الى بير ام ميمون وهو يقول لك ادركني فلحقه ابو بكر رضي الله عنه

ومضيا جميعا يمشيان حتى اتيا جبل ثور فدخلا الغار فبت مل
يجمع بينه وبين ما تقدم فلما انتهيا الى فم الغار قال ابو بكر رضي
الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخل
حتى ادخله قبلك فان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل رضي الله عنه
فجعل يلمس بيده كلما راى جحرا اتى بثوبه فشقه ثم القمه الجحر
حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقي جحر وكان فيه حية فوضع رضي الله عنه
عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحية التي في
الجحر لما احست بعقب سيدنا ابي بكر رضي الله عنه جعلت تلسعه
وصارت دموعه تتحدر قال ابن كثير رحمه الله وفي هذا السياق
غرابة ونكارة اي وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع راسه في
حجر ابي بكر رضي الله عنه فسقطت دموع ابي بكر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستيقظ فقال صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا
بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك ابي وامي فتفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده
قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه قال بعضهم والسر
في اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصص على رؤوسهم تعظيما
للحية التي لدغت ابا بكر رضي الله عنه في الغار اي لانهم يزعمون
ان ذلك على صورة تلك الحية ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر رضي الله عنه اين ثوبك فاخبره الخبر زاد في رواية
وانه صلى الله عليه وسلم راى على اطراف ابي بكر رضي الله عنه اثر الورم
فساله عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتني
قال كرهت ان اوقظك فمسحه النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
ما به من الورم والالم اي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين

على

على تقدير صحتهما وحين اخبره صلى الله عليه وسلم ابو بكر بذلك رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل ابا بكر معي في
درجتي في الجنة فاوحى الله اليه قد استجاب لك وروي انه رضي
الله عنه لما اصاب بيده كل جحر وحصل اصابه بعض ما ادماها فصار
يمسح الدم عن اصبعه ويقول هل انت الا اصبع دميت ...
وفي سبيل الله ما لقيت اي وبالغ ان هذا البيت من كلام عبد الله
ابن رواحة رضي الله عنه وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم
وانه يجوز ان يكون عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ضمن ذلك
البيت لابياته ومما قد يوجه ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم
ما ذكره سبط ابن الجوزي ان ابا بكر رضي الله عنه لما لحقه صلى الله
عليه وسلم في اثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الكفار فاسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشي فانقطع
قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع ابو بكر رضي الله عنه
صوته ليعرفه صلى الله عليه وسلم فعرفه ومما يصرح بذلك ما رايته
عن جندب البجلي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في غار كذا فدميت اصبعه فذكر البيت المذكور والمراد بالغار
غار من الغيران لا هذا الغار كما توهم اي في الصحيحين
عن جندب ابن عبد الله رضي الله عنه بينما نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اصابه حجر فدميت اصبعه فقال هل انت
الا اصبع دميت اي ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
الغار امر الله تعالى شجرة اي وهي التي يقال لها العشار اي وقيل
ام غيلان فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها اي ويقال
انه صلى الله عليه وسلم دعى تلك الشجرة وكانت امام الغار فاقبلت

حتى وقفت على باب الغار وانها كانت مثل قامة الانسان
وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها اي نسجا متراكما
بعضه على بعض اي لنسج اربع سنين كما قاله بعضهم وقد
نسج العنكبوت ايضا على عبد الله بن انيس رضي الله عنه لما
قتل سفيان بن خالد وقطع راسه واخذها ودخل في غار
الجبل وكمن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما سياتي ونسج ايضا
على نبي الله داود عليه الصلاة والسلام لما طلبه طالوت
ونسج ايضا على عورة سيدنا زيد ابن علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب وهو اخو الامام محمد الباقر وعم جعفر الصادق
وهو الذي تنسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن
اخذ عن واصل ابن عطا الاخذ عن الحسن البصري ولما ان
عطا المنزلة بين المنزلتين امره الحسن البصري باعتزال المجلس
فاعتزل فقيل له معتزلي وصار يقال لاصحابه معتزلة
ولا يلزم من كون شيخ سيدنا زيد معتزليا ان يسلك سيدنا
زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد رضي الله عنه عريانا واقام
مصلوبا اربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر عورته وقيل
ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود
الامرين وكان عند صلبه وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته
التي صلب عليها الى ان صار وجهه الى القبلة وقد وقع لخبيب
رضي الله عنه نحو ذلك كما سياتي ثم احرقوا خشبة زيد وجسده
وذري رماده في الرياح على شاطئ الفرات فانه رضي الله عنه
خرج على هشام بن عبد الملك فانهزم اصحاب زيد رضي
الله عنه بعد ان خذله وانصرف عنه اكثرهم فقد بايعه رضي الله عنه

ناس

ناس كثير من اهل الكوفة وطلبوا منه ان يتبرا من الشيخين ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما لينصروه فقال كلا بل انا اتولاهما فقالوا
اذا نرفضك فقال اذهبوا فانتم الرافضة فسموا بذلك من حين
رافضته وجاءت اليه طائفة وقالوا له نحن نتولاهما ونبرا ممن
يبرا منهما فثبتوا وقاتلوا معه فسموا الزيدية اقول والعجب
العجب ممن يتمذهب بمذهب زيد ويبرا من الشيخين ويكرههما
ويكره من يذكرهما بخير بل ربما يسبهما وعند مقاتلته رضي الله
عنه اصابته جراحات واصابه سهم في جبهته وحال الليل بين
الفريقين فطلبوا حجاما من بعض القرى لينزع له النصل
فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته واخفوا قبره
واجروا عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك فلما اصبح الحجام
مشى الى يوسف بن عمر متنصحا واخبره ودله على موضع قبره
فاستخرجه وبعث براسه الى هشام فبعث اليه هشام ان اصلبه
عريانا فصلبه كذلك ويقال ان هشام بن عبد الملك قال يوما
لزيد رضي الله عنه بلغني انك تريد الخلافة ولا تصلح لك لانك
ابن امة فقال رضي الله عنه قد كان اسماعيل عليه السلام ابن امة
واسحاق ابن حرة فاخرج من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد
فقال له هشام قم فقال رضي الله عنه اذن لا تراني الا حيث تكره
ومن شعره رضي الله عنه

لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم ... وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا

قيل وراس زيد هذا دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له
مشهد زين العابدين بن الحسين وكذلك وقع في طبقات العارف
بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به وليس كذلك

بل هو محل راس زيد ابن زين العابدين كما ذكره المقريزي في الخطط
ويقال له زيد الازيار ود ذكر نجاة للحيوان ان ما تنسجه العنكبوت
يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن علي كرم الله وجهه طهروا
بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وامر الله
حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار اي ويروى انهما باضتا
اي وفرختا كما قاله بعضهم واقبل المشركون رجلا فقال له
علقمة بن كرز رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك عام الفتح يقص
لهم اثر النبي صلى الله عليه وسلم فقفا لهم الاثر حتى انتهى الى الغار
اي فقعد وبال في اصل الحجر ثم قال ههنا انقطع الاثر
ولا ادري اخذ يمينا ام شمالا ام صعد الجبل وفي رواية قال
لهم القائف هذا القدم قدم ابن ابي قحافة وهذا القدم الاخر
لا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم
فقالت قريش ما وراء هذا شيء فلما وصل الى الغار قال الى هنا
انتهى الاثر وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله
عنه ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم وتقدم ما في ذلك
اي ان المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم
ذلك وخافوا وذهبوا وطلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة
اي الذين يقصون الاثر في كل وجه يقتفوا اثره فوجدا الذي
ذهب الى الجبل ثور اثره اي وقال ما تقدم فاقبل فتيان
قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم اي ولما اقبلوا شق
صلى الله عليه وسلم على صهيب رضي الله عنه وخاف عليه وقال
واصهيباه ولا صهيب لي اي لانه لو اعدهما ان يكون ثالثهما
فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل له ابا بكر
مرتين او ثلاثا فوجده يصلي فقال يا رسول الله وجدت

صهيبا

٢١٣

صهيبا يصلي فكرهت ان اقطع عليه صلاته فقال
صلى الله عليه وسلم اصبت وتقدمت الحوالة على هذا اي كان
فتيان قريش على اربعين ذراعا من الغار فتعجل بعضهم
ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين اي مع العنكبوت
فقال ليس فيه احد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال ف
فعرف ان الله درا عنه اي دفع عنه وفي رواية لما انتهوا الى
فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما
اربكم اي حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد
محمد اي ولو دخل لانفسخ ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا
يدل على ان البيض لم يكن فرخ اي ويحتمل ان بعضه فرخ وبعضه
لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال ابو بكر يا رسول الله
انه يرانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر لو كان يرانا
ما فعل هذا وفي بعض الروايات لو رآنا ما تكشف عن فرجه
اي ما استقبلنا بفرجه وبوله وقال ابو جهل لعنه الله اما
والله اني لاحسبه قريبا يرانا ولكن بعض سحره اخذ على ابصارنا
فانصرفوا وذكر ابن كثير ان بعض اهل السير ذكر ان ابا بكر
رضي الله عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم نظر الى
قدميه لابصرنا قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاءونا من هاهنا
لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضي الله عنه الى الغار قد
انفرج من الجانب الاخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة
الى جانبه قال ابن كثير رحمه الله وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة
العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوي ولا ضعيف ولسنا نثبت
شيئا من تلقاء انفسنا ونهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل

العنكبوت وقال انها جنود من جنود الله تعالى انتهى وعن ابي بكر رضي
الله عنه انه قال لا ازال احب العنكبوت منذ رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم احبها ويقول جزا الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت
علي وعليك يا ابا بكر الا ان البيوت تطهر من نسجها اي ينبغي
ذلك لما تقدم ان وجود نسجها في البيوت يورث الفقر وفي الجامع
الصغير جزا الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت علي الغار
اقول فيه ان في الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفي لفظ
العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تاخره
فهو ناسخ له وان كان متقدما عليه ما هنا وقد صح ما هنا فهو منسوخ
به وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين اي وفرض جزا الحمام والحذرنا
في الحرم فافرختا كل شي في الحرم من الحمام اي ولذلك ذهب الامام
القرافي من ائمتنا الى صحة الوقف على حمام مكة دون غيره من الطيور
وهو الراجح نظرا في الامتاع في كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج
فانه روي في قصة نوح عليه وسلم عليه السلام انه بعث الحمامة من
السفينة لتاتيه بخبر الارض فوقعت بوادي الحرم فاذا الماء قد
نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمرا فاختضب رجلاها
ثم جاته فمسح عنقها وطوقها الطوق ووهب له الحمرة في رجلها
واسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفي شعر الحارث بن مضاض
الذي اوله ° كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ° انيس ولم يسمر بمكة سامر
ويبكي لبيت ليس يوذي حمامه ° تظل به امنا وفيه العصافر
فمن هذا ان الحمام كانت في الحرم من عهد جدهم اي ونوح وذكر
بعضهم ان حمام مكة اظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا له بالبركة
ويروى ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما راى قربا اقبلت نحو الغار

خصوصا

٢١٤

خصوصا ومعهم القافة بكى اي ويقال لما سمع القائف يقول
لقريش والله ملجاوز مطلوبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال
والله ما على نفسي ابكي ولكن مخافة ان ارى فيك ما اكره
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا
وانزل الله سكينته على ابي بكر رضي الله عنه اي وانزل الله
امنته التي تسكن عندها القلوب وفي مصحف حفصة فانزل
الله سكينته عليهما قيل له لا تحزن ولم يقل لا تخف لان حزنه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن حزنه على نفسه وهذا
النهي تانيس وتبشير له كما في قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم
ولا يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة ان ذلك غض من ابي بكر
رضي الله عنه وذم له لان حزنه ان كان طاعة فالنبي صلى الله
عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية وفي رواية
عن ابي بكر رضي الله عنه قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن بالغار
لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه اي لانهم علوا
على رؤسهما فعن ابي بكر رضي الله عنه قال نظرت الى اقدام المشركين
في الغار على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى
قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله
ثالثهما قال بعضهم كان معهما ثالثهما باللفظ والمعنى اما
باللفظ فكان يقال يا رسول الله ويقال لابي بكر يا خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما بالمعنى فهو مصاحبا لهما بالنصر
والهداية والارشاد والضمير في وايده بجنود لم تروها راجع
الى النبي صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود ملائكة انزلهم الله عليه
في الغار يونسونه ويبشرونه بالنصر على اعدائه ويروى ان ابا بكر رضي الله

عند عطش في الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى
صدر الغار فوجد ماء احلى من العسل وابيض من اللبن وازكى
رائحة من المسك فشرب منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
امر الملك الموكل بانهار الجنان يخرق نهرا من جنة الفردوس
الى صدر الغار لتشرب يا ابا بكر فقال ابو بكر يا رسول الله ولي عند الله
هذه المنزلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وافضل والذي بعثك
بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا
وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند ابي بكر رضي الله عنه فقال
من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليقم فقام رجل
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني بثلاث حثيات من
تمر فقال ارسلوا الى علي كرم الله وجهه فجاء فقال يا ابا الحسن ان
هذا يزعم كذا وكذا فاحث له فحثاها له فقال ابو بكر رضي الله عنه
عدوها فعدوها فوجدوها كل حثية ستين تمرة لا تزيد ولا
تنقص فقال ابو بكر رضي الله عنه صدق الله ورسوله قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة في الغار كفي وكف
علي في العدد سوا وذكر الذهبي انه خبر موضوع ولعل قول
الصديق رضي الله عنه صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا
كرم الله وجهه على نفسه في ان يحثو لا ان ذلك علة لكون كل حثية
ستين حبة اي ولما ايست قريش منهما ارسلوا لاهل السواحل
ان من اسر او قتل احدهما كان له ماية ناقة اي وقيل ان
اباجهل لعنه الله امر مناديا ينادي في اعلا مكة واسفلها ان
من جا بمحمد او دل عليه فله ماية بعير واتى قصة الغار اشار
صاحب الهمزية بقوله ، اخرجوه منها واواه غار ، وحمته حمامة ورقا ،

وكفته

، وكفته بنسجها عنكبوت ، ما كفته الحمامة الحصدا ،
، واختفى منهم على قرب مراه ، ومن شدة الظهور الخفا ،

اي كانوا سببا لاخراجه صلى الله عليه وسلم من تلك الارض التي هي
مولده ومرباه ووطنه ووطن ابايه بسبب مبالغتهم في ايذايه
صلى الله عليه وسلم وايذا اصحابه رضي الله عنهم خصوصا ضعفاؤهم
واواه غار وحمته منهم حمامة في لونها بياض وسواد وكفته اعداه
عنكبوت بنسجها الذي كفته اياهم الحمامة الكثيرة الريش فتلك
الحمامة كانت ورقا حصدا واستتر منهم مع قرب محلته وخفا به
واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه شدة
ظهوره صلى الله عليه وسلم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا في الغار
ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما وهو غلام
يعرف ما يقال بانهما حين يختلط الظلام ويدلج من عندهما
بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبايت في بيته فلا يسمع امرا يكادان به
الا وعاه ويخبرهما به وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر كان مملوكا للطفيل
فاسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب في الله فاشتراه ابو بكر رضي الله
عنه من الطفيل واعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم
اي قطعة من غنم ابي بكر رضي الله عنه فكان يرعاها حين تذهب
ساعة من العشا ويغدو بها عليهما ثم بغلس اي اذا خرج من عندهما
عبد الله تبع عامر ابن فهيرة اثره بالغنم حتى يعفى اثره قد يعيد
يفعل ذلك في كل ليلة في تلك الليالي الثلاث اي وذلك
بارشاد من ابي بكر ففي السيرة الشامية وامر ابو بكر رضي الله عنه
ابنه عبد الله رضي الله عنهما يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره
ثم ياتيهما اذا امسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وامر عامر بن فهيرة

رضي الله عنه ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا امسى
في الغار وكانت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما تاتيهما اذا امست
بما يصلحهما من الطعام اقول وفي الدر عن عائشة رضي الله
عنها ما كان احد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن ابي بكر
واسماء ابنتا ابي بكر رضي الله عنهم فانهما كانا يختلفان اليهما
وعامر بن فهيرة رضي الله عنه فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما
فحلب لهما وفي الفصول المهمة واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة ايام بلياليها في الغار وقريش لا يدرون اين هو واسماء
رضي الله عنها كانت تاتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان
بعد الثلاث امرها صلى الله عليه وسلم ان تاتي عليا كرم الله وجهه
وتخبره بموضعهما وتقول له يستاجر لهما دليلا ويأتي معه
بثلاث من الابل بعد مضي ساعة من الليلة الاتية اي
وهي الليلة الرابعة فجاءت اسماء الى علي كرم الله وجهه فاخبرته
بذلك فاستاجر لهما رجلا يقال له الاريقط ابن عبد الله
الليثي وارسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن الى اسفل
الجبل ليلا فلما سمع صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل
من الغار هو وابو بكر رضي الله عنه فعرفاه اي والذي في
البخاري فاتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا
اي وتقدم ان المستاجر للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وقد يجمع بان المراد باستئجار علي كرم الله وجهه للدليل
اعطاؤه الاجرة وكونه استاجر لهما ثلاث رواحل واتى بها معه
فيه نظر ظاهر وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب ابو بكر وركب
الدليل وفي الدر المنثور فمكث هو اي النبي صلى الله عليه وسلم

وابو بكر

وابو بكر رضي الله عنه في الغار ثلاثة ايام يختلف اليهما بالطعام
عامر بن فهيرة رضي الله عنه وعلي كرم الله وجهه يجهزهما فاشترى
ثلاثة اباعر واستاجر لهم دليلا فلما كان في بعض الليل اي من
الليلة الثالثة اتاهم علي كرم الله وجهه بالابل والدليل
فليتامل ذلك مع ما قبله وفي حديث مرسل مكثت مع صاحبي
في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا ثمر البرير اي الاراك وتقدم
في باب رعيه الغنم ان ثمر الاراك النضيج يقال له الكباث بكاف فبا
موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة قال ابن عبد البر رحمه الله وهذا اي
القول بانهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند اهل
العلم بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم انهما
مكثا مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما
وذكر في الغار اي الاقتصار عليه من بعض الرواة والله اعلم ،،،
قال وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ان ابا بكر رضي الله ،،،
عنه ارسل ابنه عبد الله رضي الله عنهما وحمل ماله وكان خمسة
الاف درهم او اربعة الاف وكان حين اسلم رضي الله عنه ،،،
اربعين الف درهم وفي لفظ اربعون الف دينار اي ويؤيد
ذلك ما جاء عن انس رضي الله عنه انفق ابو بكر رضي الله عنه على
النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف دينار فحمل اليه فلك في الغار
قالت اسماء رضي الله عنها فدخل علينا جدي ابو قحافة رضي الله
عنه فانه اسلم بعد وكان قد ذهب بصره فقال والله اني لاراه
يعني ابا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا ابت انه ترك
لنا خيرا كثيرا قالت رضي الله عنها فاخذت احجارا فوضعتها في كوة
اي طاقة في البيت كان ابي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها

ثوبا ثم اخذت بيدي فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع
يده عليه فقال لا باس ان كان ترك لكم هذا ففي هذا بلاغ لكم ولا
والله ما ترك لنا شيا ولكن اردت ان اسكن بذلك الشيخ انتهى
اي ولما بلغ ضمرة ابن جندب بخروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا
فقال لا عذر لي في مقامي بمكة فامر اهله فخرجوا به فلما وصل
رضي الله عنه الى التنعيم مات به فانزل الله ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد ابن حزام بن خويلد
ابن اسد اسلم رضي الله عنه قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية
فمات من نهشة حية قبل ان يصل وجا انه صلى الله عليه وسلم
قال لحسان رضي الله عنه هل قلت في ابي بكر شيا قال نعم قال
قل وانا اسمع فقال رضي الله عنه •
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد • طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا • من البرية لم يعدل به رجلا
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وفي لفظ
تبسم ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت احب البرية اليه
اي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره اقول
في ينبوع الحياة والذي اعرف في هذين البيتين انهما من ابيات
رثى بها حسان ابا بكر رضي الله عنه هذا كلامه وقد يقال لا مانع
ان يكون حسان ادخلهما في مرثيته لابي بكر رضي الله عنه بعد ذلك
والله اعلم وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه قال لجماعة ايكم يقرا
سورة التوبة قال رجل انا اقرا فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن
ان الله معنا بكى رضي الله عنه وقال انا والله صاحبه وعن ابي

الدردا

الدردا رضي الله عنه قال راني رسول الله صلى الله عليه وسلم
امشي امام ابي بكر رضي الله عنه فقال يا ابا الدردا اتمشي امام
من هو افضل منك في الدنيا والاخرة والذي نفس محمد بيده
ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين افضل
من ابي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله
عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتاني جبريل
فقال ان الله عز وجل يامرك ان تستشير ابا بكر رضي الله عنه وعن
انس رضي الله عنه حب ابي بكر رضي الله عنه واجب على امتي ....

باب الهجرة الى المدينة لا يخفى انه لما كان صبيحة الليلة
الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم ثم جاءهما الدليل الذي هو
الرجل الدولي براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر
ابن فهيرة اي رديفا لابي بكر رضي الله عنهما اي وفي البخاري ان ابا بكر
رضي الله عنه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم اي ولا مخالفة لما سياتي
ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب اخذ ابو بكر
رضي الله عنه بغرزه اي ركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة
وزاي ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم الا ابشرك قال بلى
فداك ابي وامي قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى
لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا اصل له قال السيوطي رحمه
الله رايت له متابعا ودعا صلى الله عليه وسلم بدعائه اللهم اصحبني
في سفري واخلفني في اهلي واخذ بهم الدليل على طريق السواحل
وصار ابو بكر اذا ساله سائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا
الذي معك وفي رواية من هذا الذي بين يديك وفي رواية من هذا
الغلام بين يديك اي بناء على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم

بقوله هذا الرجل يهديني الطريق يعني طريق الخير اي لانه صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر رضي الله عنه الهِ الناس عني اي اشغل الناس عني اي تكفل
عني بالجواب لمن سال عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب ولو صورة
كالتورية فكان ابو بكر رضي الله عنه يقول لمن ساله عن النبي ما ذكر
وانما لم يسال ابو بكر عن نفسه لان ابا بكر رضي الله عنه كان معروفا
لهم لانه كان يكثر المرور عليهم في التجارة اي معروفا لغالبهم
فلا ينافي ما في بعض الروايات انه كان اذا سئل من انت يقول
باغي ابتغي حاجة وعلم ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا ينبغي
لهم الكذب ولو صورة ومن ثم تكن التورية تكن سياتي في غزوة بدر
التورية منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورا ابا بكر ناقته وفي التمهيد لابي عبد البر انه لما اتى براحلة
ابا بكر سال ابو بكر ان يركب رضي الله عنه ان يركب ويردفه
فقال صلى الله عليه وسلم بل انت اركب واردفك انا فان الرجل
احق بصدر دابته فكان اذا قيل له من هذا وراك قال هذا
يهديني السبيل اقول لا مخالفة بين هذا وبين ما تقدم لانه
يجوز ان يكون ركب صلى الله عليه وسلم خلف ابا بكر على ناقة ابي بكر
وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقته نفسه امامه وان ركوبه
لها كان في اثنا الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما اركب راحلته
ها مراتي فيهن رضي الله عنه او ترك ركوبها لاجل راحته او الهداية
كما تكون من المتقدم تكون من المتاخر وان كان الاول هو الغالب
والله اعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة الشريفة اشار
صاحب الهمزية رحمه الله بقوله
ويحي المدينة واستاقت • اليه من مكة الانحاء •

الى

وقصد صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ
الى الجحفة اشتاقت الى المدينة فانزل الله تعالى عليه ان الذي فرض
عليك القران لرادك الى معاد اي الى مكة واهل الرجعة يقولون الى الدنيا
اي من يقول بان النبي صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع
عيسى وقد اظهرها عبد الله بن سبا كان يهوديا وامه يهودية سودا
ومن ثم كان يقال له ابن السودا اظهر الاسلام في خلافة عمر رضي الله عنه
وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه وكان قصده باظهار الاسلام
بوار الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا
ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذي
فرض عليك القران لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجعة من عيسى عليه
الصلاة والسلام وتقدم ذلك في اثنا الكلام على بدء الوحي وكانت
قريش كما تقدم ارسلت لاهل السواحل ان من قتل او اسر ابا بكر
رضي الله عنه او محمدا صلى الله عليه وسلم كان له مائة ناقة اي في قتلها
او اسرهما كان له مائتان فعن سراقة رضي الله تعالى عنه جاءنا
رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا دية فبينا
انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اي ابن يعقوب ومنهم
قربت من رابغ اقبل رجل منهم حتى اقبل علينا ونحن جلوس فقال
يا سراقة اني رايت اسودة اي اشخاصا بالسواحل اراه محمدا واصحابه
قال سراقة رضي الله عنه فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا هم ولكنك
رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا اي بمعرفتنا يطلبون ضالة
لهم اي وفي لفظ قال رايت ركبة بالتحريك جمع راكب ثلاثة مروا علي
انفا اي قريبا اني اراهم محمدا واصحابه قال سراقة رضي الله عنه
فاومت اليه ان اسكت ثم قلت انما هو بنو فلان يبتغون ضالة لهم

ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت الي منزلي فامرت جاريتي ان تخرج
فرسي خفية الي بطن الوادي فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به ٥
من ظهر البيت فخططت بزجه في الارض و الزج الحديدة التي تكون
في اسفل الرمح وخفضت عاليه اي امسكته باعلاه وجعلت اسفله
في الارض لئلا يراه احد وانما فعل ذلك لئلا يفوز بالجعل المتقدم
ذكره ولا يشرك فيه احد من قومه بخروجه معه لقتلهما او اسرهما
زاد في رواية ثم اطلقت فلبست لامتي وجعلت اخر الرمح مخافة
ان يشركني اهل الماء يعني قومه قال حتى اتيت فرسي اي وكانت
يقال لها العود والفرس يقع علي الذكر والانثي قال في النور
والمراد هنا الانثي لقوله فركبتها فرفعتها اي بالغت في اجرائها
حتى دنوت منهم وفي لفظ فرفعتها تقرب بي وجيز ان يكون المراد
اسرعت بالسير لها لان التقريب دون العدو وفوق العادة
فعثرت بي فرسي اي وخفت لمعثرتها لما في حديث اسماء بنت
ابي بكر رضي الله عنهما زاد في رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها
فقمت فاهويت بيدي الي كنانتي فاستخرجت الازلام اي وهي
عيدان السهام التي لا ريش لها ولا تركب فيها النصال واستقسمت
بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره وهو عدم اضرارهم لانه مكتوب
عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الامر ويقال للثاني الناهي
فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات
فساخت اي غابت يدا فرسي في الارض حتى بلغت الركبتين اي
وكانت الارض جلدة اي يخرون عنها ثم زجرتها فنهضت فلم
تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان اي غبار

ساطع

ساطع في السماء مثل الدخان اي مع كون الارض جلدة فاستقسمت
بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان وقلت انظروني لا اوذيكم
ولا ياتيكم مني شي تكرهونه اي وفي رواية ناديت القوم وقلت
انا سراقة ابن مالك انظروني اكلمكم وانا لكم نافع غير ضار ولا اني
لا ادري لعل الحي فزعوا لركوبي اي ان يلحقهم ذلك وانا راجع رادهم
عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر قل له ماذا تبتغي فوقفوا
فاخبرتهم بما تريد الناس منهم وفي رواية قال يا محمد ادع الله ان يطلق
فرسي وارجع عنك وارد من وراي وفي رواية قال يا هذان ادعوا لي
الله ربكما ولكما ان لا اعود ففعل اي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانطلق الفرس وحينئذ يكون زجره لها ونهوضها بعد الدعاء
فلا يخالف ما سبق قال فركبت فرسي اي بعد نهوضها حتى جئتهم
فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية اي مائة من الابل لمن قتلك
او اسرك وهذا هو المراد بقوله في الرواية السابقة فاخبرتهم بما تريد
الناس منهم وكانه راي ان ذلك كان في لحوقه بهم عن ذكر ابي بكر رضي
الله عنه قال سراقة وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف
عنا اي وفي رواية عرضت عليهما الزاد والحملان اي ولعل الحملان هو المراد
بالمتاع اي لانه جاء انه قال لهما خذا هذا السهم وغنمي وابلي بمحل كذا
وكذا فخذا منها ما شئتما فقالا لا اكفنا نفسك فقال كفيتماها اقول
وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام
فاني لا ارغب في ابلك ومواشيك وفي رواية عن ابي بكر رضي الله عنه
لما ادركنا سراقة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن
ان الله معنا اي وقد تقدم انه قال ذلك في الغار فلما دنا منا وبيننا وبينه
قدر اي مقدار رمح او ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا

وبكت قال لم تبكي قلت اما والله ما علي نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه
في الارض الى بطنها وقالت الارض صلبة ابي ولا يخالف ما سبق انها
بلغت الركبتين لجواز ان يكون ذلك في اول امرها ثم صارت الى بطنها
وذلك كله في المرة الاولى فلا يخالف ما في الامتاع عندما قرب سراقة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه في الارض الى بطنها فقال ادع لي
يا محمد ان يخلصني الله تعالى ولك علي ان ارد عنك الطلب فدعا فخلص
فعاد فتبعهم فساخت قوايم فرسه في الارض اشد من الاولى فقال يا محمد
قد علمت ان هذا عملك فادع الله يخلصني مما انا فيه فوالله لاعمين على
من ورائي من الطلب فدعا له فانطلق راجعا وفي السبعيات
للهمداني ان سراقة رضي الله عنه لما دنى منه صلى الله عليه وسلم صاح وقال
يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد
القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول لك
قد جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ارض خذيه فاخذت الارض ارجل جواده الى الركب فساق
سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة العزى لو اطلقتني
لاكونن لك لا عليك فقال صلى الله عليه وسلم يا ارض اطلقيه فاطلقت
جواده وفي بعض التفاسير ان سراقة عاهد سبع مرات ثم نكث
العهد وكلما ينكث تغوص قوايم فرسه في الارض وهذا اي
الاقتصار على غوص قوايم فرسه لا ينافي الزيادة فلا يخالف ما سبق
وفي الفصول المهمة لما اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى
المدينة وذلك في اليوم الثاني من خروجه من الغار جمع الناس ابو جهل
لعنه الله وقال بلغني ان محمدا اخذ مضى على طريق الساحل ومعه
رجلان اخران فايكم ياتيني بخبره فوثب سراقة رضي الله عنه

وقال

وقال انا لمحمد يا ابا الحكم ثم ركب راحلته واستجنب فرسه واخذ
معه عبدا اسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسار
في اثر النبي صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقا به فقال
ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله قد دهمنا هذا سراقة قد اقبل
في طلبنا ومعه غلامه الاسود المشهور فلما ابصرهم سراقة رضي الله
عنه نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه واقبل نحوهم
فلما قرب منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا امر سراقة
بما شئت وكيف شئت واني شئت فغابت قوايم فرسه في الارض
حتى لم يقدر الفرس ان يتحرك فلما نظر سراقة رضي الله عنه
الى ذلك هاله ورمى بنفسه عن الفرس الى الارض ورمى رمحه
وقال يا محمد انت امنت واصحابك اي انت امن فادع ربك يطلق
لي جوادي ولك عهد وميثاق ان ارجع عنك فرفع النبي صلى الله عليه وسلم
يديه الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له جواده
قال فاطلق الله تعالى قوايم فرسه حتى وثب على الارض سليما اي ولعل
هذا في المرة الثانية او المرة الاخيرة من السبع على ما تقدم وتقدم ان
الاقتصار على القوايم لا ينافي الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق في هذه
الرواية ورجع سراقة رضي الله عنه الى مكة فاجتمع الناس عليه
فانكر انه راى محمدا صلى الله عليه وسلم فلا زال به ابو جهل لعنه الله
حتى اعترف واخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة رضي الله عنه
مخاطبا لابي جهل لعنه الله ، ابا الحكم والله لو كنت شاهدا ،
، لامر جوادي اذ تسيخ قوايمه ، علمت ولم تشكك بان محمدا ،
، رسول ببرهان فمن ذا يقاومه ، وسياق هذه الرواية يدل على
انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك ما ذكر

انه كان احد القاصدين لاثره صلى الله عليه وسلم في الحبل لكنه يخالف
لما تقدم انه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه
واخفى خروج فرسه وخروجه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز
ان يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير التي سلكها النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس في مجلس قومه ثم لما اخبر
بمروره فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود في مروره وكان معه
راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع ان يخرج
من مكة بعد خروجهم من الغار وسبقهم على قديد ولا ينافي ذلك
قوله جانا رسل كفار قريش لانه يجوز ان يكون ذلك هو الحامل
لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافي ذلك
كونه احد القاصدين لاثره صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان
يكون عاد لقديد قبل ان يجعل الجعل وفي كلام بعضهم انه ارسل
لقديد ابنين الى ابي جهل لعنه الله ولا منافاة لجواز ان يكون
ارسل بهما اليه قبل ان يشافهه بهما وفي رواية انه لما لحق
بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرع عن ظهر فرسه
يحتمل ان يكون لما ساخت ويحتمل ان يكون انه صرع عنها
قبل ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الاولى فعثرت بي فخررت
فخررت عنها وحينئذ يكون عثورها ابتداء به صلى الله عليه وسلم
والله اعلم قال سراقة رضي الله عنه فسالته صلى الله عليه وسلم
ان يكتب لي كتاب امن لانه وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت
من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي السبعيات قال سراقة يا محمد اني لاعلم انه سيظهر
امرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا اتيتك
يوم ملكك فاكرمني فامر صلى الله عليه وسلم عامر بن فهيرة اي

وقيد

وقيد ابا بكر رضي الله عنهما فكتب لي في رقعة من ادم اي وقيل
في قطعة من عظم وقيل في خرقة اقول ويمكن ان يكون كتب
عامر بن فهيرة اولا فطلب سراقة ان يكون ابو بكر هو الذي يكتب
فامره صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فاحدهما كتب في الرقعة من الادم
والاخر كتب في العظم او الخرقة او المراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا
مخالفة ولما اراد الانصراف قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
بك يا سراقة اذا تسورت بسواري كسرى قال كسرى بن هرمز
قال نعم وسياتي ان سراقة رضي الله عنه اسلم بالجعرانة ولما
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال له صلى الله عليه وسلم مرحبا
بك وعن سراقة رضي الله عنه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حنين والطايف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة
فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون
اليك ما ذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على
ناقته فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك وانا
سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفا وبر ادنه فدنوت
منه واسلمت ولما جي لعمر رضي الله عنه في زمن خلافته بسواري كسرى
وتاجه ومنطقته اي وبساطه وكان ستون ذراعا في ستين ذراعا
كان يبسط له في ايوانه منظوما باللولو والجواهر الملونة على الوان
زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا اعدمت الزهور
وجي له رضي الله عنه بها اكثر من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثة
عليهن الحلي والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك
دعى رضي الله عنه سراقة وقال ارفع يدك والبسه السوارين وقال
له الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز الذي كان يقول انا رب الناس

وقف

والبسهما سراقة بن مالك ورفع بهما عمر رضي الله عنه صوته صب
المال الذي جي به من اموال كسرى في صحن المسجد وفرقه على
المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين فاصاب علي كرم الله
وجهه قطعة منه فباعها بخمسين الف دينار ثم جي ببنات الملك
الثلاث فوقفن بين يديه وامر المنادي ان ينادي عليهن وان
يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون في ثمنهن فامتنعن
من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره فغضب عمر رضي الله عنه
واراد ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له علي كرم الله وجهه
مهلا يا امير المؤمنين فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فسكن غضبه رضي الله عنه
فقال له علي كرم الله وجهه ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة
غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر رضي الله عنه كيف الطريق
الى العمل معهن فقال له يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به
من يختارهن فقومن واخذهن علي كرم الله وجهه فدفع واحدة
لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فجاء منها بسالم واخرى لمحمد بن ابي بكر
رضي الله عنهما فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين
رضي الله عنهما فجاء منها بولده علي الملقب بزين العابدين رضي الله
عنهم وهولاء الثلاثة رضي الله عنهم فاقوا اهل المدينة علما
وورعا وكان اهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسري
فلما نشأ هولاء الثلاثة فيهم رغبوا فيهم ومن غريب الاتفاق
ما حكاه بعضهم قال كنت اجالس سعيد ابن المسيب فاتى
الي يوما فقال من اخوالك فقلت امي فتاة فكاني نقصت من
عينه فانا عنده اذ دخل عليه سالم ابن عبد الله بن عمر رضي الله

عنهم

وقف على طلبة العلم بالازهر

عنهم فلما خرج من عنده قلت له يا عم من هذا قال سبحان
الله اتجهل مثل هذا من قومك فقال هذا سالم ابن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنه قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل
القاسم ابن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج قلت يا عم
من هذا قال ما اعجب امرك اتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد
قلت فمن امه قال فتاة ثم دخل عليه علي ابن الحسين رضي الله
عنهما فجلس ثم نهض فلما خرج قلت من هذا قال اعجب منك
اتجهل مثل هذا هذا علي زين العابدين بن الحسين رضي الله
عنهم قلت فمن امه قال فتاة قلت يا عمي رايتني نقصت
من عينك لما علمت ان امي فتاة فمالي بهولاء اسوة وعظمت
في عينه ولما رجع سراقة رضي الله عنه صار يرد عنهم الطلب
لا يلقى احدا الا رده يقول سبرت اي اختبرت الطريق فلم ار احدا
وفي لفظ قال لقريش اي لجماعة منهم قصدوه صلى الله عليه وسلم
كانهم اخبروا بمسيره ذلك قد عرفتم بصري بالطريق وقد
سبرت فلم ار شيا فرجعوا اي فان كفار قريش لما سمعوا من
الهاتف او من غيره بانه صلى الله عليه وسلم نزل خيمة ام معبد
كانهم اي ارسلوا سرية في طلبه صلى الله عليه وسلم يقول قايلهم
الملهوف نبلان يستغيثن عليكم بكلبان العرب فيحتمل
ان هولاء الذين ردهم سراقة رضي الله عنه فكان سراقة رضي
الله عنه اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخر النهار مسلحة اي سلاحا له صلى الله عليه وسلم وفي
رواية قال سراقة خرجت وانا احب الناس في تحصيلهما
ورجعت وانا احب الناس في ان لا يعلم بهما احد ويحتمل

ان بعد ردهم سراقة ذهبوا الى ام معبد ففي تتمة الخبر ان تلك
السرية جات الى ام معبد فسالوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاشفقت اي خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم اي اظهرت
عدم علمها بذلك فقالت انكم تسالون عن امر ما سمعت به قبل
عامي هذا ثم قالت لين لم تنصرفوا لاصرخن في قومي عليكم
وكانت في عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا اين توجه اي من
اي طريق توجه اي يعلمها قالت لهم ذلك لما رات منهم التثقيل
عليها وهذا السياق يدل على ان قصته رضي الله عنه كانت قبل
قصة ام معبد والى قصة سراقة رضي الله عنه اشار صاحب
الاصل رحمه الله بقوله • عرضت سراقة الطماع فساخ به •
جواده فانثنى للصلح مطلبا • والتها اشار صاحب الهمزية رحمه الله
تعالى بقوله • واقتفى اثره سراقة فاستهوته في الارض صافن جرداء •
• ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء •
اي وتبع اثره سراقة فهوت اي سقطت به صافن وهي الفرس
التي تقوم على ثلاثة قوائم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو
وصف محمود في الخيل ايضا بعد ان قاربت ان يخسف بها كلها
وقد يخلص الدعا الغريق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليه قال وعن ابي بكر رضي الله عنه انه قال
سرنا ليلتنا كلها حتى قام قايم الظهيرة وخلا الطريق
فلا يرى فيه احد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا
عندها فاتيت الصخرة فسويت بيدي مكانا ينام فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ثم بسطت له فروة كانت
معي ثم قلت يا رسول الله نم وانا اتحسس وانفض من نخافه

فنام

فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا براع يقبل بغنمه
الى الصخرة يريد منها الذي اردنا من الظل فلقيته فقلت له
لمن انت يا غلام فقال لرجل من اهل مكة فسماه فعرفته اي
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله لم اقف على اسم هذا الراعي ولا
على اسم صاحب الغنم قال ابو بكر رضي الله عنه فقلت له
هل في غنمك من لبن قال نعم قلت افتحلب لي قال نعم فاخذ
شاة فحلب لي في قعب معه وفي رواية في اداوة معي علي
فيها خرقة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت ان اوقظه
من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى
برد اسفله فقلت يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب
لانه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج
الى ذلك فكان كل راع ماذونا له في ذلك اي كما تقدم فلا ينافي
ما جا لا يحلبن احد ماشية احد الا باذنه او ان هذا الحديث
محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعي وان
قول بعضهم انما استجاز شربه لانه مال حربي فغنيمة نظر لان
الغنايم اي اموال الحربيين لم تكن ابيحت له صلى الله عليه وسلم
ثم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم الم يان للرحيل قلت
بلى فارتحلنا بعدما زالت الشمس انتهى اي وفي رواية ان ابا بكر
رضي الله عنه قال قد ان الرحيل يا رسول الله اي دخل وقته
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله يجمع بينهما بانه يكون النبي صلى الله
عليه وسلم بدا فسال فقال له ابو بكر رضي الله عنه بلى ثم اعاد
عليه بقوله قد ان الرحيل يا رسول الله واجتازوا في طريقهم
بام معبد رضي الله عنها اي واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد

اي وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه الاخير الذي
يلي المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذي يلي مكة وكانت مسافته متسعة
فتأمل وكانت اي ام معبد رضي الله عنها امراة برزة جلدة
تحتبي بفنا قبتها وتطعم وتسقي وهي لا تعرفهم اي وسالوها
لحما وتمرا اي وفي رواية او لبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا
شي ما اعوزناكم للشرا وفي رواية ما اعوزناكم القرى لانهم كانوا
مسنتين اي مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ام معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فراى صلى الله عليه وسلم
شاة خلفها الجهد عن الغنم اي لم تطق اللحاق بها لما بها من
الهزال فقال صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن قالت هي اجهد
من ذلك ٥ قال صلى الله عليه وسلم اتاذنين لي ان احلبها قالت والله ما
ضربها من فحل قط فشانك اي اصلح شانك بها ان رايت بها حلبا
فاخذها فدعى بها فمسح ظهرها بيده اي وفي رواية فبعث النبي
صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة
ثم قال يا غلام هات فرقا فمسح ظهرها او في رواية فمسح بيده
ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى اي وقال اللهم بارك لنا في شاتنا
فدرت واجترت وتفاجت اي فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعى
صلى الله عليه وسلم باناء يربض الرهط اي يرويهم حتى يثقل
عليهم الذي فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل من السبعة الى الاربعين ٥ فحلب فيها ثجا اي بقوة لكثرة
اللبن ومن ثم قال حتى علاها البها وفي رواية حتى علته الثمالة
بضم المثلثة اي الرغوة وفي رواية فسقاها فشربت حتى رويت
وسقى اصحابه حتى رووا وعلا لا بعد نهل اي مرة ثانية بعد

الاولى

الاولى ثم شرب صلى الله عليه وسلم فكان اخرهم شربا وقال
ساقي القوم اخرهم شربا ٥ ثم حلب فيه وغادره اي تركه عندها
وارتحل والى ذلك اشار الامام السبكي بقوله في تائيته ...
... مسحت على شاة لدى ام معبد ... فالقاها ادرت حلوبة
والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله في وصف راحته الشريفة
... درت الشاة حين مرت عليها ... فلها ثروة بها ونماء
اي ارسلت الشاة لبنها حين مرت عليها راحته الشريفة على تلك
الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة لبن وزيادة وعن
ام معبد رضي الله عنها ان تلك الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه الى سنة ثماني عشرة وقيل سبعة عشر
من الهجرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة اي وكانت تلك
السنة اجدبت الارض اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش
تاوي الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها اي يكره لحمها
وكانت الريح اذا هبت القت ترابا كالرماد فسمى ذلك العام عام
الرمادة وعند ذلك الى عمر ان لا يذوق لبنا ولا سمنا حتى يحيى الناس
اي يجي اليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنيني شان الرعية
اذا لم يصبني ما مسهم وهذا السياق يدل على ان الذي حلبه
صلى الله عليه وسلم عند ام معبد شاة واحدة وفي تاريخ العيني
شارح البخاري قال يونس عن ابن اسحاق انه دعى ببعض
غنمها فمسح ضرعها بيده ودعى الله وحلب في العس حتى ارغى
وقال اشربي يا ام معبد فقالت اشرب فانت احق به
فرده عليها فشربت ثم دعا بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك
فسقى عامر ابن فهيرة وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين بلغوا ام معبد فسالوا عنه ووصفوه لها فقالت ما ادري ما
تقولون قد ضافني حالب الحايل فقالوا ذلك الذي نريد
نزول عمر رضي الله عنه ذلك قال كعب رضي الله عنه يا امير المومنين
ان بني اسرائيل كان اذا اصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم
وصنو ابيه وسيد بني هاشم يعني العباس ابن عبد المطلب رضي الله
عنه فمشى اليه عمر رضي الله عنه وشكى اليه ما فيه الناس فصعد
عمر المنبر ومعه العباس رضي الله عنهما وقال اللهم انا توجهنا اليك
بعم نبينا صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه فاسقنا الغيث ولا
تجعلنا من القانطين ثم قال عمر رضي الله عنه للعباس يا ابا
الفضل قم وادع فقام رحمه الله واثنى عليه ودعا بدعا منه
اللهم شفعنا في انفسنا واهلينا اللهم انا نشكوا اليك جوع كل
جايع اللهم لا نرجوا الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك
فسقوا قبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا في الما وخصبت
الارض وعاش الناس فقال عمر رضي الله عنه هذا والله هو
الوسيلة الى الله تعالى وصار الناس يتمسحون بالعباس
رضي الله عنه ويقولون هنيا لك يا ساقي الحرمين وذكر السهيلي
رحمه الله تعالى ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة في ذلك
اليوم فسمعوا صايحا يصيح في السحاب اتاك الغوث ابا حفص
اتاك الغوث ابا حفص وذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في الصواعق
عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقا عام الرمادة سنة سبع
عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضي الله عنه لاستسقين
غدا بمن يسقيني الله به فلما اصبح غدا للعباس رضي الله عنه
فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج

حتى

حتى نستسقي الله بك قال اقعد فارسل الى بني هاشم
ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فاتوه فاخرج طيبا وطيبهم
ثم خرج رضي الله عنه وعلي كرم الله وجهه امامه بين يديه
والحسن رضي الله عنه عن يمينه والحسين رضي الله عنه عن يساره
وبنو هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم اتى
المصلى فوقف فحمد الله واثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم
تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك علمك
فينا عن رزقنا اللهم كما تفضلت علينا في اوله فتفضل علينا
في اخره قال جابر رضي الله عنه فما برحنا حتى سحت السما علينا
سحا فما وصلنا الى منازلنا الا خوضا فقال العباس رضي الله
عنه انا ابن المسقى انا ابن المسقى انا ابن المسقى انا ابن المسقى
انا ابن المسقى خمس مرات اشار الى ان اباه عبد المطلب استسقى
خمس مرات هذا الامر فليتطلب الجمع قال ابن شهاب رحمه الله كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله
ويقدمونه ويشاورونه ويا خذون برايه اي وكان لا يمر على
عمر وعثمان رضي الله عنهما وهما راكبان الا ترجلا حتى يجوز
العباس رضي الله عنه وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له اي لانه
صلى الله عليه وسلم قال احفظوني في العباس فانه عمي وصنو ابي
وفي رواية فانه بقية ابائي قالت ام معبد رضي الله عنها في وصف
تلك الشاة وكذا نحلبها صبوحا وغبوقا اي بكرة وعشية وما في
الارض قليل ولا كثير مما يتعاطى الدواب اكله اي ولا مجاز وجاء
ابو معبد رضي الله تعالى عنه قال السهيلي لا يعرف اسمه وقيل
اسمه اكثم بالثا المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله

جا عند المساء يسوق اعنزا عجافا وراى اللبن الذي حلبه النبي صلى
الله عليه وسلم عجب وقال يا ام معبد هذا اللبن ولا حلوب في
البيت اي والشاء عازب اي لم يطرقها الفحل لكن رايته في النور
فسر العازب بالبعيد المرعى التي لا تاوي الى المنزل في الليل
وفي الصحاح العازب الكلا البعيد الذي لم يوكل ولم يوطا قالت
مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة
مبتلج الوجه اي مشرقه في اشفاره اي اشفار عينيه
اي شعرهما النابت بهما وطف اي طول وفي عينيه دعج اي
شدة سواد في شدة بياض اي وهذا هو الحور ومن ثم فسر
بعضهم الدعج بشدة السواد وفيه انه صلى الله عليه وسلم لم يكن
بياض عينيه شديد البياض بل كان اشكل العينين والشكلة
حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة وهو من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم وفي صوته
صحل اي بحة بضم الموحدة اي ليس حاد الصوت غصن بين
الغصنين لا تشناه من طول اي لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه
من قصر اي تحتقره من قصره لم تعبه ثجلة اي عظم البطن وكبرها
ولم تزر به صعلة اي صغر الراس كان عنقه ابريق اي الابريق
السيف الشديد البريق اذا نطق فعليه البهاء واذا صمت فعليه
الوقار له كلام كخرزات النظم ازين اصحابه منظرا واحسنهم
وجها اصحابه يحفون به اذا امر ابتدروا امره واذا نهى انتهوا
عند نهيه قالت وفي لفظ انها قالت رايت رجلا ظاهر
الوضاءة ابلج الوجه اي مشرقه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم
تزره صعلة وسيما قسيما اي حسنا في عينيه دعج وفي اشفاره

وطف

وطف وفي صوته صحل او قالت صهل احور اكحل اي في اجفان
عينيه سواد خلقة وفي عنقه سطع اي نور وفي لحيته
كثاثة اي لا طويلة ولا دقيقة ازج اي رقيق طرف الحاجب
اقرن اي مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت
فعليه الوقار وان تكلم سما به اي ارتفع على جلسائه وعلاه
البهاء اجمل الناس وابهاهم من بعيد واحسنهم من قريب
حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن
يتحدرن ربعة لا تشناه تبغضه من طول اي من فرط طوله
ولا تقتحمه عين من قصر اي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا غصن
بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقا
يحفون به ان قال انصتوا لقوله وان امر ابتدروا امره محفود
مخدوم محسود لمحشد وجماعة لا عابس ولا مفند اي يكثر
اللوم انتهى قال هذا والله صفة صاحب قريش ولو رايته
لاتبعته ولاجهدن ان افعل اي وفي الامتاع ويقال انها
اي ام معبد بحت لهم شاة وطبختها فاكلوا منها ووضعت
لهم في سفرتهم منها ما وسعته تلك السفرة وبقي عندها اكثر
لحمها وفي الخصائص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم بايعها اي اسلمت
قبل ان يرتحلوا عنها وفي كلام ابن الجوزي ان ام معبد هاجرت
واسلمت وكذا زوجها هاجر واسلم اقول في شرح السنة
للبغوي وهاجرت هي وزوجها واسلم اخوها حبيش اي الاشعر
واستشهد يوم الفتح وكان اهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل
المبارك ويقال ان زوجها خرج في اثرهم فادركهم وبايع النبي
صلى الله عليه وسلم ورجع وفي الاجوبة المسكتة لابن عون

قيل لام معبد ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من
سائر صفات من وصفه اي من الرجال فقالت اما علمتم ان
نظر المراة الى الرجل اشفى من نظر الرجل الى المراة وفي ربيع الابرار
للزمخشري عن هند بنت الجون انه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة
خالتها ام معبد قام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض
ومج ذلك الماء في عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت وهي اعظم دوحة
اي شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون في لون الورس
ورائحة العنبر وطعم الشهد ما اكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا
روي ولا سقيم الا برئ ولا اكل من ورقها بعير ولا شاة الا در لبنها فكنا
نسميها المباركة فاصبحنا في يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر
ورقها ففزعنا لذلك فما راعنا الا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والعجب كيف لم يشتهر امر هذه الشجرة كما اشتهر امر الشاة
وعنها ام معبد رضي الله عنها انها قالت مر على خيمتي غلام سهيل
ابي عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى مولاي يستهديه ماء زمزم فانا اعجل المسير كي لا تنشف
القرب اي فانه صلى الله عليه وسلم كتب الى سهيل ابي عمرو ان جاءك
كتابي ليلا فلا تصبحن او نهارا فلا تمسين حتى تبعث الي من
ماء زمزم فجاءه بقربتين فملاهما من ماء زمزم وبعث بهما على بعير
مولاه ازهر ولازال كفار قريش بمكة لا يعلمون اي توجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله تعالى عنه حتى سمعوا
هاتفا يذكرهما ويذكر ام معبد رضي الله عنها في ابيات منها
جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من امسى رفيق محمد

تعالى

فصل في توجهه صلى الله عليه وسلم ليثرب اي وفي طريق اليمن
محل يقال له الدهيم وبه ام معبد قال بعضهم ولبيت ام معبد
التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ويجوز
ان يكون الخبر الذي وصل اليهم في اليوم الثاني من خروجه الى الغار
هو قول هذا الهاتف او غيره من شخص رآهم فاتى قول الهاتف
انشد صاحب الهمزية بقوله * وتغنت بمدحه الجن حتى اطرب الانس
واظهرت الجن اوصافه صلى الله عليه وسلم الجميلة في صوت الغنا
الذي تولع به النفس حتى اطرب ذلك الغنا الانس حيث سمعوه *
واما قول بعضهم انهم علموا ذلك من هاتف هتف بقوله * *
* ان يسلم السعدان يصبح محمد * من الامر لا يخشى خلاف المخالف *
فقالوا السعود سعد ابن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت
الليلة القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول * فيا سعد سعد الاوس كن انت
ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف * فقالوا سعد الاوس سعد
ابن معاذ وسعد الخزرجين سعد ابن عبادة وفيه نظر لان السعدين
المذكورين كانا اسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان
اقول يجوز ان يكون ان بمعنى اذا اي صيرورته صلى الله عليه وسلم
امنا لا يخشى خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين او المراد دوامهما
على الاسلام على انه ذكر في الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع
اهل مكة له كان قبل اسلام سعد ابن معاذ وذكر بعضهم ان السعود
من الانصار سبعة اربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن خيثمة
وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة
وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان ابو عبادة والله اعلم قال
وتقديم قصة سراقة على قصة ام معبد هو ما في الاصل وقد التزم

فيه ترتيب الوقايع وقضية الترتيب ذكر قصة ام معبد قبل
قصة سراقة لانه الصحيح الذي صرح به جماعة انتهى اقول
ومما يدل لذلك ما تقدم من ان كفار قريش لم يعلموا اين توجه صلى
الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر ام معبد وعن اسما بنت
ابي بكر رضي الله عنها قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل لعنه الله فوقفوا على الباب
فخرجت اليهم قالوا اين ابوك قلت والله لا ادري فرفع ابو جهل
يده فلطم خدي لطمة خرم منها قرطي وفي لفظ خرج منها قرطي
والقرط ما يعلق في شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث
ليال ولم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رجل
من الجن من اسفل مكة يغني بابيات وان الناس يتبعونه
يسمعون صوته حتى خرج باعلا مكة جزا الله رب الناس
كذا في الاصل وفيه ان قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظاهر في انه خروجه للغار وقولها فمضى ثلاث ليال اما ندري
يقتضي ان المراد خروجه من الغار وتقدم انهم علموا بخروجه الى
المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا
بذلك الا من الهاتف فليتامل وقد تبع الاصل في ذلك شيخه
الدمياطي حيث قدم خبر سراقة على قصة ام معبد الا ان يقال
الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا يحسن تبعيته وهاهنا قصة
اخرى فيها زيادة ونقص قيل هي قصة ام معبد وقيل
غيرها وهي انه صلى الله عليه وسلم اجتاز بخيمة فقال لراعيها
لمن هذه فقال لرجل من اسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم
الى ابي بكر رضي الله عنه وقال سعدت ان شاء الله تعالى وفي

الامتاع

وقد

الامتاع ولقي بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه في ركب
من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا والحصيب بضم الحا
المهملة وفتح الصاد وفي الشرف ان بريدة رضي الله تعالى عنه
لما بلغه ما جعلته قريش لمن ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم طمع
في ذلك فخرج هو في سبعين من اهل بيته وفي لفظ وكانوا نحو
ثمانين بيتا وحينئذ يراد بيته قومه فلما راه صلى الله عليه وسلم
قال له من انت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا ابا بكر برد امرنا وصلح قال ممن انت قال من اسلم من بني
سهم فقال صلى الله عليه وسلم سلمنا وخرج سهمك يا ابا بكر اي
لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفال ولا يتطير كما تقدم ثم قال
بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من انت قال محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب
رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فاسلم بريدة وكل من كان معه اي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم
العشا الاخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك
لوا فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه اي وقال
له كالوفا تنزل علي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ان
ناقتي هذه مامورة فقال بريدة الحمد لله الذي اسلمت بنو سهم
يعني قومه طايعين غير مكرهين ولما سمع المسلمون بخروج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه
حتى يردهم حر الظهيرة اقول ولعل خروجهم كان في ثلاثة ايام
وهي المدة الزايدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان
بها في الغار والله اعلم فانقلبوا يوما بعدما طال انتظارهم اي ولحرقتهم
الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم اي محل مرتفع من اطامهم اي

من مخالم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مبيضين اي لانهم لقوا الزبير في ركب من المسلمين كانوا
تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رضي الله عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل ان الذي كساهما
طلحة بن عبيد الله قال وفي النور ولعلهما اتفقا معا
او مترافقين فكسواه وابو بكر ما ذكر وهذا الجمع اولى من ترجيح
الحافظ الدمياطي لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله
تعالى ان هذا القيل هو الذي في السير ومال الدمياطي الى ترجيحه
على عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح لكنه ذكر ان ذلك
كان شانه في ابتداء امره فلما تضلع من الاحاديث الصحيحة كان يرى
الرجوع عن كثير مما وافق عليه اهل السير وخالف الاحاديث
الصحيحة فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب اي يرفعهم
ويظهرهم اي والسراب ما يرى كالماء في وسط النهار في زمن الحر
فلم يملك اليهودي ان قال باعلا صوته يا معشر العرب هذا جدكم
اي حظكم الذي تنتظرون اي وفي رواية لما دنوا من المدينة بعثا
رجلا من اهل البادية الى ابي امامة واصحابه من الانصار اي ولا
مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة اي وفي لفظ فوافوه وهو مع ابي بكر
رضي الله عنه في ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا
مخالفة ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفي لفظ فاستقبله
صلى الله عليه وسلم زهاء خمس مائة اي ما يزيد على خمس مائة من الانصار
فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقبا
في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت
من شهر ربيع الاول على كلثوم ابن الهدم اي لانه كان شيخ بني عمرو بن عوف

اي

اي وهم بطن من الاوس وقيل كان يوصف مشركا ثم اسلم وتوفي
قبل بدر بيسير وقيل اسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة
اي وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم لغلام له يا نجيح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انجحت يا ابا بكر وكان صلى الله
عليه وسلم يجلس للناس ويتحدث مع اصحابه في بيت سعد بن خيثمة
اي لانه رضي الله عنه كان عزبا لا اهل له هناك اي وكان منزله
يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال من لا زوجة له ولا يقال
اعزب وهي لغة رديئة اقول وبذلك يجمع بين قول من قال
نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ
الدمياطي اشار الى ذلك والله اعلم ونزل علي ابن ابي طالب كرم الله
وجهه لما قدم المدينة على كلثوم ايضا بقباء بعد ان تاخر بمكة بعده صلى
الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدي الودائع التي كانت عنده صلى الله
عليه وسلم لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك كما تقدم فلما خرج صلى الله
عليه وسلم للمدينة قام علي كرم الله وجهه بالابطح ينادي من كان له
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت تؤدى اليه
امانته فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم ومعه ام ايمن
وولدها ايمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين اقول سيأتي
ما يخالف ذلك وهو انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في دار ابي ايوب
بعث زيد ابن حارثة وابا رافع الى مكة واعطاهما خمس مائة درهم
وبعيرين يقدمان عليه بفاطمة رضي الله عنها وام كلثوم بنته وسودة
زوجته وام ايمن وولدها اسامة رضي الله عنهم الا ان يقال يجوز
ان يكون الكتاب الذي فيه استدعا سيدنا علي كرم الله وجهه

كان مع زيد وابي رافع وانهما صحباه ولا ينافي ذلك ما تقدم من انه
تاخر بمكة بعده ثلاث ليال يودي الودايع لان تلك الليالي ثلاث
كانت مدة تادية الودايع ومكث بعدها الي ان جاه كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحينئذ يكون قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد
نزوله بقبا على كلثوم فلا مخالفة لكن في السيرة الشامية فنزل
اي علي كرم الله وجهه معه اي مع النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم
وهذا لا ينافي الا على القول بانه صلى الله عليه وسلم مكث في قبا
بضع عشرة ليلة كما يأتي وهو يخالف ما سبق من مجيه مع زيد وابي
رافع لما علمت انه صلى الله عليه وسلم انما ارسلهما بعد ان تحول من
قبا الي المدينة وفي الامتاع لما قدم علي كرم الله وجهه من مكة
كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه
النبي صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل
في يديه وامرهما على قدميه فلم يشتكيهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع
ذلك من علي كرم الله وجهه مع وجود ما يركبه لانه يجوز ان يكون
هاجر ماشيا رغبة في عظيم الاجر وفي السيرة الشامية
ان اقامة علي كرم الله وجهه بقبا كانت ليلة او ليلتين وانه
راي امراة مسلمة لا زوج لها يأتيها انسان من جوف الليل
فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيا معه فتاخذه
قال علي كرم الله وجهه فسالتها عن ذلك فقالت هذا سهل
ابن حنيف قد عرف اني امراة لا احد لي فاذا امسى عدا على
اوثان قومه فكسرها ثم جاني بها فقال احتطبي بهذا اي
اجعليه للنار فكان علي كرم الله وجهه يعرف ذلك لسهل
ابن حنيف رضي الله عنه والله اعلم قال ونزل ابو بكر رضي الله عنه

علي

٢٣١

علي حبيب بن اساف وقيل على خارجة بن زيد بالسنح بضم السين ونون
ساكنة فحاء مهملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين اي وحملت به امه يوم الاثنين وخرج من مكة اي من الغار
يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين قال الحاكم رحمه الله تواترت
الاخبار ان خروجه يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة كان يوم الاثنين
ووضع الركن يوم الاثنين ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن ابي الربيع
المالكي وكان بمصر كان يوم الاثنين خاصة اذا نام فيه تنام عيناه
ولا ينام قلبه وقيل خرج من مكة الي الغار يوم الخميس وعليه يكون
صلى الله عليه وسلم مكث في الغار تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة وليلة
السبت وليلة الاحد وعليه يكون خروجه من الغار صبيحة يوم الاحد
وفي البخاري اتاهما الدليل براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم ان
خروجهما للغار كان ليلا من بيت ابي بكر رضي الله عنه وقول ابي بكر
رضي الله عنه سرنا ليلتنا كلها حتى قام قايم الظهيرة يقتضي انهما
خرجا من الغار ليلا اي اول الليل لان مع التاكيد يبعد ان يكون
المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخاري ايضا اتاهما براحلتيهما صبح ثلاث
وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل بعيد فليتامل هذا المحل
وقيل اذا دخلها اي المدينة ليلا كما في رواية لمسلم اي وقال الحافظ ابن
حجر ويجمع بان القدوم كان اخر الليل ودخلها نهارا اقول لعل
المراد ان الوصول كان ليلا الي قرب المدينة فاقاموا بذلك المحل الي ان
اسفر النهار وساروا حتى وصلوا الا وقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم
وقيل دخلها يوم الجمعة قال الحافظ ابن حجر انه شاذ والله اعلم وسرى
السرور الي القلوب بحلوله في المدينة بعض البراء رضي الله عنه قال
ما رايت اهل المدينة فرحوا بشي فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن انس ابن مالك رضي الله تعالى عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضا منها كل شي وصعدت ذوات
الخدور على الاجاجير اي الاسطحة عند قدومه يقلن بقولهن طلع
البدر علينا الخ وعن عايشة رضي الله تعالى عنها لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة جلس النسا والصبيان والولايد يقلن جهرا

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع، وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا جيت بالامر المطاع، قال واستشكل بان

ثنيات الوداع ليست من جهة القادم من مكة بل من جهة الشام فقد
قال ابن القيم في الهدي في غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام
لا يطاها القادم من مكة ونقل الحافظ ابن حجر عنه عكس ذلك ولعل في
محله واجيب بانه صلى الله عليه وسلم جا من جهتها في دخوله المدينة عند
خروجه من قبا انتهى اي وفي كلام بعضهم ما كان احد يدخل المدينة
الا منها فان لم يعشر بها مات قبل ان يخرج لوبايها كما زعمت
اليهود فاذا وقف عليها قيل قد ودع فسميت به وقيل
قيل لها ثنية الوداع لان المودع يمشي مع المسافر من المدينة
اليها وهو اسم قديم جاهلي وقيل اسلامي سمي بذلك لجعل ذلك
وقيل لان الصحابة ودعوا فيها النسا اللاتي استمتعوا بهن
في خيبر عند رجوعهم من خيبر اي وقع توديع من خرج الى
غزاة تبوك فيها او لكونه صلى الله عليه وسلم ودع بعض المسافرين
عندها هذا يدل على ان الشعر قيل له صلى الله عليه وسلم
عند دخوله المدينة لا عند دخوله قبا وسياق بعضهم يقتضيه
ومن هذا تعلم ان المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قبا ومنه قولنا
وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة

فعن البرا

فعن البراح وهي المرادة بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما
تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قبا وحينئذ تكون هي
المرادة بقول انس رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الخ ولعل هذا هو ما في بعض
الروايات المتقدمة انه صلى الله عليه وسلم دخل المدينة يوم
الجمعة الذي حكم الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بشذوذه كما
تقدم ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ابو بكر
رضي الله عنه للناس اي وابو بكر شيخ اي شيبه ظاهر والنبي
صلى الله عليه وسلم شاب اي شعر لحيته اسود مع كونه اسن من ابي بكر
رضي الله عنه كما تقدم وقد قال انس رضي الله عنه لم يكن في الذين
هاجروا اشمط غير ابي بكر رضي الله عنه فطفق من جا من
الانصار ممن لم ير النبي صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر رضي الله عنه
اي فيعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى اصابت الشمس رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر رضي الله عنه حتى ظلل عليه
صلى الله عليه وسلم بردايه فعرف الناس اي عرفه من جاءهم
بعد ذلك اي لان عدم تاثير الشمس فيه صلى الله عليه وسلم
بتظليل الغمامة كان قبل البعثة ارهاصا كما تقدم
اي ومما يدل على ان دخوله صلى الله عليه وسلم وخروجه من
قبا كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بني عمرو بن عوف اي في قبا بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثا
ويوم الاربعا ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة وقيل لبث
بضعة عشر ليلة وهو المنقول عن البخاري رحمه الله وعن ابن
عقبة رحمه الله اقام بها صلى الله عليه وسلم اربعة عشر يوما وهو

ما في صحيح مسلم واسس صلى الله عليه وسلم بقبا المسجد الذي
على التقوى اي الذي نزلت فيه الاية وصلى فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم
وقد سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال مسجدكم
هذا واشار لمسجد المدينة وفي رواية فاخذ حصا فضرب
به الارض وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا
منهما موسس على التقوى هذا كلامه ويوافقه ما نقل عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه كان يرى كل مسجد بني بالمدينة الشامل
لقبا اسس على التقوى اي لكن الذي نزلت فيه الاية هو مسجد قبا
وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة حين ارتفع
النهار قال قيل وكان مسجد قبا مربدا اي محلا يجفف
فيه التمر لكلثوم ابن الهدم رضي الله عنه وهو اول مسجد
بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي انه بني قبله غيره
من المساجد لكن لخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه
الصديق رضي الله عنه بفناء داره بمكة كما تقدم انتهى وفي كلام
ابن الجوزي رحمه الله تعالى اول من بنى مسجدا في الاسلام
عمار ابن ياسر رضي الله عنه وفي السيرة الشامية عن الحكم
ابن عتيبة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قبا
قال عمار ابن ياسر ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من
ان يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي
فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قبا اي فانه لما جمع الحجارة
اسسه صلى الله عليه وسلم واستتم بنائه عمار رضي الله عنه
فعمار اول من بنى مسجدا لعموم المسلمين قال وعن جابر

رضي الله عنه

رضي الله عنه لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة
انتهى ونعمر يحتمل ان يكون بالتخفيف فيكون عطف
الصلاة من عطف التفسير ويحتمل ان يكون بالتشديد
فيكون بنا المساجد تعدد في المدينة قبل قدومه صلى الله
عليه وسلم وفيه ان الحافظ ابن حجر قال كان ابتدا هجرة الصحابة
رضي الله عنهم وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف
على التحرير كما تقدم اي ورواية جابر رضي الله عنه تدل على
انه كان بين اجتماع الاثني عشر مع الانصارية ومجيئهم
الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم سنتين وقد
يقال ليس مراد جابر رضي الله عنه ان ابتدا المدة من قدوم
الاثني عشر ليلة بل مراده ان ابتداها من قدوم الستة عليه
الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتامل وهو
اي مسجد قبا اول مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
باصحابه جماعة ظاهرين اي امنين وقيل ان هذا
المسجد بناه المهاجرون والانصار يصلون فيه فلما
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قبا صلى
فيه ولم يحدث فيه شيئا ويخالفه ما تقدم عن السيرة الشامية
وما في الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح
الشين المعجمة بنت النعمان رضي الله عنها قالت نظرت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم واسس المسجد مسجد
قبا فرايته ياخذ الحجر او الصخرة حتى يصهره الحجر اي يتعبه
فياتي الرجل من اصحابه رضي الله عنهم فيقول يا رسول الله

بابي آنت وامي لتطفي اكفك فيقول لا خذ مثله حتى اسسه
قال يا اهل قبا
اي وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما اراد بناءه
ايتوني باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار كثيرة فخط القبلة
واخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر خذ حجرا
فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب
حجر ابي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر
قال بعضهم كانه صلى الله عليه وسلم اشار الى ترتيب الخلافة
ويحتاج للجمع بين هذه الروايات
ويجيء في مسجد المدينة نحوه وبعد تحوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان ياتيه يوم السبت
ماشيا وراكبا وقال صلى الله عليه وسلم من توضا واسبغ الوضوء
ثم جا مسجد قبا فصلى فيه كان له اجر عمرة اي وروى الترمذي
والحاكم عن اسيد بن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
صلاة في مسجد قبا كعمرة وفي رواية من صلى في مسجد قبا
يوم الاثنين والخميس انقلب باجر عمرة وكان عمر رضي الله
عنه ياتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف من
الاطراف وفي رواية في افق من الافاق لضربنا اليه اكباد الابل
اي وصح الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قبا ماشيا وراكبا
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال خرجت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قبا وعن ابن عمر رضي
الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا
فيصلي فيه ركعتين وعنه قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى قبا فقام يصلي فجاءته الانصار رضي الله عنهم
تسلم

تسلم عليه فقلت لبلال كيف رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلي اي يجعل
باطنها الى اسفل وظهرها الى فوق وقد وقعت له صلى
الله عليه وسلم الاشارة في الصلاة برد السلام لما قدمت
عليه ابنته رضي الله عنها من الحبشة وهو يصلي فسلمت
عليه فاوما اليها براسه الشريف وفي الهدي واما حديث
من اشار في الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته
فحديث باطل وفي كلام بعضهم فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه احد وهو في الصلاة
اشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث
تعارض الاحديث مجهول وهو من اشار في صلاته اشارة
تفهم فليعد صلاته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة
ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالهم عن ذلك فقال ما هذا
الطهور الذي اثنى الله عليكم فقالوا يا رسول الله ما خرج
منا رجل ولا امراة الى الغائط الا غسل فرجه فقال هو
هذا وفي لفظ اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
قبا اي وفي الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد
قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم
اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال
عليه الصلاة والسلام اتؤمنون بالقضا قالوا نعم قال وتصبرون
على البلا قالوا نعم قال اتشكرون على الرخا قالوا نعم قال عليه
الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس صلى الله عليه وسلم

وقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل اثني عليكم فما الذي
تصنعون في الوضوء عند الغايط اي المعبر عنه بالطهور
فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع
الاحجار الما فتلي النبي صلي الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا
هذا كلامه وفي رواية فقال ان الله قد احسن الثنا في الطهور
فما هذا الطهور الذي تتطهرون به فقالوا يا رسول الله ما نعلم
شيا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم
من الغايط فغسلنا كما غسلوا وفي لفظ كنا نستنجي بالما
في الجاهلية فلما جا الاسلام لم ندعه فلا ندعوه وفي لفظ قالوا
نتوضا للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال هل مع ذلك غيره
قالوا لا غير ان احدنا اذا خرج الي الغايط احب ان يستنجي
بالما وفي رواية نستنجي بالما من البول والغايط زاد في رواية
ولا تنام الليل كله علي جنابة قال هو ذلك فعليكموه اي الزموه
اي وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلي الله
عليه وسلم لما سالهم قالوا نتبع الحجارة الما قال بعضهم في
اسناده ضعف فهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد علي الامام
النووي حيث قال هكذا اي ذكر الحجارة مع الما في خبر الانصار
يقوله رواة الفقها في كتبهم وليس له اصل في كتب الحديث المذكور
بل المذكور فيها انهم قالوا كنا نستنجي بالما وليس فيها مع
الحجر اي ويكون السكوت عن الحجر لكونه كان معلوما فعله وفي
الخصايص الصغري اي مما اختص به في شرعه وامته الاستنجا
بالجامد وبالجمع فيه بين الما والحجر ومن اهل قبا عويمر ابن ساعدة
قال في حقه صلي الله عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من اهل
الجنة عويمر ابن ساعدة رضي الله عنه لانه كان اول من استنجي

بالما



بالما كما قيل اي ومن ثم جا تخصيصه صلي الله عليه وسلم رضي الله
عنه بالسوال فقد روي البيهقي عن ابن عباس رضي الله
عنهما بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم الي عويمر بن ساعدة
رضي الله عنه فقال ما هذا الطهور الذي اثني الله عليكم به
فقال يا نبي الله ما خرج منا رجل ولا امراة من الغايط الحديث
وهذا السياق ربما يقتضي ان الاستنجا بالما لم يكن معروفا
في غير اهل قبا قبل نزول هذه الاية وفي كلام بعضهم اول
من استنجي بالما ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكره
بعض الصحابة الاستنجا بالما وهو حذيفة رضي الله عنه
لعله لكون في الاستنجا بالما عدول عن الرخصة ونقل
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان لا يستنجي بالما ولعله
لما ذكرنا وكذا ما نقل عن ابن الزبير رضي الله عنهما ما كنا نفعله
وعن الامام احمد لم يصح حديث في الاستنجا بالما وبالغ مغلطاي
في رده وعن سيدنا مالك رضي الله عنه انكار ان النبي
صلي الله عليه وسلم استنجا بالما ولعل المراد انكار صحة ذلك
عنه صلي الله عليه وسلم فليتامل وذكر الاحجار في الخبر يوجد
ما ذكره امامنا رضي الله عنه في الام ان سنة الجمع بين الحجر والما
تتوقف علي كون الاستنجا بالحجر كاف لو اقتصر عليه بنزوله
والاستنجا اي بالحجر كاف ولو اتي به اي الاستنجا الكافي رجل
ثم غسل بالما كان احب الي واتما قلنا ظاهره لامكان رجوع
الضمير للاستنجا لا بقيد كونه كافيا والذي عليه متاخروا
اصحابنا ان سنة الجمع يكتفي بازالة العين ولو بحجر واحد
وقد يقال هذا المحبوب وما ذكره الامام احب ولا يخفي ان حديث

الا نضار ويقتضي اختصاص سن الجمع بين الحجر والما بالغايط
وبه قال القفال في كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص
الجمع الاجزان مثل الغايط والبول ثم يعدا فانه صلى الله عليه وسلم
المذكور يعنا ركب راحلته الجدعا وقيل القصوا وقيل
العضبا اي قاصدا المدينه والجدعا بالدال المهمله المقطوعه
الانف او مقطوعة الاذن كلها والقصوا المقطوعة طرف
اذنها والعضبا المشقوقه الاذن قال بعضهم وهذه الالقاب
ولم يكن بها اي بتلك النوق شي من ذلك وسياتي بعض الاصل
ان هذه الالقاب لناقة واحده ولما ركب صلى الله عليه وسلم
وخرج من قبا وسار سار الناس معه ما بين ماش وراكب
ولا زال احدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا اي حرصا
على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل
المدينة الشريفة قال وصار الخدم والصبيان يقولون الله اكبر
جا رسول الله صلى الله عليه وسلم جا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد قال بنو عمرو بن عوف له يا رسول الله ملالانا او تريد
دارا خيرا من دارنا قال اني امرت بقرية تاكل القرى اي
تغلبها وتقهرها والمراد اهلها اي ان اهلها يفتحون القرى
فياكلون اموال اهل تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا
سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه وسلم اي ومن اسما تلك القريه
المدينه روي ان النبي قال امرت بقرية تاكل القرى يثرب وهي
المدينه فالمدينه علم بالغلبه على تلك القريه كالنجم للثريا
اذا اطلق فهي المرادة وان اريد غيرها قيد والنسبة اليها
مدني

مدني ولغيرها من المدن مديني للفرق بينهما ويثرب اسم
محل فيها سمي بذلك لانه نزل به يثرب من نسل نوح عليه
السلام وفي الحديث المدينة تنفي الناس اي شرارهم كما ينفي
الكير خبث الحديد وفي بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى
تنفي المدينة شرارها قيل وذلك يكون في حياته صلى
الله عليه وسلم قيل يكون ذلك في زمن الدجال فقد جاء ان
الدجال يرجف باهلها فلا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه
وفي رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج
الله منها كل منافق ونحو هذا استدل من قال كون المدينه تنفي
الخبث ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص لان المنافقين
كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم علي وطلحة
والزبير وابو عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود
رضي الله تعالى عنهم وفي كلام ابن الجوزي ان عبد الله بن مسعود كان
بالمدينه وقد قال صلى الله عليه وسلم اي ارض مات بها رجل من
اصحابي كان قائدهم ونورهم يوم القيامة وفي رواية فهو شفيع
لاهل تلك الارض واما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون اي خير لهم من بلاد الرخا بدليل صدر الحديث
ياتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم
الى الرخا هلم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
والذي نفسي بيده لا يخرج احد منها رغبة عنها الا اخلف
الله تعالى بها خيرا منه اي من خرج منها رغبة عنها الى غيرها
من بلاد الرخا والسعة خلافا لمن في ذلك على انها افضل من
مكة ومن اسمائها الحالة البلدانة ومن اسمائها ابارة بتشديد

الداو وتسمى الفاضحة لان من اضمر بها شيئا اظهر الله ما اضمره
وافتضح به اي فالمراد اضمر شيئا من السوء وقد قال صلى الله عليه وسلم
من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هي طابة كررها
هي طابة هي طابة قال ذلك ثلاثا وفي رواية فليستغفر الله
فليستغفر الله هي طيبة كهيئة هي طيبة هي طيبة هي طابة
كطابت وقيل وانما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد
روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها
مجذوم اي لان ترابها يشفي الجذام وتسميتها بيثرب في القران
انما هو حكاية لقول المنافقين اي بعدهم عن ذلك وقوله
صلى الله عليه وسلم لا اراها الا يثرب اي وكذلك من كل ما وقع
في كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهي عن
ذلك انتهى اي وجاء ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية
الى جحرها ويارز بكسر الزاي اي ينضم ويجتمع بعضه الى بعض
وفي رواية ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يارز كما
تارز الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها بيثرب لان يثرب
ماخوذ من التثريب وهو المواخذة بالذنب ومنه قوله تعالى
لا تثريب عليكم اليوم او من الثرب بالتحريك وهو الفساد
وعن القاسم ابي محمد رضي الله عنها قال بلغني ان للمدينة
في التورية اربعين اسما وقيل احد عشر ومن جملتها سكينة
ومن جملتها الجابرة والعذراء والمرحومة وفي كلام بعضهم لها
نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان
ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووي
رحمه الله لا يعرف في البلاد اكثر اسما منها ومن مكة ومما يدل

٤

على ان خروجه صلى الله عليه وسلم من قبا متوجها الى المدينة
كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند سيره صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها
في المسجد الذي في بطن الوادي بمن معه من المسلمين وهم
مائة اي وصلاها بعد ذلك وكانوا به صلى الله عليه وسلم
اربعين رجلا اي ولم يحفظ انه صلى الله عليه وسلم صلاها مع
النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة في ذلك المسجد
سمي ذلك المسجد بمسجد الجمعة وهو على يمين السالك الى قبا
فكانت اول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة اي وخطب
بهم وهي اول خطبة خطبها في الاسلام اي ومن خطبته صلى الله عليه وسلم
تلك من استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل
ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر امثالها الى
سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبي رحمه الله هذه الخطبة
في تفسيره واوردها جميعها في المواهب وليس فيها هذا اللفظ
اقول هذا واضح ان كان صلى الله عليه وسلم اقام في قبا
الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما تقدم واما على انه اقام
بضع عشرة ليلة او اكثر من ذلك كما تقدم فيبعد انه صلى الله
عليه وسلم لم يصل الجمعة في قبا في تلك المدة ثم رايت في كلام
بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة في قبا في
اقامته هناك اي ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفي
رواية الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة في مقامي هذا
في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من تركها من غير عذر

مع امام عادل او جاير فلا جمع له شمله ولا بورك له في امره الا ولا صلاة
له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له فان كان قال ذلك في هذه
الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك انها لم تكن
واجبة قبل ذلك وهو يخالف قول فقهائنا انها وجبت بمكة ولم تقم
بها لعدم قدرته على اظهارها الان اظهارها اقوى من اظهار
جماعة الصلوات الخمس وفي الاتقان مما تاخر حكمه عن نزوله
اية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة وقول ابن الفرس
ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط ويرده ما اخرجه ابن ماجه عن
عبد الرحمن بن كعب ابن مالك قال كنت قايد ابي حين ذهب بصره
فكنت اذا اخرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر لابي امامة
اسعد ابن زرارة فقلت يا ابتاه ارايت صلاتك على اسعد بن
زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال اي بني كان اول
من صلى بنا الجمعة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة هذا كلامه ويتامل في وجه الرد من هذا وجاء صلاة
الجمعة بالمدينة كالف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان
في المدينة كصيام الف شهر فيما سواها كذا في الوفا عن نافع بن
عامر رضي الله عنهما واول قرية صليت فيها الجمعة بالمدينة قرية
عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل الصلاة او بعدها
في الدر انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الجمعة وهو بالمدينة
بعد ان يصلي مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم جمعة فاذا
قدمت عير لدحية الكلبي وكان اذا قدم يخرج اهله للقاه
بالطبل واللهو ويخرج الناس للشراء من طعام تلك العير وللتفرج
عليها وقيل للتفرج على دحية رضي الله عنه فقد قيل كان اذا قدم

دحية

دحية المدينة لم تبق معصر الا خرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولا مانع
ان يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس ولم يبق معه صلى
الله عليه وسلم الا نحو اثني عشر رجلا والجلال المحلي في قطعة
التفسير اسقط لفظ نحو اي وانفضاض ما عدا هؤلا يحتمل
ان يكون في حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل ان يكون
بعد ذلك وعلى الاول يجوز ان يكون رجع ممن انفض ما يكمل
به العدد الاربعون قبل طول الفصل وقد اعاد صلى الله عليه وسلم
ما لم يسمعوه من اركان الخطبة عند انفضاضهم [illegible]
اليه فلا يخالف ما ذهب اليه امامنا رضي الله عنه من وجوب سماع
اربعين لاركان الخطبة وعن مقاتل رحمه الله بلغني انهم فعلوا
ذلك اي الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فانزل الله تعالى
واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها ثم صار صلى الله عليه وسلم
يخطب قبل ان يصلي اي ليحافظ الناس على عدم الانفضاض
لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصري
وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تاخير
صلاة الجمعة عن الخطبتين تبعت صلاته صلى الله عليه وسلم بعد
خطبتين اي استقر ثبوته ذلك وعن الزهري رحمه الله بلغنا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب اي في غير الخطبة
المتقدمة كل ما هو ات قريب لا بعد لما هو ات لا يعجل الله لعجلة احد
ولا يخف لامر الناس يريد الناس امرا ويريد الله امرا فما شا الله
كان ما شا الناس وما شا الله كان ولو كره الناس لا مبعد
لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله الا باذن الله والله اعلم
ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة

اي وقد ارخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا
فسأله بنو سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة بن مالك
ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله
اقم عندنا في العدد والعز والمنعة وفي لفظ والثروة وفي
لفظ انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة اي السلاح
ونحن اصحاب الحدائق والدرك يا رسول الله كان الرجل من العرب
يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال
لهم خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مأمورة وفي رواية
انها مأمورة خلوا سبيلها وهو متبسم ويقول بارك الله فيكم
فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة اي محلتهم والمراد
القبيلة فسأله بنو بياضة اي ومنهم زياد بن لبيد وفروة
ابن عمرو بمثل ما تقدم واجابهم بانها مأمورة خلوا سبيلها
فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة اي ومنهم سعد
ابن عبادة والمنذر ابن عمرو وابو دجانة فسأله بنو ساعدة
بمثل ذلك واجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت
حتى مرت بدار بني عدي بن النجار وهم اخواله صلى الله عليه وسلم
اي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم اي بدارهم فسأله
بنو عدي ابن النجار اي او بعض الطائفة منهم بمثل ما تقدم
اي وفي رواية انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن اخوالك
هلم الى العدد والمنعة والعز مع القرابة لا تجاوزنا
لغيرنا يا رسول الله اي زاد في رواية لا تجاوزنا ليس احد
من قومك اولى بك منا لقرابتنا واجابهم بانها مأمورة فانطلقت
حتى بركت في محل من محلات بني النجار وذلك في محل المسجد

اي محل

اي محل بابه او محل المنبر الان وذلك عند دار بني مالك بن
النجار وعند باب ابي ايوب الانصاري اي واسمه خالد بن زيد
الانصاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان مع علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه من
خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان وغزا ايام معاوية
ارض الشام مع يزيد ابن معاوية سنة خمسين وقيل احدى وخمسين
فتوفي عند مدينة قسطنطينية فدفن هناك وامر يزيد بالخيل
فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى عفي اثر القبر اي خوفا ان
تنبشه الكفار فكان المشركون اذا امحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا
فلم تنزل عنها صلى الله عليه وسلم وثبت وسارت غير بعيد ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت
الى مبركها فبركت فيه وتلحلحت اي بالجيم تضعضعت ووضعت
جرانها اي باطن عنقها من المذبح الى المنحر وارزمت اي صوتت
من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب
انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين اي قال ذلك اربع مرات
واخذه الذي كان يأخذه عند الوحي اي وسري عنه وقال
هذا ان شاء الله يكون المنزل اي وامر ان يحط رحله وفي لفظ ان
ابا ايوب رضي الله عنه قال له صلى الله عليه وسلم ائذن لي ان انقل
رحلك فاذن له واحتمل ابو ايوب رضي الله عنه رحله فوضعه
في بيته اي وجاء اسعد بن زرارة رضي الله عنه واخذ بزمام راحلته
فكانت عنده اي وذكر بعضهم ان ابا ايوب لما نقل رحله اناخ الناقة
في منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اسعد اخذ بزمامها بعد
ذلك فكانت عنده وعن ابي ايوب رضي الله عنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم

ملكه

المدينة اقترعت الانصار ايهم يأويه فغفر عنهم الحديث
وقد يقال المراد بالانصار اهل تلك المحلة التي بركت فيها
الناقة وذكر السهيلي رحمه الله انها لما القت جرانها
في دار بني النجار اي في محل من محلاتها جعل رجل من بني سلمة
وهو جابر بن صخر وكان من صالحي المسلمين ينخسها رجاء ان
تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعله وجاء انه صلى الله
عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل
ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير ولما وجد
ذلك سعد ابن عبادة رضي الله عنه ذلك وجد في نفسه وقال
خلفنا فكنا اخر الاربع اسرجوا الحماري اتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكلمه ابن اخته سهل فقال اتذهب لترد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم وليس
حسبك ان تكون رابع اربع فرجع وقال الله ورسوله اعلم
وامر بحماره فحل عنه وفي رواية قال له اجلس الا ترضى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاربع الدور التي سمى فمن
ترك فلم يسم اكثر ممن سمى فانتهى سعد ابن عبادة عن كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بني النجار
بالدفوف يقلن نحن جوار من بني النجار ٥ يا حبذا محمد من جار ٥
فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتحببنني وفي
رواية اتحبونني قلن نعم يا رسول الله فقال الله يعلم ان قلبي
يحبكن وفي رواية والله احبكم وفي رواية وانا والله احبكم
وانا والله احبكم قال ذلك ثلاثا وهذا يدل
لسماع الغناء والضرب بالدف من المراة لغير العرس ويدل لذلك

ايضا

ايضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجاءت جارية يقال
لها سيرين معها مزهر تختلف به بين القوم وهي تغنيهم وتقول
هل علي ويحكم ان لهوت من حرج ٥ فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لا حرج ان شاء الله وما روي عن عائشة رضي الله عنها ،،
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان من ،،
جواري الانصار تغنيان وفي رواية تضربان بدفين فاضطجع
صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه ودخل ابو بكر
رضي الله عنه فانتهرني فاقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال دعهما وفي رواية قال ابو بكر رضي الله عنه بمزمور وفي رواية
بمزمار وفي لفظ بمزمارة الشيطان في بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ذلك مرتين وانتهرني وكان صلى الله عليه وسلم
متغشيا بثوبه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف
فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد اي لان ذلك كانت ايام منى،
وقيل كان يوم عيد الفطر وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة
اقول في البخاري عن الربيع بنت معوذ انه صلى الله عليه وسلم
دخل عليها غداة بني عليها وعندها جويريات يضربن بالدف
يندبن من قتل من ابائها يوم بدر حتى قالت جارية ٥ وفينا
نبي يعلم ما في غد ٥ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولي هذا
وقولي ما كنت تقولين وفي حديث ابي بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت ،،
يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله سالما اضرب بين يديك ،،
بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربي فجعلت تضرب فدخل ،،

ابو بكر رضي الله عنه وهي تضرب ثم دخل عمر رضي الله عنه فالقت
الدف تحتها وقعدت عليه فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
ليفرق منك يا عمر اني كنت جالسا وهي تضرب ودخل ابو بكر
وهي تضرب ثم دخلت انت القت الدف اي واذا كان الشيطان
يخاف منك فما بالك بامراة ضعيفة العقل ولا ينافي هذا
اي سماع الغناء من المراة مع الضرب على الدف ما تقدم في باب
ما حفظ به صلى الله عليه وسلم في صغره من امر الجاهلية لان
الدف ثم كان معه مزمار بخلافه هنا وتسمية ابي بكر رضي الله عنه
الدف مزمارا لانه كان يعتقد حرمة ذلك فشبهه بالمزمار المحرم
سماعه قال بعضهم واعلم ان السماع في طريق القوم معروف وفي
الجواذب الى المحبة معدود وهو موصوف وقال بعض اخواننا اكبر
مصايد النفوس اي والرجوع بها الى الله تعالى وقد شوهد تاثير
السماع في الحيوانات غير الناطقة بل في الاشجار ومن لم يحركه
السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع وعن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله عنه مرا بالحبشة وهم يلعبون
ويرقصون ويقولون

يا ايها الضيف المعرج طارقا • لولا مررت بال عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم • منعوك من جهد ومن اقتار

اي ولم ينكر عليهم صلى الله عليه وسلم وبه استدل ائمتنا على جواز
الرقص حيث خلا عن التكسر فقد صحت الاخبار وتواترت
الاثار بانشاد الشعر بين يديه صلى الله عليه وسلم بالاصوات الطيبة
مع الدف وبغيره وبذلك استدل ائمتنا على جواز الضرب بالدف
ولو فيه جلاجل لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر

واستماعه

واستماعه حيث خلا عن هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه
وخلا عن تشبيب بمعين من امراة او غلام والخلاف انما هو
في سماع الملاهي كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع
صوت المراة او الامرد الجميل ونقل عن الجنيد رحمه الله انه قال
الناس في السماع اي سماع الالات على ثلاثة اضرب العوام وهو
حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهدتهم
والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه ابو طالب
المكي رحمه الله وصححه السهروردي في عوارف المعارف وفي كلام
بعضهم جبلت النفوس حتى غير العاقلة على الاصغاء الى ما يحسن
من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على داود عليه
الصلاة والسلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما اخرجه
ابن ابي شيبة عن صفوان بن امية رضي الله عنه وهو من المولفة
قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء عمرو بن قرة فقال
يا رسول الله ان الله قد كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي
بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم لا اذن
لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله لقد رزقك الله طيبا فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله اما انك لو
قلت بعد هذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا ان يقال هذا
النهي ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه
تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله عليك الخ للمبالغة
في التنفير عن ذلك ونزل صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب رضي الله عنه
وقال المرء مع رحله اي لعدان قال صلى الله عليه وسلم ان بيوت
اهلنا يعني اهل تلك المحلة من بني النجار اقرب فقال ابو ايوب

داري هذا وقد حططنا رحلك فيها فذهبت تلك الكلمة في
التي هي اخرى مع رحله مثلا وقال له صلى الله عليه وسلم اذهب
فهيّ لنا منزلا فذهب فهيأ ذلك ثم جا فقال يا نبي الله قد
هيات لك منزلا فقم على بركة الله تعالى ومنزلك معه الحديث
حارثة رضي الله عنه قوله وفي رواية فتنازع القوم ايهم
ينزل عليه اي كلا يحرص على ان يكون داره منزلا له صلى الله عليه وسلم
اي عقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة على بني
النجار اخوال عبد المطلب لاكرمهم بذلك فلما اصبح غدا حيث
امر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة اي في تلك
الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول بني النجار هلم الينا
وقوله صلى الله عليه وسلم لهم انها مامورة لجواز ان يكون صلى
الله عليه وسلم امر بالنزول عليهم واعلم ان خصوص البقعة
والمحلة من محلات بني النجار التي يبرك بها من دارهم ما تبرك به
الناقة وفيه انه يبعد مع ذلك كون اي مع قوله المذكور انه ينزل
على بني النجار سوال غير بني النجار في النزول عنده الا ان يقال
لعل السايلين له صلى الله عليه وسلم في ذلك لم يبلغهم قوله
المذكور او جوزوا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له في
ذلك راي وقد اشار الى نزوله صلى الله عليه وسلم على بني النجار
الامام السبكي في تائيته بقوله رحمه الله

نزلت على قوم بني عم طاهر • لانك مامون النسا والنقبة •
بنا بني النجار من شرفيه • يجرون اذيال المعالي الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم كان في
اخر ليلة ومن في قبا ومن ثم يرد قول بعضهم ينبغي ان يكون ذلك

في

في اول قدومه باطن المدينة فالمراد باسفل المدينة اسفلها
ويرد قول سبط ابن الجوزي رحمه الله لعله نزل على بني النجار اي
في باطن المدينة ليلة اي في تلك الليلة ثم ارتحل الى بني عمرو بن
عوف اي في قبا هذا وفي رواية عن انس ابن مالك رضي الله عنه
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي
يقال لهم بنو عمرو بن عوف فاقام فيهم اربع عشرة ليلة ثم ارسل
الى ملا من بني النجار فجاوا متقلدين سيوفهم قال انس فكاني انظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر رضي الله عنه
ردفه وملا من بني النجار حوله حتى اناخ بفنا ابي ايوب وهذه
الرواية وقع فيها اختصار كبير وقيل انه صلى الله عليه وسلم
عرج على عبد الله بن ابي بن سلول وكان جالسا محتبيا واراد
النزول عليه فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم
فقال له سعد ابن عبادة يا رسول الله لا تجدن في نفسك من قوله
فقد قدمت علينا والخزرج تريد ان تملكه وقد وقع له
في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو اتيت
عبد الله بن ابي بن سلول اي متالفا له ليكون ذلك سببا لاسلام
من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبي
صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه
فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد
اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل
من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهما
ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزل وان طايفتان

من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في البخاري وفيه ايضا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن ابي بن سلول في جماعة
فقال يا ابي لقد غشنا ابن كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه
عبد الله رضي الله عنه فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتيه براسه فقال له صلى الله عليه وسلم ولكن بر اباك وكان
ابي جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعني
بقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم الاية ولكونه متبوعا
جيء فيه بصيغة الجمع وعن الزهري اخبرني عروة بن اسامة
ابن زيد رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب
حمارا على اكاف واردف اسامة خلفه يعود سعد ابن عبادة
رضي الله عنه في بني الحارث ابن الخزرج قبل وقعة بدر
حتى مر بمجلس فيه عبد الله ابن ابي ابن سلول وذلك قبل
ان يسلم عبد الله ابن ابي فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين
والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن
رواحة رضي الله عنه فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن ابي
وجهه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله وقرا عليهم القران
فقال ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
فلا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص
عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فانا
نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا
يتثاورون فلم يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا
ثم ركب صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة

رضي الله عنه

رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد الم تسمع ما
قال ابو حباب يعني ابن ابي قال كذا وكذا قال سعد بن عبادة
رضي الله عنه يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي انزل
عليك لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك وقد اصطلح اهل
هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد
بالحق الذي اعطاك الله شرق بذلك فذلك فعل به ما رايت
فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ومكث
صلى الله عليه وسلم ببيت ابي ايوب الى ان بنى المسجد وبعض
مساكنه وقد مكث في بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر
من السنة القابلة اي وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت
ابي ايوب سبعة اشهر قال ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون اي غالبهم
اخذا مما ياتي فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى
اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل احد من المهاجرين على احد
من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون في دور الانصار
واموالهم انتهى وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم
مسجد لابي امامة اسعد ابن زرارة رضي الله عنه وكان ابو
امامة يجمع فيه بمن يليه بناه في بعض مربد للتمر لسهل وسهيل
رضي الله عنهما اي يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين
والسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الدبع او التمر ليتجفف
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ذلك المسجد قال
وعن ام زيد ابن ثابت انها قالت رايت اسعد ابن زرارة قبل
ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة يصلي بالناس الصلوات

الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل رضي
الله عنهما قالت فكأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه اي مع ادخال بقية ذلك
لا يخالف ذلك قول الدمياطي عن
المربد فهو مسجده
الزهري قال بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلي فيه رجال
من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربدا لسهل
وسهل وكان جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت
المقدس وكان اسعد ابن زرارة رضي الله عنه بناه وكان يصلي
باصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ولما قدم المدينة صار صلى الله عليه وسلم يصلي فيه وفي
الامتاع وكان اسعد ابن زرارة رضي الله عنه بنى فيه جدار
تجاه بيت المقدس كان يصلي فيه بمن اسلم قبل قدوم مصعب
ابن عمير رضي الله عنه ثم صلى بهم اليه مصعب سند الكلام
ونعلم ما فيه في قدوم مصعب المدينة لكن في البخاري انه صلى
الله عليه وسلم كان يصلي في مرابض الغنم قبل ان يبنى المسجد
اي ولعله اتفق له صلى الله عليه وسلم ذلك في بعض الاوقات
لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي حيث ادركته الصلاة ثم انه
صلى الله عليه وسلم سال اسعد بن زرارة ان يبيعه تلك
البقعة التي كانت من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا
فانها كانت في يده ليتيمين في حجره وهما سهل وسهيل
وقيل كانا في حجر معاذ ابن عفراء قال في الاصل وهو
الاشهر وفي المواهب ان الاول هو الراجح واليتيمان المذكوران
من بني مالك ابن النجار وقيل كانا في حجر ابي ايوب الانصاري

قال بعضهم والظاهر ان الكل اي اسعد ومعاذ وابو ايوب
كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم بنو اعمام فنسبا الى حجر كل
عرض ابو ايوب عليه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ تلك الارض
ويغرم لليتيمين قيمتها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابتاعها بعشرة دنانير اداها صلى الله عليه وسلم من مال
ابي بكر رضي الله عنه اي وفي رواية فدعى الغلامين فساومهما
بالمربد فقالا نهبه لك يا رسول الله فابى صلى الله عليه وسلم
ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وامر
صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه ان يعطيهما ذلك وفي
رواية ارسل الى ملا من بني النجار ولعلهم من تقدم وهم اسعد
ومعاذ وابو ايوب ومعهم سهل وسهيل اي وحضر وصيهما
باعنا اما كانت خاوه فقال ثامنوني بحائطكم هذا اي خذوا مني
ثمنه قالوا لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فابى ان ياخذه الا بالثمن
قال وكان اسعد بن زرارة عوض اليتيمين في تلك الارض
نخلا اي له في بني بياضة وقيل ارضاهما ابو ايوب وقيل
معاذ ابن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من
اسعد وابي ايوب ومعاذ بن عفراء دفع للغلامين شيئا اي
زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم انه
كان في تلك الارض قبور جاهلية فامر بها صلى الله عليه وسلم
فنبشت وبالعظام فالقيت انتهى اي وفي رواية وامر
بالعظام ان تغيب وفي رواية كان في موضع المسجد نخل
وخرب اي حفر ومقابر للمشركين فامر صلى الله عليه وسلم
بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت اي

وفي سيرة الحافظ الدمياطي فامر رسول الله صلي الله عليه وسلم
بالنخل الذي في الحديقة اي وهي تلك الارض التي كانت مربدا
اي وسمي حديقة لوجود النخل به وامر بالغرقد الذي كان فيه
ان يقطع اي والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة
اهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه قد لا يدل
علي اليهودي اذا توارى به عند نزول عيسى عليه السلام وقتله
للدجال وجنده من اليهود فاذا توارى اليهودي بشجرة نادته
يا روح الله ههنا يهودي فياتي حتى يقف عليه فاما ان يسلم
واما ان يقتله الا شجر الغرقد فانه لا يدل علي اليهودي اذا توارى
به فقيل له شجر اليهود لذلك قال وكان في المربد ما مستنجل
فسيروه حتى ذهب والمستنجل الذي ينبع ويظهر من الارض
ثم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني به
المسجد وجا انه صلي الله عليه وسلم عند الشروع في البنا وضع لبنة
ثم دعي ابا بكر رضي الله عنه فوضع لبنة اي بجانب لبنته صلى الله وجا
عليه وسلم ثم دعي عمر رضي الله عنه فوضع لبنة بجانب لبنة ابي بكر
رضي الله عنه ثم جا عثمان رضي الله عنه فوضع لبنة بجانب لبنة
عمر رضي الله عنه اي وقد اخرج ابن حبان رحمه الله لما بني رسول
الله صلي الله عليه وسلم المسجد وضع في البنا حجرا وقال لابي بكر اي
ضع حجرك الى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر
ابي بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هولا
الخلفا بعدي قال ابو زرعة اسناده لا باس به فقد اخرجه
الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية فهولا ولاة الامر بعدي
قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال

بعضهم

بعضهم وقوله لعثمان رضي الله عنه ما ذكر اي ضع حجرك الى
جنب حجر عمر رضي الله عنه يرد علي من زعم ان هذا منه صلي
الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم اي اذ لو كان اشارة الى
ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب ابي بكر رضي
الله عنهم بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة اي لانه لا يستفاد
من قوله صلي الله عليه وسلم هولا الخلفا بعدي الا ذلك ومن
ثم جا في رواية فسيل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك
فقال امر الخلافة من بعدي وبتصحيح الحاكم لما ذكر يظهر التوقف
في قول بعضهم ان هذا لم يجي في الصحيح الا ان يريد صحيح
الشيخين واما قوله قال البخاري في تاريخه ان ابن حبان
لم يتابع علي الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا رضي الله
عنهم قالوا لم يستخلف النبي صلي الله عليه وسلم فقد يقال
معناه لم ينص علي استخلاف احد بعينه عند موته وذلك
لا ينافي الاشارة اي وقوع الخلافة لهولا بعده ولا ينافيه
قوله الخلفا بعدي لجواز ان يراد الخلافة في العلم ثم رايت
ابن حجر الهيتمي رحمه الله اشار الى ذلك حيث قال قلت
هذا اي وضع تلك الاحجار وقوله صلي الله عليه وسلم هولا
الخلفا بعدي مع احتماله للخلافة في العلم والارشاد
متقدم علي وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت
فلم يكن نصا سالما من المعارض هذا كلامه ثم قال صلى
الله عليه وسلم للناس ضعوا اي الحجارة فوضعوا ورفع بالحجارة
اي قدر قامة ثلاثة اذرع وبني باللبن وجعل عضادتيه
اي جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده جذوع

روايته سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامه اي كان
ارتفاعه قدر قامه قال وعن شهر ابن حوشب قال لما اراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبني المسجد قالوا ابنوا لي
عريشا كعريش موسى عليه السلام قال كان اذا قام اصاب راسه
السقف انتهى اي فالمراد اجعلوا سقفه بحيث اذا قمت
اصاب راسي السقف لو رفعت يدي اصابتا السقف ويجمع
بين هاتين الروايتين يدل على ان المراد ما هو قريب من ذلك
بحيث يكون كثير الارتفاع فلا ينافي ما ياتي من امره صلى الله عليه وسلم
بجعل ارتفاعه سبعة اذرع فليتامل وفي سيرة الحافظ
الدمياطي رحمه الله فقيل له صلى الله عليه وسلم الا تسقفه
قال عريش كعريش موسى خشبات وثمام اي وقيل للحسن
ما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العرش يعني السقف
وفي رواية لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد
قال قيل لي اي قال له جبريل عليه السلام عريش كعريش
اخيك موسى عليه السلام سبعة اذرع طولا في السما اي وكان
سبعة اذرع بحيث يصيب راسه ولا تزخرفه ثم الامر محله
من ذلك اي وفيه انه يقتضي ان موسى عليه الصلاة والسلام
كان طوله سبعة اذرع وهو خلاف ما اشتهر ان قامة موسى
عليه السلام كانت اربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته
كذلك وقد جاء ما امرت بتشييد المساجد اي ولعل قوله
صلى الله عليه وسلم ذلك كان لما جمع الانصار رضي الله عنهم
مالا وجاءوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلي تحت هذا الجريد

وها

٢٤٥

وجاء لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد وجاء
ان من اشراط الساعة ان يتباهى الناس في المساجد اي
يزخرفونها كما تزخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم
ولم يكن على السقف كبير طين اذا كان المطر يكف ان ينزل
منه المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلي اي المسجد
طينا فقالوا يا رسول الله لو امرت فطين اي جعل عليه طين
كثير بحيث لا ينزل منه المطر فقال صلى الله عليه وسلم لا عريش
كعريش موسى عليه السلام فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعند بنايته عمل فيه المسلمون والمهاجرون
والانصار وعمل فيه صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب المسلمون
في العمل فيه قال وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن
اي في ثيابه وفي رواية في ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار
يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر اي هذا
المحمول من الطين ابر واطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر
والزبيب فالحمال بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع في رواية
بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه والاول اظهر ولا يحسن
هذا الوجه الا اذا كان جمال خيبر احمل من جمال غيرها وصار
يقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة
قال البلاذري وهذا القول لامراة من الانصار وتمامه
ويا فوز من حرثنا رساعره فانها لكافر وكافره والذي في
البخاري فاغفر للانصار والمهاجره ولعله صلى الله عليه وسلم
هو الذي اخرجه عن الوزن كما هو عادته في انشاد الشعر
كما سياتي وفي لفظ فاصلح وفي لفظ فاكرم وفي رواية اللهم

لاخير الا خير الاخرة فارحم المهاجرين والانصاره وفي رواية
فانصر الانصار والمهاجرة وعن الزهري انه صلى الله عليه وسلم
كان يقول اللهم لاخير الا خير الاخرة فارحم المهاجرين والانصا
لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا
ولو متمثلا وفيه انه مع قوله ان اجر الي الاخرة يكون شعرا موزونا
الا ان حذف الالف من اللهم وقال لاهم وكسر ميمه فارحم
وحينئذ تكون المراد من الانصار انما نطقت بذلك اي قالت
لاهم الخ وهو صلى الله عليه وسلم هو الذي غيره ونقل عن
الزهري رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا ولا
متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم اقف على قائله وسياتي
عن الزهري انه من انشائه صلى الله عليه وسلم وسياتي ما فيه
وفي كلام بعضهم قال ابن شهاب يعني الزهري رحمه الله لم
يبلغنا في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر
تام اي موزون الا هذه الابيات قال اي عائذ اي التي كان يرتجز
بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد اي وفيه انه مخالف لما تقدم
عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به
الا قوله هذا الحمال الخ فلا يحسن ان يفسر كلامه بذلك على انه
صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك
فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم جعل يردد بيت قتيلة ويقول •
• تعلق هاما من رجال اعزة • علينا وهم كانوا اعق واظلم •
وفي المواهب ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده
اي وذلك جاء ايا ما انشده ان انا قلت الشعر من قبل نفسي
وفي الكشاف وقد صح ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون
ان الشعر

٤٤٦

من الشعر ولا دليل على منع انشاده اي الشعر موزونا متمثلا
اقول نقل الحافظ الدمياطي عن الزهري رحمه الله انه كان
يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا من الشعر الا ما قد قيل
قبله الا قوله • هذا الحمال لا حمال خيبر • هذا ابر ربنا واطهر
اي فانه من قوله صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ما تقدم عنه
ولعله سقط من عبارة الزهري المذكورة شيء والاصل انه لم
يقل شيئا من الشعر الا ما قيل قبله تاما اي موزونا الا قوله
هذا الحمال الخ فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه صلى الله عليه وسلم
كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو متمثلا هو المنقول
عن عائشة رضي الله عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياتي بشيء من الشعر فقالت كان ابغض
الحديث اليه الشعر غير انه كان يتمثل به فيجعل اوله اخره
واخره اوله اي غالبا كان صلى الله عليه وسلم يقول ويأتيك
من لم تزود بالاخبار • ويقول • كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا •
اي وذلك من قول سحيم بمهملة مصغر اعبد بني الحسحاس
شاعر مشهور مخضرم • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا •
ولما غير ذلك صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضي الله عنه
انما قال الشاعر كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال
الصديق رضي الله عنه اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر
ولما سمع صلى الله عليه وسلم قول سحيم الحمد لله حمدا لا انقطاع له
فليس احسانه عنا بمنقطع قال احسن وصدق وقول
الصديق اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على انه
صلى الله عليه وسلم لا يجري الشعر على لسانه موزونا وقد

قيل له صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس فقال الذي يقول
المرزباني كلما جئت طارقا • وجدت بها وان لم تطيب طيبا
الاصل وجدت بها طيبا وان لم تطيبي وكان ابو بكر رضي
الله عنه يقول بابي انت وامي يا رسول الله ما انت بشاعر ولا
راويه والمراد بكون الشعر ابغض اليه الاتيان به والا فقد
كان صلى الله عليه وسلم يسمع الشعر كما تقدم ويستنشد ع
فقد ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنسا اخت
صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشد وهو يقول هيه
يا خناس ويومي بيديه وقد قال بعضهم اجمع اهل العلم
بانه لم تكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها ومن شعرها
في اخيها المذكور • اعيني جودا ولا تجمدا • الا تبكيان لصخر الندا
طويل النجاد عظيم الرماد • وسادعشيرته امردا • وللجلال السيوطي
كتاب سماه انيس الجلسا • في اشعار النسا • وقولنا في قول
عايشة رضي الله عنها انه كان يتمثل اي بالشعر ويجعل اوله
اخرا اي غالبا حتى لا يا في ما جاء عنها كان صلى الله عليه وسلم
يتمثل بشعر ابن رواحة • ويأتيك بالاخبار من لم تزود • •
وقولها رضي الله عنها ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينشد شعرا الا بيتا واحدا • تفاءل بما تهوى يكن فلقلما
يقال لشيء كان الا تحققا • وفي الخصايص الكبرى قال
المزني رحمه الله ولم يبلغني انه صلى الله عليه وسلم انشد بيتا تاما
على رويه بل اما الصدر كقول لبيد رضي الله عنه •
الا كل شي ما خلا الله باطل • او العجز كقول طرفه •
ويأتيك بالاخبار من لم تزود • وفيه ما تقدم عن عايشة

ولكونه

وكقوله صلى الله عليه وسلم وقد انشده اعشى بني مازن ابياتا •
في ذم النسا اخر تلك الابيات • وهن شر غالب لمن غلب •
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول • وهن شر غالب لمن غلب
قال انشد صلى الله عليه وسلم بيتا كاملا غير اي غالبا لما تقدم
كبيت العباس ابن مرداس اي فانه صلى الله عليه وسلم قال
للعباس ابن مرداس الايت قولك وفي لفظ انت القايل
اصبح نهبي ونهب العبيد • بين الاقرع وعيينة •
فقيل انما هو عيينة والاقرع فقال انما هو الاقرع وعيينة
فقال ابو بكر رضي الله عنه بابي انت وامي يا رسول الله وفي لفظ
اشهد انك رسول الله ما انت بشاعر ولا راويه ولا ينبغي لك
انما قال بين عيينة والاقرع اي كما انه لا ينبغي لك ان تكون
شاعرا كما قال الله تعالى لا ينبغي لك ان تكون راوية للشعر
اي بان تاتي به على وجهه اي شانك ذلك لا يكون منك
مناشدة للشعر وكون شانه صلى الله عليه وسلم ذلك لا ينافي
وجوده منه على وجهه في بعض الاوقات فقليلا ما وعن
بعضهم ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط
اي موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن المواهب لانه
يجوز ان يكون هذا المنقول عن عايشة وعن المزني وعن
بعضهم كان اغلب احواله كما قدمناه في المنقول عن عايشة
ثم رايته في الامتاع اشار الى ذلك بقوله وربما انشد صلى الله
عليه وسلم البيت المستقيم في النادر وفي المواهب لا دليل
على صحة انشاده صلى الله عليه وسلم متمثلا اي دايما وابدا يدل لذلك
قول الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا الا قوله هذا

الحال الخ وفيه ما علمت ولا يخفى ان الشعر عرف بانه كلام عربي
موزون عن قصد قال البدر الدماميني وقولنا عن قصد يخرج
ما كان وزنه اتفاقيا كآيات شريفة اتفق الوزن فيها اي من بحور الشعر
الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطي في نظمه للتلخيص وذلك
كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى
وجفان كالجواب وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح
قريب وكلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود كما
في قول النبي صلى الله عليه وسلم • هل انت الا اصبع دميت •••
• وفي سبيل الله ما لقيت • اي بناء على تسليم انه من قوله صلى الله
عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن رواحة اي فان
ذلك مذكور في ابيات قالها في غزوة موتة وقد صدمت اصبعه
فدميت وذكر ذلك في سبيل الله في كتاب الله ولا مانع ان يكون ابن
رواحة ادخل هذا البيت في تلك الابيات التي صنعها كما تقدم
وفي كلام ابن دحية رحمه الله وتحرم على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان المنهوك والمشطور فالمنهوك
انا النبي لا كذب والمشطور هل انت الا اصبع دميت وقيل
البيت الواحد لا يكون شعرا على انه قيل ان الرجز ليس
بشعر ردا على الخليل ومن تبعه القائلين بانه من الشعر
حيث قال لاحتج عليهم بحجة ان لم يغيروا بها كفروا ولو كان شعرا
ما جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول
وما علمناه الشعر وما ينبغي له هذا كلامه قال في النور والفتح
انه شعر موافقة للخليل رحمه الله وقد علمت ان ما جرى منه على
لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا لعدم قصده فتأمله

وقد

وقد نقل الماوردي من ايمتنا انه كما يحرم عليه صلى الله عليه وسلم
قول الشعر اي انشاؤه يحرم عليه روايته اي ذكره انشاده متمثلا وفرق
بعضهم بين الانشاد والرواية بقوله قال فلان كذا واما انشاده
متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم
لما قيل له من اشعر الناس قال الذي يقول الخ وقال للعباس
ابن مرداس انت القائل الخ قال ذلك البعض وكان الفرق بين
الرواية والانشاد ان قوله قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب
قوله وهذا متضمن لرفع شأن الشعر والمطلوب منه الاعراض
عن الشعر من حيث كونه شعرا وفيه ان الصديق رضي الله عنه
قال له عند كل من الرواية والانشاد ليست رواية كما تقدم
وعن الخليل رحمه الله كان الشعر احب اليه صلى الله عليه وسلم
من كثير من الكلام اي وهو يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة
رضي الله عنها كان ابغض الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر
لان المراد بالشعر الذي يحبه صلى الله عليه وسلم ما كان مشتملا
على حكمة او وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه
صلى الله عليه وسلم ما كان مشتملا على ما فيه هجنة او هجو ونحو ذلك
ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الجامع
الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام
الشعر الحسن احد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما اذا خفي عليكم شيء من القرآن فالتمسوه
في الشعر فان الشعر ديوان العرب وفي كلام سيدنا عمر رضي الله
عنه نعم الابيات الشعر يقدمها الرجل امام حاجته
يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها لؤم اللئيم والحاصل

ان الحق الحقيق بالاعتماد وبه تجتمع الاقوال ان المحرم عليه صلى الله
عليه وسلم انما هو انشا الشعر اي الاتيان بالكلام الموزون عن قصد
وزنه وهذا هو المعني بقوله تعالى وما علمناه الشعر فان فرض
وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا
اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب
عليه صلى الله عليه وسلم انه اذا انشد بيتا من الشعر متمثلا به
او مسندا لقايله لا ياتي به موزونا وربما اتى به موزونا قصدا
ولكنه لا يتعاطاه اي لا يقصد الاتيان به موزونا قالوا وهذا
اتم واكمل وفي التهذيب للبغوي من ايمتنا رحمه الله قيل كان
صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والاصح انه كان لا
يحسنه والاصح انه كان صلى الله عليه وسلم يميز بين جيد الشعر
ورديه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون ثم رايته في
ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام
حفظا لنفسه وماله يعرض في كلامه بالنبي صلى الله عليه وسلم
كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى في قوله وما
علمناه الشعر وما ينبغي له قال بعضهم والحكمة في تنزيه القران
عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة
غيره ان القران منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر
التخييل بصورة الباطل في صورة الحق والافراط في الاطرا
والمبالغة في الذم والايذا دون اظهار الحق واثبات الصدق
ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ولاجل شهرة الشعر
بالكذب سمى اصحاب البرهان القياسات المودية في اكثر الامور
الى البطلان والكذب شعرية وقد جا النهي عن انشاد

الشعر

الشعر في المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رايتموه ينشد شعرا
في المسجد فقولوا له فض الله فاك ثلاث مرات واخذ بعموم فيه
من الشعر ما لا يخفى وفي العرايس عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال من قال ان ادم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى
ادم عليه السلام بالماثم وان محمدا والانبيا كلهم في النهي عن الشعر
سوا وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي رحمه الله في قوله وما علمناه
الشعر وما ينبغي له ان الشعر محل للاجمال واللغز والتورية اي وما
رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيا ولا لغزنا ولا خاطبناه بشي ونحن
نريد شيا ولا اجملنا له الخطاب حيث لم يفهمه واطال في ذلك وفعله
رضي الله عنه لا يريد بان ذلك من المتشابه وان المتشابه ليس مما استاثر
الله بعلمه والله اعلم وشارك صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم
ينقل اللبن بنفسه والواقع ذلك اي في نقل اللبن اي وهو المراد
بالصخر في قول بعضهم وجعل اصحابه ينقلون الصخر والمراد
الصخر الذي يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال
قايلهم . لئن قعدنا والنبي يعمل . لذاك منا العمل المضلل .
وجعل يحمل كل رجل لبنة وعمار ابن ياسر رضي الله عنه يحمل لبنتين
لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن وجه
عمار رضي الله عنه ويقول الا تحمل يا عمار كما يحمل اصحابك قال اني
اريد الاجر من الله تعالى وفي رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه
صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال
يا ابن سمية للناس اجر ولك اجران واخر زادك من الدنيا شربة من
لبن وجا في حق عمار رضي الله عنه ان ابن سمية ما عرض عليه امران قط
الا اختار الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق

وتقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة ويدعونك الى النار
وعمار يقول اعوذ بالله من الفتن وفي رواية بالرحمن من الفتن
اي وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم يشبه ان ينقل
اللبن بل ينقل ذلك في بعض الاوقات وفي مسلم عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال اخبرني من هو خير مني رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح
راس عمار ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وفي رواية
يعني من ابهمه ابو سعيد وهو ابو قتادة وزاد في رواية ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة
لبنة اي من الحجارة التي تقطع وعمار ناقه من وجع كان به فجعل
يحمل لبنتين قال لعمار ويس لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية
ثم رايت بعضهم قال يشبه ان يكون ذكر الخندق وهما او قالها
صلى الله عليه وسلم عند بنا المسجد وقالها يوم الخندق هذا
كلامه اي ويكون عمار ابن ياسر في الخندق صار يحمل الحجرين
وكان في بنا المسجد يحمل اللبنتين وكان عثمان بن مظعون رضي
الله عنه رجلا متنطعا اي متنزها فكان اذا حمل اللبنة
تجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان اصابه شي من
التراب نفضه فنظر اليه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
وانشد يقول مباسطة مع عثمان بن مظعون رضي الله عنه
لا يستوي من يعمر المساجدا • يداب فيها قائما وقاعدا
• ومن يرى عن التراب حائدا • اي وكان عثمان
رضي الله عنه من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال
لا اشرب شرابا يذهب عقلي • ويضحك بي من هو ادنى مني

وذكر

وذكر ابن اسحاق قال سالت غير واحد من اهل العلم
عن هذا الرجز هل تمثل به علي كرم الله وجهه او قاله فكل
يقول لا ادري فسمع ذلك الرجز عمار ابن ياسر فصار يرتجز
بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فمر بعثمان يرتجز بذلك على عثمان
فظن عثمان رضي الله عنه ان عمارا يعرض به فقال
له عثمان يا ابن سمية ما اعرفني بمن تعرض به لتكفن او لاعترضن
لهذه الحديدة بحديدة كانت معه وجهك وفي لفظ والله اني اراني
ساعرض هذه العصاة لانفك لعصاة كانت في يده فسمعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغضب وقالوا ان عمار ابن ياسر جلدة ما بين عينيه
ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد
غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ونخاف ان ينزل فينا قرآن
فقال انا ارضيه فقال يا رسول الله ما لي ولاصحابك قال ما لك ولهم
قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين
اي وفي لفظ يحملون علي اللبنتين والثلاث اي ولعله حمل ثلاث لبنات
في بعض الاوقات فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد
وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة المحل الذي
خلف القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة
الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة اي الى
سببها وهو اتباع الامام الحق لانه رضي الله عنه كان يدعو الى اتباع علي
كرم الله وجهه وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه
الى النار اي الى سببها وهو عدم اتباع علي كرم الله وجهه واتباع معاوية
رضي الله عنه وفيه ان تلك الفئة التي كان فيها فانه كان فيها جمع من
الصحابة وهم معذورون بالتاويل الذي ظهر لهم الا ان يقال

يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده رضي الله عنه واطلاق البغي
عليهم باعتبار ذلك قال بعضهم وفيه معاوية رضي الله عنه
وان كانت باغية لكنه بغي لا فسق به لانه انما صدر عن تاويل
يعذر به اصحابه انتهى اي وما زاده بعضهم في الحديث لا انالهم
الله شفاعتي يوم القيمة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى في
هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم ينقلها اذ لم
تنقل عن من يقبل وقال الامام ابو العباس ابن تيمية وهذا
كذب موضوع في الحديث لم يروه احد من اهل العلم باسناد معروف ولذلك لو تكلم عمار
جمله ما ابن عيينه لا يعرف له اسناد والذي في الصحيح تقتل عمارا الفئة الباغية
اي العادية سمعت رسول الله صلعم يقول قاتل عمار في النار ومن العجب
ان ابا الغادية هذا هو القاتل لعمار يوم صفين فكان ابو الغادية
مع معاوية وعمار مع علي كرم الله وجهه اي وقيل ان عمارا لما برز
للقتال قال اللهم لو اعلم رضاك عني ان اوقد نارا فارمي بنفسي
فيها لفعلت او اغرق نفسي لفعلت واني لا اريد قتالا مولاي
الا لوجهك الكريم وان لا ارجو ان لا تخيبني وجعلت بدعن نفسي
على الحربة اي لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة اي وقد
كان رضي الله عنه جيء له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخر شراب تشربه
حين تموت لبن وفي رواية اخر زادك من الدنيا ضيح من اللبن
ثم نادى رضي الله عنه اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور الحسان
اليوم نلقى الاحبة محمدا وحزبه ولما قتل عمار رضي الله عنه دخل
عمرو بن العاص على معاوية رضي الله عنهما فزعا وقال قتل عمار
فقال معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

يقول تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية دحضت اي
زلقت في بولك انحن قتلناه انما قتله من اخرجه وفي رواية
قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض اي تزلق في بولك انما
قتله علي واصحابه جاوا به حتى القوه بيننا ويذكر ان عليا
كرم الله وجهه لما احتج على معاوية رضي الله عنه بهذا الحديث
لم يسع معاوية انكاره قال انما قتله من اخرجه من داره
يعني بذلك عليا فقال علي كرم الله وجهه فرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن قتل حمزة رضي الله عنه حين اخرجه ولما قتل عمار رضي الله
عنه جرد خزيمة بن ثابت رضي الله عنه سيفه وقاتل مع علي
كرم الله وجهه وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية
فقاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضي الله عنه مع معاوية
وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف تقاتلان علي كرم الله وجهه
وعمار بن ياسر رضي الله عنه فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل
معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية
لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى علي اي لان ذا
الكلاع كان ذووه اربعة الاف اهل بيت وقيل عشرة الاف
وكان عبد الله بن بديل ابن ورقاء رضي الله عنه مع علي كرم الله وجهه
فلما قتل عمار رضي الله عنه اخذ سيفين ولبس درعين ولم يزل
يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاوية رضي الله عنه فازاله عن
موقفه وازال الصحابة الذين كانوا معه عن موقفهم ثم لما رجع
قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم

قال الآن معاوية ادعى ما ليس له ونازع الامر اهله ومن
ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم
بالاعراب والاحزاب وزين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم
حب الفتنة ولبس عليكم الامر وانتم والله على الحق على نور من
ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجفاة قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر اهله تؤجروا رحمكم الله
ولما قتل عمار رضي الله عنه ندم ابن عمر رضي الله عنهما على عدم
نصرة علي كرم الله وجهه والمقاتلة معه وقال عند موته ما آسى
على شيء ما اسفي على ترك قتال الفئة الباغية قال بعضهم شهدنا
صفين مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في ثمان مائة من اهل
بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر
رضي الله عنهم وكان خزيمة بن ثابت رضي الله عنه الذي جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين مع علي كرم
الله وجهه يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل جرد سيفه وقاتل
حتى قتل رضي الله عنه لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية وفي الحديث
من عادى عمارا عاداه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله عمار
يزول مع الحق حيث يزول عمار خلط الايمان بلحمه ودمه عمار
ما عرض عليه امران الا اختار الارشد منهما وجاء ان عمارا دخل
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار
ابن ياسر حشي ما بين اخمص قدميه الى شحمة اذنه ايمانا
وفي رواية ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان

بلحمه

بلحمه ودمه وتخاصم عمار رضي الله عنه مع خالد ابن الوليد في سرية كان
فيها خالد اميرا فلما جاء اليه صلى الله عليه وسلم استنبا عنده فقال خالد
يا رسول الله ايسرك ان مثل هذا العبد الاجدع يشتمني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فان من سب عمارا فقد
سب الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان
عمارا رضي الله عنه قام مغضبا فقام خالد فتبعه حتى اخذ بثوبه فاعتذر
اليه فرضي عنه وعن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم يغلب عليه دهلة الكبر وهذا
الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض
الشحنا واشيع عنه انه يريد ان يخلع عثمان فاستدعاه سعد ابن ابي
وقاص رضي الله عنه وكان مريضا فقال ويحك يا ابا اليقظان كنت فينا
من اهل الخير فما الذي بلغني عنك من السعي بالفساد بين المسلمين وان انت
على امير المؤمنين امعك عقلك ام لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت
عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال سعد انا لله وانا اليه راجعون ويحك
حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك
وخرجت من الدين عريانا كما ولدتك امك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول
اعوذ بربي من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد
دله وخرف عمار واظهر عار القوم على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد
الى بيت المقدس وجعل له ثلاث ابواب باب في مؤخره والباب الذي
كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذي يقال
له باب جبريل انتهى اي وهو الباب الذي كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم
ويقال له باب عثمان لانه كان يلي دار عثمان وهو الذي يخرج منه الان
الى البقيع اقول وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل ان تحول
القبلة ولما حولت حولت قبلته الى الكعبة وهذا محل قوله صلى الله

عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني وبين
الكعبة والله اعلم اي وفي كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مغلطاي
ان موضع المسجد كان دارا لتبع بناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
مبعثه صلى الله عليه وسلم بالف سنة وانه لم يزل على ملكه صلى الله عليه وسلم
اي متعلقا به من ذلك العهد على ما دل عليه كتاب تبع اقول سياتي
ان تبعا بنى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل في تلك
الدار وانه بقيا لانها دار ابي ايوب مجموعها تلك الدار وان تلك الدار
فيحتمل ان تلك دار ابي ايوب بعضها وذلك المسجد بعضها الاخر وان الايدي
تداولت الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب لكن قدمنا ان الوكالات
تلك الدار مذكورة في الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فان الكتاب كما سياتي وصل اليه صلى الله عليه وسلم في مكة في اول
البعثة ونزوله دار ابي ايوب واخذه المربد على الكيفية المذكورة
يبعد ذلك اي انه ذكر له صلى الله عليه وسلم امر تلك الدار قال ومكث
صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس ستة عشر
اشهر ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان في مؤخر
المسجد وفي كلام بعضهم لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التي كان
يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب الذي يقال له باب جبريل عليه
السلام اي فانه بقي في محله واما باب الرحمة الذي كان يقال له ايضا
باب عاتكة فاخر عن محله وسبب وضع الحصا في المسجد ان
المطر جاء ذات ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل ياتي بالحصا
في ثوبه فيبسطه تحته ليصلي عليه فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلاة قال ما احسن هذا وفي روايته ما احسن
هذا البساط وقد يعارض هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر ان يحصب المسجد فمات قبل ذلك فحصبه عمر رضي الله عنه

اقول

اقول قد يقال لا معارضة لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم
لما اعجبه ذلك من الفعل لبعض الصحابة امر ان يحصب جميع المسجد
لان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع
فرش المساجد الا ان يراد بالحصر ونحوها لانه لم يكن في زمنه صلى
الله عليه وسلم ولا امر فيه ثم رايت بعضهم ذكر ذلك حيث قال اول
من فرش الحصر في المساجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت قبل
ذلك مفروشة بالحصا اي في زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي الاحيا
اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله
عنهم اذ من غرر المعروف في زماننا فرش المساجد بالبسط الرفيعة
وقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة كانوا لا يرون ان يكون
بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحيا اي والحصا لا تعد حائلا
وسياتي ان المسجد بني بعد فتح خيبر وهي التي عناها خارجة
رضي الله عنه بقوله اكثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل
ولعلها هي التي ادخل فيها الارض التي اشتراها عثمان رضي الله عنه
من بعض الانصار بعشرة الاف درهم ثم جاء عثمان رضي الله عنه
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشتر مني البقعة
التي اشتريتها من الانصاري التي كانت تجاوره للمسجد فاشتراها
صلى الله عليه وسلم منه ببيت في الجنة اي وفي رواية ان عثمان
رضي الله عنه لما حصر اي الحصار الثاني واشرف على الناس من فوق
سطح داره وقد اشتد به العطش قال اها هنا علي كرم الله وجهه
قالوا لا قال اها هنا طلحة قالوا لا قال انشدكم بالله الذي لا اله الا
هو اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بني
فلان اي المربد الذي كان مجاورا للمسجد غفر الله له فابتعته بعشرين
الفا او بخمسة عشر الفا ذكر عثمان رضي الله عنه وتقدم انه اشتراها

لعشرة الاف درهم فلما تامل فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
قد ابتعته فقال اجعله مسجدا واجره لك قالوا اللهم نعم فهو كان ذلك
وفي لفظ انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان ببقعة
كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها
في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها
في المسجد فانتم الان تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين اي وزاد
عثمان بعد ذلك زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل
عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج كما في البخاري وعن عثمان
رضي الله عنه ايضا انه قال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب
غير بئر رومة يجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفي لفظ ليكون دلوه
فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ له بها مشرب في الجنة
فاشتريتها من صلب مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل
قالوا اللهم نعم فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها بل وتمنعوني
الماء الا احد يسقينا فاني افطر على الماء المالح وفي رواية هل فيكم
من يبلغ عليا كرم الله وجهه فابلغوه فلما بلغ ذلك عليا كرم الله
وجهه ارسل اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه
وخرج بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني امية اي وقيل
هذه اكبر ركية ليهودي يقال له ارومة فيقال انه اسلم وكان يبيع
المسلمين ماءها كانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم
فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر
رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب
في الجنة ساومه فيها عثمان رضي الله عنه فابى ان يبيعها كلها فاشترى
نصفها باثني عشر الف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودي
يوما

يوما فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما راى
اليهودي ذلك قال لعثمان افسدت علي ركيتي فاشتر النصف الاخر
بثمانية الاف وقيل جملتها اشتراها بخمسة وثلاثون وقول عثمان
رضي الله عنه جعلتها للغني والفقير وابن السبيل دليل دليل على ان
قوله دلوه فيها كدلاء المسلمين لم يشترط ذلك بل فضله النعيم في الموقوف
عليه فلا دليل فيه على جواز ان للواقف ان يشترط له الانتفاع بها وقد
كان زعم بعضهم وكان حصار عثمان رضي الله عنه شهرين وعشرين يوما
وفي كلام سبط ابن الجوزي كان الحصار الاول عشرين يوما والثاني
اربعين يوما وفي يوم من تلك الايام قال وددت لو ان رجلا صادقا
اخبرني عن امري هذا الذي من اين اوتيت فقام شاب من الانصار
فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطاطات لهم فركبوك وما جراهم
على ظلمك الا افراط حلمك فقال له عثمان صدقت اجلس واول من
دخل عليه الدار محمد ابن ابي بكر رضي الله عنهم تسور عليه هو وجماعة
من الحائط من دار عمرو بن حزم رضي الله عنه فاخذ بلحيته فقال دعها
يا ابن اخي فوالله لقد كان ابوك يكرمها فاستحيا وخرج وفي رواية
لما اخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك معاوية وما اغنى عنك
ابن ابي سرح فقال له يا ابن اخي ارسل لحيتي فوالله انك لتجر لحية
كانت تعز على ابيك وما كان ابوك يرضى مجلسك مني فتركه وخرج ويقال
انه قال ما اريد بك اشد من قبضي على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله
عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص في يده ثم ضربه بعض
هولا بالسيف فاتقته نايلة زوج عثمان فقطع اصابعها الخمس وعن ابن
الماجشون عن مالك ان عثمان رضي الله عنه بعد قتله القي على المزبلة
ثلاثة ايام وقيل اغلق عليه بابه ثلاثة ايام لا يستطيع احد ان
يدفنه فلما كان في الليلة اتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى
وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وقيل صلى عليه اربعة وان

ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما صاروا به للمقبرة
منعوهم وقالوا والله لا يدفن في مقابر المسلمين فدفنوه بمحل كان
الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا
فاشتراه عثمان رضي الله عنه وزاده في البقيع فكان هو اول
من قبر فيه وحملوه على باب وان راسه ليقرع الباب لاسراعهم
به من شدة الخوف ولما دفنوه رضي الله عنه عموا قبره خوفا عليه
ان ينبش واما غلاماه اللذان قتلا معه فجروا برجليهما والقوا
على التلال فاكلتهما الكلاب وسبب هذه الفتنة انهم انقموا
عليه رضي الله عنه امورا منها عزله لاكابر الصحابة ممن ولاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضي الله عنه بان يبقى
على ولايته وهو ابو موسى الاشعري رضي الله عنه عن البصرة
فان عمر اوصى بان يبقى على ولايته فعزله عثمان رضي الله عنه
وولى ابن خاله عبد الله ابن عامر محله وعزل عمرو بن العاص عن مصر
وولاها ابن ابي سرح وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعزل
ابن مسعود عنها ايضا واشخصه الى المدينة وعزل سعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنه عن الكوفة وولى لخاه لامه الوليد
ابن عقبة ابن ابي معيط الذي سماه الله فاسقا بقوله افمن كان مومنا كمن
كان فاسقا وصار الناس تقول بيس ما فعل عثمان عزل اللين
الهين الورع المستجاب الدعوة وولى لخاه الخاين الفاسق المدمن
الخمر ولعل مستندهم في ذلك ما رواه الحاكم في صحيحه من ولى رجلا
على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو ارضى لله منه فقد خان الله
ورسوله والمومنين ومنها انه رضي الله عنه ادخل عمه الحكم ابن ابي العاص
والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطايف ومكث به مدة
رسول الله

مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة ابي بكر بعد ان ساله عثمان في ا
دخاله المدينة فابى فقال له عثمان رضي الله عنه عمي فقال عمك الى
النار هيهات هيهات ان اغير شيا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله لا رددته ابدا فلما توفي ابو بكر رضي الله عنه وولي عمر رضي الله عنه
كلمه عثمان رضي الله عنه فقال له ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولي عثمان
رضي الله عنه رده الى المدينة فاشتد ذلك على المسلمين المهاجرين والانصار
وانكر ذلك عليه اعيان الصحابة رضي الله عنهم فكان ذلك من اكبر الاسباب
الحامل على القيام عليه واعتذر عثمان رضي الله عنه عن ذلك بان النبي
صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو في مرض موته قال فشهدت
عند ابي بكر رضي الله عنه فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد
ثم قال لي عمر رضي الله عنه مثل ذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي واما
عزله لابي موسى رضي الله عنه فان جند عمله شكوا شحه فعزله خوف
الفتنة ومنها انه جا الى عثمان رضي الله عنه اهل مصر يشكون ممن ولاه
عليهم وهو ابن ابي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد اباح رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وتعزل عمرو بن العاص عنا
ورد هذا بان عزله لعمرو بن العاص انما كان لكثرة شكايتهم
فيه وابن ابي سرح اسلم بعد الفتح وحسن اسلامه ووجدوه
لسياسة الامر اقوى من عمرو وعزله للمغيرة فانه انهي اليه عنه
انه ارتشى فراى المصلحة في عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن
ابي سرح رجلا منهم فعادوا الى عثمان رضي الله عنه وكلموا اكابر الصحابة
رضي الله عنهم كعلي وطلحة ابن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانما يسالونك
رجلا مكانه فقال لهم عثمان تختارون رجلا اوليه عليهم فاختاروا

محمد ابن ابي بكر رضي الله عنهما فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه
جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين اهل
مصر وبين ابن ابي سرح فلما كان محمد بن ابي بكر رضي الله عنهما ومن معه
على ثلاث مراحل عن المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير فقالوا
له ما قصتك فقال انا غلام امير المؤمنين ارسلني الى عامل مصر فقال
له واحد منهم هذا عامل مصر يعني محمد ابن ابي بكر رضي الله عنه فقال
ما هذا اريد فلما اخبر ذلك الرجل محمد ابن ابي بكر استدعاه فقال له
بحضور من معه من المهاجرين والانصار انت غلام من فصار تارة
يقول غلام امير المؤمنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل من
القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد ابن ابي بكر الى من ارسلت
قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا
معه كتاب من عثمان الى ابن ابي سرح في قصبة من رصاص في جوف
الاداوة في الما ففتح الكتاب بحضرة جميع من معه فاذا فيه اذا
اتاك محمد وفلان فاحتل في قتلهم وفي رواية اقتل فلانا وفلانا
اذا قدموا عليك فاضربوا اعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا
منهم نفر من الصحابة ونفر من التابعين وفي رواية اذبح بن ابي بكر
واحش جلده تبنا وكن على عملك حتى ياتيك كتابي فلما قرا الكتاب
فزعوا ورجعوا الى المدينة وقرئ الكتاب على جميع من بالمدينة
من الاصحاب والتابعين فما منهم احد الا واغتم لذلك فدخل عليه
علي كرم الله وجهه مع جماعة من اهل بدر ومعه الكتاب والغلام
فقالوا له الغلام هذا الغلام غلامك فقال نعم قالوا والبعير بعيرك
قال نعم قالوا فانت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما
كتبت هذا الكتاب ولا امرت به ولا علم لي به فقال له علي كرم الله

وجهه



وجهه والخاتم خاتمك قال نعم قال كيف يخرج غلامك ببعيرك
وبكتاب يختمك عليه وانت لا تعلم فحلف بالله ما كتبت هذا
الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الى مصر فعرفوا انه خط مروان
لا عثمان لان عثمان رضي الله عنه لا يحلف كاذبا وفي رواية
انطلق الغلام بغير امرك واخذ البعير بغير علمك قالوا فما نقش
خاتمك قال فنقش عليه فسالوه ان يدفع لهم مروان وكان مروان
عنده في الدار فابى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا يبرا عثمان
الا ان يدفع الينا مروان حتى نبحث ونعرف حال الكتاب فان
كان عثمان امر به عزلناه وان كان مروان كتبه على لسان عثمان
نظرنا ما يكون في امر مروان فابى عثمان ان يخرج اليهم مروان
خوفا عليه من القتل فحوصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الما
ووقع ما تقدم وذكر ابن الجوزي رحمه الله انه لما دخل المصريون على
عثمان رضي الله عنه والمصحف في حجره يقرا فيه مدوا اليه ايديهم
بحديدة فضربت فسال الدم وقيل وقعت قطرة على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت
المفصل هذا كلامه اي وهذا من اعلام النبوة فقد اخرج الحاكم
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فتقع قطرة من دمك
على فسيكفيكهم الله قال الذهبي انه حديث موضوع اي قوله
فيه وانت تقرا الخ وروي انه رضي الله عنه لما حوصر قال والله
ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لي بديني بدلا منذ
هداني الله ولا قتلت نفسا فثم تقتلوني وقال يا قوم لا يجرمنكم
شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح

وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم لا تقتلوني انكم ان قتلتموني كنتم
هكذا وشبك بين اصابعه وقال [illegible] اللهم اسلما وجمعت يدي
على فرجي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة
منذ اسلمت الا وانا اعتق فيها رقبة الا ان يكون عندي شي فاعتقها
بعد ذلك قال بعضهم وجملة من اعتقه عثمان رضي الله عنه
الفان واربعماية رقبة تقريبا وذكر انه راي في الليلة التي قتل
فيها في يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وقالوا له اصبر
فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما اصبح دعي بالمصحف فنشره
بين يديه ولبس السراويل ولم يكن يلبسها قبل ذلك في الجاهلية
ولا في الاسلام خوفا ان يطلع على عورته عند قتله وكان من
جملة ما انتقم على عثمان رضي الله عنه انه اعطى ابن عمه مروان
ابن الحكم مايتي الف وخمسين اوقية واعطى الحارث عشر ما يباع في
السوق سوق المدينة وانه جا اليه ابو موسى رضي الله عنه بكيلة
ذهب وفضة فقسمها بين نسايه وبناته وانه انفق اكثر مال
بيت المال في ضياعه عمارة ضياعه ودوره وانه حمى لنفسه
دون ابل الصدقة وانه حبس عطا ابن مسعود رضي الله عنه
وهجره وحبس عطا ابي بن كعب ونفى ابا ذر الى الربذة واشخص
عبادة ابن الصامت من الشام لما شكاه معاوية رضي الله عنهم وضرب
عمار ابن ياسر رضي الله عنه وكعب ابن عبدة ضربه عشرين سوطا
ونفاه الى بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق
وانه اقطع اكثر اراضي بيت المال وان لا يشترك احد قبل وكيله
وان لا تسير سفينة الا في تجارته وانه احرق المصاحف التي فيها
القراآت وانه اتم الصلاة بمنى ولم يقصرها [illegible] بالناس وانه
ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد اجاب عن ذلك كله
في الصواعق فراجعه وما روى بكار عن انس رضي الله عنه

من انه

من انه صلى الله عليه وسلم لم يحمل اللبن ولم يبن به المسجد الا بعد
اربع سنين من الهجرة رايت ما يرده في تاريخ المدينة ونصه ما روي
٢٥٧ عن انس وله اي متاول والمعروف خلافه اي وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بني
مسجدي هذا الى صنعا كان مسجدي قال بعضهم ان صح كان
من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اي لانه وسع بعد ذلك اي
المهدي وذلك في سنة ستين ومايه ثم زاد فيه المامون
وسعه في سنة ثنتين ومايتين وبه يرد القول بان المضاعفة خاصة
بالموجود حين الاشارة لكن المحافظة على فيما كان في عهده صلى
الله عليه وسلم اولى قال وبنى صلى الله عليه وسلم حجرتين لعايشة
وسودة اي بناهما مجاورتين للمسجد وملاصقتين له على طرز
بنا المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد
اي وقدم رجل من اهل اليمامة عند الشروع في بنا المسجد يقال
له طلق من بني حنيفة رضي الله عنه قال قدمت على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون معه
وكنت صاحب علاج الطين فاخذت المسحاة وخلطت بها
الطين فقال لي يعني النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا
احسن صنعته وقال لي الزم انت هذا الشغل فاني اراك
تحسنه وفي لفظ ان هذا الحنفي لصاحب طين وفي لفظ قربوا
اليمامي الى الطين فانه احسنكم له مسا واشدكم منكبا وفي لفظ
دعوا الحنفي والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل صلى الله عليه وسلم
وهو في بيت ابي ايوب رضي الله عنه زيد ابن حارثة وابا رافع رضي
الله عنهما مكة واعطاهما خمسماية درهم وبعيرين ليأتيا

يا هله اي والخمس مائة لخزها صلي الله عليه وسلم من مال ابي بكر رضي
الله عنه يشتريان بهما بجلجان ابيه فاشترى بهما زيد رضي الله عنه
ثلاثة ابعرة **وارسل** معهما ابو بكر رضي الله عنه عبد الله بن الاريقط
دليلا اي ببعيرين او ثلاثة فقدما بفاطمة وام كلثوم بنتيه صلي الله
عليه وسلم وسودة زوجته وام ايمن حاضنته زوج زيد بن حارثة وابنها
اسامة بن زيد فاسامة اخو ايمن لامه **وكان** اسامة رضي الله عنه
حب رسول الله وابن حبه وابن حاضنته **وعن** عائشة رضي الله عنها
ان اسامة حب رسول الله صلي الله عليه وسلم عثر يوما في اسكفة الباب
فشج وجهه فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم اميطي عنه الدم
قالت عائشة رضي الله عنها فكاني تقذرته اي لانه كان اسود
افطس فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم يمصه يعني الدم ثم يمجه
واما بنته صلي الله عليه وسلم زينب التي هي اكبر بناته فكانت مع
زوجها ابن خالتها ابي العاص ابن الربيع فمنعها من الهجرة وسبايا
انها هاجرت بعد ذلك قبله وتركته علي شركه وبعد ان اسر في بدر
اطلق وامره صلي الله عليه وسلم بان يخلي سبيلها ففعل ثم لما اسلم
رضي الله عنه ردها اليه **واما** بنته صلي الله عليه وسلم رقية فتقدم
انها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه **وخرج**
مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله بن ابي بكر ومعه عيال ابو بكر
رضي الله عنهم فيهم زوجته ام رومان وعائشة واختها اسماء زوج
الزبير رضي الله عنه اي وهي حامل بابنها عبد الله ابن الزبير
رضي الله عنهم **وعن** عائشة رضي الله عنها انها كانت هي وامها
علي بعير في محفة فنفر البعير قالت فصارت امي تقول وابنتاه
واعروساه فمسك البعير وسلم الله **وفي** رواية عن عائشة
رضي الله عنها لما صارت امي تقول واعروساه وابنتاه سمعت

قائلا

قائلا يقول ارسلي خطامه فارسلت خطامه فوقف باذن الله وسلمنا
الله **وام** رومان ولدت لابي بكر عائشة وعبد الرحمن رضي الله عنهم **وكانت**
قبل ابي بكر عند عبد الله ابن الحارث فولدت له الطفيل **قال** صلي الله
عليه وسلم في حقها من سره ان ينظر الي امراة من الحور العين فلينظر الي
ام رومان وتوفيت في حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم **ماتت** سنة
ست من الهجرة ونزل رسول الله صلي الله عليه وسلم في قبرها وقال اللهم انه لا
يخفي عليك ما لاقت ام رومان فيك وفي رسولك صلي الله عليه وسلم
وعورض القول بموتها في حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم بما في البخاري
عن مسروق قال سالت ام رومان وهي ام عائشة رضي الله عنها **ومسروق**
ولد بعد موت النبي صلي الله عليه وسلم بلا خلاف وما في البخاري حديث
صحيح مقدم علي ما ذكره اهل السير من موتها في حياة رسول الله صلي
الله عليه وسلم **وفي البخاري** عن اسماء رضي الله عنها فتزلت بقباء فولدته
بها ثقيف ولدها عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهم ثم اتيت النبي صلي الله عليه وسلم
فوضعته في حجره ثم دعي بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل
جوفه ريق رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة اي بتلك التمرة ففي
المواهب وحنكه صلي الله عليه وسلم بها ثم دعي له وبرك عليه وهو اول مولود
ولد في الاسلام من المهاجرين **وفيه** ان اسماء رضي الله عنها انما قدمت المدينة
اي الي قباء بعد تحوله صلي الله عليه وسلم من قباء **و**نزل له قول بعضهم تقدم
ال ابي بكر من مكة وهو صلي الله عليه وسلم يبني مسجده واتي لهم ابو بكر رضي
الله عنه في السنح الا ان يقال يجوز انه صلي الله عليه وسلم جا الي قباء بعد ذلك
فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل علي ان عبد الله ابن الزبير رضي الله
عنهما ولد في السنة الاولي لا في السنة الثانية كما قاله الواقدي وتبعه غيره
فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون فرحا شديدا
لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود **وهذا** ربما

يؤيد القول الثاني الا ان يقال بجواز ان يكون عبد الله رضي الله عنه
مكث في بطن امه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن
امه سنتين واخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت ثلاث اولاد في
اثني عشرة سنة تحمل اربع سنين وصح بجواز ان سيدتنا اسما رضي الله
عنها جاءت الي قبا فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه وسلم
الي قبا في ذلك اليوم وقد سماه صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه ابا بكر
بكنية جده الصديق رضي الله عنه وروي انه جاء الي النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن سبع سنين او ثمان سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد امره والده الزبير بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبايعه كون ال ابي بكر رضي الله عنهم نزلوا عند مجيئهم المدينة
في السنح لا ينافي ان اسما رضي الله عنها نزلت بقبا وولدت به
لانه يجوز ان يكون نزولها بها في السنح بعد نزولها في قبا قصدا
لراحتها لكونها حاملا حتي وضعت والسياق المتقدم يدل علي
ذلك وكان عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما اول مولود ولد
في الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله ابن جعفر ابن ابي طالب
رضي الله عنهما اول مولود ولد بالحبشة للمهاجرين ويقال له
عبد الله الجواد واتفق ان النجاشي ولد له مولود يوم ولد عبد الله
هذا فارسل الي جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله
فسمي النجاشي ابنه عبد الله وارضعته اسماء بنت عميس مع ابنها
عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الاخوة من الرضاع
واول مولود ولد للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان
ابن بشير رضي الله عنهما وذكر ان ام اسما رضي الله عنها قدمت المدينة
وهي مشركة علي اسما رضي الله عنها بهدية فجيئتها اسما وردت

عليها

عليها هديتها فسالت عايشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسما ان تاوي امها وتقبل
هديتها قيل وفي ذلك وفيما ارسل عبد الرحمن بن ابي بكر وهو بمكة
علي دينه قبل ان يسلم الي ابيه يسالها النفقة فابي ابوه ان ينفق عليه
انزل الله تعالي الاذن في الانفاق علي الكفار قال ابو ايوب الانصاري
رضي الله عنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في اسفل
البيت وانا وام ايوب في العلو فقلت يا رسول الله بابي انت وامي اني
اكره واعظم ان اكون في العلو وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو
وننزل نحن فنكون في السفل فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا ايوب
ارفق بنا اي السفل ارفق بنا وبمن يغشانا اي وفي لفظ ارفق
بنا وبمن يغشانا ان نكون في سفل البيت وقال ابو ايوب رضي الله عنه
فانكسر حب لنا فيه ما والحب بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت
انا وام ايوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الما تخوفا ان
يقطر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شي فيوذيه ولم ازل
اتضرع للنبي صلى الله عليه وسلم حتي تحول في العلو وفي رواية عن ابي
ايوب رضي الله عنه قال نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الي ام ايوب قلت لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينزل التراب عليه من
وطي اقدامنا وينزل عليه الوحي وفي رواية ينزل عليه القران
وينزل عليه جبريل عليه السلام فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب
فلما اصبح قلت يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب
قال لم يا ابا ايوب قلت انت احق بالعلو منا ينزل عليك الملايكة
وينزل عليك الوحي والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها

ابلااي وعن افلح مولى ابي ايوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
وابو ايوب في العلو انتبه ابو ايوب ذات ليلة فقال نمشي فوق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فباتا في جانب فلما اصبح الحديث وعند
نزوله صلى الله عليه وسلم ببيت ابي ايوب رضي الله عنه صارت تاتي اليه
جفنة سعد ابن عبادة وجفنة اسعد ابن زراره كل ليلة اي وكانت
جفنة سعد ابن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت
ازواجه رضي الله عنهن فقد جاء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من سعد ابن عبادة جفنة من ثريد اي عليه لحم او خبز في لبن او خبز
او في سمن او خل وزيت في كل يوم تدور معه صلى الله عليه وسلم
اينما دار مع نسائه وصار صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ابي ايوب
ياتي اليه الطعام من غيرهما فقد جاء وما كان من ليلة الا وعلى باب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثه والاربعه يحملون الطعام
يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل ابي ايوب
اي وفي لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون في حمل الطعام اليه
صلى الله عليه وسلم مقامه في منزل ابي ايوب رضي الله عنه وهو تسعة
اشهر واول طعام جي به اليه صلى الله عليه وسلم في دار ابي ايوب قصعة
ام زيد ابن ثابت رضي الله عنهما فعن زيد ابن ثابت رضي الله عنه اول
هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب قصعة
ارسلتني بها امي اليه صلى الله عليه وسلم فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن
فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ارسلت
بهذه القصعة امي فقال بارك الله فيها وفي رواية فيك ودعا اصحابه
فاكلوا فقال زيد رضي الله عنه فلم ارم الباب اي ابرح حتى جاءت قصعة
سعد ابن عبادة ثريد وعراق لحم اي عظم عليه لحم فان
اخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان احب الطعام الي

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفا
ولما بنى صلى الله عليه وسلم المسجد جعل في المسجد محلا مظللا
ياوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة
وكان صلى الله عليه وسلم يفرقهم وقت العشا على اصحابه ويتعشى معه
صلى الله عليه وسلم منهم طايفة وظاهر السياق ان ذلك اي المحل المذكور
فعل في زمن بنا المسجد واوى اليه من ذكر لكن روى البيهقي عن عثمان
ابن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا ماوى
انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم اهل الصفة
وكان يجالسهم ويانس بهم اي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى اتاهم
فوقف عليهم فقال لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا
وحاجة اقول ذكر ان المسجد كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف
النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالا
وزيتا وعلق تلك القناديل بسواري المسجد واوقدت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان
لي ابنة لانكحتكها هذا وفي كلام بعضهم اول من جعل في المسجد
المصابيح عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ويوافقه قول بعضهم
والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها يعني المساجد
واول من فعل ذلك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فانه لما جمع الناس
على ابي ابن كعب رضي الله عنه في صلاة التراويح علق القناديل فلما
راها علي كرم الله وجهه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك
يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم
عن تميم الداري رضي الله عنه ثم رايت في اسد الغابة عن سراج غلام
تميم الداري رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن خمسة غلمان لتميم الداري فامرني يعني سيدي فاسرجت المسجد

بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسرج مسجدنا فقال تميم غلامي
هذا فقال ما اسمه قال فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اسمه
سراج فسماه النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا وعن بعضهم قال
امرني المامون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم ادر
ما اكتب لانه شي لم اسبق اليه فاريت في المنام اكتب فان فيه انسا
للمتهجدين ونفيا لبيوت الله تعالى عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت
بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان
ويقال لها ليلة الوقود ينبغي ان يكون ذلك كثير في المساجد ونحوها
وقد كرهه بعضهم والله اعلم قال وذكر ابي اسحاق في كتاب المبدا
وقصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ان تبع ابن حسان الحميري
وهو تبع الاولى اي الذي ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع
بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرايش لانه راش الناس
بما اوسعهم من العطا وقسم فيهم من الغنايم وكان اول من غنم لما
عمد البيت يريد تخريبه رمي بدا تمخض منه راسه قيحا وصديدا
وانتن حتى لا يستطيع احد ان يدنوا منه قيد رمح كما تقدم وتقدم
انه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اجتاز بيثرب وكان في ركابه
مائة الف وثلاثون الفا من الفرسان ومائة الف وثلاثة عشر
الفا من الرجالة فلخبر ان اربعمائة رجل من احبارهم من الحكما والعلما
تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسالهم عن الحكمة في ذلك فقالوا ان شرف
البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج
منها فبنى فيها لكل واحد منهم دارا واشترى لهم جارية واعتقها
وزوجها منه واعطاهم عطا جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه
الى عالم عظيم منهم وامره ان يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم
ان ادركه في ذلك الكتاب انه امن به وعلى دينه وبنى له دار

الله

٦١

الله عليه وسلم داره اذا قدم تلك البلد اي ويقال انها دار
ابي ايوب اي كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب
اي فهو صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا في داره اي على ما تقدم ولما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعي الى الاسلام ارسلوا اليه
ذلك الكتاب مع شخص يقال له ابا ليلى فلما راه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له انت ابو ليلى الذي معك كتاب تبع الاولى فقال
له ابو ليلى من انت قال انا محمد هات الكتاب فلما فتحه قراه اي قرى
عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب اما بعد يا محمد فاني امنت
بك وبربك ورب كل شي وكل ما جاك من ربك من شرايع الاسلام والايمان
واني قلت ذلك فان ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي يوم
القيمة ولا تنسني فاني من اصل الاولين ومن اتباعك قبل مجيك وقبل
ان يرسلك الله وانا على ملتك وملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويوميذ يفرح
المومنون بنصر الله فقد قرا هذا قبل نزوله وكتب عنوان الكتاب
الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين
من تبع الاولى حمير امانة الله في يدي من وقع هذا الكتاب في يده الى ان
يدفعه الى صاحبه ودفعه الى راس العلما المذكورين ثم وصل
الكتاب المذكور الى النبي صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العالم المذكور
حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى على ان
ذلك كان في اول البعثة بعد قراة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال
مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات وكان بين تبع هذا اي بين
قوله انه امن به وعلى دينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة
سواء اي وتقدم انه ابتاع المحل الذي بناه داره صلى الله عليه وسلم

قبل مبعثه بالف سنة فليتامل ويقال ان الاوس والخزرج
من اولاد اولئك العلماء والحكما اقول قد علمت ان نزوله صلى الله
عليه وسلم دار ابي ايوب على الوجه المتقدم واخذ المربد على الكيفية
المتقدمة مع وصول الكتاب اليه اول البعثة او بين مكة والمدينة
وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا وفيها ايضا ان الذي في التنوير
لابن دحية ان هذا تبع الاوسط الذي كسى البيت بعدما اراد غزوه
وبعدما غزا المدينة واراد خرابها انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر
نبي اسمه احمد اي فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب المدينة
واستيصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائة وخمسين سنة
الملك اجل من ان يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق عنه حلمه
او يحرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم
عليه السلام فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك
الكتاب الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال ان
ذلك كان عند ابي ايوب الانصاري وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة
عام وفي التنوير ايضا ان ابن ابي الدنيا رحمه الله ذكر انه حفر
قبر بصنعا قبل الاسلام فوجد فيه امراتان لم يبليا وعند رؤوسهما
لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة
ابنتي تبع ماتا وهما يشهدان ان لا اله الا الله ولا يشركان
به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وجا لا تسبوا تبعا فانه
كان مومنا وفي رواية لا تسبوا تبعا الحميري فانه اول من كسى
الكعبة قال السهيلي وكذا تبع الاول كان مومنا بالنبي صلى الله
عليه وسلم وقال فيه شعرا يبشر فيه بمبعثه صلى الله عليه وسلم
والله اعلم وكانت المدينة في الجاهلية معروفة بالوبا اي لحماها
كان اذا اشرف على واديها احد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوبا

وفي

وفي لفظ كان اذا دخلها غريب في الجاهلية يقال له ان اردت
السلامة من الوبا فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم وفي حياة
الحيوان كانوا في الجاهلية اذا خافوا وبا بلد عشروا كتعشير الحمير نهقوا
عشر اصوات في طلق واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك
ينفعهم من الوبا ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اهلها من
اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الاية فاحسنوا
الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هو واصحابه
اصابت اصحابه الحما وفي لفظ استوخم المهاجرون هوا المدينة ولم
توافق امزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى كانوا يصلون قعود
فراهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا ان صلاة القاعد على النصف
من صلاة القايم فتجشموا المشقة وصلوا قياما قالت عايشة رضي
الله عنها قدمنا المدينة وهي اوبا ارض الله اي ولما حصلت لها
الحما قال لها صلى الله عليه وسلم مالي اراك هكذا قالت بابي انت وامي
هذه الحما وسبتها فقال لا تسبيها فانها مامورة لكن ان شئت
علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمني قال
قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام
ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني
الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله
الها اخر فقالتها فذهبت عنها وعن علي كرم الله وجهه لما قدمنا
المدينة فاكلنا من ثمارها فاصابنا بها وعك اي حمى اي ومن
جملة من اصابته الحما سيدنا ابو بكر رضي الله عنه ومولياه عامر بن
فهيرة وبلال اي وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا اخذته الحما انشد
كل امرء مصبح في اهله ۰ والموت ادنى من شراك نعله ۰ اي وهذا

تكرار

وعابنا فيها في الينبوع لبس عمل الشعر وقبله فقد كان الصديق وعمر
وعلي رضوان الله عليهم يقولون الشعر وعلي كرم الله وجهه اشعر من ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما وما تقدم عن عائشة معارض بظاهر ما روي
عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه
اذا راى النبي صلى الله عليه وسلم يقول . امين مصطفى بالخير يدعوا
كضوء البدر زايله الظلام :. الا ان يحمل قولها رضي الله عنها على
انها لم تسمع منه ذلك بناء على ان ذلك من انشاء الصديق وكان بلال
رضي الله عنه اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اي صوته يقول
متشوقا الى مكة الشريفة . الا ليت شعري هل ابيتن ليلة :.
بواد وحولي اذخر وجليل . وهل اردن يوما مياه مجنة :.
وهل يبدون لي شامة وطفيل :. اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة
ابن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا
واراد بلال بالوادي وادي مكة والاذخر نبت معروف وجليل
بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة اي وفي رواية
وهل ابدون لي عامر وطفيل وعامر ابقر جبل من جبال مكة وفي
شرح البخاري للخطابي رحمه الله كنت احسب شامة وطفيل
جبلان حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد
يقال يجوز ان يكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم
كل منهما على الاخرى ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل
النهي عن لعن المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على
التاريخ الا ان علم موته على الكفر كابي جهل وابي لهب دون الكافر
الحي لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان
اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم للياس منها
واما اللعن على الوصف كاكل الربا فجائز وان ذلك محمول على

الاهانة

الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد من رحمة الله الذي
هو حقيقة اللعن وكان كل من ابي بكر وبلال وعامر ابن فهيرة
رضي الله عنهم في بيت واحد قالت عائشة رضي الله عنها فاستاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل
ان يضرب علينا الحجاب فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله من شدة الوعك
فسلمت عليهم اي وقالت لابيها يا ابت كيف اصبحت فانشدها الشعر
المتقدم قالت فقلت انا لله ان ابي ليهذي قالت فقلت لعامر ابن
فهيرة كيف تجدك فقال . اني وجدت الموت قبل ذوقه . . . .
ان الجبان حتفه من فوقه . قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول .
قالت فقلت لبلال كيف اصبحت فاذا هو لا يعقل وفي رواية فانشدها
البيتين قالت وذكرت حالهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقلت انهم ليهذون
وما يعقلون من شدة الحمى اي وهذا السياق يخالف ما في السيرة الهشامية
ان الصديق رضي الله عنه لما قدم المدينة اخذته الحمى هو وعامر ابن فهيرة /
وبلال الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز انها اخذتهم اولا واقلعت عنهم ثم
عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة او ان عائشة استاذنته
في ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها ولعل الصديق
رضي الله عنه كان في غير بيت ام عائشة رضي الله عنهم وفي تاريخ الازرقي عن
عائشة رضي الله عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا فيها فعاد
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه فقال كيف تجدك فانشده
ما تقدم ثم دخل صلى الله عليه وسلم على عامر ابن فهيرة فقال له كيف تجدك .
يا عامر فانشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فانشده
ما تقدم ولم انع من التغرد وحين ذكرت عائشة رضي الله عنها ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم نظر الى السماء اي لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا
المدينة كما حببت الينا مكة او اشد وفي رواية واشد وبارك لنا في مدها

وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباها الى مهيعة اي الجحفة كما في رواية
وهي قرية قريبة من رابغ محل الاحرام من يجي من جهة مصر حاجا وكان
سكانها اذ ذاك يهود ودعاوه صلى الله عليه وسلم ان تحب اليهم المدينة
انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء في حديث
ان عايشة رضي الله عنها سالت رجلا بحضور النبي صلى الله عليه وسلم
قدم للمدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر لها من اوصافها
الحسنة ما غرغرت منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا
يا فلان وفي رواية دع القلوب تقر اقول ودعاوه صلى الله عليه وسلم
بنقل الحما كان في اخر الامر واما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة
فخير بين الطاعون والحما اي بقائها فامسك الحما وارسل الطاعون الى
الشام كما جاء في بعض الاحاديث اتاني جبريل بالحما والطاعون فامسكت
الحما بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وقولنا اي بقاها رد لما قد
يتوهم من الحديث ان الحما لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم
اليها وانما اختار الحما على الطاعون لانه صلى الله عليه وسلم كان يحب
قلة من اصحابه فاختار بقاء الحما لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون
ثم لما احتاج صلى الله عليه وسلم للجهاد واذن له في القتال ووجد
الحما تضعف اجساد الذين يقاتلون دعي بنقل الحما من المدينة الى الجحفة
فعادت المدينة اصح بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كما
قيل فليتامل فانه يقتضي ان الحما لما انتقلت الى الجحفة لم يبق منها
بقية بالمدينة وهو الموافق لما ياتي عن الخصايص وحيث نقلت
الحما الى الجحفة صارت الجحفة لا يدخلها احد الا حم بل قيل اذا مر بها
الطاير حم واستشكل حيث جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من
قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يامر بما فيه ضرر واجيب
بان الحما انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز

او قبله



او قبله حين التوقيت بها كذا قيل فليتامل وعنه صلى الله عليه وسلم
"انه قال رايت اي في النوم امراة سودا ثايرة الراس خرجت من "
"المدينة حتى نزلت مهيعة فاولتها ان وبا المدينة انتقل الى مهيعة
وفي الخصايص الصغرى للسيوطي وصرف الحما عنها يعني المدينة
اول ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما اتاه جبريل عليه السلام بالحما
والطاعون امسك الحما بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام ولما عادت
الحما الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم اياها لم تستطع ان تاتي
احدا من اهلها حتى جات ووقفت ببابه واستاذنته فيمن يبعثها
اليه فارسلها الى الانصار فقد جا ان الحما جات الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت انا ام ملدم وفي رواية انا الحما ابري اللحم واشرب
الدم فقال لا مرحبا بك ولا اهلا وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم
نهى عايشة رضي الله عنها عن سبها فقالت امضي الى قومك او احب
اصحابك اليك فقال اذهبي للانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا
له ادع لنا بالشفا فقال صلى الله عليه وسلم ان شئتم دعوت الله عز وجل
يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفي رواية
كانت لكم طهورا فقالوا بل دعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطايفة
من الانصار فلا ينافي ما جاء ان الانصار شكوا له صلى الله عليه وسلم
ما يدخل عليهم دارا دارا وبيتا بيتا يدعو لهم بالعافية وهذا الذي
في الخصايص يدل على ان الحما لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها بقية
بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختياره صلى الله
عليه وسلم والذي نقله هو عن الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى "
ان الحما كانت تصيب من اقام بالمدينة من اهلها ومن غيرهم فاشتغل
بالدعاء عن اهلها الا النادر ومن لا يالف هواها وقد جا ان حمى

ليلة كما ذه سنة ومن حج يوما كان له براءة من النار وخرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه والذي رواه الامام احمد وابن حبان في صحيحه
عن جابر رضي الله عنه استاذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من هذه قالت ام ملدم فامر بها صلى الله عليه وسلم الى اهل قبا
فلقوا منها ما لا يعلمه الا الله فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال
ان شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا
او يفعل قال نعم قالوا فدعها والله اعلم ثم دعا صلى الله عليه وسلم بقوله
اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة وفي رواية واجعل
مع البركة بركتين وجا انهم شكوا اليه صلى الله عليه وسلم سرعة فنا
طعامهم فقال لهم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير
الارغفة ودعا صلى الله عليه وسلم لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال
اللهم نصف اكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد اي ولعل الدعا
بذلك ليس خاصا بتلك الاغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم
ويدل لذلك ما ذكره السيوطي في الخصايص الصغرى مما اختصت به
المدينة الشريفة ان غبارها يطفي الجذام ونصف اكراش الغنم فيها
مثل ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكانت
المدينة غنية عن الطاعون بارساله الى الشام وصينت عن الدجال روى
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
على انقاب المدينة اي على ابوابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا
الدجال وفي رواية لها اي المدينة سبعة ابواب على كل باب ملك
فان قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف ارسله
صلى الله عليه وسلم الى الشام مع انها شهادة واجيب بانه صلى الله
عليه وسلم انما ارسله الى الشام كما تقدم وصينت عنه بعد انتفا

ما تقدم

ما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع من المدينة
احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها في زمن من الازمنة بخلاف
مكة فانه وجد في بعض السنين وهي سنة تسع واربعين وسبعمايه
ويقال انه وقع ايضا في سنة تسع وثلاثين بعد الالف لما هدم
السيل الكعبة اي الجانب الذي جهة الحجر فان بعضهم نقل حين انهدم
وجد الطاعون بمكة واستمر بها الى ان اقاموا الاخشاب بموضع المنهدم
وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كما اخبر به بعض الثقات
من اهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون المدينة في زمن من الازمنة يخالف
قول بعضهم وفي السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون بالمدينة افنى الخلق
وهو اول طاعون وقع في الاسلام فقال صلى الله عليه وسلم اذا وقع بارض فلا
تخرجوا منها وان سمعتم به في ارض فلا تقربوها وروي انه صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوبا ثلاثا
اي وفيه ان هذا قد يخالفه ما سبق من ان هذا كان في اخرة الامر لا عند
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الا ان يحمل على انه قدومه صلى الله عليه وسلم
كان من سفرة لا للهجرة وفي الحديث سياتي على الناس زمان يلتمسون فيه
الرخا فيتحملون باهليهم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث
فيها احد فيصبر للاوائها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيمة
شهيدا وشفيعا وفي مسلم لا يصبر على لاواء المدينة وشدتها
احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيمة وشهيدا اي شفيعا للعاصي
وشهيدا للطايع واللاوا بالمد الجوع وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت
فاني اشفع لمن يموت بها لا يريد احد اهل المدينة بسوء الا اذابه الله
ذوب الملح في الما وفي لفظ اذابه الله في النار ذوب الرصاص او ذوب

الملح في الما لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير
خبث الحديد وفي رواية لمسلم ينفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة
اي وتقدم ان هذا ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص وفي رواية
مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد من اخاف اهل
المدينة ظلما اخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا اي وبهذا الحديث تمسك من جوز
اللعن على يزيد لما تقدم من اباحته المدينة في ايام الحرة ورد بانه لا
دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام فيه انما يدل على جواز لعنه
بالوصف وهو من اخاف اهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين العامين
واضح كما علمت وجا اهل المدينة جيراني وحقيق على امتي حفظ جيراني
ما اجتنبوا الكباير من حفظهم كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة ومن لم
يحفظهم سقي من طينة الخبال اي وهي عصارة اهل النار وفي لفظ من
اخاف هذا الحي من الانصار فقد اخاف ما بين هذين ووضع يده على
جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها ولان للعطر اي الطيب بها
رايحة لا توجد في غيرها ومن خصايصها ان ترابها شفا من الجذام //
كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل دا وعجوتها شفا من السم //
اي وفي الحديث تخرب المدينة قبل القيمة باربعين سنة اي ولان خرابها
يكون من الجوع وان خراب اليمن يكون من الجراد اي وقد دعى صلى الله عليه وسلم
على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كبارها واهلك صغارها واقطع
دابرها وخذ بافواهها عن مواشينا وارزقنا انك سميع الدعا وفي مسلم
عن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم يؤتى باول الثمر فيقول اللهم بارك لنا في
مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وصاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه اصغر
من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك
لمكة وانا عبدك ونبيك ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه
ثم

لخر بيته صلى الله عليه وسلم لعتبة الحجر الشعث عند الحاجة اليها اي
وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بقبلي المسجد ومن حجره
سوده وحجرة عايشة رضي الله عنها كما تقدم وفي كلام ابنتا
ان بيوته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة واكثرها كان بعيدا
عن المسجد وكلام الاصل يقتضي انها بنيت كلها في السنة
الاولى من الهجرة حيث وفيها اي السنة الاولى بنى صلى الله عليه وسلم
مسجده ومساكنه اي وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين خططها
واقام قوم منهم ممن لم يمكنه ان يبني عند من نزلوا عليه بها قال
عبد الله بن زيد الهذلي رايت بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
حين هدمها عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه بامر الوليد ابن عبد الملك
اي بعد موت ازواجه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم حضرت كتاب
الوليد ابن عبد الملك يقرا بادخالها في المسجد فما رايت اكثر باكيا من
ذلك اليوم اي وكانت تسعة اربعة مبنية باللبن اي وسقفها من جريد
النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد اي غير بيت ام سلمة فانها
جعلت حجرتها بنا وكان صلى الله عليه وسلم في غزاة دومة الجندل
فلما قدم دخل عليها اول نسايه فقال لها ما هذا البنا فقالت اردت
ان اكف ابصار الناس فقال ان شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم //
البنا وعن علي كرم الله وجهه ان لله بقاعا تسمى المنتقمات //
فاذا اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الما والطين ثم لا يمتعه
به اي وكانت تلك الحجر التي من جريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر
وخمسة ابيات من جريد مطينة لا حجر لها على ابوابها ستور من مسوح الشعر
اي وهي التي يقال لها البلانس ذرع الستر فوجد ثلاثة اذرع في ذراع
هذا وفي كلام السهيلي رحمه الله كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية

من جريد عليه طين وبعضها من حجارة مرصوصة وسقفها كلها من جريد
كانت حجرته عليه الصلاة والسلام الشريفة من شعر مربوطة بخشب
من عرعر هذا كلام قاله بعضهم وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر
الناس عن البنا ويرضون بما رضيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح
خزائن الارض بيده صلى الله عليه وسلم اي فان ذلك مما يزهد
الناس في التكاثر والتفاخر في البنيان وجا انه صلى الله عليه وسلم
خرج الى بعض طرق المدينة فراى قبة مشرفة قال ما هذه قالوا هذه
لرجل من الانصار فجا ذلك الرجل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض
عن فعل ذلك مرارا فاعلم بالقصة فهدمها الرجل وعن الحسن البصري
رحمه الله تعالى قال كنت وانا مراهق ادخل بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
في خلافة عثمان رضي الله عنه فاتناول سقفها بيدي اي لان الحسن البصري
ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعينها وكان ابوه
مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت تخرجه للصحابة
يتباركون عليه واخرجته الى عمر رضي الله عنه فدعا له بقوله اللهم فقهه
في الدين وحببه الى الناس وكان والده من جملة السبي الذي سباه خالد
رضي الله عنه من الفرس في خلافة الصديق رضي الله عنه وروي عن علي
اي ابن ابي طالب كرم الله وجهه لان عمره كان قبل ان يخرج علي كرم الله وجهه
من المدينة الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان اربعة عشر سنة قيل له يا ابا
سعيد انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه
فقال للسائل كل شي سمعتني اقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو عن علي كرم الله وجهه غير اني في زمان لا استطيع ان اذكر عليا
كرم الله وجهه اي خوفا من الحجاج وروي اخرج له عن علي كرم الله وجهه
جماعة من الحفاظ كالترمذي والنسائي والدارقطني وابو نعيم ما بين
حسن وصحيح وبه يرد قول من انكر انه لم يسمع من علي كرم الله وجهه

لان المنبر

لان المنبر مقدم على النافي او هو محمول على انه لم يسمع من علي بعد خروج
علي من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة التي كانت عند الحسن
والحكمة من قطرات لبن شربها من ثدي ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها
قال امه ربما غابت فيبكي فتعطيه ام سلمة رضي الله عنها ثديها
تعلله به الى ان تجي امه فدر عليه ثديها فشربه قال
بعضهم كان الحسن البصري اجمل اهل البصرة وفي كلام الحافظ ابن كثير
كان الحسن البصري شكلا مليحا طوالا هذا الكلام وكان اذا اقبل كانه اقبل
من دفن حميمه واذا جلس كانه اسير امر بضرب عنقه واذا ذكرت النار
فكانها لم تخلق الا له وعن الواقدي كان لحارثة ابن النعمان منازل
قرب المسجد وحوله فكلما احدث رسول الله صلى الله عليه وسلم اهلا تحول
له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا يخالف ما تقدم عن الاصل ان مساكنه صلى الله عليه وسلم
اي بنيت في السنة الاولى ومات عثمان بن مظعون رضي الله عنه وهو اخوه
صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وامر صلى الله عليه وسلم ان يرش قبره بالما
ووضع حجرا عند راسه لقبره اي بعد ان امر صلى الله عليه وسلم رجلا ان ياتيه
بحجر فاخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه في المحل المذكور وقال اعلم به قبر اخي وادفن
اليه من مات من اهلي اي ومن ثم دفن صلى الله عليه وسلم ولده ابراهيم عند رجليه
وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون
وهو ميت قالت ورايت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خد عثمان
اي وفي الاستيعاب انه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن قبله
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين خبر عائشة
رضي الله عنها السابق كما لا يخفى وجعل النسا يبكون فجعل عمر رضي الله عنه
يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكم ونعيق
الشيطان ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان

فمن الشيطان وقال امرأته وهي خولة بنت حكيم رضي الله عنها وقيل
ام العلاء الانصارية وكان نزل عليها وقيل ام خارجة اي زيد طبت
هنيا لك الجنة ابا السايب فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة
غضب وقال وما يدريك فقالت يا رسول الله فارسك وصاحبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي فاشفق
الناس على عثمان وعن عائشة رضي الله عنها ان خولة بنت حكيم
دخلت عليها وهي مشوشة الخاطر فقالت لها عايشة ما بالك قالت
قالت زوجي لعفي عثمان بن مظعون يقوم الليل ويصوم النهار فدخل
النبي صلى الله عليه وسلم على عايشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال
له يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا اما لك بي اسوة والله انا اخشاكم
بالله وحدوده لانا اي وسماه صلى الله عليه وسلم السلف الصالح وقال عند
دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال صلى الله عليه وسلم عند
دفن زينب بنته الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ومات اسعد
ابن زرارة رضي الله عنه ووجد اي حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجدا شديدا عليه وكان رضي الله عنه نقيبا لبني النجار فلم يجعل لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده اي بعد ان قالوا له صلى الله عليه وسلم
اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتم اخوالي وانا نقيبكم وكره ان يخص بذلك
بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم اي ووهم ابن مندة
وابو نعيم في قولهما ان ابا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه صلى
الله عليه وسلم كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب
بني ساعدة سعد بن عبادة رضي الله عنه اي وقد قيل ان قبل
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو واصحابه فصلى على
قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وقد فعلت وهي اول الصلاة

صلت

صدقت على ميت في الاسلام بناء على ان المراد بالصلاة حقيقتها
والاجاز ان يراد بالصلاة الدعاء ويوافق ذلك قول الامتاع لم اجد في
شيء من كتب السير متى فرضت صلاة الجنائز ولم ينقل انه صلى الله
عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما
فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار
وادع فيه يهود اي بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير اي صالحهم
على ترك الحرب والاذى ان لا يحاربهم ولا يؤذيهم وان لا يعينوا عليه
احدا وانه ان دهمه بها عدو ينصره وعاهدهم واقرهم على دينهم
واموالهم وقد ذكر الاصل صورة الكتاب وآخا صلى الله عليه وسلم
بين المهاجرين والانصار في دار انس بن مالك رضي الله عنه وهي دار
ابي طلحة زوج ام انس اي واسمه زيد بن سهل وقد ركب البحر
غازيا فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنوه فيها الا بعد سبعة ايام
فدفنوه بها ولم يتغير وعن انس رضي الله عنه ان ابا طلحة لم يكن يكثر
من الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المواخاه
بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان
يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ دون القرابة
فقال تواخوا في الله اخوين اخوين اقول ذكر ابن الجوزي رحمه
الله عن زيد بن ابي اوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مسجد المدينة فجعل يقول اين فلان اين فلان فلم يزل صلى الله
عليه وسلم يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال
اني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله
اصطفى من خلقه خلقا ثم تلى هذه الآية الله يصطفي من الملائكة

رسلا ومن الناس واني اصطفي منكم من احب ان اصطفيه واواخي
بينكم كما اخى الله بين ملائكته قم يا ابا بكر فقام رضي الله عنه فجثى بين
يديه صلى الله عليه وسلم فقال له ان لك عندي يدا الله يجزيك بها
ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فانت مني بمنزلة قميصي
من جسمي وحرك قميصه بيده ثم قال صلى الله عليه وسلم ادن
يا عمر فدنا رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم قد كنت شديد
الباس علينا يا ابا حفص فدعوت الله ان يعز بك الدين او بابي
جهل ففعل الله بك ذلك وكنت احبهما الى الله فانت معي في
الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة واخا صلى الله عليه وسلم بينه وبين
ابي بكر رضي الله عنهما هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي انه
صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة اخا بين المهاجرين ايضا كما اخا
بينهم قبل الهجرة وهذا لا ينافي الاول واخا صلى الله عليه وسلم بين عمر
ابا بكر وعمر من المهاجرين ويكونه اي الى اوفى بما فتضر والمعروف
المشهور ان المواخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل
الهجرة ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله اعلم
ويرد لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين
وخمسين من الانصار اي وقيل كانوا تسعين فاخا صلى الله
عليه وسلم بين ابا بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابي بكر رضي الله
عنهما كانت ابنته تحت ابي بكر وبين عمر وعتبان ابن مالك رضي الله
عنهما وبين ابي رويم الخثعمي وبين بلال رضي الله عنهما وبين
اسيد ابن حضير وبين زيد ابن حارثة رضي الله عنهما وكان اسيد
رضي الله عنه ممن كناه النبي صلى الله عليه وسلم كناه ابا عيسى
وكان من احسن الناس صوتا بالقرءان كان احد العقلاء اهل

الراي

الراي وكان الصديق رضي الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه احدا واخا
صلى الله عليه وسلم بين ابي عبيدة وبين سعد بن معاذ رضي الله عنهما
اخا بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد ابن الربيع وعند ذلك قال
سعد لعبد الرحمن رضي الله عنهما يا عبد الرحمن اني من اكثر الانصار مالا
فانا مقاسمك وعندي امراتان فانا مطلق احديهما فاذا انقضت
عدتها فتزوجها فقال له بارك الله لك في اهلك ومالك وفي الاصل
عن ابن اسحاق رحمه الله اخى صلى الله عليه وسلم بين الصحابة من المهاجرين
والانصار فقال تاخوا في الله اخوين اخوين وفي كلام بعضهم انه صلى
الله عليه وسلم اخا بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه اوصى يوم احد
وفيه اشكال فانهما مهاجران ثم اخا صلى الله عليه وسلم بين جعفر ابن ابي طالب
وهو غائب بالحبشة وبين معاذ ابن جبل رضي الله عنهما اي ارصد معاذ
لاخوة جعفر اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل جعفر ابن ابي طالب
انما قدم في فتح خيبر سنة سبع فكيف يواخي بينه وبين معاذ بن جبل
اول مقدمه عليه الصلاة والسلام واخا صلى الله عليه وسلم بين ابي
ذر الغفاري والمنذر ابن عمرو وبين حذيفة ابن اليمان وعمار بن ياسر وبين
مصعب ابن عمير وابي ايوب الانصاري وفي الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم
اخا بين سلمان وابي الدرداء وجاء سلمان رضي الله عنه لابي الدرداء زائرا فراى
ام الدرداء متبذلة فقال ما شانك قالت رضي الله عنها ان اخاك ليس له حاجة
في شيء من الدنيا فقال له سلمان رضي الله عنه ان لربك عليك حقا ولجسدك
عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه فشكا ابو الدرداء رضي الله عنه للنبي صلى الله
عليه وسلم مما قال له سلمان رضي الله عنه فقال له مثل ما قال سلمان ولعل
هذه المواخاة بين سلمان وابي الدرداء كانت قبل عتق سلمان لانه تاخر
عتقه عن احد لانه اول مشاهده الخندق كما تقدم وروى الامام احمد عن
انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اخا بين ابي عبيدة وابي طلحة

ورواه مسلم ايضا وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم آخا بينه وبين سعد
ابن معاذ رضي الله عنهما وقال المهاجرون يا رسول الله ما راينا مثل
قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل ولا احسن بذلا في كثير
كفونا المونة واشركونا في المهنا اي الخدمة لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر
كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم لهم اي فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم
حصل منكم لهم نوع مكافاة قال بعضهم والمواخاة من خصائصه صلى الله عليه وسلم
ولم يكن ذلك لنبي قبله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لي بعياش
ابن ابي ربيعة وهشام بن العاص اي المحبوسين عند قريش المانعين
لهما عن الهجرة فقال الوليد بن الوليد اي المخبر اي بعد ان خرج الى
المدينة من حبس اهله له بمكة كما تقدم انا لك يا رسول الله بهما فخرج
لمكة فقدمها مستخفيا فلقي امراة تحمل طعاما فقال اين تريدين يا
امة الله قالت اريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما
وكانا ببيت لا سقف له فلما امسى تسور عليهما ثم اخذ مروة اي حجرا
فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فقال يقال لسيفه
ذو المروة ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت اصبعه
فانشد اي متمثلا • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •
ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ان ذلك يرد القول
بان عياشا رضي الله عنه استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة وقد دعا له صلى الله عليه وسلم في قنوت الصبح بقوله اللهم انج الوليد
ابن الوليد اي وذلك قبل ان يتخلص من حبسه بمكة اي فان الوليد اسر
يوم بدر اسره عبد الله بن جحش رضي الله عنه فقدم في فداه اخواه وكان
اخاه لابيه وهشام وكان اخاه لامه وابيه ومن ثم لما ابى عبد الله
ان ياخذ في فدا الوليد الا اربعة الاف درهم وصار خالد يابى ذلك
قال له هشام انه ليس بابن امك والله لو ابى فيه الا كذا وكذا لفعلت
ويقال انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن جحش رضي الله عنه

لا تقبل

لا تقبل في فدائه الا شكة ابيه وهي درع فضفاضة مقومة بماية
دينار فطاعا بهما وسلماها الى عبد الله فلما افتدي وقدم مكة اسلم
فقيل له هلا اسلمت قبل ان تفتدى فقال كرهت ان يظنوا بي
اني جزعت من الاسار فلما اسلم حبسه اهله بمكة ثم افلت ولحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضاء وكتب الى اخيه خالد
فوقع الاسلام في قلب خالد وكان خالد رضي الله عنه من جملة من خرج
من مكة فارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كراهة للاسلام
فكتب له اخوه الوليد رضي الله عنه بذلك وفي مدة حبس الوليد رضي الله
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اذا صلى العشاء الاخرة قنت في
الركعة الاخيرة بقوله اللهم انج الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج عياش
ابن ابي ربيعة اللهم انج هشام بن العاص اللهم انج المستضعفين من المؤمنين
اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين مثل سني يوسف
فاكلوا العلهز ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم يدعو للمستضعفين حتى نجاهم
الله اي بعد ان نجا عياش وهشام والوليد اقول هذه الروايه تدل
على انه كان يدعو بما ذكر في الركعة الاخيرة من العشاء وفي البخاري ان ذلك
كان في الركعة الاخيرة من الصبح وقد يقال لا تخالف لانه كان تارة يدعو في
الركعة الاخيرة من صلاة العشاء الاخيرة وتارة في الركعة الاخيرة من الصبح او كان
يدعو بذلك فيهما وكلا روى بحسب ما راى والله اعلم ثم لا زال المهاجرون والانصار
يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات اي الى ان نزل قوله تعالى في وقعة بدر
واولوا الارحام اي القرابات بعضهم اولى ببعض اي في الارث في كتاب الله اي
اللوح المحفوظ فنسخ ذلك اي لانه كان الغرض من المواخاة ذهاب وحشة
الغربة ومفارقة الاهل والعشيرة وشد ازر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام
واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه

دذوي رحمه ومن ثم قيل لزيد ابي حارثة زيد بن حارثة بعد ان كان
يقال له زيد ابن محمد **اقول** تقدم ان سبب امتناع ان يقال ابن محمد نزول
قوله تعالى ادعوهم لآبائهم اي ومن ثم قيل للمقداد ابن عمرو وكان يقال
له المقداد ابن الاسود لان الاسود كان تبناه في الجاهلية ومن لم يعرف ابوه
رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
بعد ان كان يقال له سالم بن ابي حذيفة فكان ابو حذيفة يرى انه ابنه
ومن ثم انكحه ابنة اخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت
سهيل بن عمرو امراة ابي حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علي وقد بلغ ما يبلغ الرجال
وانه يدخل علي واظن في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا فماذا ترى فقال
ارضعيه تحرمي به **وعن** ام سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كانت
لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم
وكان سالم رضي الله عنه يؤم المهاجرين الاولين في مسجد قباء فيهم ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما **وفي** ينبوع الحياة كانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار
توجب التوارث ثم نسخ ذلك قبل العمل به **واما** قول ابن عباس رضي الله
عنهما كانوا يتوارثون بذلك حتى نزل واولوا الارحام فمعناه انهم
التزموا هذا الحكم وداموا به **ومن** المشكل جدا ما نقل ان الحتات
بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم اخا بينه
وبين معاوية ومات الحتات عند معاوية في خلافته وورثه
بالاخاء وجودا ولا دهش ثم رايت الحافظ ابن حجر في الاصابة ذكر ذلك
ونظر فيه والله اعلم **باب بدء الاذان ومشروعيته** اي
والاقامة ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الامة كما ان
من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان
صلاة الامم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة وكانت الانبياء عليهم

الصلاة

الصلاة والسلام كانوا هم يستفتحون الصلاة بالتسبيح والتوحيد
والتهليل **اي** وكان دأبه صلى الله عليه وسلم في احرامه لفظة الله اكبر
ولم ينقل عنه سواها اي كالنية ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم
اسجدي واركعي مع الراكعين لان المراد به في ذلك الخضوع او الصلاة
لا الركوع المعهود كما قيل به ذلك في الينبوع **فقيل** انما قدم السجود
لانه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود في الشرائع
كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه فليتأمل وكان وجود ذلك
اي الاذان والاقامة في السنة الاولى وقيل في الثانية **و**ذكر ان الناس ٥
انما كانوا يجتمعون للصلاة لحين مواقيتها اي لدخول اوقاتها من غير
دعوة **اي** وقد قال ابن المنذر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان
منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة اي الى ان وقع التشاور
قال وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك
الاحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا قال لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل وعلمه
بلالا قال الحافظ ابن رجب هذا حديث موضوع ومنها ما رواه ابن مردويه
عن عائشة مرفوعا لما اسري بي اذن جبريل فظنت الملائكة انه جبريل
يصلي بهم فقدمني فصليت قال الذهبي فيه انه حديث منكر بل موضوع
هذا كلامه على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة
بالاذان انتهى **اقول** ومن اغرب ما وقع في بدء الاذان ما رواه ابو نعيم
في الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل عليه السلام نادى بالاذان لآدم عليه السلام
حين اهبط من الجنة **وقد** سئل الحافظ السيوطي هل ورد ان بلالا رضي الله عنه
اذن او غيره اذن بمكة قبل الهجرة **فاجاب** رحمه الله تعالى بقوله ورد ذلك
باسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذي صححه اكثر العلماء ولم

عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع بعد الهجرة وانه لم يوذن
قبلها لا بلال ولا غيره وذكر في الدر في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن وذكر
دعي الي الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة في شان المؤذنين والاذان انما
شرع في المدينة فهي مما تاخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفي كلام الحافظ
ابن حجر ما يوافقه حيث ذكر ان الحق انه لا يصح شي من الاحاديث الداله
علي ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر من انه
صلي الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاه بمكة الي ان هاجر
الي المدينة والي ان وقع التشاور في ذلك اي فقد ائتمر صلي الله عليه وسلم اه
هو واصحابه كيف يجمع الناس للصلاه فقيل له انصب راية عند
حضور الصلاة فاذا راها الناس اذن اي اعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه
ذلك فذكر له بوق يهود ويقال له الشبور بفتح المعجمة ثم موحدة مشددة
مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ويقال له القنع بضم القاف واسكان الموحدة
وقيل بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلي
وهو اولي بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن
الذي يدعوا به لصلاتهم اي يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلي الله
عليه وسلم وقال هو من امر اليهود فذكر له الناقوس الذي يدعون به
النصاري لصلاتهم فقال هو من امر النصاري اي فقالوا لو رفعنا
نارا فاذا راها الناس اقبلوا الي الصلاه فقال ذلك للمجوس وقيل
كما في حديث الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر قال اولا
تبعثون رجلا ينادي بالصلاه اي لحضورها اي فيفعلوا ذلك
وكان المنادي هو بلال رضي الله عنه قال الحافظ ابن حجر رحمه الله
كان اللفظ الذي ينادي به بلال اي قبل رويا عبد الله رضي الله
عنه الصلاه جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد بن منصور عن

سعيد

ابي سعيد ابن المسيب مرسلا وفي رواية انه صلي الله عليه وسلم قال
لقد هممت ان ابث رجالا ينادون الناس بحين الصلاه اي بحين
اي وقتها وحين هممت ان امر رجالا تقوم علي الاطام ينادون المسلمين
بحين الصلاه اي ولعل هذا كان منه صلي الله عليه وسلم قبل وقوع ما
تقدم عن بلال رضي الله عنه ثم امر بلالا بما تقدم وقيل ائتمر رسول
الله صلي الله عليه وسلم هو واصحابه بالناقوس اي اتفق عليه فنحت
ليضرب به المسلمون وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام
عبد الله بن زيد رضي الله عنه فاري الاذان اي والاقامة في منامه
فعنه رضي الله عنه قال لما امر رسول الله صلي الله عليه وسلم بالناقوس
فطاف بي وانا نايم رجل وفي لفظ اتاني ليلة ات وانا نايم ويقظان فطاف بي رجل
والمراد انه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فرواه كالمتوسط بين النوم
واليقظة قال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالي الظاهر من هذا ان يحمل
علي الحالة التي تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون
ويسمعون ما يسمعون والصحابة هم روس ارباب الاحوال اي وهذه
الحالة هي التي عناها الشيخ عبد الله الدلاصي رحمه الله بقوله كنت بالمسجد
الحرام في صلاة الصبح فلما احرم الامام واحرمت اخذتني اخذة فرايت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يصلي اماما وخلفه العشرة رضي الله عنهم فصليت معهم
فقرا رسول الله صلي الله عليه وسلم في الركعة الاولي بسورة المدثر وفي الثانية
عم يتساءلون ثم سلم الامام فعقلت تلاوته فسلمت اي ويدل لذلك قول عبد الله
ابن زيد كما في رواية ولولا ان يقول الناس اي يستبعدون الناس فلذلك لقلت
اني كنت يقظانا غير نايم وذلك الرجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده
فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس فقال وما تصنع به فقلت ندعوا به الي
الصلاه قال افلا ادلك علي ما هو خير لك من ذلك فقلت بلي اي وفي رواية

فقلت اتبيع الناقوس فقال فما ذا تصنع به قلت اريد ان ابتاعه لكي اضرب
به للصلاة لجماعة قال فاما انا احدثك بخير لكم من ذلك فقلت بلى قال تقول
الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله
اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة
حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله قال عبد الله ثم استاخر
عني اي ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله اكبر الله اكبر
اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد
قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله اي ففي افراد الفاظ
الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير اولا واخرا وفي رواية راى رجلا عليه ثياب
خضر وهو واقف على سقف المسجد وفي رواية على جذم حائط بكسر الجيم
وسكون المعجمة اي اصل الحائط ولا مخالفة لما ستعلم فاذن ثم قعد قعدة
ثم قام فقال مثل الكلمات اي كلمات الاذان الا انه يقول قد قامت الصلاة قد
قامت الصلاة اي زيادة على تلك الكلمات التي هي الاذان ففي هذه الرواية
تثنية الفاظ الاقامة والاتيان بالتكبير في اولها اربعا كالاذان اي
وهذا اي كونه على سقف المسجد وكونه على جذم حائط لا مخالفة بينهما
لانه يجوز ان يكون لما قال له تقول الله اكبر الى اخر الاذان والاقامة كان قائما
على سقف المسجد قريبا من جذم الحائط فنسب قيامه الى كل منهما ويكون
قوله ثم استاخر عني غير بعيد اي سكت غير طويل قال عبد الله رضي الله عنه
فلما اصبحت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما رايت وفي رواية
انه اتاه صلى الله عليه وسلم ليلا فاخبره وهو المذكور في سيرة الحافظ الدمياطي
ولا منافاة لانه يجوز ان يكون قول عبد الله فلما اصبحت اي قاربت الصباح فقال
له صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فالق عليه ما رايت
فليؤذن به فانه اندى وفي رواية امد صوتا منك اي اعلا وارفع وقيل

احسن

٢٧٣

احسن واعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله هنا فقمت مع بلال وفي رواية
فقال لبلال قم فانظر ما امرك به عبد الله بن زيد فافعله فجعلت القيه
عليه ويؤذن به اي فبلال اول مؤذن بنبيه صلى الله عليه وسلم اي وقيل
اول مؤذن بنبيه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد ذكره الامام الغزالي وانكره
ابن الصلاح اي حيث قال لم اجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه وقد
يقال لا منافاة لان عبد الله اول من نطق بالاذان وبلال اول من اعلن به
وحينئذ يكون اول مشروعيته كان في اذان الصبح فلما سمع بذلك اي باذان
بلال رضي الله عنه عمر ابن الخطاب وهو في بيته خرج يجر رداءه وفي رواية
ازاره اي عجلا اي وقد اعلم بالقصة لقوله والذي بعثك بالحق يا رسول الله
لقد رايت مثل ما راى يعني عبد الله بن زيد فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذي عبد الله بن زيد هو ابن عبد ربه
لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يصح الا هذا الحديث
الواحد في الاذان وقيل راى مثل ما راى عبد الله ابو بكر رضي الله عنه
وقيل سبعة من الانصار وقيل اربعة عشر قال ابن الصلاح لم
اجد هذا بعد امعان البحث وتبعه النووي رحمه الله فقال هذا ليس
بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر رضي الله عنه يجر رداءه وقيل
راه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا سمع ملكا يؤذن اي فقد جاء في حديث اى
بعض رواته متروك بل قيل انه من وضعه انه لما اراد الله عز وجل ان يعلم
رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى
اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال
الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر وذكر بقية الاذان
فرؤيا عبد الله رضي الله عنه دلت على ان هذا الذي راه في [illegible] يكون
سنة في الارض عند الصلوات الخمس اي التي فرضت عليه تلك الليلة

اي فلذلك قال صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا حق ان شاء الله وفيه ان الذي
تقدم عن الخصائص ان المراد بهذا الاذان الذي اتى به الملك الاقامة لا حقيقة
الاذان اي ويدل لذلك ان الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت
الصلاة فقال الله صدق عبدي انا افترضتها ثم قيل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم تقدم فام اهل السما فيهم ادم ونوح عليهم الصلاة والسلام
قال بعضهم والاذان ثبت بحديث عبد الله باجماع الامة لا يعرف بينهم
خلاف في ذلك الا ما روي عن محمد ابن الحنفية فعن ابي العلا قال قلت
لمحمد ابن الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا راها رجل
من الانصار في منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون اضغاث احلام
قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض في الناس قال هذا والله
هو الباطل ثم قال انما اخبرني ابي عليه السلام ان جبريل عليه السلام
اذن في بيت المقدس ليلة الاسرا واقام ثم اعاد جبريل عليه الصلاة
والسلام الاذان لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السما فسمعه عبد الله
ابن زيد وعمر ابن الخطاب رضي الله عنهما وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم
انه لما انتهى الى مكان من السما وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه
الاذان فقال الملك الله اكبر فقال الله صدق عبدي انا الله الاكبر الى ان قال
قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ما علمت ان هذا اقامة لا اذان
ورد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم
الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الاسرا والاولى ان يتمسك ابن
الحنفية بما ياتي في بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم
لعبد الله قد سبقك بذلك الوحي وكونه اتى بالبراق الى الحجاب
مبنيا على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل

ان يكون

٢٧٤

ان يكون هذا عروج اخر غير ذاك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه
لما اسري به عليه الصلاة والسلام اذن جبريل عليه السلام وتقدم
ما فيه ولا ما جا عن علي كرم الله وجهه موذن اهل السما جبريل عليه
السلام لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف ما جا ان اسرافيل
موذن اهل السما وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور وفي لفظ يؤم بالملائكة
عند البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام اهل السما لا يخالف ما جا عن عائشة
رضي الله عنها امام اهل السما جبريل عليه السلام لما علم وجا موذن اهل
السما يؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار ولاثنتي عشرة ساعة من الليل اقول
وفي النور لو راه اي الاذان ليلة الاسرا لم يحتج الى ما يجمع به المسلمين الى الصلاة
ويرد بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم قبل هذه الرؤيا ان ما راه في السما
يكون سنة للصلوات الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤيا علم
ان ذلك سنة في الارض كما تقدم وعبارة بعضهم ولا يشكل على اذان جبريل
عليه السلام ببيت المقدس ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من
وقوعه ليلة الاسرا قبل مشروعية الصلوات الخمس وهذا كله على تسليم
ان المرئي له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه ثم رايت بعضهم
قال واما قول القرطبي رحمه الله لا يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم سمعه ليلة
الاسرا ان يكون مشروعا في حقه صلى الله عليه وسلم ففيه نظر لقوله في اوله
لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذان اي لان المتبادر تعليم الاذان الذي
ياتي به الارض وقد يقال على تسليم ذلك قد علمت ان المراد بالاذان الذي
سمعه ليلة الاسرا الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى الحق انه لم يصح
شي من هذه الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه وسلم سمعه ليلة الاسرا اي ومن
ثم قال ابن كثير رحمه الله في بعض الاحاديث الواردة بانه سمع هذا الاذان في
السما ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم البيهقي انه صحيح بل هو منكر
تفرد به زياد ابن المنذر ابو الجارود الذي ينسب اليه الفرقة الجارودية

ويؤمن المنهمين وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى خصوصيته صلى الله عليه وسلم
بذكر اسمه في الاذان في عهد ادم وفي الملكوت الاعلى والله اعلم اي
وروي بسند واه ان اول من اذن بالصلاة جبريل في سماء الدنيا
فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ثم جاء بلال فقال له صلى الله عليه وسلم سبقك بها عمر وهذا لا دلالة
فيه لانه يجوز ان يكون بعد رؤيا عبد الله وذكر ان عمر رضي الله عنه
راه من عشرين يوما ولما اخبره صلى الله عليه وسلم بذلك قال له ما
منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت منه اقول
في هذا الكلام ما لا يخفى فليتأمل والله اعلم وقيل انما قال له
انها رؤيا حق لانه يجوز ان يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي
بذلك قبل ان يجي اليه عبد الله بن زيد ومن ثم قيل له حين اخبروه
بذلك على ما في بعض الروايات قد سبقك بذلك الوحي فالاذان انما
ثبت بالوحي لا بمجرد رؤيا عبد الله قال بعضهم في قوله تعالى واذا ناديتم
الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا الاية كان اليهود اذا نودي للصلاة
وقام المسلمون اليها يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق
الاستهزاء والسخرية وفيه دليل على مشروعية الاذان بنص الكتاب
لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده ابو حيان بان هذه جملة
شرطية دلت على سبق المشروعية لا على انشائها هذا كلامه اي وذلك اي
على تسليم ان يكون المدعو اليه الصلاة خصوص اللفظ الذي
وجد في المنام اي وصار بلال رضي الله عنه يؤذن للصلاة الخمس
وينادي للناس لغير الصلوات الخمس لامر يحدث يطلب له حضور اي
الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء الصلاة جامعة
قيل وكان بلال رضي الله عنه اذا اذن يقول اشهد ان لا اله الا الله
حي على الصلاة فقال له عمر على اثرها اشهد ان محمدا رسول الله

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا
روي عن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث فيه راو ضعيف ولولا
التعبير بكان لامكن حمل ذلك على ان بلالا اتى بذلك ناسيا في
ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد ثم رأيت ابن حجر الهيتمي رحمه
الله قال والحديث الصحيح الثابت في اول مشروعية الاذان يرد هذا
هذا كلامه رحمه الله قيل وزاد بلال في اذان الصبح بعد الحيعلات
الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها صلى الله عليه وسلم اي لان بلالا
كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول له الصلاة
دعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نائم فصرخ باعلا صوته الصلاة خير من النوم مرتين اي اليقظة
الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم اقول وهذا
يقال له التثويب وذكر فقهاؤنا انه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك
لابي محذورة قال له فان كانت صلاة الصبح قلت الصلاة خير من
النوم ولا منافاة لان تعليمه لابي محذورة للاذان كان عقب منصرفه
صلى الله عليه وسلم من حنين على ما سياتي وكذا ما روي انه صلى الله
عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز ان يكون ذلك صدر منه
بعد ان اقر بلالا رضي الله عنه عليه ثم ذكر انه لم ينقل ان ابن ام مكتوم
كان يقول لذا اي يقول بلال رضي الله عنه في الاذان الاول وهو يدل
لمن قال انه اذا فعل في الاذان الاول لا يفعل في الاذان الثاني لان
اذانه للصبح كان متاخرا عن اذان بلال في اكثر الاحوال وهو محمل
ما جاء في كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بالليل فكلوا واشربوا
حتى يؤذن ابن ام مكتوم فكانوا اذا اذن بلال فامسكوا او ان الكلام
انه يقوله فيهما لكن ربما يخالف ذلك ما في الموطا ان المؤذن جاء عمر

رضي الله عنه يؤذنه بصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير
من النوم فامره عمر رضي الله عنه ان يجعلها في صلاة الصبح وفي الترمذي
ان بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثوبن في شيء من الصلاة
اي من اذان الصلاة الا في صلاة الفجر اي بقول الصلاة خير من النوم
وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع الاذان في مسجد فاراد الصلاة فيه
فسمع المؤذن يثوب في غير الصبح فقال لرفيقه اخرج بنا من هذا المبتدع
فان هذه بدعة اي سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب
المسجد الصلاة الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب الذي سمعه ابن عمر
كما قاله بعضهم وفي كلام بعضهم من المحدثات ان المؤذن يجيء بين الاذان
والاقامة الى باب المسجد فيقول حي على الصلاة قبل واول من
احدثه مؤذن معاوية رضي الله عنه فكان ياتيه بعد الاذان وقبل
الاقامة يقول حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على
الفلاح يرحمك الله اما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة الصلاة
فليس بدعة لان بلالا رضي الله عنه كان يقول ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم واما قوله حي على الصلاة فهذا لم يعهد في عصره صلى الله
عليه وسلم ثم رايت في درر المباحث في احكام البدع والحوادث اختلف
الفقها في جواز دعا الامير الى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة
بان ياتي المؤذن باب الامير فيقول حي على الصلاة حي على الصلاة
حي على الفلاح ايها الامير فسدا التثويب فاحتج من قال بجوازه
اي تسنينه ان بلالا رضي الله عنه كان اذا اذن ياتي النبي صلى الله
عليه وسلم يقول حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة
يرحمك الله اي كما كان يفعل مؤذن معاوية رضي الله عنه فليس
من المحدثات وفي الحديث المشهور انه في مرضه صلى الله عليه وسلم اتاه
بلال رضي الله عنه فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته

الصلاة

الصلاة يرحمك الله فقال الصلاة يا امير المؤمنين حي على الصلاة حي على
الفلاح فقال ويحك المجنون انت اما كان في دعائك الذي دعوت ما يكفيك
حتى تاتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه اي وكون عمر رضي الله عنه
لم يبلغه فعل بلال من البعد البعيد وعن
ابي يوسف رحمه الله لا ارى
باسا ان يقول المؤذن السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته حي على
الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الامراء بمصالح
المسلمين اي ولهذا كان عمر ابن عبد العزيز يفعله وذكر بعضهم ان في دولة
بني بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين حي على خير العمل فلما كانت
دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وامروا ان يقولوا في اذان الصبح
بدل ذلك الصلاة خير من النوم وذلك في سنة ثمان واربعين واربعمائة
وينقل عن ابن عمر وعن علي بن الحسين رضي الله عنهم انهما كانا يقولان
في اذانهما بعد حي على الصلاة حي على خير العمل وورد الترجيع في
خبر اذان ابي محذورة انه قال قلت يا رسول الله علمني سنة الاذان
قال فمسح مقدم راسي وقال تقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله
الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله تخفض بها
صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله
الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله وكان ابو
محذورة رضي الله عنه يشفع الاقامة كالاذان اي يكرر الفاظها فيقول
الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد
ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة
حي على الفلاح حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهي الرواية
الثابتة التي تقدمت عن عبد الله بن زيد وذكر الامام ابو العباس

ابن تيمية ان الفضل ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم علم ابا محذورة الاذان
فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا رضي الله عنه كان يشفع
الاذان ويوتر الاقامة اي ولا يرجع الاذان ففي الصحيحين امر بلال رضي
الله ان يشفع الاذان اي ومن شفع الاذان التكبير اوله اربعا ولم يصح
عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل اهل
المدينة كما سياتي ثم يرد على شفع الاذان التهليل اخره فانه مفرد
فالاولى ان يقال يشفع معظم الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة اي
لفظها اي وهي قد قامت الصلاة فانه يكررها مرتين بقول قد قامت
الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها
البتة اي وان كان هو عمل اهل المدينة كما سياتي وصح عنه تكرير لفظ
التكبير مرتين اولا واخرا وحينئذ يكون المراد بافراد لفظ الاقامة
افراد معظمها فكان يقول في الاقامة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله
الا الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت
الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ولم يكن في اذانه
ترجيع اي وهو الاتيان بالشهادتين سرا ثم بالجهر بهما جهرا اي
كما تقدم قال فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح
بلا ريب اي وكل روي عن عبد الله بن زيد كما علمت قال اي ابن
تيمية فاحمد وغيره اخذوا باذان بلال واقامته اي فلم يستحبوا
الترجيع في الاذان واستحبوا افراد الاقامة الا لفظها وان الشافعي
رضي الله عنه اخذ باذان ابي محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع
في الاذان والافراد في الاقامة الا لفظها وابو حنيفة اخذ باذان بلال
واقامة ابي محذورة اي فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية
الفاظ الاقامة قال في الهدي واخذ مالك بما عليه اهل المدينة
من

من الاقتصار في التكبير على مرتين في الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة
اي ولعل هذا بحسب ما كان والا ففي ابي داود ولم يزل ولد ابي محذورة
وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة اي معظم الفاظها ويحكونه
عن جدهم غير ان التثنية عنه اكثر فيحتمل ان اتيان ابي محذورة رضي
الله عنه بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعده على ذلك كان بامر منه
صلى الله عليه وسلم بذلك بعد امره له اولا بتثنيتها اي فيكون اخر امره
الافراد وقد قيل لاحمد رضي الله عنه ولم لا تاخذ باذان بلال رضي الله
عنه اي كما تقدم اليس اذان ابي محذورة بعد اذان بلال اي لان النبي صلى
الله عليه وسلم علمه له منصرفه من حنين على ما سياتي وهو الذي رواه
امامنا الشافعي رضي الله عنه عن ابي محذورة رضي الله عنه انه قال
خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حنين مقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حنين فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق فاذن
مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن
ونحن متنكبون اي عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبي
صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فاشار القوم كلهم الي
فحبسني اي ابقاني عنده وارسلهم وقال قم فاذن فقمت ولا شيء اكره الي من
النبي صلى الله عليه وسلم ولا مما يامرني به فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالقى علي التاذين هو بنفسه ثم دعاني حين قضيت التاذين فاعطاني صرة
فيها شيء من فضة ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده على ناصيتي ثم مر بها
على وجهي ثم بين ثديي ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي ثم قال
بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتاذين بمكة

فقال قد امرتك به وذهب كل شي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من كراهته وعاد كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب
ابن اسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فاذنت بالصلاة
عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل علمه ذلك يوم فتح مكة لما اذن
بلال للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزءون ببلال
رضي الله عنه ويحكون صوته وكان من جملتهم ابو محذورة فاعجبه صلى الله
عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة فقيل مثل
بجمع وانما يوخذ بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بالمتاخر عنه لان المتاخر ينسخ المتقدم قال البيهقي لما عاد
صلى الله عليه وسلم الى المدينة اقر بلالا رضي الله عنه على اذانه
قال ابو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب اكثر علما
الامصار وجرى به العمل في الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن
وديار مصر ونواحي الغرب اي الا في مصر في المساجد التي تغلب صلاة
الاروام بها فانها تثني كالاذان فيها وقد ذكر ان الامام ابا يوسف
رحمه الله ناظر امامنا الشافعي رضي الله عنه في المدينة بين يدي
الامام مالك رضي الله عنه والرشيد فامر الشافعي باحضار اولاد
بلال واولاد سائر مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف
تلقيتم الاذان والاقامة من ابائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة
فرادى فرادى هكذا تلقيناه من ابائنا وابائنا عن اسلافنا اي زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجا انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا رضي الله عنه
يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم اقامها
الله وادامها وفي البخاري من قال حين يسمع النداء اي الاذان اللهم
رب هذه الدعوة التامة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه

مقاما

٢٧٨

مقاما محمودا الذي وعدته وجبت له شفاعتي يوم القيامة قال
بعضهم كان المؤذنون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان
بلال وابن ام مكتوم رضي الله عنهما فلما كان زمن عثمان رضي الله عنه
جعلهم اربعا وزاد الناس بعده فلما مات صلى الله عليه وسلم ترك
بلال رضي الله عنه ولحق بالشام فمكث زمانا فراى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له يا بلال لجفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا
وفي لفظ انه قال ما هذه الجفوة يا بلال اما ان لك ان تزورنا
فانتبه بلال رضي الله عنه فقصد المدينة فلما انتهى الى المدينة
تلقاه الناس اي واتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي
عنده ويتمرغ عليه واقبل على الحسن والحسين رضي الله عنهما
يقبلهما ويضمهما والحوا عليه ان يؤذن فلما صعد رضي الله عنه
يؤذن صعد اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت العذارى
من خدورهن ليسمعوا اذانه فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا
جميعا فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله لم يبق ذو روح الا بكى وكان
ذلك اليوم كيوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام
وكان يرجع الى المدينة في كل سنة مرة فينادي بالاذان الى ان مات
رضي الله عنه اقول في كلام بعضهم كان سعد القرظ مؤذنه صلى
الله عليه وسلم بقبا فلما لحق بلال بالشام ايام عمر رضي الله عنه امر
سعد القرظ ان يؤذن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فان
بلالا لما توفي صلى الله عليه وسلم جاء الى ابي بكر رضي الله عنه فقال يا خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
افضل اعمال المومن الجهاد في سبيل الله وقد اردت ان اربط في
سبيل الله حتى اموت فقال ابو بكر رضي الله عنه انشدك الله يا بلال

وحرمتي وحقي عليك ان لا تفارقني فاقام بلال رضي الله عنه
بالمدينة حتى توفي ابو بكر رضي الله عنه وما يؤذن ثم جا الي عمر رضي الله
عنه فقال له كما قال لابي بكر رضي الله عنه ورد عليه كما رد عليه ابو بكر
رضي الله عنه فابى وخرج الى الشام مجاهدا وفي انس الجليل لما فتح
امير المؤمنين عمر بيت المقدس حضرت الصلاة فقال عمر رضي الله عنه
يا بلال اذن لنا رحمك الله قال بلال يا امير المؤمنين والله ما اردت
ان اوذن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ساطيعك
اذ امرتني في هذه الصلاة وحدها فلما اذن بلال رضي الله عنه
وسمعت الصحابة رضي الله عنهم صوته ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم
فبكوا بكا شديدا ولم يكن في الصحابة يومئذ اطول بكا من ابي
عبيدة ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهما حتى قال لهما عمر رضي الله
عنهما حسبكما رحمكما الله فلم يؤذن بلال رضي الله عنه بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة لما امره عمر رضي الله عنه //
بالاذان هذا ما في الانس الجليل اي فالمراد بالمرة هذه التي كانت
ببيت المقدس ونبه ان هذا يخالف ما تقدم مما ظاهره انه رضي الله
عنه استمر يؤذن مدة خلافة ابي بكر رضي الله عنه وما تقدم من
الحاح الحسن والحسين رضي الله عنهما عليه في ان يؤذن عند
مجيئه للمدينة الا ان يقال لم يؤذن خارج المدينة فلا يخالفها
سبق من اذانه بعد الحاح الحسن والحسين رضي الله عنهما ولعل
ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل وموت الخلفا الاربعة
ثم رايت الزين العراقي رحمه الله قال لم يؤذن بلال رضي الله
تعالى عنه لاحد من الخلفا الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها
اذن رضي الله عنه عنده هذا كلامه فليتامل مع ما سبق وفي الكتاب
المذكور روي عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله

الي الخلق

الي الخلق دخولا الجنة قال الانبيا عليهم الصلاة والسلام قال ثم من قال
الشهدا قال ثم من قال موذنو بيت المقدس قال ثم من قال موذنو البيت
الحرام قال ثم من قال موذنو مسجدي قال ثم من قال ساير الموذنين ثم رايت
في نسخة من شرح المنهاج للدميري عن جابر رضي الله عنه تقديم موذني
المسجد الحرام على موذني بيت المقدس ورايت في بعض الروايات ما يوافقه
وهو اول من يدخل الجنة بعدي ابو بكر ثم الفقرا ثم موذنوا المسجد الحرام
ثم موذنوا بيت المقدس ثم موذنوا مسجدي ثم سايرهم على قدر اعمالهم
وفي البدور السافرة عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله
اي الخلق اول دخولا الجنة يوم القيامة قال الانبيا قال ثم من قال الشهدا
قال ثم من قال موذنوا الكعبة قال ثم من قال موذنوا بيت المقدس قال ثم
من قال موذنوا مسجدي هذا قال ثم من قال ساير الموذنين على قدر
اعمالهم وفيها عن جابر رضي الله عنه ايضا قال اول من يكسى من حلل الجنة
ابراهيم عليه السلام ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم
يكسى المؤذنون وجا ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله
لقد تركتنا نتنافس في الاذان بعدك فقال اما انه سيكون قوم بعدكم
سفلتهم موذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة وقال الدارقطني ليست //
محفوظة وجا اذا اخذ المؤذن في اذانه وضع الرب سبحانه يده فوق //
راسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من اذانه وانه ليغفر له مد صوته //
فاذا فرغ قال صدق عبدي وشهدت شهادة الحق فابشر والله اعلم //
قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رجل من اليهود اي //
من التجار وعن السدي من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول اشهد //
ان محمدا رسول الله قال اخزى الله الكاذب وفي رواية احرق الله الكاذب
فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نايم واهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت
البيت واحترق هو واهله انتهى اي وفي بعض الاسفار وحضر وقت الصلاة

اي صلاة الصبح فطلبوا بلالا رضي الله عنه يؤذن فلم يوجد اي لتأخره
في السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن زياد ابن الحارث الصدائي
بامره صلى الله عليه وسلم فقال له اذن يا اخا صدا وصدا حي من اليمن
وعنه رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرني على قومي
فقال لا خير في الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبي ثم سار النبي صلى الله
عليه وسلم سيرا فسرت معه فانقطع عنه اصحابه واضاء الفجر فقال لي
اذن يا اخا صدا فاذنت ثم لما حضرت الصلاة اراد بلال رضي الله
عنه ان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يقيم من اذن
واختلف هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم اذن مرة واستدل
على ذلك بانه جاء في بعض الاحاديث اي وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
اذن في السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته
فصلى بهم يومي ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع وقيل
ما اذن وانما امر بلالا بالاذان كما في بعض طرق ذلك الحديث
ففي الهدي وصلى بهم صلى الله عليه وسلم الفرض على الرواحل لاجل
المطر والطين **وقد** روى احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم
انتهى الى مضيق هو واصحابه والسماء من فوقهم والبلة من اسفل
منهم فحضرت الصلاة فامر المؤذن فاذن واقام ثم تقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضي على المجمل **وفي**
رواية اذن اختصارا اي امر بالاذان اي وهذا المجمل الذي يشير
اليه مع اذن صلى الله عليه وسلم على راحلته واقام اي ويروى
ان بلالا رضي الله عنه كان يبدل الشين في اشهد سينا فقال صلى
الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين قال ابن كثير رحمه الله
لا اصل لرواية سين بلال شين في الجنة ولا يلزم من كون هذه
الرواية لا اصل لها ان تكون نكرا للرواية كذلك وكان بلال

وابن

٢٩١

وابن ام مكتوم ينادي يؤذن في اذان الصبح فكان احدهما يؤذن بعد
نصف الليل الاول والليل باق والثاني يؤذن بعد طلوع الفجر
روى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن
ابن ام مكتوم **اي** وفي مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم اذان بلال او قال
نداء بلال من سحوره فانه يؤذن او قال ينادي ليرجع قائمكم ويوقظ
نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصف الليل الاول فيرجع القائم المتهجد
الى راحته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النائم ليتاهب
للصبح قال في الهدي وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن ام
مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بلال **اي** وقد
علمت انه لا قلب وانهما كانا تناوبا فكان بلال رضي الله عنه تارة
يؤذن بليل وابن ام مكتوم عند الفجر الثاني وتارة يكون ابن ام مكتوم
بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ما هو موجود عند النطق
ولم يكن بين اذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا اي ينزل المؤذن
الاول من اذانه ويرقى المؤذن الثاني ما ذكر لمن كان يؤذن اولا يتربص
بعد اذانه للدعاء ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فاخبر صاحبه
فيرقى ويؤذن مع الفجر او عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قبل
ان ابن ام مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له اصبحت اصبحت **وعن** ابن
عمر رضي الله عنهما ان ابن ام مكتوم رضي الله عنه يتوخى الفجر فلا يخطئه
وفي ابي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ان بلالا اذن قبل طلوع الفجر
فامره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادي الا ان العبد نام فرجع
فنادى الا ان العبد نام الا ان العبد اي غفل عن الوقت او يرجع
لينام لبقاء الليل **و**لعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن ام مكتوم مؤذنا

ثانيا او كان اذان بلال في هذه المرة بعد اذان ابن ام مكتوم على ما
تقدم فلا مخالفة والثابت في الجمعة اذان واحد كان يفعل بين
يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال
فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخاري عن السائب بن يزيد
قال كان الاذان يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما وليس فيه
ان ذلك الاذان كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ولما كثر المسلمون امر
عثمان رضي الله عنه اي وقيل عمر رضي الله عنه وقيل معاوية رضي
الله عنه بان يؤذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفي السنة
التاسعة والعشرين زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء يوم
الجمعة ليسمع الناس فياتوا الى المسجد فاول من احدثه بمكة الحجاج
والتذكير قبل الاذان الاول الذي هو التسبيح احدث بعد السبعمائة
في زمن الناصر ابن قلاوون واول ما احدثت الصلاة والسلام على النبي
صلى الله عليه وسلم اي على الكيفية المعهودة الان بعد تمام الاذان على
المنارة اي في غير المغرب في زمن السلطان المنصور حاجي بن الاشرف
شعبان ابن حسن ابن محمد بن قلاوون بامر المحتسب نجم الدين
الطنبدي في اواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الان لكن في
غير اذان الصبح الثاني وغير اذان الجمعة او الوقت اما اذان
الصبح الثاني واذان الجمعة المذكور فتقدم الصلاة والسلام
عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان احداث ذلك في زمن
صلاح الدين بن ايوب ولعل الحكمة في ذلك اما في الاول
فلاستيقاظ النائم واما في الثاني فلاجل حضور الخطيب
المطلوب في الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلاة والسلام
عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففي مسلم اذا سمعتم

المؤذن

المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي وقيس بذلك الاقامة
فالاذان والاقامة من المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام على
النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل في معناه
لا اذكر الا وتذكر معي لكن بعد فراغهما لا عند الابتداء بهما كما يقع
لبعض الاروام ان يقول المقيم للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صل
على سيدنا محمد الله اكبر الله اكبر فان ذلك بدعة ومن البدع التطريب
في الاذان والتلحين فيه وفي كلام امامنا الشافعي رضي الله عنه ويكون
الاذان مرسلا بغير تمطيط ولا تغني قيل التمطيط التطريب في
المد والتغني ان يرفع صوته يجاوز المقدار المشروع ومن البدع
رفع المؤذنين اصواتهم بتبليغ التكبير لمن بعد عن الامام من المقتدين
قال بعضهم ولا باس به لما فيه من النفع حيث لم يبلغ صوت الامام خلاف
ما اذا بلغهم ففي كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة
حيث بلغ المامومين صوت الامام ومعنى منكرة مكروهة واول ما
حدث التسبيح بالاسحار في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حين
كان بالتيه واستمر ذلك الى ان بنى داود عليه الصلاة والسلام بيت
المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الالات الى ثلث الليل الاخير
ثم بعد ثلث الليل الاخير يقومون به عند الفجر واول حدوثه في ملتنا
كان بمصر امر به اميرها مسلمة بجامع عمرو وسمع اصوات النواقيس عالية
فشكى ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو فجعل ذلك
من نصف الليل الى قرب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر بن معاوية بعد عتبة
ابن ابي سفيان اخو معاوية وعتبة تولاها بعد موت اميرها عمرو بن العاص
رضي الله عنه وهذا مما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان
عتبة رضي الله عنه خطيبا فصيحا قال الاصمعي الخطباء من بني امية عتبة
ابن ابي سفيان وعبد الملك بن مروان خطب يوما اهل مصر فقال

يا اهل مصر خفت علي السنتكم مدح الحق ولا تاتونه وذم الباطل
وانتم تفعلونه كالحمار يحمل اسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها
واني لا اداوي داءكم الا بالسيف ولا ابلغ السيف ما كفاني السوط
ولا ابلغ السوط ما صلحتم علي الدرة فالزموا ما الزمكم الله لئلا
تستوجبوا ما فرض الله عليكم علينا وهذا يوم ليس فيه عتاب
ولا بعده عتاب ومما يوثر عنه رضي الله عنه ازدحام الكلام
في السمع مضلة للفهم وقال لبنيه تلقوا النعم بحسن مجاورتها
والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها ومسلمة اول من جعل في
المنابر التي هي محال التاذين في المساجد فلما ولي احمد بن طولون
رتب جماعة يكبرون يسبحون ويحمدون فلما ولي صلاح الدين
يوسف بن ايوب وحمل الناس علي اعتقاد مذهب الاشعري
والخروج عما كان يعتقده الفواطم امر المؤذنين ان يعلنوا وقت
التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هي ثلاث
ورقات ولم اقف علي اسم مولفها فواظبوا علي ذكرها كل ليلة قيل
في سبب نزول قوله تعالي قل كل من عند الله ان اليهود قالوا اني
حق رسول الله صلي الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله بسط
الارزاق وقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته في المدينة قامت
نفوس احبار يهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلي الله عليه وسلم
فنزل قوله تعالي لرسول الله صلي الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من
افواههم وما تخفي صدورهم اكبر الي قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وعن صفية ام المومنين رضي الله عنها بنت حيي قالت كنت احب ولد
ابي اليه والي عمي ابي ياسر اليهود كانا من احبار اليهود واعظمهم
فلما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جا
من العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال

اتعرفه

اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت
قال وفي رواية انها قالت ان عمي ابا ياسر حين قدم رسول الله صلي الله
عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الي قومه فقال يا
قوم اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا
تخالفوه ثم انطلق ابي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع
الي قومه فقال لهم اتيت من عند رجل والله لا ازال له عدوا فقال له
اخوه ابو ياسر يا ابن ام اطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت
بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك ابدا ثم وافق اخاه حيي فلما كانا
اشد اليهود عداوة لرسول الله صلي الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس
عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله فيهما ومن كان موافقا لهما ود
كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند
انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق اي وحيي ابن اخطب هذا هو القائل
لما نزل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يستقرض منا ربنا
وانما يستقرض الفقير الغني فانزل الله تعالي لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقيل في سبب نزولها ان ابا بكر رضي
الله عنه دخل بيت المدارس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله
انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال والله يا ابا بكر ما بنا الي الله من فقر
وانه الينا لفقير فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال
لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكر له ابو بكر رضي الله عنه ما كان منه
فانكر قوله ذلك فنزلت الاية اي وقيل في سبب نزولها ايضا
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم ارسل ابا بكر الي فنحاص بن
عازورا بكتاب وكان المتفرد بالعلم والسيادة علي يهود بني قينقاع

بعد اسلام عبد الله بن سلام بامر نبيه ذلك الكتاب بالاسلام واقام
الصلاة وايتا الزكاة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرا
فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم سمدة وفي رواية قال يا ابا بكر
تزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا وما يستقرض الا الفقير
من الغني فان كان حقا ما تقول فان الله اذا لفقير ونحن
اغنيا فضرب ابو بكر رضي الله عنه وجه فنحاص ضربا شديدا وقال
لقد هممت ان اضربه بالسيف وما منعني ان اضربه بالسيف
الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الي الكتاب قال لي لا
تفتت على بشي حتى ترجع الي فجا فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم
وجا ابا بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى ابا بكر رضي الله عنه
فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وقد قال بعض اليهود
لبعض لعلنا انما قلنا ان الله فقير ونحن اغنيا لانه استقرض
اموالنا فقال ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان
استقرضها للفقرا اليكم ثم يكافي عليها فهو الغني الحميد ومن شدة
عداوتهم اي اليهود ان لبيد ابن الاعصم اليهودي سحر النبي
صلى الله عليه وسلم في مشط اي له صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهي
ما يخرج من الشعر اذا امتشط اي من شعر راسه صلى الله عليه وسلم
اعطاها له غلام يهودي كان يخدمه صلى الله عليه وسلم
وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين تمثال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى
عشرة عقدة وفي لفظ ان الابر كانت في العقد ودفن ذلك تحت
راعوفة كانت في بير ذي اروان فقد مسخ الله تعالى بها حتى
صار كقطاعة فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم انه يفعل
الفعل وهو لا يفعله اي ومكث صلى الله عليه وسلم في ذلك سنة

وقيل

٢٨٣

وقيل ستة اشهر وقيل اربعين قال بعضهم ويمكن ان يكون
ابتدا السنة او الستة اشهر من ابتدا تغير مزاجه الشريف وان
مدة اشتداده كانت في الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة ايام
وقد يقال هي اشد الاربعين فلا منافاة وعند ذلك نزل فارسل
صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فاستخرجها فجا بها فجعل
كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة حتى قام كانما
نشط من عقال وفي رواية ان اليهودي دفن ذلك في بير فانزل
الله تعالى قل اعوذ برب الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة
اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات كلما قرا اية
انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفي لفظ فاذا وتر فيه احدى
عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت
المعوذتان فلما قرا جبريل عليه السلام اية انحلت عقدة ووجد صلى
الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة
كانما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك
والله يشفيك من دا يوذيك اي ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة
بعد قراة الاية اي وكان ذلك بين الحديبية وخيبر وذكر بعضهم
انه بعد خيبر جات روسا يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الاسلام
الى لبيد ابن الاعصم وكان اعلمهم بالسحر فقالوا له يا ابا الاعصم قد
سحرنا محمدا فسحره منا الرجال فلم يصنع شيا اي لم يوثر سحرهم وانت
ترى امره فينا وخلافه في ديننا ومن قتل واجلى ونحن نجعل لك على سحره
ثلاثة دنانير ففعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاني رجلان
اي وهما جبريل وميكائيل عليهما السلام كما في بعض طرق الحديث

فيقعد احدهما عند راسي والاخر تحت رجلي فقال احدهما ما وجع
الرجل فقال الاخر مطبوب اي مسحور فقال من طبه قال لبيد بن
الاعصم قال فيم قال في مشط ومشاطة وفي لفظ ومشاقة اي وهي
المشاطة وقيل هي مشاقة الكتان وجف بالجيم والفا وقيل بالبا
الموحدة وقيل طلعة ذكر اي غشا طلع الذكر الذي يقال له كوز الطلع
قال فاين هو قال في بير ذي ذروان بفتح الذال بوزن مروان وفي لفظ في بير
ذي اروان وفي لفظ بير ذروان وعليه اقتصر في الامتاع تحت صخرة
في الماء قال فما دواه قال تنزح البير ثم تقلب الصخرة فتوجد الكدية
فيها تمثال احد عشر عقدة فتحرق فانه يبرا باذن الله تعالى ثم انه
صلى الله عليه وسلم احضر لبيدا فاعترف فعفى عنه لما اعتذر له بان
الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له يا رسول الله لو قتلته
فقال صلى الله عليه وسلم فقد عافاني الله وما وراه من عذاب الله اشد
اي يحتاج الى الجمع بين كون جبريل عليه السلام قال له سحرك الخ
وكون جاه رجلان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه
فقال احدهما للاخر وجع الرجل الخ اي وهذا اي عدم قتل الساحر
ربما يعارض القول بان الساحر يحتم قتله وفيه انه عندنا
لا يحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بان سحره
يقتل غالبا ولبيد هذا قيل انه اول من قال بنفي صفات الباري
جل وعلا وقاله بعده الجهم ابن صفوان واظهرها فقيل لاتباعه في
ذلك الجهمية نعم ثم بعث صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه
وعمار ابن ياسر رضي الله عنه الى تلك البير فاستخرجا ذلك وقيل
الذي استخرج السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن

وفي

وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم توجه الى
البير مع جماعة من اصحابه فاذا ماوها كانه خضب بالحنا فاستخرجا
اي النبي صلى الله عليه وسلم وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين كونه
صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه فاذا وتر فيه احدى
عشرة عقدة اي واذا فيها ابرة مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد
فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد اي ولا ينافي ما تقدم ان
القاري لذلك جبريل عليه السلام لجواز ان يكون كلاهما صار يقرا بعد
قراة جبريل عليه السلام وفي الامتاع عن عايشة رضي الله عنها انها
قالت له صلى الله عليه وسلم افلا استخرجته قال لا اما انا فقد
عافاني الله وكرهت ان اثير على الناس شرا ومراد عايشة رضي
الله عنها بقولها افلا استخرجته اي هلا استخرجت السحر من الجف
والمشاطة حتى تنظر فقال صلى الله عليه وسلم اكره ان اثير على الناس
شرا قال ابن بطال اي كره ان يخرجه فيتعلم منه بعض الناس
فذلك هو الشر الذي كرهه صلى الله عليه وسلم قال السهيلي
رحمه الله انه يجوز ان يكون الشر غير هذا وانه لو ظهر للناس لربما
قتلته طايفة من المسلمين ويغضب اخرون من عشيرته فيثور شر
وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم هلا تنشرت
اي تعلمت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة
استعمال النشرة حيث لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك عليها وكرهها
جمع واستدلوا بحديث في ابي داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان
وحمل ذلك على النشرة التي يضعها العزايم المشتملة على الاسما التي لا
تفهم فامر بها صلى الله عليه وسلم فدفنت الى تلك البير وهمروا ابيرا

اخرى فاعانهم صلى الله عليه وسلم في حفرها حتى اخرجوا الاخرى التي سحروا
فيها هذا الكلام فليتامل مع ما قبله وقيل انما سحره صلى الله عليه وسلم
بنات اعصم اخوات لبيد دخلت احداهن على عائشة فسمعت عائشة
تذكر ما انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره فخرجت الى اخواتها
فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبر وان يكن غير
ذلك فسوف يذهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله عليه وقد
يجمع بين كون الساحر لبيد وكون الساحر اخوات لبيد بان
الساحرة اخوات لبيد ونسب السحر الى لبيد لانه جاء انه الذي ذهب
به فادخله تحت راعوفة البير اي دفن القبر كما تقدم ولا منافاة لجواز
ان يكونا وضعاه في القبر مدة ثم اخرجه منه ووضعه تحت تلك الراعوفة
اي وهي حجر توضع على راس البير يقوم عليه المستقي وقد يكون في
اسفل البير يجلس عليه الذي ينظف البير اي والثاني هو المراد
بدليل ما سبق وفي النهر لابي حيان رحمه الله ونص القران والحديث
ان السحر تخييل اي لا تنقلب الاعيان ولا شك في وجوده في زمن
الرسول صلى الله عليه وسلم واما في زماننا الان فكلما وقفنا عليه
من كتبه فهو كذب وافترا لا يترتب عليه شي ولا يصح منه شي البتة
وطعنت المعتزلة وطوائف من اهل البدع في كونه صلى الله عليه وسلم
سحر وقالوا لا يجوز على الانبيا ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا
لجاز ان يجنوا وقد عصموا من الناس ورد بان الحديث الدال على
ذلك صحيح والعصمة انما هي في عقولهم واديانهم واما ابدانهم
فيبتلون فيها والسحر انما اثر في بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم
فقد تقدم عن عائشة رضي الله عنها من ذكرها ما انكر صلى الله عليه وسلم
من بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل له ان يفعل

الشي

٢٨٥

الشي ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رايت ابا بكر ابن العربي قال
لم ينقل كل الرواة انه اختلط عليه امره وانما هذا اللفظ زيد في هذا
الحديث لا اصل له ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا
واستجرارا الى القول بابطال معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام
والقدح فيها وانه لا فرق بين معجزات الانبيا وفعل السحرة وان
جميعه من نوع واحد هذا كلامه فليتامل ومن كان حريصا على
رد الناس عن الاسلام شاس ابن قيس كان شديد الطعن على
المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم
مجتمعون فغاظه ما راى من الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال
قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا
من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث اي يوم الحرب
الذي كان بينهم وما كان فيه وانشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار
ففعل فتكلم القوم عند ذلك اي فقال احد الحيين قد قال شاعرنا كذا
وقال الاخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة اي
قالوا نقاتل وانزل الحرب جذعة كما كانت فنادى هؤلاء يا ال الاوس ونادى
هؤلاء يا ال الخزرج ثم خرجوا اليها وقد اخذوا السلاح واصطفوا للقتال
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين
فقال يا معشر المسلمين الله الله اي اتقوا الله ابدعوى الجاهلية اي ومن
بالخزرج يا للاوس وانا بين اظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام
واكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر
والف به بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم
فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في شاس بن قيس

يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا الايه
وجا في ذم هذه الكلمه التي دعوي الجاهليه وهي يا ال فلان قوله
صلي الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يتعزي بعزي الجاهليه فاعضوه
بهن ابيه ولا تكنوا اي قولوا له اعضض علي ذكر ابيك ولا تكنوا
عنه بالهن فلا تقولوا له علي هن ابيك بل قولوا له علي ذكر ابيك تنكيلا
له وزجرا عما اتي به اي وقد كان انزل الله فيهم يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب الايه وقد قراها رسول الله صلي الله عليه وسلم
عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فالقوا السلاح وفعلوا ما تقدم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون
علي الاوس والخزرج برسول الله صلي الله عليه وسلم قبل مبعثه اي يقولون
سيبعث نبي صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند
مبايعة العقبه فقال لهم معاذ بن جبل رضي الله عنه وبشر ابن البرا
رضي الله عنه يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون
علينا بمحمد صلي الله عليه وسلم ونحن اهل كفر وشرك وتخبرون انه مبعوث
وتصفونه لنا فقال سلام اي بالتشديد ابن مشكم من عظما يهود بني
النضير ما جانا بشي نعرفه ما هو الذي كنا نذكره لكم فانزل الله تعالي
في ذلك قوله تعالي ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا
من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة
الله علي الكافرين وقيل في سبب نزول قوله تعالي ما انزل الله علي
بشر من شي انه صلي الله عليه وسلم قال لمالك ابن الصيف وكان رئيسا
علي اليهود انشدك بالذي انزل التوراة علي موسي عليه الصلاة والسلام
هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت
من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الي عمر
فقال

فقال ما انزل الله علي بشر من شي فقالت له اليهود ما هذا الذي
بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه من الرياسه وجعلوا مكانه
كعب ابن الاشرف اي لان في قوله المذكور طعنا في التوراه وقيل
ان يهود المدينه من بني قريظه وبني النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا
من يليهم من مشركي العرب اسد وغطفان وجهينه وعذره قبل
مبعث النبي صلي الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصر بحق النبي
الامي الذي وعدتنا انك باعثه في اخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفي
لفظ اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته
وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي
الامي الذي نجده في التوراة يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ ان يهود خيبر
كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا
نسالك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر الزمان
الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان
وصار اليهود يسالونه صلي الله عليه وسلم عن اشيا يلبسوا الحق بالباطل
اي ومن جملتها سالوه صلي الله عليه وسلم عن الروح فعن ابن مسعود
رضي الله عنه قال كنت امشي مع النبي صلي الله عليه وسلم في حرث
المدينه يتوكا علي عسيب اي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من
اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون
وفي رواية لئلا يستقبلكم بشي تكرهونه اي يحكم بانه دليل
عندكم علي انه النبي الامي اي وانتم تكرهون نبوته صلي الله عليه وسلم
فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفي رواية يا ابا القاسم ما الروح وفي رواية
اخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت انه يوحي اليه
فقال ويسالونك عن الروح اي التي يكون بها الحيوان حيا قل الروح

من امور ربي فقالوا هكذا نجد في كتابنا اي التوراة وقد تقدم الكلام
على ذلك عند الكلام على فترة الوحي وتقدم عن صاحب الافصاح
انه انما سال اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح تطلق
بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القران وعلى عيسى عليه السلام
وعلى جبريل عليه السلام وعلى ملك اخر وعلى صنف من الملائكة فقصد
اليهود انه اي شيء اجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا
الجواب لرد كيدهم لان كل واحد مما ذكر من مامورات الحق تعالى ولما انزل
الله في حق اليهود وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا اوتينا علما كثيرا
اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فانزل الله
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا وفي الكشاف انهم قالوا انحن مخصوصون بهذا
الكتاب ام انت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وانتم لم نوت
من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله هذا كلامه وسالوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة
ان كنت نبيا فانزل الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها
قل انما علمها عند ربي الاية ر وجاء يهوديان الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسالاه عن قول الله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببريء
الى سلطان ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود
خاصة ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم
وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكما ان تسلما فقالا لانا نخاف ان اسلمنا

تقتلنا

تقتلنا يهود اي وسالوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات والارض
اي بقية اي زمن وما بينهما فقال لهم صلى الله عليه وسلم خلق الله الارض
في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثاء اي ولذلك
يقول الناس انه يوم الثقل وخلق الشجر والماء والمدائن والعمران
والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر
والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على
العرش قالوا اصبت لو اتممت ثم استراح اي لو قلت هذا اللفظ
اي لانهم يقولون انه استراح يوم السبت اي لانهم يسمونه يوم الراحة
فانزل الله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام
وما مسنا من لغوب اي تعب فاصبر على ما يقولون وفي رواية خلق
الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الانهار
والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والافة
يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا
يشكل على ما تقدم ان مبدا الخلق يوم السبت حتى يكون اخر الاسبوع
الجمعة وهو الراجح على ما تقدم وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله
الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من احبار
الشام لما بلغهما بعثته صلى الله عليه وسلم قدما المدينة فقال احدهما
للاخر ما اشبه هذه بمدينة النبي الخارج في اخر الزمان فلخبر
المهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وجوده في تلك المدينة فلما راياه
صلى الله عليه وسلم قالا له انت محمد قال نعم قالا لا نسالك مسيلة ان
اخبرتنا بها امنا فقال سلا فقالا اخبرنا عن اعظم الشهادة في كتاب
الله تعالى فنزلت هذه الاية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فاسلما
قال وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا من اليهود جاءوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الذي خلق الجن والانس

من خلقه وفي لفظ خلق الله الملايكة من نور الحجاب وادم من حما مسنون
وابليس من لهب النار والسما من دخان والارض من زبد الما فلاخبرنا
عن ربك من اي شي خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجا
جبريل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم خفض عليك
وانزل الله عليه قل هو الله احد الله الصمد لم يلد السورة اي متوحد
في صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته
اي اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج
اليه انتهى اقول ونزول جبريل عليه السلام بذلك ربما يدل
على انه صلى الله عليه وسلم توقف ولم يبدرها بقول كما وقع له
صلى الله عليه وسلم لما سأله عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقال
لا صف ربك كما سياتي ثم رايت عن الشيخين وغيرهما ان ابن
مسعود رضي الله عنهما ذكر في سبب نزول هذه السورة غير
ما ذكر ولعله ما سياتي في قصة اسلام ابي سلام ولا مانع من
تكرر النزول لاسباب مختلفة ثم رايت في الاتقان ذكر ان سورة
الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة ونزلت جوابا
لاهل الكتاب بالمدينة وقال مثل ذلك انها انما نزلت بالمدينة
وعلى دعوى تكرر نزولها بقا لحيث سئل اولا ونزلت جوابا
كيف يتوقف صلى الله عليه وسلم ثانيا عند السوال الثاني حتى يحتاج
الى نزولها مع بعد نسيانه ذلك له صلى الله عليه وسلم ثم رايت عن
البرهان انه قد ينزل الشي مرتين تعظيما لشانه وتذكيرا عند حدوث
سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف وكان من اعلم
احبار يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل ان يسلم اسمه
الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
وكان من ولد يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام اي

وقد

وقد اثنى الله تعالى عليه في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
فامن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع كما تقدم جا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه اي في اول يوم دخل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب اي ولعل ذلك الذي سمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم هو قوله يا ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام
واطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه
رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل
اليه الناس اي بالجيم اسرعوا فكنت ممن اتى اليه اي وهذا يدل على
انه رضي الله عنه جاه في قبا وسياتي قال فلما رايت وجهه صلى الله عليه وسلم
عرفت انه وجه غير كذاب اي لانه صورته وهيبته وسمته صلى الله عليه وسلم
تدل العقلا على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه لا يقول الكذب قال عبد الله
رضي الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس الخ اي ولا
مانع ان يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال اشهد
انك رسول الله حقا وانك جئت بحق ثم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم
فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم اي في
بيت ابي ايوب وقلت له قد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم
وابن اعلمهم فاخبئني يا رسول الله قبل ان يدخلوا عليك فاسالهم
عني قبل ان يعلموا اني اسلمت فانهم قوم بهت اي يقصون الناس بما يواجهون
الانسان بالباطل واعظمهم فحش عضيهة اي كذبا وانهم ان يعلموا باسلامي
قالوا في ما ليس في وحذ عليهم ميثاق الي ان اتبعك وامنت بكتابك ان
يومنوا بك وبكتابك الذي انزل عليك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم فدخلوا عليه فقال لهم صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم اتقوا
الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم

حتى اسلموا قالوا اما نعم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال
فاي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا
وفي روايه خيرنا وابن خيرنا بالمعجمه والباء المثناه تحت افعل تفضيل وقيل
بالمهمله والباء الموحده اي اعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وافضلنا قال
افرايتم ان شهد اني رسول الله وامن بالكتاب الذي انزل علي تومنوا بي قالوا
نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله
ابن سلام الم تعلم ان رسول الله تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل اخذ
الله عليكم ميثاقكم ان تومنوا به وان تتبعوه من ادركه منكم قال ابن سلام
بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون
انه رسول الله حقا وانه جا بالحق **قال** زاد في روايه انكم لتعلمون
انه رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته
فقالوا كذبت انت اشرنا وابن اشرنا وهذه لغه رديه والفصحى
شرنا وابن شرنا بغير همز وهي روايه البخاري **قال** ابن سلام
هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله الم اخبرك انهم قوم بهت اهل
غدر وكذب وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واظهرت اسلامي وانزل الله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله
يعني الكتاب والرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل
يعني عبد الله ابن سلام يعني اليهود فامن واستكبرتم ان الله
لا يهدي القوم الظالمين **اقول** هذا السياق لا يناسب ما ذكره
في الخصائص الصغرى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام
رضي الله عنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب
قال نعم قال ناشدتك بالذي انزل التوراة على موسى عليه السلام
هل تجد صفتي في كتاب الله يعني التوراة قال انسب ربك

يا محمد

٢٨٩

يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم اي توقف ولم يدر ما يقول فقال له
جبريل عليه السلام قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد فقال ابن سلام رضي الله عنه اشهد انك رسول الله وان الله
مظهرك ويظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي الى
اخر ما تقدم عن التوراة فانه يدل على ان ابن سلام اسلم بمكة وكتم اسلامه
ولو كان كذلك لما قال فلما رايت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت انه وجه
غير كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما ساله عن الامور
الاتيه ولما احتاج الى الاسلام ثانيا **الا ان يقال** على صحة ما قال
ابن عساكر جاز ان يكون فعل ذلك وفعل ذلك اقامة الحجة على اليهود
وقد وقع لابن سلام هذا انه لقي عليا كرم الله وجهه بالربذة وقد
خرج بعد قتل عثمان وبعد ان بويع بالخلافه متوجها الى البصره
لما بلغه ان عايشه وطلحه والزبير ومن معهم رضي الله عنهم خرجوا
الى البصره في طلب دم عثمان رضي الله عنه وكان ذلك سببا لوقعه
الجمل فاخذ رضي الله عنه بعنان فرس علي كرم الله وجهه وقال يا
امير المومنين لا تخرج منها يعني المدينه فوالله لين خرجت منها
لا تعود اليها سلطان المسلمين ابدا فسبه بعض الناس وقال
مالك ولهذا يا ابن اليهوديه فقال علي كرم الله وجهه دعوه فنعم
الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **وعن ابي هريره** رضي الله
عنه قال لقيت عبد الله ابن سلام فقلت له اخبرني عن ساعه
الاجابه يوم الجمعه فقال في اخر ساعه في يوم الجمعه قلت
وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم
وهو يصلي وتلك الساعه لا صلاة فيها فقال ابن سلام رضي الله عنه

الا بيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو
في صلاة حتى يصلي وفيه ان في الصحيحين ان في يوم الجمعة لساعة
لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله عز وجل شيئا الا اعطاه
الله اياه ثم رايت في سنن ابن ماجه ان جواب ابن سلام تلقاه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام قال
قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله
يعني التوراة في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله عز وجل
فيها شيئا الا قضى الله حاجته قال عبد الله ابن سلام فاشار الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم او بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول الله
او بعض ساعة قلت اي ساعة هي قال اخر ساعة من ساعات النهار
قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى
ثم جلس لا يحبسه الا الصلاة فهو في صلاة ولعل لفظ قائم وفي
رواية الصحيحين يراد به مرحلة القيام للصلاة اي صلاة العصر
وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وقيل
هي باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين وقيل هي
في زمن معين وعليه ففي زمن تعيينها احد عشر قولا وقيل اربعين
قولا وقد وقع لميمون بن يامين وكان راس اليهود مثل ما وقع لابن
سلام مع اليهود فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله ابعث اليهم واجعلني حكما فانهم يرجعون الي فادخله
داخلا وارسل اليهم فجاووه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن
يامين فقال اخرج اليهم فقال اشهد انه رسول الله فابوا ان
يصدقوه والله اعلم وقد اشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم
مع معرفتهم لها مشبها لهم بمن يرحمه الله بقوله ....

عرفوه

• عرفوه وانكروه بظلم • كتمته الشهادة الشهدا •
• او نور الله تطفيه الافواه • وهو الذي به يستضا •
• كيف تهدي الاله منهم قلوبا • حشوها من حبيبه البغضا •
اي عرفوا انه النبي المنتظر وانكروه وبطلوا امرهم ولاجل ظلمهم كتمت
الشهادة به العارفون به او نور الاله الذي هو النور تطفيه
الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو الذي يستضا به في الظاهر
والباطن كيف يوصل الاله قلوبا للحق وملوها البغض للحبيب اتوك
وفي سبب نزول سورة قل هو الله احد ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث
قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم
معه الهين فقالوا ابا هو اله واحد لكنه حل في جسد المسيح اذ كان في
بطن امه فقالوا لهم هل كان المسيح ياكل الطعام قالوا كان ياكل الطعام
فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد تكذيبا لهم في انه ثالث ثلاثة
والصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب
نزولها ان قريشا هم الذين قالوا له انسب لنا ربك يا محمد وتقدم ما فيه
والله اعلم وقد جاء رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قال الله تعالى
لليهود اوفوا بعهدي الذي اخذته في اعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم
اذا جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم عليه من وضع
ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا اول كافر به وعندكم من العلم
ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة
برسولي وبما جاء به وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم
قال بعضهم ولم يسلم من رؤساء علماء اليهود الا عبد الله بن سلام وضم اليه
السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله اسلم اقف

لعبد الله بن صوريا على ابن سلام من طريق صحيح وإنما نسب لتفسير
النقاش أي ويجمع لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره وورد
في سبب إسلام ابن سلام أي إظهار إسلامه على ما تقدم أنه لما بلغه
مقدم النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في قبا فعنه رضي الله عنه جاء رجل حتى
أخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي خالدة
جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت
لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران عليه السلام ما زدت فقلت لها
أي عمة هو والله أخو موسى بن عمران عليه السلام وعلى دينه بعث
بما بعث به فقالت يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع
بعث الساعة فقلت لها نعم أي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما
أنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت بين يدي الساعة بالسيف
حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل
الذل والصغار على من خالف أمري وجاء أنه صلى الله عليه وسلم
قال بعثت أنا والساعة كهاتين وقال بأصبعيه هكذا يعني
السبابة والوسطى أي جمع بينهما وفي رواية بعثت في نفس الساعة
لسبقتها كما سبقت هذه هذه وفي رواية سبقتها بما سبقت
هذه هذه وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة قال الطبري
تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع كما أن نصف يوم من سبعة
أيام سبع أي وقد تقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا سبعة
أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر
يوم منها وتقدم في حديث أخرجه أبو داود لن يعجز الله أن يؤخر
هذه الأمة نصف يوم يعني خمسمائة سنة قال بعضهم فإن قيل
ما وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن

أي عن

الساعة ما المسؤول عنها بأعلم من السائل الدالة الرواية الأولى
على علمه بها أجيب بأن القرآن نطق بأن علمها عند الله لا يعلمها
إلا هو ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين
أنه ليس بيني وبينها نبي آخر يأتي بشريعة ولا يتراخى إلا أن تدرس
شريعتي فهو صلى الله عليه وسلم أول أشراطها لأنه نبي آخر الزمان
وهذا لا يقتضي أن يكون صلى الله عليه وسلم عالما بخصوص وقتها
قال ابن سلام رضي الله عنه وكنت عرفت صفته واسمه أي في التوراة
زاد في رواية فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم صلى الله عليه وسلم
المدينة فجئته فقلت يا محمد إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي
ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد
ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن
جبريل عليه السلام آنفا فقال ابن سلام ذاك يعني جبريل عليه السلام
عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع
من أن يكون قال ذلك كل منهما وعن ابن صوريا أنه قال له صلى الله عليه وسلم
من ينزل عليك بالوحي قال جبريل عليه السلام قال ذاك عدونا ولو كان
غيره وفي لفظ لو كان ميكائيل لآمنا بك لأن جبريل عليه السلام ينزل
بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم وسبب
العداوة أنهم زعموا أنه أمر أن يجعل فيهم النبوة أي يجعل النبي المنتظر
من بني إسرائيل الذين هم أولاد إسحاق فجعلها في غيرهم أي في ولد إسماعيل
وقيل سبب عداوتهم لجبريل عليه السلام أنه أنزل على نبيهم أن بيت
المقدس سيخربه بخت نصر فبعثوا من يقتله من أعاظم بني إسرائيل فوجده
فأراد قتله فمنعه عنه جبريل عليه الصلاة والسلام وقال إن كان ربكم
أمره بإهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه أي فإن بني إسرائيل

لما اعتدوا وقتلوا شعيا جا بخت نصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس
وفتحها عنوة واحرق التوراه وخرب بيت المقدس وقيل في سبب
العداوه كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع ان يكون
كل ذلك سببا للعداوة ثم قال صلى الله عليه وسلم اما اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة
فزيادة كبد الحوت اي وهي القطعة المنفرده المتعلقة بالكبد
وقال بعضهم وهي في الطعم في غاية اللذه ويقال انها طعام وامراه
وورد ان الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فياكل منه اهل الجنة ثم يحيي
فينحر الثور بذنبه فياكله اهل الجنة ثم يحيي قال واما الولد
فاذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الله الولد اليه وان سبق ماء المراة ماء الرجل
نزع الولد اليها اي لكن في فتح الباري عن عايشة رضي الله عنها اذا علا
ماء الرجل ماء المراة اشبه اعمامه واذا علا ماء المراة ماء الرجل اشبه اخواله
والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان اذا علا مني الرجل مني المراة
جا الولد ذكرا وان علا مني المراة مني الرجل جا انثى والعلو فيه على بابه
هذا كلامه اي واذا استوى الماان جا خنثى وفي رواية [illegible]
عليه وسلم اين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
ومن اول الناس اجازة وما تحفتهم اي الناس حين يدخلون الجنة
وما غذاهم على اثره وما شرابهم عليه فاجابهم صلى الله عليه وسلم
بانهم يكونون في ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن في رواية
مسلم اين الناس يومئذ قال على الصراط ثم راب عن البيهقي ان قوله
على الصراط مجاز لكونه بمجاوزته ونقل القرطبي عن صاحب الافصاح
ان الارض والسما يبدلان مرتين المرة الاولى تتبدل صفتهما فقط
وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر وتصير
السما كالمهل وتكشط السما وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل

ذاتهما



ذاتهما وذلك اذا وقفوا في المحشر فتبدل الارض بارض من فضة لم يقع
عليها معصية وهي الساهرة اي والسما تكون من ذهب كما جا عن علي
كرم الله وجهه وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
تكون الارض يوم القيمة خبزة واحدة يتكفاها الجبار كما يكفي احدكم
خبزته في السفره نزلا لاهل الجنة فياكل المومن من تحت رجليه
ويشرب من الحوض قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ويستفاد منه ان
المومنين لا يعذبون بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلب الارض
بقدرته طبع الارض حتى ياكلوا منها من تحت اقدامهم ما شا الله من
غير علاج ولا كلفة قال ويوخذ ان هذا مراد الحديث ملجا ببدل
الارض بيضا مثل الخبز ياكل منها اهل الاسلام حتى يفرغوا
من الحساب هذا كلامه فتامل مع ما قبله من ان الارض تبدل
بارض من فضة وان هذا يدل على ان الارض التي تكون خبزة تكون
في موقف الحساب وما جا عن علي كرم الله وجهه يدل على انها تكون
بعد مجاوزتهم الصراط واول دخول الناس اجازة فقرا المهاجرين
وتحفة اهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد الحوت النون اي الحوت
وغذاوهم ينحر لهم ثور الجنة الذي ياكل من اطرافها وشرابهم من عين
تسمى سلسبيلا وسالوه فقالوا اخبرنا عن علامة النبي فقال تنام
عيناه ولا ينام قلبه وسالوه اي طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل
ان تنزل التوراه قال انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى هل
تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر
لله لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن احب الشراب اليه واحب الطعام
عليه فكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها
قالوا اللهم نعم حرمها درعا لنفسه ومنعا لها عن شهواتها وقيل لانه

كان بعد عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكر ان سبب نزول
قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
قول اليهود له صلى الله عليه وسلم تقول انك على ملة ابراهيم وانت
تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم
حتى انتهى الينا علمه في التوراة فنحن اولى الناس بابراهيم منك ومن
غيرك فانزل الله تعالى الاية تكذيبا لهم اي بان هذا انما حرمه يعقوب
على نفسه ومن ثم جاء فيها فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت
اليهود اذا حاضت المراة منهم لم يخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاربوها
اه وفي كلام الواحدي قال المفسرون كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت
المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها … كفعل المجوس هذا
كلامه فسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك … لبعض الاعراب
يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك
سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فانزل الله تعالى ويسالونك
عن المحيض قل هو اذى الاية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا
كل شيء الا النكاح اي الوطء وما في معناه وهو مباشرة ما بين السرة
والركبة اي فان الاية لم تنص الا على قربانهن بالوطء ومن ثم جاء
في رواية انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت فبلغ اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع
لنا من امرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر
رضي الله عنهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا ان اليهود
قالت كذا افلا نجامعهن اي نوافقهن فتغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي وعند ذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم انه
صلى الله عليه وسلم قد غضب عليهما فلما خرجا استقبلهما هدية من
لبن

لبن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في اثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم
يجد عليهما وذكر المفسرون ان في منع الوطء للحائض اقتصادا بين افراط اليهود
وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون من وطء الحائض اي وذكر ان ابن سلام
وغيره ممن اسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت وكراهة اكل لحم الابل
وشرب البانها فانكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا ان التوراة كتاب الله
فنعمل به ايضا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة
قال وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم ما هذا السواد الذي في
القمر فاجابهم عن ذلك بانهما كانا شمسين اي شمس في الليل وشمس
في النهار قال تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
فالسواد الذي … هو المحو اي اثره قال بعضهم في قوله تعالى واية
لهم الليل نسلخ منه النهار ان الليل ذكر والنهار انثى فالليل كادم
والنهار كحوى وقد ذكر ان الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان
الانس بالليل اكثر وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود
اتشهد اني رسول الله قال لا قال اتقرا التوراة قال نعم قال والانجيل
قال نعم قال فانشده صلى الله عليه وسلم هل تجد لي في التوراة والانجيل قال
نجد مثلك ومثل مخرجك فلما خرجت خفنا ان تكون انت فنظرنا فاذا
انت لست هو قال ولم ذاك قال معه من امته سبعون الفا من امته
ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لانا هو وانهم لاكثر من سبعين الفا وسبعين الفا
وقد سالته صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد والبرق فقال هو صوت
ملك موكل بالسحاب يسوقه اي مخراق من نار في يده يزجر به السحاب
الى حيث امره الله تعالى وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال البرق مخاريق
من نار بايدي ملائكة يزجرون بها السحاب والمخراق المنديل يلف

ليضرب به اي وحينئذ فالمراد بالملك الجنس وفي رواية ان الله ينشئ
السحاب فتنطق احسن نطق وتضحك احسن الضحك ومنطقها الرعد
وضحكها البرق وفي بعض الاثار ان لله ملائكة يقال لهم الحيات فاذا
حركوا اجنحتهم فهو البرق اي وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا عند الرعد
لان الغالب وجود البرق عند الرعد وعن بعضهم قال بلغني ان البرق له
اربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر فاذا مصع
بذنبه اي حركه فذلك البرق اي وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد
وعن ابن عباس رضي الله عنهما البرق ملك يتراءا اي يظهر ويغيب وفي
رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف عينيه اي ينظر به عند
وجود الرعد غالبا وفي رواية ان ملكا موكلا بالسحاب في يده مخراق
فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن مجاهد
الرعد ملك والبرق اجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع
صوته او صوت سوقه فتامل الجمع بين هذه الروايات وذهبت
الفلاسفة الى ان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب والبرق
ما ينقدح من اصطكاكها فقد زعموا ان عند اصطكاك اجرام السحاب
بعضها ببعض تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا
انها مع حدتها سريعة الخمود وقيل في سبب نزول قوله تعالى
ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ان اليهود انكروا
النسخ فقالوا الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يامر اصحابه بامر
ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت
وسالوه صلى الله عليه وسلم مم يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل
ومن نطفة امراة اما نطفة الرجل فنطفة غليظة اي يخلق منها العظم
والعصب واما نطفة المراة فنطفة رقيقة اي يخلق منها اللحم والدم

فقالوا

فقالوا هكذا كان يقول من قبلك اي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وتقدم في ترجمة سطيح اخبار عيسى عليه الصلاة والسلام على ذلك اي
وقالوا اغلاظا له صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء
والنكاح ولو كان نبيا لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فقد جاء انه
كان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة امراة وتسعمائة سرية وسالوه صلى
الله عليه وسلم عن رجل زنى بامراة بعد احصانه اي كان شريفا
من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما
فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي قالوا لهم ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم
ولكنه الضرب فسالوه صلى الله عليه وسلم فاجاب بالرجم فلم يفعلوا
ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى
عليه الصلاة والسلام اما تجدون على من زنا بعد احصان الرجم
فانكروا ذلك فقال لهم عبد الله ابن سلام رضي الله عنه كذبتم فان
فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة فوضع احدهم منهم يده على تلك الاية والحد
فقال له ابن سلام رضي الله عنه ارفع يدك عنها فرفعها فاذا هي
اية الرجم اقول هذا كان في السنة الرابعة وهو يخالف ما في
بعض الروايات ان احبار يهود اي وهم كعب ابن الاشرف وسعد
ابن عمرو ومالك ابن الصيف وكنانة ابن ابي الحقيق اجتمعوا في
بيت المدارس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد
زنا رجل من يهود بعد احصانه بامراة محصنة من يهود فقالوا
ان افتانا بالجلد اخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا
فتيا نبي من انبيائك وان افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة

فلا علينا من مخالفته وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا
منهم وامراة زنيا اي بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تجدون في التوراة في شان الرجم قالوا نفضحهما اي بان نسود
وجوههما ثم يجلدان على حماريهما وجوههما من قبل ادبار الحمارة وفي
لفظ يحملان على الحمار وتقابل اقفيتهما ويطاف بهما ويجلدان
اي بحبل من ليف مطلي بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها
اية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على اية الرجم
فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع
يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم وقيل
ان موسى عليه الصلاة والسلام خطب بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل
من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس
له امراة جلدناه مائة جلدة ومن زنا وله امراة رجمناه حتى يموت
والله اعلم قال ولما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم قالوا يا ابا القاسم
ما ترى في رجل وامراة زنيا اي بعد احصان فقال لهم صلى الله عليه وسلم
ما تجدون في التوراة قالوا دعنا من التوراة فقال ما عندكم فاتاهم
صلى الله عليه وسلم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم صلى الله عليه وسلم حتى اتى
بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الي اعلمكم
فاخرجوا اليه عبد الله بن صوريا وابا ياسر ابن اخطب ووهب [illegible] الذي
ابن يهودا فقالوا هولاء علماؤنا فقال لهم صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله الذي
انزل التوراة على موسى عليه السلام ما تجدون في التوراة على من زنا
بعد احصان قال يجلد اي بعد ويجبب فقال عبد الله بن سلام رضي
الله عنه كذبتم فان فيها اية الرجم اي وفي رواية لما سالهم واجابوه الا

شاب منهم

شاب منهم فانه سكت فلح عليه صلى الله عليه وسلم في النشدة فقال
اللهم اذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن اذا راينا انه ان
زنا الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف فاتفقنا على حد
نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال صلى الله
عليه وسلم انا احكم بما في التوراة وفي لفظ هذا الشاب ابن صوريا فقال
في الكشاف انه لما امرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل
عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما اي ووصفه له جبريل
عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض
اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه
الارض بما انزل الله على موسى في التوراة ورضوا به حكما فقال له رسول الله ٢
صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى
وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون وظلل عليكم الغمام
وانزل عليكم المن والسلوى والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل
تجدون الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال
خفت ان كذبت ان ينزل علينا العذاب وفي رواية قال نعم والذي ذكرتني
به لولا خشية ان تحرقني التوراة ان كذبت ما اعترفت ولكن كيف هي
في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله فيها
كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي
انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى عليه السلام
فلينظر هل يجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اشياء يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله النبي الامي وهذا مما يدل على اسلامه وتقدم انكار
صحته عن الحافظ ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتوا

بالتهود فجاوا بابي بعثه فهددوا انهم راوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فامر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم فرايت الرجل يجني على المراة يقيها الحجارة فكان ذلك سبب النزول قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وفي رواية اخرى فاولئك هم الفاسقون وفي اخرى فاولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال رايت الرجم في الجاهلية في غير بني ادم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد اصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت راس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاوا بذلك القرد فحفروا لهما حفيرة فرجموهما وفي لفظ قراب في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها يعني القردة ورجمتها معهم قال في الاستيعاب وهذا عند جماعة من اهل العلم منكر لاضافة الزنا الى غير مكلف واقامة الحدود في البهايم ولو صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات في الجن والانس دون غيرهما هذا كلامه فليتامل والله اعلم وقد ذكر غير واحد ان احبار يهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة فخافوا ان تومن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة اي وهاهم القول لمن اسلم الا تنفقوا مالكم على ملوك لبعض المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي من صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يجدونها في كتابهم فقد كان فيه اكحل عين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه فقالوا نجده طويلا ازرق العين سبط الشعر واخرجوا ذلك الى اتباعهم

وقالوا

وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج اخر الزمان وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم اي لان ذلك كما قال ابن عباس السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شيء كان اهل الكتاب يعظمون به انبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ففطن سعد ابن معاذ رضي الله عنه لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا اعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله عنهم تقول له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا يا رسول الله راعنا اي ارعنا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية يتساب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون به تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ رضي الله عنه ذلك من اليهود قال لهم يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا الستم تقولونها فنزلت وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود باطفال لهم فقالوا له يا محمد هل على اولادنا هولاء من ذنب قال لا قالوا والذي يحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم الاية وجاء ان احبار يهود منهم ابن صوريا اي قبل ان يسلم على ما تقدم وشاس ابن قيس وكعب ابن اسيد تجمعوا وقالوا نبعث الى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاءوا اليه فقالوا له يا محمد قد عرفنا ان احبار اليهود واشرافهم

وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك
فتقضي لنا عليهم فنؤمن بك فابى ذلك عليهم فانزل الله تعالى وان احكم
بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم الاية ومنهم يهودي دخل في الاسلام
تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فهاب
هواهم مع اليهود في السر اي وهم المنافقون وقد ذكر بعضهم ان المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة فمنهم الجلاس
بجيم مضمومة فلام مخففة فالف فسين مهملة ابن سويد بن الصامت
قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير
ابن سعد رضي الله عنه وهو ابن زوجة جلاس اي فان الجلاس ٢
كان زوجا لام عمير وكان عمير يتيما في حجره لا مال له وكان يكفله
ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه فقال
لئن كان ما يقول محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير رضي الله
عنه يا جليس انك لاحب الناس واحسنهم عندي يدا ولقد قلت
مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها اي سكت عنها
ليهلكن ديني ولاحدهما ايسر علي من الاخرى فمشى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة الجلاس فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الجلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما قلت
ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب الى الله ولولا ان ينزل
القران فيجعلني معك ما قلته وجاء انه صلى الله عليه وسلم استحلف
الجلاس عند المنبر فحلف انه ما قال واستحلف الراوي فحلف لقد
قال وقال اللهم انزل على نبيك صلى الله عليه وسلم تكذيب الكاذب
وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين فنزل يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الى قوله
فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس فتاب وقبل منه صلى الله
عليه

عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه الى عمير
رضي الله عنه فكان ذلك مما عرف به حسن توبته وقال صلى الله عليه وسلم
لعمير وفت اذنك ومنهم نبتل بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناه
فوقية مفتوحة فلام ابن الحارث قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب
ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل ابن الحارث كان يجلس اليه
صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم
انما محمد اذن من حدثه بشيء صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن الاية وجاء جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يجلس اليك رجل معك صفته فقال ان
الحديث الذي يحدثه به كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك للمنافقين
فاحذره ومنهم عبد الله بن ابي ابن سلول وهو راس المنافقين والاشتهار
بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من اعظم اشراف اهل المدينة وكانوا
قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكونه
٢ عليهم اي كما تقدم لان الانصار من القحطان ولا يتوج الا القحطاني ولم
يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي فلما جاءهم الله
برسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضغن اي اضمر العداوة لانه راى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد سلبه ملكا عظيما فلما راى قومه قد ابوا الا الاسلام دخل فيه كارها
مصرا على النفاق اي وكان له اماء يكرههن على الزنا لياخذ اجورهن فانزل
الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء وقد قيل في سبب نزول قوله
تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم قوم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنه فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف ارد

بولا السفها عنكم فاخذ بيد ابا بكر فقال مرحبا بالصديق سيد
بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار
الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر
رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله
الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي
كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
افترقوا فقال علي كرم الله وجهه اتق الله يا عبد الله ولا تنافق
فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا ابا الحسن
الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال
لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال
صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين
اي المترددة اليهما تعير الي هذه مرة والي هذه مرة وفي السنة
الاولى من الهجرة اعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة كذا في الاصل
وفي المواهب ان ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة في شوال فعن
عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بي
في شوال فاي نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احظى عنده مني
اي فما توهمه بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين
فتحصل المفارقة بين الزوجين لا عبرة به ولا التفات اليه وكان
ذلك في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة اشهر
وقيل بعد ثمانية اشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة
رضي الله عنها جا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع
اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتني امي وانا في ارجوحة بين

غدقين

غدقين اي نخلتين فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة لاني وعكت
اي مرضت لما قدمنا المدينة اي اصابتها الحمى فعن البراء رضي الله عنه
قال دخلت مع ابي بكر رضي الله عنه على اهله فاذا عائشة ابنته
مضطجعة قد اصابتها الحمى فرايت اباها يقبل خدها ويقول كيف
انت يا بنية قالت عائشة فتمزق شعري فوفر فمشطتها ومسحت وجهي
بشي من ما ثم اقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني لانهج حتى
سكن نفسي ودخلت بي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على
سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فاجلستني في حجره
ثم قالت هولا اهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال
والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا اي فقد
بنى لها بها لا وفي الصحاح العامة تقول بنى باهله وهو خطا وانما
يقال بنى على اهله قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ولا يبعد عن الخطا
كثرة استعماله في الفصحا له اي كاستعمال عائشة له هنا هذا كلامه
وفي الاستيعاب واقره عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله
عنه قال يا رسول الله ما يمنعك ان تبني باهلك قال الصداق
فاعطاه ابو بكر رضي الله عنه اثني عشر اوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى
بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا الذي انا فيه وهو الذي
توفي فيه ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ان سياق ما تقدم
وما ياتي يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما دخل عليها في بيت ابيها بالسنح
ثم رايت بعضهم صرح بذلك فقال كان دخوله عليه الصلاة والسلام بها
بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم هذا كلامه وفي رواية
عنها رضي الله عنها اتتني امي واني لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي
فاتيتها ما ادري ما تريد بي فاخذت بيدي حتى وقفت بي على باب الدار

وانا انهج حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيا من ما فمسحت به
وجهي وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت
فقلن على الخير والبركة وعلى خير طاير فاسلمتني اليهن فاصلحن من
شاني فلم يرعني الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتني
اليه وانا يومئذ بنت تسع سنين قال بعضهم دخل صلى الله عليه وسلم
بعايشة ولعبتها معها اي وعنها رضي الله عنها انها كانت تلعب
بالبنات اي اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ياتيها
جويريات يلعبن معها بذلك وربما كان صلى الله عليه وسلم يسربهن
اليها اي يطلعن لها ليلعبن معها قالت رضي الله عنها وقدم صلى
الله عليه وسلم من غزوة تبوك او حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر
على صفة في البيت عن بنات لي فقال ما هذا يا عايشة قلت
بناتي وراى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال وما هذا
الذي ارى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت
جناحان قال فرس له جناحان قلت اما سمعت ان لسليمان عليه السلام
خيلا لها اجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه
وفيه هلا امرها صلى الله عليه وسلم بتغيير ذلك واجيب بان
هذا مستثنى من عدم جواز تصوير ذي الروح وقولها رضي الله
عنها اما سمعت ان لسليمان عليه السلام خيلا لها اجنحة واقراره
صلى الله عليه وسلم على ذلك يدل على صحته ثم رايت بعضهم اورد انه
كان لسليمان خيلا لها اجنحة وقد ذكرت ذلك عند الكلام على اسماعيل
صلوات الله وسلامه عليه في اوايل هذه السيرة وعنها رضي الله عنها
قالت وما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة اي عند بنايه صلى الله عليه وسلم
بها حتى ارسل الينا سعد ابن عبادة رضي الله عنه بجفنة كان يرسل
بها

٢٩٩

بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وفي كلام بعضهم وروي انه
صلى الله عليه وسلم ما اولم على عايشة بشي غير ان قدحا من لبن اهدي
من بيت سعد ابن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم بعضه وشربت
عايشة باقيه اقول يجوز ان يكون سعد رضي الله عنه ارسل بالقدح
من اللبن وبالجفنة وان بعضهم اقتصر على احدهما ثم لا يخفى انه يجوز
ان تكون الرواية الاولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وانها ذهبت
الى الارجوحة ثانيا بعد ان اصلح النسا من شانها وفعلت بها امها ما ذكر
او انه وقع الاختصار في الرواية الاولى والله اعلم باب
ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم ذكر ان مغازيه صلى الله عليه وسلم اي وهي
التي غزا فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين اي وهي غزوة بواط ثم غزوة
العشيرة ثم غزوة سفوان ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني قينقاع
ثم غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان وهي غزوة
ذي امر ثم غزوة بحران بالحجاز ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة
بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة
بدر الاخرى وهي غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق
ويقال لها المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان
ثم غزوة الحديبية ثم غزوة ذي قرد ويقال لها قرد بفتحتين وسمي في اللغة
الصوف الردي ثم غزوة خيبر ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة عمرة القضا
ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين والطايف ثم غزوة تبوك والتي وقع فيه القتال
من تلك الغزوات اي وقع القتال فيه من اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
وهو المراد بقول بعضهم كالاصل التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
تسع وهي غزاة بدر الكبرى واحد والمريسيع اعني بني المصطلق وقريظة
وخيبر وفتح مكة وحنين والطايف اي وبعضهم اسقط فتح مكة قال

النووي رحمه الله ولعل مذهبه انها فتحت صلحا كما قال امامنا الشافعي
ووافقوه اي فيصح بيع دورها واجارتها واستدل لذلك بانها لو كانت
فتحت عنوة لقسمها بين الغانمين وبانه يجمع بان اسفلها فتح عنوة
اي لوقوع القتال بجنبه من خالد بن الوليد رضي الله عنه مع المشركين واعلاها
فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه وفي الهدي من تامل الاحاديث الصحيحة
وجدها كلها دالة على قول الجمهور انها فتحت عنوة اي لوقوع القتال
بها ومما يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم يصالح اهلها عليها والا لم يحتج
الى قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان فهو امن الخ واتمام
بعضهم لانهاد اي المناسك فهل مسلم فيها حق اقول هذا واضح في غير
دورها وسياق الجواب عن ذلك وبما قررناه يعلم ان قول المواهب قاتل
صلى الله عليه وسلم في تسع بنفسه نظر ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم ٢
لم يقاتل بنفسه في شيء من تلك الغزوات الا في احد كما سياتي وكانه
اعتمد في ذلك بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد علمت المراد منه ولا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة
سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة
واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه لامر الله تعالى له
بذلك اي بالانذار والصبر على الاذى والكف بقوله واعرض عنهم وبقوله
واصبر ووعده له بالفتح اي فكان ياتيه صلى الله عليه وسلم اصحابه
رضي الله عنهم بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم
لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال لانهم كانوا بمكة شرذمة قليلة
ثم لما استقر امره صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وكثرت اتباعه
وشانهم ان يقدموا محبته صلى الله عليه وسلم على محبة ابائهم وابنائهم
وازواجهم واصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن الله تعالى لنبيه
صلى الله

صلى الله عليه وسلم اي ولاصحابه في القتال اي وذلك في صفر في
السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتداهم به بقوله فان
قاتلوكم فاقتلوهم قال بعضهم ولم يوجد بقوله تعالى اذن للذين
يقاتلون اي للمؤمنين ان يقاتلوا بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وان
الله على نصرهم لقدير اي فكان القتال عوضا من العذاب الذي
عوملت به الامم السابقة لما كذبت رسلهم وذكر في سبب نزول
قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم ان جماعة منهم عبد الرحمن
ابن عوف والمقداد ابن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن مظعون
وكانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا في عز
ونحن مشركون فلما امنا صرنا اذلة فلو اذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم
صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم عنهم فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وامر بالقتال كرهه بعضهم وشق عليه ذلك فانزل الله
الاية لا يقال يرد لما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه في تلك
الغزوات ما جاء عن بعض الصحابة كنا اذا لقينا كتيبة او جيشا اول من
يضرب النبي صلى الله عليه وسلم لانا اقول لا يبعد ان يكون المراد بالضرب السير
في الارض اي اول من يسير الى تلقاء العدو ويؤيده ما جاء عن علي كرم الله
وجهه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان اشد الناس باسا وما كان احد اقرب الى المشركين منه صلى الله
عليه وسلم وفي رواية كنا اذا حمي الباس ولقي القوم القوم اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه وقاية لنا من العدو وقد نقل
اجماع المعلمين على انه لم يرو احد قط انه صلى الله عليه وسلم انهزم
بنفسه في موطن من المواطن بل ثبت في الاحاديث الصحيحة باقدامه
صلى الله عليه وسلم وثباته في جميع المواطن لا يقال سيأتي في غزوة بدر
عن السيرة الشامية غير معزو ولا احد انه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه

قتالا شديدا ولذلك ابو بكر رضي الله عنه وكانا في العريش يجاهدان
بالدعا فقاتلا بذاتيهما جمعا بين المقامين وايضا سيأتي في خيبر ما قد
يدل على انه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه لانا نقول سيأتي ما في ذلك
مما يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال الا في احد كما سيأتي
ولم تقاتل معه صلى الله عليه وسلم الملائكة الا في بدر وحنين قيل واحد
وسيأتي ما في ذلك ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصا في وجوه العدو
في شيء من الغزوات الا في هذه الثلاث بلا خلاف في الثلاثة اي
ولم يجرح اي لم يصبه صلى الله عليه وسلم جراحة في غزوة من الغزوات
الا في احد ولم ينصب صلى الله عليه وسلم المنجنيق في غزوة من الغزوات
الا في الطائف وفيه انه نصبه على بعض حصون خيبر وسيأتي الجمع
بينهما ولم يتحصن بالخندق في غزوة الا في غزوة الاحزاب ثم لا يخفى
ان الاية المذكورة اي التي هي اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان
الله على نصرهم لقدير قال بعضهم هي اول اية نزلت في شان القتال
ولما نزلت اخبر صلى الله عليه وسلم بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله اي وفي لفظ حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى
قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد اسلام او قتل نفس
واقول وظاهر هذا السياق يقتضي ان الاية فيها الامر له صلى الله
عليه وسلم بالقتال المذكور ويتوقف في ذلك ولعله امر بذلك بغير الاية
المذكورة لان الاية تحتمل ما يتطاول في الاباحة والمباح ليس مامورا به
وحينئذ يكون قوله في الاية الاخرى فان قاتلوكم فاقتلوهم فاقتلوا
للاباحة لان صيغة افعل تاتي لها وان كان الاصل فيها الوجوب
وعلى ان قوله صلى الله عليه وسلم امرت وان امره كان بغير هذه
الاية يحمل على ان المراد الندب لان امر مشترك بين الوجوب والندب
فلا

فلا ينافي ما تقدم من انه لم يكن وجب عليهم القتال بعد والله اعلم
ثم لما رمتهم العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب
كانوا لا يبيتون الا في السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى
نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل انزل الله عز وجل
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم امنا ثم اذن في القتال اي ابيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل اي
لكن في غير الاشهر الحرم التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم
اي بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الاية ثم امر به وجوبا
اي بعد فتح مكة في السنة الثامنة مطلقا اي من غير تقييد بشرط ولا
زمان بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة اي في اي زمن فعلم ان القتال
كان قبل الهجرة وبعدها الى صفر اي من السنة الثانية محرما اي لانه
في ذلك كان مامورا بالتبليغ وكان انذارا بلا قتال لانه نهي عنه اي في نيف
وسبعين اية ثم صار ماذونا فيه اي ابيح قتال من لم يبدا به في غير الاشهر
الحرم ثم امر به مطلقا اي لمن قاتل ومن لم يقاتل في كل زمن اي في الاشهر
الحرم وغيرها وظاهر كلام الاسنوي رحمه الله ان القتال في الحالة الثانية
كان مامورا به لا مباحا كالحالة الاولى وعبارته لما بعث صلى الله عليه وسلم
امر بالتبليغ والانذار بلا قتال فقال واعرض عنهم وقال واصبر ثم
اذن له بعد الهجرة في القتال ان ابتدوا به فقال فان قاتلوكم
فاقتلوهم ثم امر صلى الله عليه وسلم بذلك ابتدا ولكن في غير الاشهر الحرم
فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ثم امر به مطلقا فقال
وقاتلوا المشركين كافة هذا كلامه ولا يخفى ان الاسنوي يرى ان الامر
للوجوب وهو يقتضي ان الامر به في الحالة الثانية للوجوب والراجح

ما علمت ان امر مشترك بين الوجوب والندب ثم استقر امر الكفار
معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة اقسام القسم
الاول محاربون له صلى الله عليه وسلم وهولا المحاربون اذا كانوا ببلادهم
يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة اي يكفي ذلك في اسقاط الحرج
كما جا الكعبة واستدل لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة اي فهلا نفر وقيل كان فرض عين لقضية الثلاثة الذين
تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك ويحتاج الى الجواب عن ذلك وقيل
كان فرض كفاية في حق الانصار وفرض عين في حق المهاجرين والقسم
الثاني اهل عهد وهم المومنون من غير عقد الجزية اي صالحهم
ووادعهم على ان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه ومهم على
كفرهم امنون على دمايهم واموالهم والقسم الثالث اهل جزية اي
وهم من عقدت لهم الجزية وهناك قسم اخر وهو من دخل في الاسلام
تقية من القتل وهم المنافقون كما تقدم وامر صلى الله عليه وسلم ان
يقبل منهم علانيتهم ويكل سرايرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم
الا فيما يتعلق بشعاير الاسلام الظاهرة كالصلاة فلا يخالف ما
رواه الشيخان لقد هممت ان امر بالصلاة فتقام ثم امر رجلا فيصلي
بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون
الصلاة فاحرق بيوتهم بالنار فقد ذكر ابن الان ان ذلك ورد في قوم
منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون اي اصلا بدليل
السياق لان صدر الحديث اثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشا
والفجر اي جماعتهما ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا ولقد
هممت الخ وفي الخصايص الصغرى وكان الجهاد في عهده صلى الله عليه وسلم
فرض عين في احد الوجهين عندنا وكان اذا غزا بنفسه صلى الله عليه وسلم

يجب

وقف على طلبة العلم بالازهر ٣١٧

يجب على كل احد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن
حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ومن ثم وقع لمن تخلف
عنه في غزوة تبوك ما وقع واما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار
حالان مذكوران في كتب الفقه وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم
في القتال خرج لاثني عشرة ليلة مضت من شهر صفر في السنة الثانية
من الهجرة اي مكث صلى الله عليه وسلم بالمدينة باقي الشهر الذي قدم
فيه وهو شهر ربيع الاول وباقي ذلك العام الى صفر من السنة الثانية
من الهجرة فخرج صلى الله عليه وسلم غازيا حتى بلغ ودان بفتح الواو
وتشديد الدال المهملة اخره نون وهي قرية كبيرة بينها وبين المدينة
ستة اميال او ثمانية والابواء بالمد قرية بين مكة والمدينة كما تقدم
سميت بذلك لتبوء السيول فيها وقيل لما كان فيها من الوباء فيكون على
القلب والا لقيل الاوباء وحينئذ لا تخالف بين تسمية ابن الحقاف
لها بغزوة ودان وبين تسمية البخاري لها بغزوة الابواء لتقارب
المكانين اي وفي الامتاع وودان جبل بين مكة والمدينة اقول
وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان تكون القرية كانت عند الجبل المذكور
فسميت باسمه والله اعلم وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين
ليس فيهم انصاري من عير لقريش ولبني ضمرة اي وخرج صلى الله عليه وسلم
لبني ضمرة فكان خروجه للشيين كما يعلم من الاصل ويوافقه قول
بعضهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من اصحابه
يريد قريشا وبني ضمرة والمفهوم من سيرة الشامي ان خروجه صلى الله
عليه وسلم انما كان لاعتراضه العير وانه اتفق له موادعة بني ضمرة
ويوافقه قول الحافظ الدمياطي خرج صلى الله عليه وسلم يعترض عيرا
لقريش فلم يلق كيدا في هذه الغزوة وادع بني ضمرة هذه الله

اي صالح سيدهم وهو مجدي ابن عمرو الضمري فصالحه ثم رجع الي المدينة
والمصالحة على ان لا يغزوهم ولا يغزونه ولا يكثروا عليه صلى الله عليه وسلم
جمعا ولا يعينوا عليه عدوا **قال** وكتب صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم
كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بانهم امنون على اموالهم وانفسهم وان لهم
النصر على من رامهم اي قصدهم الا ان يحاربوا في دين الله ما بل بحر
صوفة اي ما بقي فيه ما يبل الصوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم
لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم
اي امانهما انتهى **وكان** لواوه صلى الله عليه وسلم ابيض وكان مع عمه
حمزة واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة سعد ابن عبادة وانصرف
الى المدينة راجعا فهي اول غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم اي وكانت
غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة **غزوة** بواط ثم
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول اي وقيل الاخر
اي من السنة المذكورة يريد عير قريش فيها امية ابن خلف ومائة
رجل من قريش والفان وخمس مائة بعير خرج صلى الله عليه وسلم
في مائتين من اصحابه اي من المهاجرين خاصة **و**حمل اللواء وكانت
ابيض سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه **و**اللواء هو العلم الذي
يحمل في الحرب يعرف به موضع امير الجيش وقد يحمله امير الجيش
وقد يجعل في مقدم الجيش **واول** من عقد الالوية ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما اغاروا على لوط فعقد لواء وسار
اليهم بعبيده ومواليه **قال** بعضهم صرح جماعة من اهل اللغة
بترادف اللواء والراية اي فيطلق على كل اسم الاخر **وعن** ابن اسحاق
رحمه الله ان اسم الراية انما حدث بعد خيبر واستعمل صلى الله عليه وسلم
على المدينة

على المدينة سعد ابن معاذ وقيل السائب ابن مظعون اخو عثمان
ابن مظعون حتى بلغ بواط بضم الباء الموحدة وفتحها وتخفيف الواو
والطاء المهملة اي وهو جبل لينبع ومن ثم قيل لها غزوة بواط **قال**
بعضهم ومن هذا الجبل تقلع احجار المسان وهذا الجبل لجهينة
من ناحية رضوى وهو احد الاجبل التي منها اساس الكعبة **وفيه** انه
لم يذكر رضوى في تلك الاجبل الخمس التي منها اساس الكعبة المتقدم ذكرها
على المشهور وصح ثنيها في الحديث رضوى رضي الله عنه **وتزعم** الكيسانية
وهم اصحاب كيسان مولى علي كرم الله وجهه ان محمد ابن الحنفية مقيم برضوى
حي يرزق وهو الامام المنتظر عندهم **اي** وفي كلام بعضهم ان المنتظر هو محمد
القاسم ابن الحسن العسكري الذي تزعم الشيعة انه المنتظر وهو صاحب
السرداب يزعمون انه دخل السرداب في دار ابيه وامه تنظر اليه فلم
يخرج اليها وكان عمره سبع سنين وانه يعمر الي اخر الزمان كعيسى عليه
الصلاة والسلام فيملا الدنيا عدلا كما ملئت جورا واختفاؤه الان خوفا
من اعدائه **قال** وهو زعم باطل لا اصل له **ثم** رجع صلى الله عليه وسلم
الي المدينة ولم يلق كيدا اي حربا واصل الكيد الاحتيال والاجتهاد
ومن ثم سمي الحرب كيدا **غزوة** العشيرة اي وقال ابن البخاري
رحمه الله المغازي ويقال لها ملحاء عن زيد ابن اسلم وقد قيل له اول غزوة
غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذات العشيرة **واجيب** عنه بان
المراد باول غزوة غزاها وانت معه **ثم** غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شهر جمادى الاولى وفي سيرة الدمياطي الاخرة من تلك السنة اي
وفي الامتاع في جمادى الاخرة ويقال جمادى الاولى يريد عير قريش
متوجهة للشام بقفال اذ قريش جمعت جميع اموالها في تلك العير ليس
بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير

الاحو يطب ابن عبد العزي ٥ يقال ان في تلك العير خمسين الف دينار
اي والف بعير وكان فيها ابو سفيان اي قايدها وكان معه سبعة وعشرون
وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة ابن نوفل وعمرو بن العاص وهي
العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام وكانت سبب الوقعة بدر الكبرى
كما سياتي تخرج في خمسين ومايه ويقال في مايتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ
العشيرة بالمعجمة والتصغير اخره ها اي ولم يختلف فيه اهل المغازي كما قال
الحافظ ابن حجر وفي البخاري اخرها بمهملة وفيه ايضا العشيرة بالسين المهملة
اخره ها اي بالتصغير واما التي بغير تصغير فهي غزوة تبوك كما سياتي والتي
بالتصغير يقال انها موضع ببطن الينبع اي وهي منزل الحاج المصري ومنه
لبني مدلج واستخلف على المدينة ابا سلمة ابن عبد الاسد وحمل اللواء وكان
ابيض عمه حمزة ابن عبد المطلب خرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها
فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بايام ورجع ولم يلق حربا ووادع صلى الله
عليه وسلم فيها بني مدلج قال في الاصل وحلفا بهم من بني ضمرة وذكر في
المواهب هنا صورة الكتاب الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة
في غزوة ودان الذي قدمناه ثم قال مل ذلك وكنى صلى الله عليه وسلم
فيها عليا بابي تراب حين وجده نايما هو وعمار ابن ياسر رضي الله عنهما
وقد علق به التراب فايقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له
قم ابا تراب لما يرى عليه من التراب اي الذي سفته عليه الريح فلما قام
قال له صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باشقى الناس اجمعين عاقر
الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على قرن راسه فيخضب
هذه ووضع يده على لحيته وفي رواية اشقى الاولين عاقر ناقة صالح
واشقى الاخرين قاتلك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال يوما
لعلي من اشقى الاولين فقال علي كرم الله وجهه عاقر الناقة يا رسول الله

قال

قال فمن اشقى الاخرين قال علي كرم الله وجهه لا علم لي يا رسول الله
قال الذي يضربك على هذه واشار الى يافوخه وكان كما اخبر
صلى الله عليه وسلم فانه من اعلام نبوته فانه لما كان شهر رمضان
سنة اربعين صار يفطر ليلة عند الحسن رضي الله عنه وليلة
عند الحسين رضي الله عنه وليلة عند عبد الله ابن جعفر رضي الله
عنه لا يزيد في الاكل على ثلاث لقم ويقول احب ان القى الله وانا خميص
فلما كانت الليلة التي ضرب صبيحتها اكثر الخروج والنظر الى السما وجعل
يقول والله انها الليلة التي وعدت فلما كان وقت السحر واذن المؤذن
بالصلاة خرج الى المسجد فاقبل الاوز الذي في داره يصحن في
وجهه فنحتهن بعض نساء اهل بيته فقال دعوهن فانهن نوايح
فلما دخل المسجد اقبل ينادي الصلاة الصلاة فشد عليه عبد الرحمن
ابن ملجم المرادي من طايفة الخوارج فضربه الضربة التي اخبر بها صلى الله
عليه وسلم وعند ذلك شد ذلك الناس من كل جانب فطرح عليه رجل
قطيفة واخذ السيف منه وقالوا يا امير المؤمنين خل بيننا وبين مراد
يعنون قبيلة الرجل الذي ضربه فقال لا ولكن احبسوا الرجل فان
انا مت فاقتلوه وان اعش فالجروح قصاص فحبس فلما مات كرم
الله وجهه غسله الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنه
ومحمد ابن الحنفية يصب الما وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص
ولا عمامة وصلى عليه الحسن رضي الله عنه وكبر عليه سبعا ودفن ليلا
قيل بدار الامارة وقيل بغير ذلك واخفي قبره لئلا تنبشه
الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبينما هم في مسيرهم ليلا اذ ند البعير الذي عليه فلم يدر اين ذهب
ومن الناس من يزعم انه انتقل الى السما وانه الان في السحاب

ولما اصيب علي كرم الله وجهه ودعى الحسن والحسين رضي الله عنهما
فقال اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شيء زوي منها
عنكما وقولا الحق ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى ولده محمد بن
الحنفية وقال له هل حفظت ما اوصيت به اخويك فقال نعم فقال
اوصيك بمثله واوصيك بتوقير اخويك لعظم حقهما عليك ولا
توثق امرا دونهما ثم قال اوصيكما به اخوكما وابن ابيكما وقد علمتما ان
اباكما كان يحبه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله الى ان قبض فلما قبض اخرج
الحسن رضي الله عنه ابن ملجم من الحبس وقتله اقول ذكر
بعضهم عن المبرد قال ابن ملجم لعلي كرم الله وجهه اني اشتريت
سيفي هذا بالف وسممته بالف وسالت الله ان يقتل به شر
خلقه فقال له علي كرم الله وجهه قد اجاب الله دعوتك يا حسن
اذا انا مت فاقتله بسيفه ففعل به الحسن رضي الله عنه ذلك ثم
احرقت جثته وقد ذكر انه قطعت اطرافه وجعل في قوصرة
واحرقوه بالنار وقد ذكر ان عليا كرم الله وجهه قال يوما وهو
مشير الى ابن ملجم هذا والله قاتلي فقيل له الا تقتله فقال من
يقتلني ووقع في الاصل في كونه تكنية علي كرم الله وجهه بابي تراب
في هذه الغزوة تبعا لشيخه الدمياطي واعترضه في الهدي بانه صلى الله
عليه وسلم انما كناه بذلك بعد نكاحه فاطمة فانه صلى الله عليه وسلم
دخل عليها يوما فقال اين ابن عمك قالت رضي الله عنها خرج مغاضبا
فجاء صلى الله عليه وسلم الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به
التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس ابا تراب لانه رضي الله عنه
كان اذا غضب على فاطمة في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيئا تكرهه
الا انه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رأى
التراب

التراب على راسه عرف انه عاتب على فاطمة رضي الله عنها قال
في النور ويحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم خاطبه بهذه الكنية مرتين
اي ويكون سبب الكنية علوق التراب به وكونه يضعه على راسه
غزوة سفوان ويقال لها غزوة بدر الاولى وحين قدم
صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة الا ليالي لم تتم
العشر حتى غزا وخرج خلف كرز ابن جابر الفهري وقد اغار قبل ان
يسلم على سرح المدينة اي النعم والمواشي التي تسرح للمرعى بالغداة
خرج في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفاء ساكنة
وقيل مفتوحة من ناحية بدر اي ولذا قيل لها غزوة بدر الاولى
وفاته صلى الله عليه وسلم كرز ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة
زيد ابن حارثة رضي الله عنه وحمل اللواء وكان ابيض علي ابن ابي طالب
كرم الله وجهه وقد تبعت الاصل في تقديم غزوة العشيرة على
غزوة سفوان لما تقدم وهو عكس ما في سيرة الشامي الموافق لما في سيرة
الدمياطي ولما في الامتاع باب تحويل القبلة وحولت
القبلة في رجب من السنة المذكورة التي هي الثانية في نصفه وقيل
في نصف شعبان قال بعضهم وعليه الجمهور الاعظم وقيل كان في
جمادى الاخرة اي بعد قيل انه صلى الله عليه وسلم صلى في المدينة
الى بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا وقيل اربعة
عشر شهرا وقيل غير ذلك وتقدم انه صلى الله عليه وسلم صلى في مسجده
بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة اشهر والاكثرون على ان تحويلها
كان في صلاة الظهر وقيل العصر اي ففي الصحيح عن البراء ان
اول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها للكعبة
صلاة العصر لان الظهر صلى نصفها الاول لبيت المقدس ونصفها

الثاني للكعبة ثم رايت الحافظ ابن حجر رحمه الله فصل ذلك حيث قال التحقيق
ان اول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسجد النبوي العصر
وان التحويل للعصر كان في محل اخر للانصار اي وهم بنو حارثة وقيل
حولت في صلاة الصبح وهو محمول على ان ذلك كان في قبا لان الخبر لم يبلغهم
الا الصبح كما ياتي ولما حولت لانه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه ان تكون
قبلة الكعبة سيما لما بلغه ان اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا اي
وفي لفظ قالوا للمسلمين لو لم تكن على هدى ما صليتم على قبلتنا فاقتديتم
بنا فيها وفي لفظ كان صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل الكعبة موافقة
ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام وكراهة لموافقة اليهود
ولقول كفار قريش للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابراهيم وانتم تتركون
قبلته وتصلون الى قبلة اليهود اي ولانه صلى الله عليه وسلم لما هاجر صار
اذا استقبل صخرة بيت المقدس صار يستدبر الكعبة فشق ذلك عليه
صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل عليه السلام انما انا عبد لا املك شيا
الا ما امرت به فادع الله تعالى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
الله ويكثر اذا صلى الى بيت المقدس من النظر الى السما ينتظر امر الله تعالى
لان السما قبلة الدعا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام وددت انك سالت الله ان يصرفني الى الكعبة فقال
جبريل عليه السلام لست استطيع ان ابتدي الله عز وجل بالمسئلة
ولكن ان سالني اخبرته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا ام بشر
ابن البرا ابن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وحانت صلاة
الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه في مسجد هناك
فلما صلى ركعتين نزل جبريل عليه السلام فاشار اليه ان صل الى الكعبة
واستقبل الميزاب فاستدير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة

اي

اي فاستدار النسا مكان الرجال والرجال مكان النسا اي فقد
تحول من مقدم المسجد الى موخره لان من استقبل الكعبة في المدينة
يلزم ان يستدبر بيت المقدس كما ان من يستقبل بيت المقدس
يستدبر الكعبة وهو صلى الله عليه وسلم لو دار كما هو مكانه لم يكن
خلفه مكان يسع الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه ان
هذا يستدعي عملا كثيرا في الصلاة وهو مفسد لها عندنا اذا توالى
وقد يقال لا مانع لجواز ان يكون ذلك قبل تحريم العمل الكثير في الصلاة
او ان هذا العمل لم يكن على التوالي اقول ويدخوله صلى الله عليه وسلم
على ام بشر اي وعلى ام الربيع بنت معاذ ابن عفرا وعلى ام حرام بنت
ملحان وعلى اختها ام سليم والخلوة بكل منهن فقد كانت ام حرام
بنت ملحان تفلي راسه الشريف وينام عندها استدل على ان من
خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز النظر الى الاجنبية والخلوة
بها لامنه صلى الله عليه وسلم الفتنة كما سياتي والله اعلم وسمي ذلك
المسجد مسجد القبلتين قيل كانت تلك الصلاة التي هي
صلاة الظهر التي وقع التحول فيها في مسجده صلى الله عليه وسلم
فخرج عباد بن بشر رضي الله عنه وكان صلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمر على قوم من الانصار يصلون العصر وهم راكعون فقال
اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت يعني
الكعبة ثم بلغ اهل قبا ذلك وهم في صلاة الصبح في اليوم الثاني اي وهم
ركوع وقد ركعوا ركعة فنادى منادي الا ان القبلة قد حولت فتحولوا اليها
اي وفي البخاري بينا الناس بقبا في صلاة الصبح اذ جاءهم ات فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستديروا الى الكعبة وفي مسلم

بدل صلاة الصبح صلاة الغداة قال الحافظ ابن حجر وهو واحد
اسمايها وقد نقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل انهم امروا
بقضا العصر والمغرب والعشا ولا اعادة الركعة التي صلوها من الصبح
وهو دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله
وعلى انه يجوز ترك الامر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس اي امر
مقطوع وهو خبر الواحد واجيب عن هذا الثاني بان الخبر المذكور
احتفت به قراين افادت القطع عندهم بصدق المخبر فلم يتركوا الامر
المعلوم الا بامر معلوم ايضا على ان يجوز نسخ المتواتر بالاحاد لان محل
النسخ الحكم ودلالة التواتر عليه ظنية كما تقرر في محله ويقال
ان المبلغ لهم عباد ابن بشر ايضا فيكون عباد رضي الله عنه اتى بني حارثة
اولا في صلاة العصر ثم توجه الى قبا فاعلمهم بذلك في وقت الصبح والقران
الذي نزل هو قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك الايات والى هذا اشار بعضهم
رحمه الله تعالى بقوله ٭ كم للنبي المصطفى من اية ٭ عز احار الفكر في معناها ٭
لما ترجى الباري تقلب وجهه ٭ ولاه ايمن قبلة يرضاها ٭ وعن عمارة بن اوس
الانصاري رضي الله عنه قال صلينا احدى صلاتي العشي اما الظهر
والعصر فقام رجل على باب المسجد ونحن في الصلاة فنادى ان الصلاة
قد وجهت نحو الكعبة فتحول امامنا نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى
تقلب وجهك في السما اي متطلعا نحو الوحي ومتشوقا للامر باستقبال
الكعبة فلنولينك اي نحولنك قبلة ترضاها اي تحبها فول وجهك
شطر المسجد الحرام اي نحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيثما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اي
لما في كتبهم من نعته صلى الله عليه وسلم بانه يتحول الى الكعبة انتهى
ولعل هذه القصة التي رواها عمارة رضي الله عنه هي التي رويت
عن

عن رافع ابن خديج رضي الله تعالى عنه قال اتانا ات ونحن نصلي
في بني عبد الاشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يوجه الى
الكعبة فدار امامنا الى الكعبة ودرنا معه والله اعلم واجتمع قوم من
كبار اليهود وجاوا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا له يا محمد ما ولاك عن
قبلتك التي كنت عليها وانت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه اي وما
كنت عليه قبلة ابراهيم وهذا بنا على دعواهم ان بيت المقدس
كان قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما سياتي عنهم وسياتي ما فيه
ثم قالوا ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما
يريدون بذلك فتنته ليعلم الناس انه في حيرة من امره اي واخبار لا
لما يجدونه في نعته صلى الله عليه وسلم من انه يرجع عن استقبال بيت
المقدس الى استقبال الكعبة وانه لا يرجع عن تلك القبلة وفي رواية
انهم قالوا للمسلمين ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ويوافقه قول الزهري لم يبعث الله منذ هبط
ادم عليه الصلاة والسلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة
بيت المقدس ويوافق هذا ظاهر قول الامام السبكي في تائيته
٭ وصليت نحو القبلتين تفردا ٭ وكل نبي ماله غير قبلتي ٭
قال شارحها يشير الى ان كل نبي كانت قبلته بيت المقدس وهو
صلى الله عليه وسلم قد شاركهم فيها اي واختص بالكعبة ومن ثم جا في
التوراة في وصفه صلى الله عليه وسلم بصاحب القبلتين وفيه ان قبلة
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم انما هي الكعبة فعن ابي العالية كانت
الكعبة قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وكان موسى عليه الصلاة والسلام
يصلي الى صخرة بيت المقدس وهي بينه وبين الكعبة ومثل هذا لا يقال
الا عن توقيف اي ويقال بمثل هذا فيما تقدم عن اليهود وعن الزهري

على تسليم صحته من ان صخرة بيت المقدس كانت قبلة لجميع
الانبيا عليهم الصلاة والسلام انهم كانوا يصلون اليها ويجعلونها
بينهم وبين الكعبة فلا مخالفة لانا نقول هذا ليس اولى من العكس
اي ان استقبال الانبيا للكعبة انما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة
بيت المقدس لانا نقول قد ذكر في الاصل في تفسير قوله تعالى "
ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك اي يكتمون ما علموا من ان الكعبة
هي قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي المخصوصة بالاستقبال
لانهم يستقبلونها لاجل صخرة بيت المقدس وذكر عن بعضهم
ان اليهود لم يجد كون الصخرة قبلة في التوراة وانما كان تابوت
السكينة على الصخرة فلما غضب الله على بني اسرائيل رفعه فصلوا
الى الصخرة بمشاورة منهم اي وادعوا انها قبلة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وما تقدم عن الزهري رحمه الله تقدم الجواب عنه ثم قالوا
والله ان انتم الا قوم تفتنون فانزل الله تعالى سيقول السفهاء من الناس
ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب اي الجهات
كلها فيامر بالتوجه الى اي جهة شا لا اعتراض عليه يهدي من يشا الى
صراط مستقيم اي فكان اول ما نسخ امر القبلة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اي ما نسخ من القران فيما يذكر والله اعلم شان القبلة
فاستقبل صلى الله عليه وسلم بيت المقدس اولا اي بمكة والمدينة
ثم صرفه الله الكعبة اي واما قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله "
فمحمول على النفل في السفر اذا صلى حيث توجه ولما قيل ان سبب نزولها
ما ذكره بعض الصحابة قال كنا في سفر ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة
فصلى كل منا على حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ففيه نظر لضعف الحديث او هو محمول على ما اذا صلوا باجتهاد

اي ولما

اي ولما توجه صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال المشركون من اهل مكة
توجه محمد بقبلته اليكم وعلم انكم كنتم اهدى منه ويوشك اي يقرب ان
يدخل في دينكم ومن ثم ارتد جماعة وقالوا مرة هاهنا ومرة هاهنا
ولما حولت القبلة الى الكعبة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد
قبا فقدم جدار المسجد موضعه الان وقالت له الصحابة يا رسول الله
لقد ذهب منا قوم قبل التحول فهل يقبل منا ومنهم فانزل الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس وذكر في الاصل ان الصحابة
رضي الله عنهم قالوا مات قبل ان تحول قبلتنا اي رجال وقتلوا اي وهم
ثمانية عشر من اهل مكة واثنان من الانصار ومنهما البراء بن معرور
واسعد بن زرارة رضي الله عنهما فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى
وما كان الله ليضيع ايمانكم الاية ولفظة القتال وقعت في البخاري وانكرها
الحافظ ابن حجر رحمه الله وقال ذكر القتل لم اره الا في رواية زهير وباقي
الروايات انما ذكر الموت فقط ولم اجد في شي من الاخبار ان احدا من المسلمين
قتل قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت
هذه اللفظة محفوظة فتحمل على ان بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك
المدة في غير الجهاد ثم قال وذكر لي بعض الفضلا انه يجوز ان يراد من قتل
بمكة من المستضعفين كابوي عمار فقلت يحتاج الى ثبوت ان قتلهما كان
بعد الاسرا هذا كلام الحافظ رحمه الله وفيه ان الركعتين اللتين كان يصليهما
هو والمسلمون بالغداة والعشي قبل فرض الصلوات الخمس كانت الى بيت المقدس
فكانوا يصلون بين الركنين الركن اليماني والذي عليه الحجر الاسود لاجل
استقبال بيت المقدس وتقدم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتزم ذلك بل كان
في بعض الاوقات يصلي الى الكعبة في اي جهة اراد ثم لما قدم صلى الله عليه وسلم
المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل ومن ثم

قال في الاصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا اي
يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس لم يتبين توجهه الى بيت المقدس
للناس حتى خرج من مكة اي فانه استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس
فقول ابن عباس رضي الله عنهما لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى ان
يستقبل بيت المقدس معناه امره الله ان يستمر على استقبال
بيت المقدس وهذا هو المراد بقوله الذي نقله بعضهم عنه وهو انه
صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجروا
امره الله تعالى ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس اي يستمر على ذلك
ويستدبر الكعبة ثم امره باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس
فلم يقع النسخ مرتين كما فهمه بعضهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جرير
رحمه الله صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت
المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه ثم وجهه
الله الى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى
هذا ضعيف ويلزم منه النسخ مرتين قيل وكان امره صلى الله
عليه وسلم بمداومة استقبال بيت المقدس لتألف اهل الكتاب
لانه كان ابتدا الامر يحب ان يتالف اهل الكتاب فيما لم ينه عنه
فلا يخالف ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم كان يحب ان يستقبل
الكعبة كراهة لموافقة اليهود في استقبال بيت المقدس ولا
يخالف هذا قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يحب
موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه وبعد الفتح يحب مخالفتهم
لجواز ان يكون ذلك اغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد يوجد من
استدامة استقبال بيت المقدس كان لتألف اهل الكتاب

جواب

جواب عما يقال اذا كانت الكعبة قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كلهم فلم وفق الى استقبال بيت المقدس وهو بمكة بنا على ان صلاته
لبيت المقدس وهو بمكة كان مستدبرا لها وحاصل الجواب انه امر بذلك
او وفق اليه لانه سيصير اليه قوم قبلتهم بيت المقدس فقصد تالفهم
وقد يوافقه ما في الاصل عن محمد بن كعب القرظي قال ما خالف نبي نبيا
قط في قبلة الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس
اي فهو مخالف لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام في ذلك وهذا
موافق لما تقدم عن ابي العالية كانت الكعبة قبلة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اي ثم ان في السنة المذكوره اي الثانية فرض صوم رمضان
وفرضت زكاة الفطر وطلبت الاضحية اي استحبابا عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه فرض شهر رمضان بعد ما صرفت القبلة الى الكعبة بشهر في
شعبان اي على ما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو واصحابه قبل
فرض رمضان ثلاثة ايام من كل شهر اي وهي الايام البيض وهي الثالث
عشر والرابع عشر والخامس عشر وجوبا فعن ابن عباس رضي الله عنهما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض ولا سفر وكان يحث على
صيامها وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل فرض رمضان
صوم عاشورا ثم نسخ ذلك بوجوب رمضان وعاشورا هو اليوم العاشر
من شهر الله المحرم فعن ابن عمر رضي الله عنهما صام النبي صلى الله عليه وسلم
عاشورا فلما فرض رمضان ترك صوم يوم عاشورا هذا والمشهور من
مذهبنا معاشر الشافعية انه لم يجب على هذه الامة صوم قبل رمضان
وحديث ابن عباس رضي الله عنهما لا دلالة فيه على الوجوب لجواز ان يكون
شأنه صلى الله عليه وسلم صيام تلك الايام على الوجه المذكور حتى بعد فرض
رمضان وحديث البخاري ايضا لا دلالة فيه لجواز ان يكون تركه لصوم يوم

عاشورا في بعض الاحاديث بعد فرض رمضان خشية اعتقاد وجوب
صومه كرمضان ثم كان بمسلة كما في الترمذي عن عايشة رضي الله تعالى
عنها قالت كان عاشورا يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصومه موافقة لهم اي ولم يامر احدا من اصحابه
بصيامه فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان
كان رمضان هو الفريضة وترك عاشورا فمن شا صامه ومن شا تركه
اي ترك صلى الله عليه وسلم صومه خوفا من توهم انه فرض كرمضان
وقولها رضي الله عنها لما قدم المدينة صامه وامر بصيامه اي لانه
صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة اي في ايام قدومه للمدينة وذلك
في شهر ربيع الاول وجد اليهود تصومه وتعظمه فسالهم عن ذلك فقالوا
يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه واغرق فرعون وقومه فصامه موسى
عليه الصلاة والسلام شكرا فنحن نصومه فقال صلى الله عليه وسلم
نحن احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنهما وفي كلام الحافظ ناصر الدين عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشورا فاذا
اليهود صيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا قالوا هذا
يوم اغرق الله تعالى فيه فرعون وقومه وانجى فيه موسى عليه الصلاة
والسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بموسى فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا حديث صحيح اخرجه البخاري
ومسلم والمدينة يحتمل ان المراد بها قبا ويحتمل ان المراد بها باطنها
قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه من شا صامه ومن شا تركه اي فان ذلك لهم خشية اعتقادهم
وجوب صومه كوجوب صوم رمضان وفي كونه صلى الله عليه وسلم

وجدهم

وجدهم صائمين لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشورا هو اليوم العاشر
من شهر الله المحرم كما تقدم او هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس
فكيف يكون في ربيع الاول واجيب بان السنة عند اليهود شمسية
لا قمرية فيوم عاشورا الذي كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون
لا يتقيد بكونه عاشر المحرم لاتفق انه في ذلك الزمن اي زمن قدومه
صلى الله عليه وسلم وجود ذلك اليوم بدليل سواله صلى الله عليه وسلم
اذ لو كان ذلك يوم عاشورا لما سال وما يدل على ذلك ما في المعجم الكبير
للطبراني عن خارجة ابن زيد قال ليس يوم عاشورا اليوم الذي يقوله
الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان يدور في السنة وكان الناس ياتون فلانا اليهودي
فيسالونه فلما مات اليهودي اتوا زيد ابن ثابت رضي الله عنه فسالوه فصام
صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وامر بصيامه حتى انه صلى الله عليه وسلم ارسل
في ذلك اليوم اسلم ابن حارثة الى قومه وهم اسلم وقال مر قومك بصيام هاشورا
فقال ارايت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا اي يمسكوا بقيتها لذلك اليوم
وفي دلايل النبوة للبيهقي عن بعض الصحابيات قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعظم يوم عاشورا ولقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا
يوم عاشورا بالرضعا فيتفل في افواههم ويقول للامهات لا ترضعهن
الى الليل والظاهر ان المراد بعاشورا هذا اليوم الذي هو عاشر المحرم
الهلالي لا الشمسي وكذا يقال في قوله وقيل يسمى الى آخره فليتامل
فائدة سمي عاشورا لان عشرة من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اكرمهم
الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على ادم عليه الصلاة والسلام واستوت
فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي اي فصامه نوح عليه الصلاة والسلام
ومن معه حتى الوحش شكرا لله تعالى ورفع الله فيه ادريس عليه الصلاة والسلام
ونصر فيه موسى عليه الصلاة والسلام ونجى الله فيه ابراهيم صلوات الله وسلامه

عليه من النار وفيه اخرج يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن اي وفيه
ولد وردفيه علي والده يعقوب عليه الصلاة والسلام وفيه اخرج يونس عليه
الصلاة والسلام من بطن الحوت اي وتاب علي اهل مدينته وتاب الله فيه
علي داود عليه الصلاة والسلام وعوفي فيه ايوب عليه الصلاة والسلام وفي كلام
الحافظ ناصر الدين رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان الله افترض علي بني اسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم
عاشورا وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا علي اهاليكم فيه
فانه من وسع علي اهله من ماله يوم عاشورا وسع الله عليه سائر سنته فصوموه
وهو اليوم الذي تاب الله فيه علي ادم وذكر ما تقدم وزاد عليه وهو اليوم الذي
انزل الله فيه التوراة علي موسي عليه السلام وفدي فيه اسماعيل عليه السلام
من الذبح وهو اليوم الذي رد الله فيه علي يعقوب عليه السلام بصره
وهو اليوم الذي رد الله فيه علي سليمان عليه السلام ملكه وهو اليوم الذي
غفر الله فيه لمحمد صلي الله عليه وسلم ذنبه ما تقدم وما تاخر واول يوم
خلق من الدنيا يوم عاشورا واول مطر نزل من السما يوم عاشورا واول
رحمة نزلت من السما يوم عاشورا فمن صام يوم عاشورا فكانما صام الدهر
كله وهو صوم الانبيا عليهم الصلاة والسلام الحديث بطوله ثم قال هذا
حديث حسن ورجاله ثقات وذكر الحافظ المذكور عن بعضهم قال
كنت اقف للنمل خبزا كل يوم فلما كان يوم عاشورا لم تاكل وتقدم ان
الصرد اول طير صام يوم عاشورا وفي كلام بعضهم ما قيل في يوم عاشورا
كانت توبة ادم الي اخر ما تقدم من الاحاديث الموضوعة وفي كلام بعض اخر
ما يفعل فيه من اظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد
وطبخ الحبوب والاطعمة والاغتسال والتطيب من وضع الكذابين
والحاصل ان الرافضة اتخذوا ذلك ماتما يندبون وينوحون ويحزنون

والجهال

والجهال اتخذوا ذلك فيه موسما وكلاهما مخطي مخالف للسنة واما التوسعة
فيه علي العيال فحديثها وان لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية
ان التوسعة لم يرد فيها شي عن النبي صلي الله عليه وسلم وكان صلي الله عليه وسلم
يصوم عاشورا كما تصومه اليهود من السنة الشمسية وعند اهل الاسلام
من السنة الهلالية وفي مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم صام يوم عاشورا وامر بصيامه قال بعض الصحابة يا
رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا كان العام المقبل صمنا التاسع قبله اي مخالفة لليهود فلم يات
العام المقبل حتي توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي هذا الحديث
اشكال فان سياقه يدل علي انه صلي الله عليه وسلم ما صام يوم عاشورا
ولا امر بصيامه الا في السنة التي توفي فيها وهو مخالف لما سبق واجيب
عن هذا الاشكال بان المراد بقوله حين صام اي حين واظب علي صومه
واتفق ان قول بعض الصحابة ذلك كان في السنة التي توفي فيها رسول
الله صلي الله عليه وسلم وهو صلي الله عليه وسلم كان يحب موافقة اهل
الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده كما تقدم وبعض متاخري فقهائنا
يظن ان قوله صلي الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شا الله صمنا
اليوم التاسع من تتمة حديث ولما قدم صلي الله عليه وسلم المدينة
وجد اليهود تصومه فصامه وامر بصيامه فاستشكل واجاب لما قدم
من سفر ثم سافرها مع المدينة بعد الهجرة اي وكان قدومه صلي الله عليه وسلم
من ذلك السفر في السنة التي توفي فيها وقد علمت انهما حديثان
وقد علمت ضعف الحديث الذي تتمته اذا كان العام المقبل وفي كون يوم
اغراق فرعون ونجاة موسي عليه الصلاة والسلام كان يوم قدومه صلي الله
عليه وسلم المدينة يلزم عليه ان ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الي اليوم

العاشر من المحرم الذي هو الشهر الخالي من السنة الثانية واستمر
كذلك كما هو ظاهر سياق الاحاديث التي واظب صلى الله عليه وسلم
على صيامه انما هو ذلك اليوم وكونه صلى الله عليه وسلم وافق اليهود
على صوم ذلك اليوم ثم خالفهم في السنة الثانية وما بعدها من ابعد
البعيد ثم رايت ابا الريحان البيروني نازع في ذلك في كتابه الاثار
الباقية عن القرون الخالية حيث قال ورواية ان الله اغرق فرعون
ونجى موسى عليه الصلاة والسلام يوم قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة الامتحان يشهد عليها بالبطلان وبين ذلك بما يطول
وحينئذ يكون من جملة ما يحكم عليه بالبطلان انه صلى الله عليه وسلم علم ذلك
وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وامر بصيامه وفرض الله عز وجل
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته صيام شهر رمضان او الاطعام
عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه من الاصحا المقيمين
فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا اي زاد على اطعام المسكين
فهو خير له وان تصوموا خير لكم اي من الفطر والاطعام فكان من شا
صام ومن شا اطعم عن كل يوم مدا ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير
بايجاب صوم رمضان عينا بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر اي علمه
فليصمه الا في حق من لا يستطيع صومه لكبر او لمرض لا يرجى زواله
فيجزيه الاطعام ورخص فيه للمريض اي اذا كان يحصل
له مشقة تبيح التيمم وللمسافر اي الذي يباح له قصر الصلاة
وان لم يحصل له مشقة بالكلية مع وجوب القضا اذا زال المرض
والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام
اخر اي فافطر فعليه صيام عدة ما افطر من ايام اخر وكانوا ياكلون
ويشربون ويانون النسا ما لم يناموا بعد الغروب او يدخل
وقت العشا



وقت العشا الاخرة امتنع عليهم ذلك الى الليلة القابلة ثم نسخ الله
ذلك واحل الاكل والشرب واتيان النسا الى طلوع الفجر ولو بعد النوم
ودخول وقت العشا بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
ثم قال تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
ولما فهم بعض الصحابة ان المراد الخيط حقيقة صار يجعل عند وسادته
حبلا ابيض وحبلا اسود انزل الله تعالى من الفجر اشارة الى ان المراد
بياض الليل وسواد الليل النهار وذكر في التفسير في سبب
نزول هذه الاية ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه واقع اهله بعد ما
صلى العشا فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطية اني
رجعت الى اهلي فوجدت رايحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال
فاعترفوا بمثله فنزلت وذكر له صلى الله عليه وسلم ان بعض الصحابة
سقط مغشيا عليه بسبب الصوم فساله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فاخبر انه اهل حرثه وانه جا لينظر ما تفعله له زوجته تبتغي به
فغلبته عيناه فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب فلم ياكل شيا
فانزل الله تعالى وكلوا واشربوا الاية وقوله تعالى كما كتب على الذين
من قبلكم جا في بعض الروايات ان المراد بهم اهل الكتاب اي اليهود
والنصارى وجا في بعضها المراد بهم النصارى خاصة وجا في بعض
الروايات ان المراد بهم جميع الامم السابقة فقد جعلنا من امة الا كتب
عليها صوم رمضان الا انهم اخطاوه ولم يهتدوا له وهذه الرواية
تدل على انه لم يصمه احد من الامم السابقة فصومه من خصوصيات
هذه الامة وفي الانساب لابن قتيبة اول من صام رمضان نوح

عليه السلام مدة المقام وفي بعض الروايات ما يفيد ان النصارى
صامته واتفق انه وقع في بعض السنين في شدة الحر فاقتضى رايهم
تاخيره بين الصيف والشتاء ان يزيدوا في مقابلة تاخيره عشرين يوما
وعلى هذا فليس من خصائص هذه الامة وقيل التشبيه انما هو
في مطلق الصوم لا في خصوص صوم رمضان لانه كان الواجب على جميع
من تقدم من الامم صوم ثلاثة ايام من كل شهر صام ذلك نوح فمن دونه
حتى صامه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وتقدم ان تلك الايام التي
صامها صلى الله عليه وسلم كانت البيض اي الثالث عشر والرابع عشر
والخامس عشر وتقدم انه قيل ان صوم ذلك كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم
وعلى امته وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل صوم رمضان
عاشورا وتقدم رده وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى
الله عليه وسلم يخطب قبل العيد بيومين يعلم الناس زكاة الفطر ويامر
باخراج تلك الزكاة قبل الخروج الى صلاة العيد اي بعد ان شرعت
لان مشروعيتها تاخرت عن مشروعية صلاة الاضحى وكان فرض
زكاة الفطر قبل فرض زكاة الاموال في تلك السنة اي الثانية
ولم اقف على خصوص الشهر الذي وجب فيه قال بعضهم ولعل هذا
قول بعض المتاخرين المطلعين على الفقه والحديث لم يتحرر لي وقت
فرض الزكاة اي زكاة المال ولعله عنى ببعض المتاخرين الامام
سراج الدين البلقيني رحمه الله ان الامام البلقيني سئل هل علمت
السنة التي فرضت فيها زكاة المال فاجاب بقوله لم يتعرض الحفاظ
ولا اصحاب السير للسنة التي فرض فيها زكاة المال ووقع لي بحث بان
ظهر منها تعرض لذلك ولم اسبق اليه ثم قال فظهر ان زكاة المال
بعد زكاة الفطر وقبل قدوم ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه وقدومه

كان في السنة الخامسة هذا كلامه وقيل فرضت زكاة الفطر قبل
الهجرة بعد الايمان الا الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد
الهجرة وفيه ان فرض قيام الليل كما تقدم وصلاة الركعتين بالغداة
والركعتين بالعشي على ما تقدم الا ان يقال المراد الفروض الموجودة
الان المستمر فرضها وما تقدم عن سفر السعادة يجوز ان يكون صلى
الله عليه وسلم ارسل المنادي الذي ينادي في مكة بوجوب زكاة الفطر
وهو بالمدينة بعد وجوبها بالمدينة وامر صلى الله عليه وسلم ان تخرج زكاة
الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر
او صاع من شعير او صاع من زبيب او صاع من بر فكان صلى الله عليه وسلم
يصلي العيدين قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ولا الصلاة جامعة والسنة
ان لا يكون شيء من هذا كله هذا كلامه وكانت تحمل العنزة بين يديه صلى الله
عليه وسلم فاذا وصل المصلى نصبت تجاهه وهي عصاة قدر نصف الرمح في
اسفلها زج وكانت تلك العنزة للزبير ابن العوام رضي الله عنه قدم بها من
ارض الحبشة فاخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يصلي اليها اي
اخذها منه بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير رضي الله عنه عبيدة بفتح
العين المهملة وبضمها ابن سعيد ابن العاص الذي كان يقال له
ذات الكرش قال الزبير رضي الله عنه لقيته لا يرى منه الا عيناه
فقال لي انا ابو ذات الكرش فحملت عليه فطعنته في عينه فمات واردت
اخراجها فوضعت رجلي عليه ثم تمطيت فكان الجهد ان نزعتها وقد
انثنى طرفاها قبضها صلى الله عليه وسلم اخذها الزبير رضي الله عنه
ثم طلبها ابو بكر رضي الله عنه فاعطاه اياها فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه
اخذها الزبير ثم سالها عمر رضي الله عنه فاعطاها اياه فلما قبض
عمر اخذها ثم طلبها عثمان رضي الله عنه فاعطاها اياه فلما قتل دفعت

الى علي كرم الله وجهه ثم اخذها عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما فما زالت
عنده حتى قتل **وكان** صلى الله عليه وسلم اذا رجع من صلاة عيد الفطر
وخطبته يقسم زكاة الفطر بين المساكين **ولعل** المراد الزكاة المتعلقة
به صلى الله عليه وسلم لانه تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يامر الناس
باخراجها قبل الصلاة الا ان يقال المراد باخراجها جمعها له صلى الله عليه وسلم
ليفرقها **فاذا** فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاة الضحى وخطبته يؤتى له
بكبشين وهو قايم في مصلاه فيذبح احدهما بيده ويقول هذا عن
امتي جميعا من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ **وعند** الحاكم عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح
كبشا اقرن اي بالمصلى بعد الصلاة وقال بسم الله والله اكبر وقال اللهم هذا
عني وعن من لم يضح من امتي **واستدل** بذلك على ان من خصايصه
صلى الله عليه وسلم ان يضحي عن غيره بغير اذنه **ويذبح** الاخر ويقول
هذا عن محمد وال محمد فيا كلهو واهله منها ويطعم المساكين ولم يترك
الاضحيه قط **وهل** كانت الانبيا من بعد ابراهيم تضحي هي وامهم او هي
خاصه **وكان في مسجده** صلى الله عليه وسلم يوم الجمعه قبل ان يوضع
له المنبر يخطب ويسند ظهره الى اسطوانة من جذوع النخل او من
الدوم وهو شجر المقل وعبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند
الى الجذع عند مصلاه في الحايط القبلي فلما كثر الناس اي وقالوا له
صلى الله عليه وسلم لو اتخذت شيا تقوم عليه اذا خطبت يراك الناس
ويسمعهم خطبتك قال ابنوا لي منبرا فلما بني له المنبر عتبتين اي ومحل
الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه في يوم جمعة اي وخطب وفي
لفظ لما عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع سمع لتلك
الاسطوانة حنين كحنين الواله بصوت هايل سمعه اهل المسجد

حتى

حتى ارتج اي اضطرب المسجد وكثر بكا الناس لذلك ولا زالت
تحن حتى تصدعت وانشقت **وفي** رواية سمع له صوت كصوت العشار
اي النوق التي اتى لحملها عشرة اشهر وقيل التي اخذ ولدها **وفي**
بعض الروايات كحنين الناقه الخلوج وهي التي انتزع ولدها منها
وفي رواية جار بفتح الجيم وبعدها همزة مفتوحة او بالخا المعجمة
بلا همزة وهو بمعنى خوار الثور فنزل صلى الله عليه وسلم فالتزمها
وحضنها اي فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت فسكنت
وفي كلام بعضهم وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه
الى نفسه فجاه يخرق الارض فالتزمه فعاد الى مكانه **وفي** رواية
ووضع يده عليها وقال لها اسكني اسكني فسكنت **وفي** رواية
ان هذا الجذع يبكي لما فقد من الذكر والذي نفسي بيده لو لم التزمه
لم يزل هكذا اي يحن الى يوم القيمه **زاد** في رواية تحزنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم **وقوله** لما فقد من الذكر هو واضح على الرواية الاولى واما
على الثانية فالمراد لما يفقد من الذكر والى حنين الجذع اشار الامام
السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وحن اليك الجذع حين تركته ... حنين الثكالى عند فقد الاحبة

وعن بعضهم قال قال لي ان الشافعي رضي الله عنه ما اعطى الله نبيا
ما اعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت اعطى عيسى عليه السلام احيا
الموتى فقال اعطي صلى الله عليه وسلم حنين الجذع فهذا اكبر من ذلك
وفي رواية لا تلوموه اي الجذع على حنينه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفارقه شي الا وجد عليه اي حزن **وفي** رواية انه قال له ان شيت
اردك الى الحايط اي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شيت اغرسك في الجنه فياكل

اولياء الله من تحرك ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال الصوت
بمعنى مع يليه بل تغرسني في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
فعلت قد فعلت وفي رواية لما اصغى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل فقال اختار ان اغرس في الجنة اي وفي رواية اختار دار البقا
على دار الفنا ولا تخالف ما قبله لانه يجوز ان يكون السائل غير من جمع
جوابه وامر به فدفن تحت المنبر وقيل جعل في السقف واخذه ابي
رضي الله عنه بعد ان هدم المسجد وازيل سقفه فكان عنده
الى ان اكلته الارضة وعاد رفاتا اي متكسرا من شدة اليبس اقول
في سيرة الحافظ الدمياطي قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام شق علي
فقال له تميم الداري رضي الله عنه الا اعمل لك منبرا كما رايت يصنع
بالشام اي تصنعه النصارى في كنائسهم لاساقفتهم تسمى المرقاة
يصعدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع المسلمين في ذلك فراوا ان يتخذه فقال العباس ابن عبد المطلب
رضي الله عنه ان لي غلاما يقال له كلاب اعلم الناس اي بالنجارة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مره ان يعمله فارسله الى الاثلة
بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعدا ثم جاء به فوضعه
في موضعه اليوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه وقال
ان اتخذ منبرا فقد اتخذه ابي ابراهيم عليه السلام اي ولعله صلى الله
عليه وسلم عنى به المقام الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت اي وعليه
الحجر الا ان يثبت ان ابراهيم عليه السلام كان له منبر يخطب عليه
الناس وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر يقول ياخذ الجبار سمواته وارضه بيده ثم يقول

انا الجبار

٣١٥

انا الجبار فاين الجبارون اين المتكبرون ويميل لعينه النبي صلى الله
عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك حتى اني
اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه فقال
المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات وفي رواية عن عائشة رضي الله
عنها فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قلت
ليخرن قال صلى الله عليه وسلم منبري هذا على ترعة بفتح التا
المثناه فوق واسكان الراء وبالعين المهملة من ترع الجنة وقوايم منبري
رواتب اي ثوابت في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم منبري على حوضي
ان حوضي كما بين عدن الى عمان اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل واطيب رائحة من المسك اباريقه عدد نجوم السما من شرب منه
شربة لم يظما بعدها ابدا واكثر الناس ورودا عليه يوم القيمة
فقرا المهاجرين قلنا من هم يا رسول الله قال الشعثة رووسهم الدنسة
ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد اي الابواب الذين
يعطون الذي عليهم ولا ياخذون الذي لهم وقال صلى الله عليه وسلم
ما بين قبري ومنبري وفي رواية بدل قبري بيتي وفي لفظ حجرتي
والمراد قبره الشريف فانه في حجرته وحجرته من بيته صلى الله عليه وسلم
روضة من رياض الجنة اي يكون بعينه في الجنة بقعة من بقاعها اي ينقلها
الله تعالى فيكون في الجنة بعينها وقيل ان يا الصلاة والدعا فيها يستحق
بذلك من الثواب ما يكون موجبا لدخول الجنة كما قيل بذلك في قوله صلى الله
عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف من ان تلك السيوف كانت بارض الكفر
وقيل انها لبركتها اضيفت الى الجنة كما قيل في الضان انها من دواب
الجنة قال ابن حزم ليس على ما يظنه اهل الجهل من ان تلك الروضة قطعة
مقتطعة من الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا ولو على

سواك اراك فليتبوا مقعده من النار وفي رواية الا وجبت له النار اقول
وجا انه صلي الله عليه وسلم كان علي المنبر يعتمد علي عصي من شوحط
وفي الهدي لم يعتمد صلي الله عليه وسلم في خطبته علي سيف ابدا وقبل
ان يتخذ له المنبر كان يعتمد علي قوس او عصي اي وقيل كان يعتمد
علي قوس ان خطب في الحرب وعلي عصي ان خطب في غيره واختلف
فيما يعني تلك العصاه هل هي العنزة التي كان صلي الله عليه وسلم يصلي
اليها او غيرها وما يظنه بعض الناس من انه كان يعتمد علي سيف وان
ذلك اشارة الي ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه
وفيه ان بعض فقهائنا ذكر ان اعتماده صلي الله عليه وسلم في خطبته
كان علي سيف رومي ولم يثبت وذكر فقهاؤنا ان تلك الحكمة حيث قالوا وحكمة
اعتماده علي العصا او القوس او السيف الاشارة الي ان هذا الدين
قام بالسلاح وقول صاحب الهدي وكان صلي الله عليه وسلم قبل ان يتخذ
المنبر يعتمد علي قوس او عصا يقتضي انه بعد اتخاذ المنبر لم يعتمد
علي شي من ذلك اي وصرح به صاحب القاموس في سفر السعادة حيث
قال لم يكن صلي الله عليه وسلم ياخذ السيف والحربة بيده بل كان صلي الله
عليه وسلم يعتمد علي القوس او العصاه وذا قبل اتخاذ المنبر واما بعد
اتخاذ المنبر فلم يحفظ انه اعتمد علي العصا ولا علي القوس ولا علي غير
ذلك هذا كلامه فيكون الاعتماد علي ذلك فوق المنبر بدعة وهو خلاف
ما عليه ائمتنا من انه يسن ان يشغل يمناه بحرف المنبر ويسراه بما
يعتمد عليه من نحو العصا لكن قالوا كعادة من يريد الضرب بالسيف
والرمي بالقوس ويعلل لان الي في العصا وابانا في السيف الا اذا كان
في غمده ووجود المرقي الذي يقرا الاية والخبر المشهور من بدعة لانه
حدث بعد صدر الاول ولم اقف علي اول زمان فعل فيه ذلك لكن ذكر

بعضهم

٣١٦

بعضهم انه صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع امر من يستنصت له الناس
عند ارادة خطبته وعليه ان كان استنصتهم بالحديث فذكر المرقي
للخبر ليس من البدعة الا ان يقال هو بالنسبة لخطبة الجمعة بدعة لانه
صلي الله عليه وسلم كان يذكر الحديث علي المنبر فالسنة ان يذكره الخطيب
كذلك وفي سفر السعادة وكان صلي الله عليه وسلم في اثنا الخطبة يامر
الناس بالانصات ويقول ان الرجل اذا قال لصاحبه انصت فقد لغا
ومن لغا فلا جمعة له وكان صلي الله عليه وسلم يقول من تكلم يوم الجمعة
والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل اسفارا والذي يقول انصت لا جمعة له
وقول الحافظ الدمياطي كان صلي الله عليه وسلم يخطب علي جذع قايم
اوانه قال ان القيام شق علي يقتضي ان حنين الجذع كان عند قيامه علي
ذلك المنبر من الخشب وانه لم يتخذ قبل ذلك المنبر من الطين الذي
قدمناه وفيه نظر وكذا في قوله فقال له تميم الداري الخ لان تميم الداري
انما اسلم في السنة التاسعة وهذا المنبر الذي فعل من الخشب انما
فعل في السابعة او الثامنة وعلي الثاني اقتصر الاصل حيث قال
في الحوادث وفيها اي السنة الثامنة اتخاذ المنبر والخطبة عليه
وحنين الجذع وهو اول منبر وضع في الاسلام وهو في ذلك موافق
لما قدمه هو اي الاصل من اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وانه
كان عنده حنين الجذع وعلي كون المنبر عمل في الثامنة لا يشكل
كون العباس رضي الله عنه امر غلامه بعمله لان العباس رضي الله عنه
قدم المدينة في السنة الثامنة لكن في بعض الروايات انه صلي الله
عليه وسلم دعي رجلا فقال اتصنع لي المنبر قال نعم قال ما اسمك
قال فلان قال لست لصاحبه ثم دعي اخر فقال له مثل ذلك ثم دعي
الثالث فقال ما اسمك قال ابراهيم قال خذ في صنعته فصنعه

وفي رواية عمله رجل رومي اسمه باقوم غلام سعيد ابن العاص ولعله هو الذي
تقدم ذكره عند بنا قريش للكعبه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى امراة
فقال لها مري غلامك يعمل لي اعوادا اكلم الناس عليها فعمل له هذه الثلاث
درجات من طرفا الغابه يجوز ان يكون غلام العباس رضي الله عنه انتقل الى
ملك تلك المراه وانه كان غلاما لسعيد ابن العاص وانه اشترك في عمله مع
ابراهيم المتقدم ذكره فنسب لكل منهما اقول من كلام الاصل في غير الحوادث
انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب اولا على الجذع ثم على المنبر من الطين وان
حنين الجذع كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على ذلك المنبر من الطين
وهو يخالف كلامه في الحوادث وان حنين الجذع كان عند اتخاذه صلى الله
عليه وسلم المنبر من الخشب وانه اول منبر عمل في الاسلام الا ان يقال
اول منبر عمل في الاسلام من خشب ويكون ذكر حنين الجذع لم يتكرر
حتى يقال جاز ان يكون عند قيامه صلى الله عليه وسلم على المنبر من
الطين ثم عند قيامه على المنبر من الخشب ثم رايته في النور رجع
كلام الاصل في غير الحوادث الى كلام الاصل في الحوادث حيث انه لم يكن
له صلى الله عليه وسلم منبر من طين حيث قال قوله اي الاصل فبنوا له منبرا
وهذا الكلام فيه تجوز يعني اتخذوا له منبرا وذلك المنبر كان من طرفا
الغابه وهو شجر معروف هذا كلامه وليته عكس لان هذا منه
يقتضي حينئذ ان يكون صلى الله عليه وسلم استمر من حين خطب
في المسجد الى السنة الثامنة يخطب الى الجذع لان المنبر من الخشب
اتخذ في السنة الثامنة كما تقدم عن الاصل ويشكل عليه قول عائشة
رضي الله عنها في قصة الافك فثار الحيان الاوس والخزرج حتى
كادوا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر لان قصة
الافك كانت في سنة خمس ثم رايت في كتاب الشريعة للآجري عن انس

ابن مالك

٣١٧

ابن مالك رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب مسندا ظهره
الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا فبنوا له عتبتين اي غير
المستراح فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة الحديث وعن سهل
ابن سعد رضي الله عنه لما كثر الناس وصار يجي القوم ولا يكادون
يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس يا رسول الله قد كثر الناس
وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو انك اتخذت شيئا تخطب عليه
مرتفعا من الارض ويسمع الناس كلامك فارسل صلى الله عليه وسلم
الى غلام نجار لامراة من الانصار فاتخذ له مرقاتين من طرفا الغابه
فلما قام عليهما حنت الخشبة التي كان يخطب عليها هذا كلامه وهو
موافق لما تقدم عن الاصل في الحوادث والذي ينبغي في الجمع بين
الروايتين ما علم من ان اتخاذ المنبر من طرفا الغابه كان بعد اتخاذه
من الطين لانه اقوى في الارتفاع من منبر الطين وكون الجذع عند اتخاذ
المنبر من الطين فامن تصرف بعض الرواة لان حنينه انما كان عند
اتخاذ المنبر من الطين ولم يتكرر حنينه كما تقدم ولما ولي
معاوية رضي الله عنه الخلافه كسا ذلك المنبر قبطية ثم كتب الى عامله
بالمدينه وهو مروان بن الحكم ان يرفع ذلك عن الارض فدعا بالنجارين
وعمل ست درج ورفع ذلك المنبر فوقها فصارت تسع درجات وهذا
يدل على ان قوله فاتخذ له مرقاتين اي غير المستراح ومن ثم تقدم فعمل له
درجات وقيل امره بحمله الى الشام فلما ارادوا قلعه اظلمت المدينه
وكسفت الشمس حتى بدت النجوم وثارت ريح شديدة فخرج مروان
الى الناس فخطبهم وقال يا اهل المدينه انكم تزعمون ان امير المومنين
بعث الي ان ارسل اليه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامير
المومنين اعلم بالله من ان يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما

امر لي ان اكرمه وارفعه فحصل ما تقدم وقيل ان معاوية رضي الله
عنه لما حج اراد ان ينقل المنبر الي الشام فحصل ما تقدم من كسوف
الشمس الي اخره فاعتذر معاوية رضي الله عنه للناس وقال اردت
ان انظر الي ما تحته وخشيت عليه من الارضة وكساه يوميذ قبطية
ولا مانع من تعدد الواقعة وان واقعة معاوية سابقة علي واقعة
مروان لقوله لا انظر ما تحته والا فمروان رفعه عن الارض ثم ان هذا
المنبر احترق بسبب الحريق الواقع في المسجد اول مرة فارسل صاحب
اليمن منبرا فوضع موضعه مكث عشر سنين وفي الامتاع ثم تهافت
المنبر النبوي علي طول الزمان فعمل بعض خلفا بني العباس منبرا
واتخذ من اعواد المنبر امشاطا يتبرك بها فاحترق هذا المنبر المجدد
في حريق المسجد فبعث المظفر ملك اليمن منبرا هذا كلامه ثم
ارسل الظاهر بيبرس منبرا عمله من مصر منبرا فرفع منبر صاحب
اليمن ووضع منبر الملك الظاهر فمكث مائة سنة واثنتين وثلاثين
سنة فبدا في اكله الارضة فارسل الظاهر برقوق منبرا فرفع
منبر الظاهر بيبرس ووضع منبر الظاهر برقوق ومكث ثلاث
او اربع وعشرين سنة ثم ان السلطان الملك المويد شيخ لما بني
مدرسته بالقاهرة التي يقال لها المويدية عمل اهل الشام له
منبرا وارسلوا به اليه ليجعله في مدرسته فوجد اهل مصر قد
صنعوا لها منبرا فصير المويد منبر اهل الشام الي المدينة فمكث
سبعا وستين سنة ثم احترق في الحريق الواقع في المسجد ثاني مرة
ثم جعل موضعه منبر مبني بالاجر مطلي بالنورة فمكث احدي وعشرين
سنة ثم جعل موضعه المنبر الرخام الموجود الان قيل واعجب
منبر في الدنيا منبر قرطبة جامع قاعدة بلاد الاندلس بالمغرب

ذكر

ذكر ان خشبه من ساج وابنوس وعود قاقلي احكم عمله ونقشه
في سبع سنين وكان يعمل فيه سبع صناع لكل صانع في كل يوم نصف
مثقال ذهب فكان جملة ما صرف علي اجرته عشرة الاف مثقال وخمسون
مثقالا وبالجامع المذكور مصحف فيه اربع ورقات من مصحف عثمان
ابن عفان رضي الله عنه بخطه وفيه نقط من دمه وفي هذا
المسجد ثلاثة اعمدة حمر مكتوب علي احدها اسم محمد صلي الله عليه
وسلم وعلي الثاني صفة موسي وعيسي عليهما الصلاة والسلام
واهل الكهف وعلي الثالث صورة غراب نوح الجميع خلقة ربانية
ولا بدع فقد ذكر بعضهم ان بحمام القاهرة رخامة عليها مكتوب
بسم الله الرحمن الرحيم مفسرا يقراه كل احد خلقة وعن سهل رضي الله
عنه قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم اول يوم جلس علي المنبر
من الخشب كبر فكبر الناس خلفه ثم ركع وهو علي المنبر ثم رفع فنزل
القهقري ثم جلس في اصل المنبر ثم عاد حتي اذا فرغ الصلاة
يصنع فيها كما يصنع في الركعة الاولي فلما فرغ اقبل علي الناس وقال
ايها الناس انما صنعت هذا لتاتموا بي ولتعلموا صلاتي وقوله
لتاتموا بي اي تقتدوا بي في مثل هذا الفعل من الاحرام والركوع
علي المحل المرتفع ثم النزول عنه والسجود تحته ثم الصعود اليه وهكذا
الي ان تتم الصلاة وهذا عند ايمتنا مخصوص من جوازه بما اذا لم يلزم
علي ذلك استدبار القبلة او توالي حركات ثلاثة وقوله ولتعلموا
صلاتي وهو واضح اذا كان اول صلاة صلاها الان يقال
المراد ولتعلموا جواز صلاتي هذه وفي كلام فهم ان انه صلي الله
عليه وسلم كان ينزل من المنبر ويسجد للتلاوة اسفل المنبر واخر
الامر بعد ذلك فعلم ان منبره صلي الله عليه وسلم كان ثلاث درجات

بالمستراح وحينيذ لا يتكلمان صح ما روي ان ابا بكر نزل عن درجة
عن موقفه صلى الله عليه وسلم وعمر نزل درجة اخرى وعثمان
رضي الله عنه نزل درجة اخرى ومن ثم قال في النور وهذا يدل
على انه كان اكثر من ثلاث درجات اي اربعة غير المستراح
والا يلزم ان يكون عمر وعثمان كانا يخطبا على الارض قال
ويمكن تاويله هذا الكلام ويبطل ما قاله فانه يلزم على لو انه
درجتين غير المستراح ان يكون الصديق رضي الله عنه يخطب على
الدرجة الثانيه بنزل عنها وحينيذ يكل ما في الامتاع ومن كان
منبره صلى الله عليه وسلم درجتين ومجلسا وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجلس مجلسا على المجلس ويضع رجليه اذا قعد
على الدرجة الثانيه فلما ولي ابو بكر رضي الله عنه قام على الدرجة
الثانيه ووضع رجليه على الدرجة السفلى فلما ولي عمر رضي الله ٢
عنه قام على السفلى ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما
ولي عثمان رضي الله عنه فعل كذلك كفعل عمر رضي الله عنه
ست سنين من خلافته ثم علا الى موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم
هذا الكلام وكان ينبغي ان يقول بدل قوله فلما ولي ابو بكر رضي
الله عنه قام على الدرجة الثانيه جلس على الدرجة الثانيه
وكذا قوله فلما ولي عمر رضي الله عنه قام على الدرجة السفلى جلس
على الدرجة السفلى اي فقد خطب على الارض وكذا عثمان
ويذكرون ان المتوكل قال لجلسايه يوما للجلسايه وفيهم عبادة اتدرون
ما الذي نقم على عثمان نقم عليه اشياء منها انه قام ابو بكر رضي الله عنه
دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام دونه عمر بمرقاة

فصعد

٣١٩

فصعد عثمان رضي الله عنه ذروة المنبر فقال
عنه ما احد اعظم منه عليك يا امير المومنين من عثمان رضي الله
قال وكيف ذاك قال لانه صعد ذروة المنبر وانه لو كلما قام خليفة
نزل عمن تقدمه كنت انت تخطبنا في بير عميق فضحك المتوكل ومن حوله
وكون عثمان رضي الله عنه صعد ذروة المنبر انما هو اخر الامر كما علمت
وفي كلام بعضهم اول من اتخذ المنبر خمس عشر درجة معاويه رضي الله
عنه وانه اول من اتخذ الخصيان في الاسلام واول من قيدت بين
يديه الجنايب وعثمان رضي الله عنه اول من كسى المنبر قبطيه
وعن الواقدي رحمه الله تعالى ان امراة سرقت كسوة عثمان للمنبر
فاتي بها اليه فقال لها هل سرقت قولي لا فاعترفت فقطعها
ثم كساه عبد الله ابن الزبير فسرقتها امراة فقطعها كما قطعها
عثمان رضي الله عنه ثم كساه الخلفا من بعده والله اعلم
تم الجزء الاول من سيرة الحلبي في يوم الاربعا المبارك عاشر شهر
صفر الخير من شهور سنة الف ومايه وواحد من الهجرة النبويه
على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام وكان فراغ تعليق
النسخة على يد افقر عباد الله تعالى واضعفهم واحوجهم
الى المغفرة الحقير المعترف بالذنب والتقصير
الراجي عفو ربه القدير عطا الله
المنشاوي بلدا المالكي مذهبا
غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين
والمومنين والمومنات
الاحياء منهم
والاموات

